
مكتبة ابن قتيبة
أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
تأويل مشكل القرآن
المكتبة العلمية

تأويل مشكل القرآن

لابن قتيبة

٢١٣ - ٢٧٦

شرحه ونشره

السيد أحمد صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة :

الحمد لله الذى نهج لنا سُبل الرّشاد ، وهدانا بنور الكتاب ، ﴿ ولم يَجْعَل لَهُ عِوَجاً ﴾[(١)] بل نزّله قيِّماً مفصّلا بيّنا ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد ﴾[(٢)] وشرّفه ، وكرّمه ، ورفعه وعظّمه ، وسماه رُوحاً[(٣)] ورحمة[(٤)] ، وشِفاء[(٥)] وهُدًى ، ونورا[(٦)] . ٥

وقطع منه بمعجز التّأْليف أطماع الكائدين ، وأبانه بعجيب النّظم عن حِيَل المتكلّفين ، وجعله مَتْلُوًّا لا يُمَلّ على طول التّلاوة ، ومسموعاً لا تمجّه الآذان ، وغَضًّا لا يَخْلُق على كثرة الرد ، وعجيباً .

لا تنقضى عجائبه ، ومفيداً لا تنقطع فوائده ، ونَسَخَ به سالف الكتب .

وجمع الكثير من معانيه فى القليل من لفظه ، وذلك معنى قول رسول الله ، ١٠ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الكهف ١ . وانظر تفسير غريب القرآن المؤلف ٢٦٣ .

(٢) سورة فصلت ٤٢ .

(٣) فى سورة الشورى ٥٢ . وفى البرهان للزركشى ١ / ٢٧٣ — ٢٨١ : « اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما ... » . ثم أعقبها بشرحها .

وقد نقل السيوطى ذلك كله فى الإتقان ١ / ٨٦ — ٨٩ .

(٤) فى سورة الجاثية ٢٠ .

(٥) فى سورة فصلت ٤٤ .

(٦) فى سورة الشورى ٥٢ .

« أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ »[١].

● فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله سبحانه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾[٢] كيف جمع له بهذا الكلام كل خُلُق عظيم ؛ لأن فى « أخذ العفو » : صِلة القاطعين ، والصفح عن الظالمين ، وإعطاء المانعين .

٥

وفى « الأمر بالعرف » : تقوى الله ، وصِلة الأرحام ، وصون اللسان عن الكذب ، وغَضّ الطَّرْف عن الحُرُمَات .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١/٣٧١—٣٧٢ .
وأخرجه البخارى فى كتاب الجهاد : باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : «نصرت بالرعب» ٦ / ٩٠ .
وفى كتاب التعبير : باب المفاتيح فى اليد ١٢/٣٥٣ .
وفى كتاب الاعتصام : باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « بعثت بجوامع الكلم » ١٣ / ٢٠٩ .
والنسائى فى كتاب الجهاد : باب وجوب الجهاد ٢/٥٢ ، ٥٣ .
والترمذى فى أبواب السير : باب ما جاء فى الغنيمة ١/٢٩٣ .
كلهم من حديث أبى هريرة .
وهو عند أحمد فى المسند من حديث عبد الله بن عمرو ٢ / ١٧٢ ، ٢١٢ ومن حديث أبى هريرة ٢/٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٤١٢ ، ٤٤٢ ، ٤٥٥ ، ٥٠١ الحلبى .
وعند الدارقطنى فى السنن ٢/٤٨٥ من حديث ابن عباس .
وقد أورده ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ١ / ٤ — ٦ أيضاً من حديث أبى موسى الأشعرى .
وفى اللسان ٩ / ٤٠٤ « يعنى القرآن وما جمع الله عز وجل بلطفه من المعانى الجمة فى الألفاظ القليلة ، كقوله عز وجل : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وفى صفته صلى الله عليه وسلم : أنه كان يتكلم بجوامع الكلم ، أى أنه كان كثير المعانى ، قليل الألفاظ » وقال الجاحظ فى معرض حديثه عن بلاغة الرسول : « والذى يدلك على أن الله عز وجل خصه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى — قوله صلى الله عليه وسلم : نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم » راجع البيان والتبيين ٢ / ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف ١٩٩ .

وإنما سُمِّىَ هذا وما أشبهه «عرْفاً» و «معروفا» ؛ لأن كل نفس تعرفه ، وكل قلب يطمئنُّ إليه .

وفى « الإعراض عن الجاهلين » : الصبر ، والحلم ، وتنزيه النفس عن مُمَاراة السّفيه ، ومنازعة اللَّجوج .

● وقوله تعالى : إذ ذَكَر الأرض فقال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾[1] كيف دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام ، من / العُشب والشجر ، والحب والثّمر والحَطب ، والعَصْفِ[2] واللِّباس ، والنّار والملح ؛ لأن النار من العيدان ، والملح من الماء . ٥ [٢]

وينبئك أنه أراد ذلك قوله : ﴿ مَتَاعا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ .

● وفكِّرْ فى قوله تعالى : حين ذكر جنات الأرض فقال : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، ونُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الأُكُلِ ﴾[3] كيف دَلَّ على نفسه ولُطْفه ، ووحدانيته ، وهَدَى للحُجَّة على من ضلّ عنه ؛ لأنه لو كان ظُهور الثّمرة بالماء والتُّربة ، لوجب فى القياس ألا تختلف الطعوم ، ولا يقع التَّفَاضُل فى الجنس الواحد ، إذا نَبت فى مَغْرِسٍ واحد ، وسُقى بماء واحد ، ولكنّه صنع اللطيف الخبير . ١٠ ١٥

● ونحو قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾[4] يريد اختلاف ، اللُّغات ، والمناظر ، والهيئات .

● وفى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ

---

(١) سورة النازعات ٣١ .

(٢) فى اللسان ١١/١٥٢ « العصف : ورق الزرع وما يؤكل منه » .

(٣) سورة الرعد ٤ .

(٤) سورة الروم ٢٢ .

السَحَاب ﴾[1] يريد : أنها تُجمعُ وتُسَيّرُ ، فهى لكثرتها كأنها جامدةٌ واقفةٌ فى رَأْيِ العين ، وهى تسير سير السحاب .

وكل جيش غَصّ الفضاء به ، لكثرته ، وبُعْد ما بين أطرافه ، فقصُرَ عنه البصر ـ فكأنه فى حسبان الناظر واقف وهو يسير .

٥ وإلى هذا المعنى ذهب الجَعْدِىّ فى وصف جيش فقال :

بأَرْعَنَ مثلِ الطَّود تحْسَبُ أنهم وُقوفٌ لِحَاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[2]

● وفى قوله جلّ ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَاب ﴾[3] يريد أن سافِكَ الدّم إذا أُقِيد منه ارتدع من كان يَهُمُّ بالقتل . ٣ فكان فى القصاص له حياة وهو قتل .

١٠ وأخذه الشاعر فقال :

أَبلغْ أبا مالك عَنِّى مُغَلْغَلَةً وفى العِتَاب حياةٌ بين أقْوَام[4]

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفُّوا عن القتل ، فكان فى ذلك حياة .

---

(١) سورة النمل ٨٨ .

(٢) البيت للنابغة الجعدى فى اللسان ٤/٢٣٥ ، وقد نسبه له ابن قتيبة فى كتاب المعانى ٢/٨٩١ : وقال أرعن : جيش كثير مثل رعن الجبل ، والرعن: أنف يتقدم من الجبل فينسل فى الأرض . والطود: الجبل : أى من كثرتهم تحسب أنهم وقوف وركابهم تسير ... » وانظره فى تفسير الطبرى ٢٠/١٥ .

(٣) سورة البقرة ١٧٩ .

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ١٤ / ١٨ وهو فى أمالى اليزيدى من أبيات لبعض المتقدمين ، وفى عيون الأخبار ١/٩١ لأبى القمقام الأسدى . وفى العقد الفريد ١/٨٠ لهشام الرقاشى . وفى البيان والتبيين لهمام الرقاشى ٢ / ٣١٦ ، ٣/٢٠٢ ، ٤ / ٨٥ وله فى الخزانة ٣/٣٤٥ . وفيه وفى العقد وأمالى اليزيدى : « أبلغ أبا مسمع » والمغلغلة ـ بفتح الغين ـ الرسالة المحموله من بلد إلى بلد ، كما فى اللسان ١٤ / ١٨ .

وأخذه المتمثِّلون فقالوا : « بعضُ القتل إحياءٌ للجميع »[١] .

وقالوا : « القتل أقلُّ[٢] للقتل » .

● وتبيَّن قوله فى وصف خَمْرِ أهل الجنة : ﴿ لا يُصَدَّعونَ عنْهَا وَلا يُنزِفون ﴾[٣] كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقوله : « ولا يُنْزِفون » عدم العقل ، وذَهاب المال ، ونفادَ الشراب . ٥

● وقوله : ﴿ وَمِنهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ أفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لَا يَعْقِلُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إلَيْكَ أفَأَنتَ تَهْدِى العُمْىَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُون ﴾[٤] كيف دَلّ على فضل السّمع على البصر ، حين جعل مع الصمم فقدان العقل ، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر .

● وقوله : ﴿ إنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ، إلّا الّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّهِ ﴾[٥] فدلَّ على أن المنافقين شرُّ مَنْ كفر به ، وأَوْلاهم بمقته ، وأبعدهم من الإنابة إليه ؛ لأنه شرط عليهم فى التوبة : الإصلاح والاعتصام ، ولم يشرط ذلك على غيرهم . ١٠

ثم شرط الإخلاص ؛ لأن النِّفاق ذنب القلب ، والإخلاص توبة القلب . ١٥

ثم قال : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل : فأولئك هم المؤمنون .

ثم قال : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴾ ولم يقل :

---

(١) فى البيان والتبيين ٢/٣١٦ : « وقال بعض الحكماء : قتل البعض إحياء للجميع » .

(٢) فى الصناعتين ص ١٣١ ، والنكت فى إعجاز القرآن ص ٢ « القتل أنفى للقتل » .

(٣) سورة الواقعة ١٩ : وانظر الحيوان للجاحظ ٣/٨٦ .

(٤) سورة يونس ٤٣ .

(٥) سورة النساء ١٤٦ . وتفسير القرطبى ٥/٤٢٥ .

وسوف يؤتيهم الله ، بُغْضاً لهم ، وإعراضاً عنهم ، وحَيْدا بالكلام عن [٥] ذكرهم /.

● وقوله فى المنافقين : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم ، هُمُ الْعَدُوُّ ﴾(١) فدلّ على جُبنهم ، واسْتِشرافهم لكل نَاعِرٍ ، ومُرْهِجٍ(٢) على الإسلام وأهله .

وأخذه الشاعر ـ وأنَّى له هذا الاختصار ـ فقال :

ولو أنَّها عصفورةٌ لحسِبْتَها مُسوّمةً تدعو عُبَيْداً وأزْنَمَا(٣)

يقول : لو طارت عصفورة لحسبتها من جُبْنك خيلا تدعو هاتين القبيلتين .

وقال الآخر :

مازلت تحسبُ كل شىء بعدهم خيلًا تكرُّ عليكم ورجالا(٤)

(١) سورة المنافقون ٤ .

(٢) فى اللسان ٣/١٠٩ « الرهج : الغبار ،والشغب » وفيه ٧/٧٨ « الناعر : الصائح » .

(٣) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى ٢ / ٩٢٧ « وقال العوام بن شوذب فى بسطام بن قيس يصفه بالجبن وفر يوم العظالى : ولو أنها عصفورة . . . وأزنما . أى لو أن عصفورة طارت لحسبتها من جبنك خيلا معلمة ، تدعو عبيداً وأزنما ، أى شعارهم : يالَ عبيد يالَ أزنم » والبيت من قصيدة للعوام فى النقائض ص ٥٨٥ وله فى الجمهرة لابن دريد ٣ / ١٩ واللسان ١٥ / ١٦٩ والعقد ٥ / ١٩٥ ومعجم الشعراء ص ٣٠٠ ، ولعميرة بن طارق فى نقائض جرير والأخطل ، ولمغيرة بن طارق فى أمالى اليزيدى ص ٦٦ ولجرير فى شرح شواهد المغنى ص ٢٢٧ وللبعيث أو جرير فى حماسة البحترى ص ٢٦١ وغير منسوب فى الحيوان ٥ / ٢٤٠ ، وديوان المعانى ١/١٩٥والمقاييس ١/١١٨ وعيون الأخبار ١/١٦٦ . وللعوم ابن عبد عمر والوساطة ٢٥٩ ، ٤٣٦ ، ولابن حوشب من أبيات فى معجم البلدان ٦/١٨٦ .

(٤) البيت لجرير يهجو به الأخطل ، كما فى نقائض جرير والأخطل ص ١٨٩ وديوانه ص ٤٥١ والحيوان ٥/٢٤٠ والمختار من شعر بشار ص ٩ وشرح شواهد الشافية ص ١٢٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٢٧ وغير منسوب فى الصناعتين ص ١٦٦ وحماسة البحترى ٢٦١ .

وهذا فى القرآن أكثر من أن نستقصِيَه .

* * *

● وقد قال قوم بِقُصور العلم وسوء النظر فى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾[1] : وما فى هذا الكلام من الفائدة ؟ ٥

وما فى الشمس إذا مالت بالغَداة والعَشِىّ عن الكهف من الخبر ؟

● ونحن نقول : وأىّ شىء أَوْلى بأن يكون فائدة من هذا الخبر ؟ وأىّ معنى ألطف مما أَوْدَعَ الله هذا الكلام ؟

وإنما أراد عز وجل : أن يُعرِّفنا لطفه لِلفِتْية ، وحِفْظه إياهم فى المَهْجَع ، واختياره لهم أصلح المواضع للرّقود ، فأَعْلمنا أنه بوَّأهم كهفاً فى مَقْنأة[2] الجبل ، ١٠ مستقبلا بنات نَعْش[3] ، فالشمس تزوَرُّ عنه وتستدبره : طالعة ، وجارية ، وغاربة . ولا تدخل عليهم فتؤذيَهُم بحرِّها وتلفحهم بسمومها ، وتُغيِّر ألوانهم ، وتُبلى ثيابهم . وأنهم كانوا فى فَجْوةٍ من الكهف ـ أى مُتّسعٍ منه ـ ينالهم / [٥] فيه نسيم الريح وبردها ، وينفى عنهم غُمَّةَ الغار وكربه .

● وليس جهلهم بما فى هذه الآية من لطيف المعنى ، بأعجب من ١٥

---

(١) سورة الكهف ١٧ وفى اللسان ٥/٤٢٣ « قال الفراء : وازورارها فى هذا الموضع : أنها كانت تطلع على كهفهم ذات اليمين فلا تصيبهم ، وتغرب على كهفهم ذات الشمال فلا تصيبهم . وقال الأخفش : تزاور عن كهفهم أى تميل . . » .

(٢) فى اللسان ١/١٣٠ « المقنأة : الموضع الذى لا تصيبه الشمس » .

(٣) فى اللسان ٨/٢٤٨ «وبنات نعش : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ؛ لأنها مربعة ؛ وثلاثة بنات » .

جهلهم بمعنى قوله : ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾[١] حتى أبدأوا فى التعجّب منه وأعادوا ، حتى ضرب به بعض المُجّان لبارد شعره مثلا .

وهل شىء أبلغُ فى العِبرة والعِظة من هذه الآية ؟ لأنه أراد : أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعُتوّ ، وأبادهم بالمعصية ، فيروا من تلك الآثار بيوتاً خاويةً قد سقطت على عروشها ، وبئراً كانت لشرب أهلها قد عُطّل رِشَاؤُهَا ، وغار مَعينُها ، وقصراً بناه مَلِكُهُ بالشِّيد[٢] قد خلا من السَّكْن ، وتداعى بالخراب ؛ فيتعظوا بذلك ، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه ، مثل الذى نزل بهم .

● ونحوه قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلّا مَسَاكِنُهُم ﴾[٣] :

ولم يزل الصالحون يعتبرون بمثل هذا ، ويذكرونه فى خطبهم ومقاماتهم : فكان « سليمان » صلى الله عليه وسلم ، إذا مرّ بخراب قال : يا خَرِب الخرِبين أين أهلك الأوّلون ؟

وقال : « أبو بكر » رضى الله عنه ، فى بعض خُطبه : أين بانو المدائن ومُحَصِّنوها بالحوائط ؟ أينَ مُشيِّدو القصور وعامروها ؟ أين جاعِلو العجب فيها لمن بعدهم ؟ تلك منازلهم خالية ، وهذه منازلهم فى القبور خاوية ، هل تُحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكْزاً[٤] ؟ .

---

(١) سورة الحج ٤٥ ؛ وانظر تفسير الطبرى ١٧/١١٥ — ١١٧ .

(٢) اللسان ٤/١٢٠ « الشيد — بالكسر — كل ما طلى به الحائط من جص وبلاط » .

(٣) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٤) فى اللسان ٧/٢٢٢ « الركز : الحس والصوت الخفى » .

وهذا « الأَسْوَدُ بن يَعْفُر »(١) يقول :

ماذا أُؤَمِّل بعدَ آل مُحَرِّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إيادِ(٢)

أهلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبَارِقٍ ... والقصرِ ذي الشُّرُفَاتِ من سِنْدادِ(٣) / [٦]

نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم ... ماءُ الفراتِ يَجِيءُ من أطْوادِ(٤)

أرضٌ تخيَّرها لطِيب مَقِيظِهَا ... كعبُ بن مَامَةَ وابنُ أم دُؤَادِ(٥) ٥

جرَت الرياح على محلِّ ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعادِ

فَأَرَى النعيم وكلَّ ما يُلْهَى به ... يوماً يصير إلى بلًى ونفَادِ(٦)

* * *

وهذه الشّعراءُ تبكى الديار ، وتصِفُ الآثار ، وإنما تسمعهم يذكرون دِمَناً وأوتاداً ، وأثافِيَّ ورماداً ، فكيف لم يعجبوا من تذكُّرِهم أهل الديار ١٠ بمثل هذه الآثار ، وعجبوا من ذكر الله ، سبحانه ، أحسنَ ما يُذْكَرُ منها وأوْلاه بالصِّفة ، وأبلغه فى الموعظة ؟

---

(١) جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الجاهلية ص ١٢٢ – ١٢٤ وترجم له أبو الفرج فى الأغانى ١١ / ١٣٤ – ١٣٩ وابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١ / ٢١٠–٢١١ وأبياته من قصيدة فى المفضليات ص ٢١٧ ، وهى فى العقد ٣/١٨٩ ومعجم البلدان ٥/١٥ .

(٢) محرق : لقب للملك عمرو بن هند ملك الحيرة ، وسمى محرقا لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة . وهو لقب الحارث الأكبر الغسانى ، انظر العمدة ٢/٢١٧–٢١٩ ، وإياد : قبيلة مشهورة ، وانظر لمهلكها : الشعر والشعراء ١ / ١٥١ – ١٥٢ والأغانى ٢٠/٢٣ – ٢٥ .

(٣) م « أرض الخورنق » والخورنق : قصر بالحيرة . والسدير : نهر أو قصر بالحيرة . بارق : ماء بالعراق . سنداد : نهر كان بين الحيرة إلى الأبلة .

(٤) أنقرة التى يعنيها الشاعر : بلد بالحيرة بالقرب من الشام . والأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٥) كعب بن مامة الإيادى الذى ضرب به المثل فقيل : أجود من كعب بن مامة ، راجع مجمع الأمثال ١/١٩١ – ١٩٢ . وأمثال الضبى ٦١ – ٦٢ . وابن أم دؤاد : هو أبو دؤاد الإيادى الشاعر المعاصر لكعب بن مامة ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ١/١٨٩ – ١٩٢ والأغانى ١٥/ ٩٥ – ٩٩ .

(٦) فى المفضليات » فإذا النعيم » .

بابُ ذكر العرب وما خصّهم الله به
من العارضة والبيان واتّساع المجاز

وإنما يَعرفُ «فضل القرآن» من كَثُرَ نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أُمّةٌ أُوتيت من العارِضة[1]، والبيان، واتساع المجال، ما أُوتِيَتْهُ العرب خِصِّيصَى من الله، لما أَرْهَصَه[2] في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نُبُوّته بالكتاب، فجعله عَلَمَه، كما جعل عَلَمَ كل نبي من المرسلين من أَشْبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه:

فكان «لموسى» فَلْقُ البحر، واليد، والعصا، وتفجُّرُ الحجر في التِّيه بالماء الرَّوَاء[3]؛ إلى سائر أعلامه زمن السّحر.

وكان «لعيسى» إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبْرَاء الأَكْمَه[4] والأبرص؛ إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان «لمحمد» صلى الله عليه وسلم، الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؛ إلى سائر أعلامه زمن البيان / . [٧]

* * *

(١) في اللسان ٩/٤٣ «العارضة: قوة الكلام وتنقيحه، والرأي الجيد».
(٢) في اللسان ٨ / ٢١٠ «وقد أرهص الله فلانا للخير أي جعله معدنا للخير ومأتى. والإرهاص: الإثبات».
(٣) في اللسان ١٩ / ٦٤ «ماء رواء ـ ممدود مفتوح الراء ـ أي عذب».
(٤) في اللسان ١٧/٤٣٣ «الكمه: العمى الذي يولد به الإنسان».

فالخطيبُ من العرب ، إذا ارتجل كلاماً فى نكاح ، أو حَمَالة[١] ، أو تَحْضِيض ، أو صُلح ، أو ما أشبه ذلك — لم يأت به من وادٍ واحد ، بل يَفْتَنُّ : فيختصر تارةً إرادة التّخفيف ، ويُطيل تارة إرادة الإفهام ، ويكرِّرُ تارةً إرادة التوكيد ، ويُخفِى بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين ، ويشير إلى الشيء ويكنى عن الشيء .

وتكون عنايتُه بالكلام على حسب الحال ، وقدْرِ الحفْل ، وكثْرةِ الحشْد ، وجلالة المَقام .

ثُمَّ لا يأتى بالكلام كلِّه ، مُهذَّباً كلَّ التَّهذيب ، ومُصَفًّى كلَّ التَّصْفِيَةِ ، بل تجدُه يَمْزُجُ ويَشُوبُ[٢] ؛ لِيَدُل بالنَّاقِص على الوَافِر ، وبالغثِّ على السمين . ولو جعَلَه كلَّه نَجْرًا[٣] واحداً ، لَبخسهُ بهاءَه ، وسلَبه ماءَه .

ومثل ذلك الشِّهابُ من القَبَسِ تُبْرِزُه للشّعاع ، والكوكبان يقترنان ، فينقُصُ النُّورَان ، والسِّخَابُ[٤] يُنظم بالياقوت والمَرْجان والعقيق والعِقْيَان ، ولا يجعل كُلُّه جنساً واحداً من الرفيع الثّمين ، ولا النفيس المصون .

* * *

---

(١) فى اللسان ١٣ / ١٩١ « الحَمالة ـ بالفتح : ما يحتمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة ، مثل أن تقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء ، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين » .

(٢) فى اللسان ١/٤٩٢ « شاب الشيء شوبا : خلطه » .

(٣) النجر : اللون ، كما فى هامش م واللسان ٧/٤٥ .

(٤) فى اللسان ١ / ٤٤٤ « السخاب عند العرب : كل قلادة ، كانت ذات جواهر ، أو لم تكن » .

● « وألفاظ العرب » مبنية على « ثمانية وعشرين حرفا » ، وهى أقصى طَوق اللسان .

و « ألفاظُ جميع الأمم » قاصرةٌ عن « ثمانية وعشرين » ولست واجداً فى شىء من كلامهم حرفا ليس فى حرفنا إلا مَعْدولاً عن مَخْرجه شيئاً ،

٥ مثل « الحرف المتوسط مخرجى القاف والكاف » ، و « الحرف المتوسط مَخْرَجَى الفاء والباء » .

فهذه حال العرب فى مبانى ألفاظها .

* * *

● ولها « الإعراب » الذى جعله الله وَشْيا لكلامها ، وحِلْيةً

١٠ لنظامها ، وفارقاً فى بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمَعْنَيَيْنِ

٨ المختلفين / كالفاعل والمفعول ، لا يُفرقُ بينهما ، إذا تساوت حالاهما فى إمكان الفعل أن يكون لكلٍّ واحدٍ منهما ــ إلا « بالإعراب » .

ولو أن قائلا قال : « هذا قاتلٌ أخى » بالتنوين ، وقال آخر : « هذا قاتلُ أخى » بالإضافة ــ لدَلّ التنوين على أنه لم يقتله ، ودلّ حذف التنوين

١٥ على أنه قد قتله .

ولو أن قارئا قرأ : ﴿ فلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُم ، إنّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُونَ[1] ﴾ وترك طريق الابتداء بإنّا ، وأَعْمَلَ القولَ فيها بالنصب على مذهب من يَنْصِبُ « أنّ » بالقول كما ينصبها بالظن ــ لقلَبَ المعنى عن جهته ، وأزاله عن طريقته ، وجعل النبيَّ ، عليه السلام ، محزوناً لقولهم : إنّ الله يعلمُ

---

(١) سورة يس ٧٦ .

ما يُسِرُّون وما يُعلنونَ . وهذا كُفرٌ ممن تعمَّدَه[١] ، وضَربٌ من اللحن لا تجوز الصلاة به ، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوَّزوا فيه .

وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« لا يُقتل قرشي صَبْراً[٢] بعد اليوم » .

فمن رواه « حَزْما » أوْجَبَ ظاهرُ الكلام للقرشي ألا يُقتل إن ارتد ، ولا يُقتصّ منه إن قَتَل . ٥

ومن رواه « رفعا » انصرفَ التأويلُ إلى الخبرِ عن قريش : أنه لا يَرتدُّ منها أحدٌ عن الإسلام فيستَحقّ القتل .

أفما ترَى « الإعْرَابَ » كيف فرق بين هذين المعنيين .

* * *

● وقد يفرقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين[٣] . ١٠

فيقولون : « رَجُلٌ لُعْنةٌ » ، إذا كان يَلعنه الناس . فإن كان هو الذى يلعن الناس ، قالوا : « رجلٌ لُعَنَةٌ » ، فحركوا العين بالفتح .

---

(١) راجع البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى ١٨٢/١ وتفسير الكشاف ٢٩٣/٣ .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يقتل قرشى صبرا » .

أخرجه أحمد فى المسند ٣ ، ٤١٢ و ٤ / ٢١٣ (الحلبى) .

ومسلم ، فى كتاب الجهاد والسير : باب لا يقتل قرشى صبرا بعد الفتح ٣/ ١٤٠ .

والدارمى فى السنن : كتاب الديات : باب لا يقتل قرشى صبرا ٢ / ١٩٨ .

كلهم من حديث مطيع بن الأسود .

والطحاوى فى مشكل الآثار ٢٢٧/٢ .

والمراد أن القرشى لا يعود إلى الكفر ، فيقتل على كفره صبرا ، لا أنه لا يقتل قرشى صبرا على الإطلاق ؛ فكم قتل منهم فى الإسلام صبرا !

وفى اللسان ١٠٧/٦ « أصل الصبر : الحبس . والصبر : نصب الإنسان للقتل » .

(٣) قارن الصاحبى ص ١٩٢ .

و « رجلٌ سُبَّةٌ » إذا كان يسبه الناسُ ، فإن كان هو يسبُّ الناسَ قالوا : « رجل سُبَبَةٌ » .

وكذلك : « هُزْأَةٌ ، وهُزَأَةٌ » وَ « سُخْرَة ، وسُخَرَة » وَ « ضُحْكَة ، وَضُحَكَة » و « خُدْعَة ، وخُدَعَة » .

٩/٥ • وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين / بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين ، كتقارب ما بين المعنيين .

كقولهم للماء الملح الذى لا يشرب إلا عند الضرورة : « شَرُوب » ، ولما كان دونه مما قد يتجوَّزُ به : « شَريب » .

وكقولهم لما ارفضَّ على الثوب من البول إذ كان مثلَ رءوسِ الإبَر : « نضْحٌ »[1] ، ورشُّ الماء عليه يُجزِئُ من الغسل ، فإن زاد على ذلك قليلا قيل له : « نضْخٌ » ولم يُجْزِئ فيه إلا الغَسْل .

١٠

وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع : « قَبْصٌ » وبالكف : « قَبْضٌ » .

وللأكل بأطراف الأسنان : « قَضْمٌ » وبالفم : « خَضْمٌ » .

ولما ارتفع من الأرض : « حَزْنٌ » فإن زاد قليلا قيل : « حَزْمٌ » .

١٥ وللذى يجد البرْدَ : « خَصِرٌ »[2] فإن كان مع ذلك جوعٌ قيل : « خَرِصٌ » .

وللنار إذا طَفِئَت : « هامِدة » فإن سكَنَ اللّهَبُ وبقى من جمرها شىء قيل : « خَامِدَةٌ » .

---

(١) فى اللسان ٣ / ٤٥٧ « حكي الأزهرى عن الليث : النضح كالنضخ ربما اتفقا وربما اختلفا » .

(٢) اللسان ٥/٣٢٦ .

وللقائم من الجبل : « صائم[١] » فإن كان ذلك من حَفًى أو وَجًى ، قيل : « صائِن » .

وللعطاء : « شُكْدٌ » فإن كان مُكافَأةً قيل : « شُكْمٌ[٢] » .

وللخطأ من غير التعمد : « غلط » فإن كان فى الحساب قيل : « غلَتٌ » .

وللضيق فى العين : « خوَصٌ » فإن كان ذلك فى مؤخّرها قيل : « حوَصٌ » . ٥

* * *

● وقد يكتنف الشيء معان فيشتقّ لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء ، كاشتقاقهم من البطن لِلخَمِيص : « مُبَطَّن » وللعظيم البطن إذا كان خِلْقةً : « بَطِين » فإذا كان من كثرة الأكل قيل : « مِبْطان » وللمَنْهوم : « بَطِنٌ » وللعليل البطن : « مَبْطون » . ١٠

ويقولون : وَجَدْتُ الضَّالةَ[٣] ووَجدْتُ فى الغضب ، ووَجدتُ فى الحزن ، ووجدتُ فى الاستغناء . ثم / يجعلون الاسم فى الضّالة : « وُجوداً » و « وِجداناً » [١٠] وفى الحزن « وَجداً » وفى الغضب « مَوْجِدَةً » وفى الاستغناء « وُجْدا » .

فى أشياء كثيرة ، ليس لاستقصاء ذكرها فى كتابنا هذا ، وجه .

* * *

وللعرب « الشِّعرُ » الذى أقامه الله تعالى لها مُقام الكتاب لغيرها ، ١٥

---

(١) اللسان ١٥ / ٢٤٤ .

(٢) فى اللسان ١٥ / ٢١٦ « قال الجوهرى : الشكم ــ بالضم ــ الجزاء ، فإذا كان العطاء ابتداء فهو الشكد ــ بالدال ــ تقول منه شكمته : أى جزيته .

(٣) أدب الكاتب ٢٤٤ .

وجعله لعلومها مُستودعا ، ولآدابها حافظا ، ولأنسابها مقيِّداً ، ولأخبارها ديوانًا لا يَرِثُّ على الدّهر ، ولا يبيدُ على مرِّ الزّمان .

وحَرَسَهُ بالوَزْن ، والقَوافى ، وحُسن النَّظم ، وجودة التّحْبير — من التّدْليس والتّغيير ، فمن أراد أن يُحدث فيه شيئا عَسُرَ ذلك عليه ، ولم يخف له كما يخفى فى الكلام المنثور .

وقد تجد « الشاعر » منهم ربّما زال عن سننهم شيئا ، فيقولون له : سانَدت ، وأقويت ، وأكفأت ، وأوْطَأْت[1] .

وإنما خالف فى « السِّناد » بين رِدْفين ، أو حرفين قبل ردفين ، كقول « عمرو بن كُلْثُوم » :

أَلاَ هُبِّى بصَحنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِى خُمورَ الأَنْدَرِينَا[2]

وقال فى بيت آخر :

كأن مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَينا

فالحاء من فأصبحينا « رِدْفٌ » وهى مكسورة ، والراء من جرينا « رِدْفٌ » وهى مفتوحة .

وخالف فى « الإقواء » بحرف نقصه من شطر البيت الأول ، كقول الآخر[3] :

حنَّت نَوارُ ولاتَ هَنَّا حنَّت وبدا الذى كانت نَوارُ أَجَنَّتِ

---

(١) انظر معنى السناد ، والإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، فى الشعر والشعراء ١٤/٢ — ٤٤ والموشح ٢٤ — ٢٦ ونقد الشعر ٧٠ — ٨١ والعمدة ١ / ١٤١ — ١٤٧ .

(٢) مطلع معلقته ، شرح الزوزنى ص ١١٩ .

(٣) انظر المؤتلف والمختلف ص ٨٤ والشعر والشعراء ١ / ٤٢ واللسان ١٩ / ١٢٠ ، ٢٠ / ٣٧٥ وشواهد المغنى ٣١١ وخزانة الأدب ١ / ١٥٧ — ١٥٨ .

لَمَّا رَأَتْ ماءَ السَّلا[١] مَشْرُوباً والفَرْثَ يُعْصَرُ فى الإناء أَرَنَّتِ

وكقول « حُميد بن ثَوْر » :

إنِّى كَبِرْتُ وإنَّ كلَّ كَبِيرٍ ممَّا يُظَنُّ به يَمَلُّ وَيَفْتُرُ[٢]

وخالف فى « الإكفاء » بأن رفع قافية وخفض أخرى . ٥

وخالف فى « الإيطاء » بأن أعاد قافيةً مرتين .

وقال « ابن الرِّقَاع » يذكر تنقيحه شعره :

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمعُ بينها حتى أُقوِّمَ مَيْلها وسِنادِها[٣]

نظر المُثقِّف فى كُعوبِ قناته حتى يُقيمَ ثِقافُهُ مُنْآدَهـا

---

(١) فى الخزانة : « السلا — بفتح السين المهملة والقصر — وهى الجلدة الرقيقة التى يكون الولد فيها ، من المواشى ، وهى المشيمة له . والفرث — بالفتح — : السرجين ما دام فى الكرش . وأرنت : من الرنة ، وهى : الصوت .

وإنما صاحت نوار وبكت ؛ لأنها تيقنت فى تلك المفازة الهلاك ، حيث لا ماء إلا ما يعصر من فرث الإبل وما خرج من المشيمة من بطونها .

وهذان البيتان اختلف فى قائلهما ، فقيل : شبيب بن جعيل التغلبى ، وهو جاهلى ، وإليه ذهب الآمدى فى « المؤتلف والمختلف » قال : وشبيب هذا كان بنو قتيبة الباهليون أسروه فى حرب كانت بينهم وبين بنى تغلب ، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمه نوار أرنت ، وهى بنت عمرو بن كلثوم . وقيل : هو حجل بن نضلة ، وهو جاهلى أيضاً ، وهو قول أبى عبيد ، وتبعه ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ، وأبو على فى المسائل البصرية ، قالوا : قالهما فى نوار بنت عمرو بن كلثوم لما أسرها يوم طلح ، فركب بها الفلاة خوفا من أن يلحق » .

(٢) فى الشعر والشعراء ١ / ٤٣ « مما يضن به » .

(٣) الشعر والشعراء ١ / ٢٤ والموشح ١٣ والطرائف الأدبية ص ٨٩ وخزانة الأدب ٤ / ٤٧٠ ومعجم الشعراء ٢٥٣ والأغانى ٨ / ١٧٧ والحيوان ٣ / ٦٤ والبيان والتبيين ٣ / ٢٤٤ .

وقال ذو الرُّمّة :

وشِعْرٍ قد أَرِقْتُ له غريبٍ أُجانِبُه المُسَانَد والمُحَالا[١]

هذا قول « أبى عبيدة » .

« وبعضهم » يجعل « الإقواء » رفع قافية وجرّ أخرى .

٥ وقول « أبى عبيدة » أجود عندى ؛ لأن الإقواء من القوّة ، والقوّة : طاقة من الحبل ، يقال : ذهبت قوّة من الحبل ، إذا ذهبت منه طاقة ، وكذلك إذا ذهب جزء من البيت ، وهو الذى يسمى « المزاحف » ، فقد ذهبت منه قوة ، كما ذهب قوة من الحبل ، كما قال ذلك :

* لمّا رأت ماء السلا مشروباً *

١٠ فقد ذهب منه شىء ، فلو قال : « مشروبة » لكان مستويا / . [١١]

* * *

وللعرب « المجازات » فى الكلام ، ومعناها : طرق القول ومآخذه . ففيها : الاستعارة : والتمثيل ، والقَلْب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والتعريض ، والإفصاح ، والكناية ، والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبةَ الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد ١٥ والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم

---

(١) ديوانه ٤٤٠ ومجاز القرآن ١١٥ ـ اللسان ٤ / ٢٠٧ والموشح ص ١٣ وفيه « له طريف » .

وأساس البلاغة ٢/٢٠٧ وبعده :

فبت أقيمه وأقد منه قوافى لا أعد لها مثالا

غرائب قد عرفن بكل أفق من الآفاق تفتعل افتعالا

أى تبتدع ابتداعا غير مسبوق إلى مثله » .

لمعنى الخصوص ؛ مع أشياء كثيرة ستراها فى « أبواب المجاز » إن شاء الله تعالى .

• وبكل « هذه المذاهب » نزل القرآن ؛ ولذلك[1] لا يقدِر أحدٌ من التراجمِ[2] على أن ينقله إلى شىء من الألسنة ، كما نُقل الإنجيلُ عن السّريانية إلى الحبشيّة والرّومية ، وتُرجمت التوراةُ والزبور ، وسائر كُتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن « العجم » لم تتّسع فى « المجاز » اتّساع العرب .

• ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيهِمْ علىٰ سَوَاءٍ ﴾[3] ـ لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤديةً عن المعنى الذى أُودِعَتْه حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ؛ وتُظهِرَ مستورَها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد ، فخِفْتَ منهم خيانةً ونقضاً ، فأعلِمْهُم أنك قد نقضت ما شرطت لهم ؛ وآذِنْهم بالحرب ؛ لتكون أنت وهم فى العلم بالنَّقْض على استواء .

• وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾[4] إن أردت أن تنقله بلفظه ، لم يفهمه المنقول إليه ، فإن قلت : أَنمْنَاهُمْ سنين عدداً ، لكُنت مُترجِماً للمعنى دون اللفظ .

• وكذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

---

(١) من هنا إلى قوله : فضربنا على آذانهم فى الكهف » ، نقله ابن فارس فى الصاحبى ص١٢ ، ١٣ وصدره بقوله : « قال بعض علمائنا » .

(٢) فى هامش م : « التراجم : جمع المترجم ، والمترجم الذى يعبر عن لغة بلغة أخرى » .

(٣) سورة الأنفال ٥٨ .

(٤) سورة الكهف ١١ وقارن شرحها هنا بشرح الأزهرى لها فى اللسان ٥ / ٤٩ .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾[١] إن ترجمته بمثل لفظه اسْتَغْلَقَ ، وإن قلت: لم يتغافلوا [١٢] / أدَّيْت المعنى بلفظ آخر .

* * *

● وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولَغَوْا فيه وهجروا ، واتبعوا ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٢] بأفهامٍ كليلةٍ ، وأبصارٍ
٥ عليلةٍ ، ونظرٍ مَدْخُول ، فحرّفوا الكلامَ عن مواضعه ، وعدلوه عن سُبُله .

ثم قَضَوْا عليه بالتّناقُض ، والاستحالة ، واللَّحْن ، وفساد النَّظْم ، والاختلاف .

وأدْلَوْا في ذلك بعلل ربّما أمالت الضّعيفَ الغُمْر ، والحدَثَ الغِرّ ، واعترضت بالشبه في القلوب ، وقدَحت بالشكوك في الصدور .

١٠ ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأوّلهم — لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَحْتجُّ عليه بالقرآن ، ويجعلُهُ العلَمَ لنبُوَّته ، والدليل على صدقه ، ويتحداه في موطن بعد موطن ، على أن يأتي بسورةٍ من مثله . وهم الفصحاء والبلغاء ، والخطباء والشعراء ، والمخصوصون من بَيْنِ جميع الأنام بالألسنة الحِداد ، واللَّدَد ، في الخِصَام ، مع اللُّب والنُّهى ، وأصالة
١٥ الرّأى . وقد وصفَهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب ، وكانوا مرّة يقولون : هو سحر[٣] ، ومرة يقولون : هو قول الكهنة[٤] ، ومرة : أساطير الأولين[٥]

---

(١) سورة الفرقان ٧٣ .
(٢) سورة آل عمران ٧ .
(٣) سورة يونس ٧٦ .
(٤) سورة الحاقة ٤٢ .
(٥) سورة الفرقان ٥ .

ولم يحك الله تعالى عنهم ، ولا بلغنا فى شىء من الروايات ـ أنهم جَدَبُوهُ[1] من الجهة التى جَدَبَهُ منها الطاعنون .

* * *

فأحببت أن أَنْضَحَ عن كتاب الله ، وأرمى من ورائه بالحجج النَّيِّرة ، والبراهين البَيِّنة ، وأكشف للناس ما يَلبِسون .

فألفت هذا الكتاب ، جامعا لتأويل مشكل القرآن[2] ، مستنبطا ذلك ٥ من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح ، وحاملا مالم أعلم فيه مقالا لإمام مُطَّلِع ـ على لغات العرب ؛ لأرى به المعاند موضع المجاز ، وطريق الإمكان ، من غير أن أحكم فيه برأى ، أو أقضى عليه بتأويل .

ولم يجز / لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير ؛ إذ كنتُ لم [١٣] أقتصر على وَحْىِ القوم حتى كَشَفْتُه ، وعلى إيمائهم حتى أوضحته ، وردتُ ١٠ فى الألفاظ ونقصتُ ، وقدّمت وأخرت ، وضربت لبعض ذلك الأمثالَ والأشكال ، حتى يستوى فى فهمه السامعون .

وأسأل الله التجاوزَ عن الزّلة بحسن النية ، فيما دَلَلتُ عليه ، وأجريتُ إليه ، والتوفيقَ للصواب ، وحسن الثواب .

---

(١) فى هامش م « جدب : عاب » وفى اللسان ١ / ٢٤٩ « وجدب الشىء يجدبه : عابه وذمه ، وفى الحديث : جدب لنا عمر السمر بعد عتمة ، أى عابه وذمه » .

(٢) قال ابن قتيبة فى كتاب تأويل مختلف الحديث ص ١٣٤ « ... وقد أخبرت به فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن » وقال فى كتاب أدب الكاتب ص ١٩ « . . . وعلل هذا مستقصاة فى كتابنا المؤلف فى تأويل مشكل القرآن » .

الحكاية عن الطاعنين

وكان مما بلغنا عنهم : أنهم يحتجون بقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً [1] ﴾ وبقوله : ﴿ لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ .

وقالوا : وجدنا الصحابة ، رضى الله عنهم ، ومن بعدهم ، يختلفون فى الحرف:

٥ فابن عباس يقرأ ﴿ وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ [2] ﴾ وغيره يقرأ ﴿ بعد أُمّةٍ ﴾ .

و « عائشة » تقرأ : ﴿ إذْ تَلِقُونَهُ [3] ﴾ وغيرها يقرأ : ﴿ إذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ .

و « أبو بكر الصديق » يقرأ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالْمَوْتِ ﴾ والناس يقرأون : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بالْحَقِّ [4] ﴾ .

وقرأ بعضُ القراء .

١٠ ﴿ وَأَعتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكاً ﴾ وقرأ الناسُ : ﴿ وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً ﴾ [5] .

وكان « ابن مسعود » يقرأ : ﴿ إنْ كَانَتْ إلاّ زَقْيَةً وَاحِدَةً [6] ﴾ .

ويقرأ ﴿ كالصوف المنفوش [7] ﴾ .

---

(١) سورة النساء ٨٢ .

(٢) سورة يوسف ٤٥ ، والأمه : النسيان ! كما فى اللسان ١٧ / ٣٦٣ .

(٣) سورة النور ١٥ وأنظر القراءات الشاذة ص ١٠٠ .

(٤) سورة ق ١٩ .

(٥) سورة يوسف ٣١ وفى القراءات الشاذة ص ٦٣ « متكا ـ بفتح الميم ـ الأعرج ، متكئا مجاهد » .

(٦) سورة يس ٢٩ ، ٥٣ ، وفى اللسان ١٩ / ٧٧ « والزقية : الصيحة . وروى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ « إن كانت إلا زقية واحدة » فى موضع « صيحة » .

(٧) سورة القارعة ٥ « كالعهن المنفوش » .

مع أشباه لهذا كثيرة ، يخالف فيها مصحفُه المصاحفَ القديمة والحديثة .

وكان يحذف من مصحفه « أُمَّ الكتاب » ويمحو « المُعَوِّذَتين » ويقول : لم تزيدون فى كتاب الله ما ليس فيه ؟

و « أُبَىٌّ » يقرأ : ﴿ إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيف أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا ؟ ﴾[١] . ٥

ويزيد فى مصحفه افتتاح « دعاء القنوت » إلى قول الداعى : « إن عذابك بالكافرين مُلْحِق » ويَعُدُّهُ سورتين من القرآن .

و «القُرَّاء» يختلفون : فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه / هذا. [١٤]

* * *

وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين ، فأىَّ شىء بعد هذا الاختلاف تُريدون ؟ وأى باطل بعد الخطإ واللحن تبتغون ؟ ١٠

وقد رَوَيْتُم من الطريق الذى ترتضون : روى أبو معاوية[٢] ، عن هشام بن عروة[٣] ، عن أبيه ، عن « عائشة » أنها قالت :

ثلاثة أحرف فى كتاب الله هن خطأ من الكاتب : قوله : ﴿ إنَّ هٰذَان لَسَاحِرَانِ ﴾[٤] .

وفى سورة المائدة : ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ ﴾[٥] . ١٥

---

(١) سورة طه ١٥ ، وانظر تفسير الطبرى ١٧ / ١٢٠ .

(٢) هو أبو معاوية محمد بن خازم التميمى السعدى ، توفى سنة ١٩٣ على خلاف ، راجع تهذيب التهذيب ٩ / ١٣٧ — ١٣٩ ، وطبقات ابن سعد ٦ / ٢٧٣ — ٢٧٤ ط . ل ، ٣٩٢ ب والجرح والتعديل ٣ /٢/٢٤٦ والتاريخ الكبير ١/١ — ٧٤ .

(٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، توفى سنة ١٤٦ راجع تهذيب التهذيب ١١ / ٤٨ — ٥١ .

وشذرات الذهب ١ / ٢١٨ .

(٤) سورة طه ٦٣ .

(٥) سورة المائدة ٦٩ .

وفى سورة النساء : ﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[١] حدثناه إسحاق بن راهويه[٢] .

● قالوا : ورويتم عن « عثمان » أنه نظر فى المصحف فقال : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها[٣] .

● وقالوا : وهل التناقض إلا مثل قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾[٤] وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٥] .

● ومثل قوله : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[٦] .

ويقول فى موضع آخر : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[٧] . ويقول : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٨] .

● ومثل قوله : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[٩] .

---

(١) سورة النساء ١٦٢ ، راجع كتاب المصاحف ٣٣ ـ ٣٤ وفضائل القرآن لأبى عبيد : القاسم بن سلام ، والانتصار لنقل القرآن للباقلانى ١٨٤ ـ ا والاتقان ١ / ٣١٢ ـ ٣١٥ .

(٢) هو أبو محمد : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، المعروف بابن راهويه ، توفى سنة ٢٣٨ . وترجمته فى الكبير ١ / ١/٣٧٨ ـ ٣٧٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ١٩ ـ ٢١ وتهذيب التهذيب ١ / ٢١٦ ـ ٢١٨ .

(٣) الرواية فى المصادر السابقة . وهى رواية موضوعة كسابقتها .

(٤) سورة الرحمن ٣٩ .

(٥) سورة الحجر ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) سورة المرسلات ٣٥ .

(٧) سورة الزمر ٣١ .

(٨) سورة البقرة ١١١ وانظر الكشاف ١ / ٨٨ .

(٩) سورة الطور ٢٥ والصافات ٢٧ .

وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[١] .

● ومثل قوله : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢] .

٥ وقال بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[٣] فدلت هذه الآية على أنه خلق الأرض قبل السماء .

وقال فى موضع آخر : ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾[٤] .

١٠ فدلت هذه الآية على أنه خلق السماء / قبل الأرض .

١٥ ● ومثل قوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[٥] .

وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[٦] .

والضريع : نبت ، فهل يجوز أن يكون فى النار نبات وشجر ، والنار تأكلهما ؟

١٥ ● ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ

---

(١) سورة المؤمنون ١٠١ .

(٢) سورة فصلت ٩ .

(٣) سورة فصلت ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة النازعات ٢٨ ، ٣٠ وانظر البحر المحيط ٨ / ٤٢٣ .

(٥) سورة الغاشية ٦ .

(٦) سورة الحاقة ٣٦ .

وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ، ثم قال على أثر ذلك : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾[1] .

وقالوا : فأين قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى ﴾ ، من قوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾[2] .

٥ وأين قوله : ﴿ جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلاَئِدَ ﴾ ، من قوله : ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] .

وأين قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ ، من قوله : ﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

١٠ شَكُورٍ ﴾[4] ، أو ليس هذا مما يستوى فيه الصّبار والشّكور وغير الصّبار والشّكور ؟ .

وما معنى قوله : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[5] ؟ ولم خص الكفار دون المؤمنين ؟ أو ليس هذا مما يستوى فيه المؤمنون والكافرون ، ولا ينقص إيمان المؤمنين إن أعجبهم ؟

١٥ وقالوا فى قوله جل وعز : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ : استثناؤه المشيئة من الخلود، يدل على الزوال ، وإلا فلامعنى للاستثناء . ثم قال : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[6]، أى غيرمقطوع .

---

(١) سورة الأنفال ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) سورة النساء ٣ وانظر الكشاف ١ / ٢٤٤ .
(٣) سورة المائدة ٩٧ .
(٤) سورة لقمان ٣١ .
(٥) سورة الحديد ٢٠ وانظر البحر المحيط ٨ / ٢٢٤ .
(٦) سورة هود ١٠٧ .

• وقالوا فى قوله : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾(١) : كيف يستثنى موتاً كان فى الدنيا من مُكْثِهم فى الجنة ؟ وهل يجوز أن يقال فى الكلام : لا أعطيك اليوم درهما إلا ما أعطيتك أمس ؟

• وقالوا فى قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾(٢) : هل يجوز أن يقال : فلان يجعل لك حُبًّا ، أى يحبك ؟ ٥

• وفى قوله : ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾(٣) : السُّبات هو : النوم ، فكيف يجوز أن يجعل نومنا نوماً ؟

• وفى قوله : ﴿ قَوَارِيرَ / قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾(٤) ، وقوله : [١٦] ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾(٥) : كيف يكون زجاج من فضة ؟ وحجارة من طين ؟ ١٠

* * *

• وقالوا فى قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٦) : هل كان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، يشك فيما يأتيه به جبريل ؟ وكيف يدعو الشاكين من هو على مثل سبيلهم ؟ ١٥

---

(١) سورة الدخان ٥٦ .
(٢) سورة مريم ٩٦ .
(٣) سورة النبأ ٩ وانظر تفسير ابن قتيبة للسبات فى البحر المحيط ١ / ٤٠٩ .
(٤) سورة الإنسان ١٦ .
(٥) سورة الذاريات ٣٣ .
(٦) سورة يونس ٩٤ ، ٩٥ .

وكيف يرتاب فيما يأتيه به الروح الأمين ، ويأتيه الثَّلَجُ واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه حق ، وهم يكذبون ويُحرِّفون ويقولون على الله ما لا يعلمون ؟

* * *

● وقالوا فى قوله : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[١] : أنتم تزعمون أنه لا شمس هناك ولا ليل ، وهذا يدل على أوقات مختلفة ، وشمس وَفَىْء ، ونهار وليل ؛ لأن البُكْرَةَ تدل على أول النهار ، والعَشِىّ يدل على آخره ، وما كان له أول وآخر فله انْصِرَام ، وإذا انصرم عاقَبَهُ الليل والنهار .

● وقالوا فى سورة الأنفال، حين ذكرها، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾[٢] : و « كما » تأتى لتشبيه الشىء ، ولم يتقدم من الكلام ما يُشَبَّه به إخراج الله إياه .

● وقالوا فى قوله : ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾[٣] : كيف يكون عليه البلاغ بعد الوفاة ؟

---

(١) سورة مريم ٦٢ .
(٢) سورة الأنفال ٢ — ٥ .
(٣) سوره الرعد ٤٠ .

● وقالوا : فى قوله فى الرعد : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[١]، أين الشىء الذى جُعِلت له الجنة مثلا ؟ وهل يجوز أن يقال : « مَثَلُ الدار التى وعدتك سُكْنَاها ، يطّرِدُ فيها نهر ، وتظلك فيها ، شجرة » . ويُمْسِكُ / [١٧] القائل ؟

● قالوا : وقال فى موضع آخر : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾[٢] ولم يأت به . ٥

● وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾[٣] : كيف تبلغ القلوب الحلوق ، والقلب إن زال عن موضعه شيئًا ، مات صاحبه ؟

* * *

● وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجوعِ والخوْفِ ﴾[٤] : ١٠ كيف يُذاق اللباس ؟ وإنما كان وجه الكلام : فألبسها الله لباس الجوع والخوف . أو غشّاها الله لباس الجوع والخوف . أو فأذاقها الله الجوع والخوف . ويحذف اللباس .

● وقالوا فى قوله : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾[٥] : ما هذا من العقوبة ؟ وفى أى الدّارين يَسِمُهُ : أفى الدنيا أم فى الآخرة ؟ ١٥

فإن كان فى الدنيا ، فإنه لم يبلغنا أن أحداً من المشركين، وُسِمَ على أنفه .

---

(١) سورة الرعد ٣٥ وانظر البحر المحيط ٥ / ٣٩٥ .
(٢) سورة الحج ٧٣ .
(٣) سورة الأحزاب ١٠ ، وانظر أمالى الشريف المرتضى ٢ / ٩ .
(٤) سورة النحل ١١٢ .
(٥) سورة القلم ١٦ .

وإن كان فى النار ، فما أُعِدَّ للكافرين فيها من صنوف العذاب، أكثر من الوسم على الأنف :

* * *

● وقالوا : ماذا أراد بإنزال « المتشابه » فى القرآن ، مَنْ أراد لعباده الهدى والبيان ؟

٥ ● وتعلقوا بكثير منه لَطُف معناه : لما فيه من المجازات، بمضمر لغير مذكور ،أو محذوف من الكلام متروك ، أو مزيد فيه يوضح معناه حذف الزيادة ، أو مقدّم يوضح معناه التأخير ، أو مؤخر يوضح معناه التقديم ، أو مستعار ، أو مقلوب .

● وتكلموا فى الكناية ، مثل قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ﴾[٢] ،

١٠ ومثل قوله : ﴿ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾[٣] .

● وفى تكرار الكلام فى : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[٤] ، وفى سورة الرحمن .

● وفى تكرار الأنباء والقصص ، من غير زيادة ولا إفادة .

● وفى مخالفة معنى الكلام مخرجه .

* * *

١٥ وقد ذكرتُ الُحجَّةَ عليهم فى جميع ما ذكروا ، وغيره مما تركوا ، وهو يشبه ما أنكروا ؛ ليكون الكتاب جامعاً للفن الذى قصدت له .

وأفردت « للغريب » كتاباً ؛ كى لا يطول هذا الكتاب ؛ وليكون مقصوراً على معناه ، خفيفاً على من قرأه إن شاء الله تعالى .

---

(٢) سورة المسد ١ .

(٣) سورة الفرقان ٢٨ وانظر الكشاف ٣ / ٩٥ .

(٤) سورة الكافرون ١ .

بابُ الرّدّ عليهم في وُجُوه القراءات

/ أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف ، فإنا نحتج عليهم [١٠٨] فيه بقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ ، فاقرءوا كيف شئتم »[١] .

وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا : السبعة الأحرف : وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج . ٥

وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة .

وقال قوم : حلال ، وحرام ، وأمر ، ونهي ، وخبر ما كان قبل ، وخبر ما هو كائن بعد ، وأمثال[٢] .

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » كلها شاف كاف روي من عدة وجوه :

فرواه أبو عبيد في فضائل القرآن لوحة ٩٤ ـ ب من حديث عمر .

والطبري في مقدمة التفسير ١ / ٢١ ـ ٦٧ بطرقه ووجوهه المختلفة .

والطحاوي في مشكل الآثار ١ / ١٨١ ـ ١٩٤ بطرقه ووجوهه كذلك .

والباقلاني في الانتصار لوحة ١١٤ ـ ا

وابن كثير في فضائل القرآن ص ٦٣ .

والنص الذي أورده ابن قتيبة أورده الطبري بسنده ، وفيه ضعف .

وقد روى البخاري الحديث بروايتين ليس فيهما « شاف كاف » . راجع كتاب فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٩ / ٢٠ ـ ٢٣ والإتقان ١ / ٧٨ .

وانظر طرق الحديث ورواياته كذلك في مسند أحمد ٥ / ٤١ ، ٥١ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٤ (طبعة الحلبي) .

وفي سنن أبي داود كتاب الصلاة . باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف ١/١٠١ـ١٠٢ .

وفي سنن النسائي ١ / ١٥٠ .

(٢) في كتاب النشر في القراءات العشر ١ / ٢٥ « روى الطبراني من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود : إن الكتب كانت تنزل من =

وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل .

ومن قال : فلان يقرأ بحرف « أبي عمرو[١] » أو بحرف « عاصم[٢] » ، فإنه لا يريد شيئاً مما ذكروا . وليس يوجد في كتاب الله تعالى حرف قُرِئَ على سبعة أوجه ـ يصح ، فيما أعلم .

وإنما تأويل قوله ، صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » : على سبعة أوجه من اللغات متفرِّقة في القرآن ، يدلُّك على ذلك قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « فاقرءوا كيف شئتم » .

وقال «عمر[٣]» : سمعت «هشام بن حكيم بن حِزام» يقرأ سورة الفرقان على

= السماء من باب واحد ، وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال وآمر وزاجر ، فأحل حلاله وحرم حرامه ، واعمل بمحكمه ، وقف عند متشابهه ، واعتبر أمثاله ؛ فإن كلا من عند الله ، وما يذكر إلا أولوا الألباب » .

وانظر الإتقان ١/٧٨ ـ ٨٦ والقرطبي ١ / ٤١ والطبري ١ / ٩ .

(١) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني البصري، النحوي ، أحد الأئمة القراء السبعة . قال أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقرآن ، والعربية ، والعرب ، وأيامها ، وقال فيه الفرزدق :

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها ... حتى رأيت أبا عمرو بن عمار

وقال أبو بكر بن مجاهد : كان أبو عمرو مقدما في عصره ، عالما بالقراءة ووجوهها ، قدوة في العلم واللغة ، وكان مع علمه باللغة وفقهه بالعربية ، متمسكا بالآثار ، لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله ، وكان حسن الاختيار ، غير متكلف » .

توفي سنة ١٥٤ ، راجع ترجمته في طبقات القراء ١/٢٨٨ ، ومعرفة القراء الكبار ، على الطبقات والأعصار للذهبي ١ / ٨٣ ـ ٨٧ ، وتهذيب التهذيب ١٢/١٧٨ ـ ١٨٠ .

(٢) هو عاصم بن أبي النجود أو ابن بهدلة ، أحد القراء السبعة ، توفي سنة ١٢٧ ، راجع طبقات القراء . ومعرفة القراء الكبار ١/٧٣ وتاريخ الإسلام ٥/٨٩ وطبقات ابن سعد ٦/٢٤، ٢ ل ، ٣٢٠ ، ١/٣٤٦ ب والجرح والتعديل ٣/١/٣٤٠ وتهذيب التهذيب ٥/٣٨ .

(٣) ذكر الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال ١ / ١٠ « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلما سلم لببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ =

على غير ما أقرؤها ، وقد كان النبى ، صلى الله عليه وسلم أَقْرَأَنِيها ، فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته فقال له : اقرأ ، فقرأ تلك القراءة ، فقال : هكذا أُنْزِلت . ثم قال لى : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هكذا أنزلت . ثم قال : « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا منه ما تيسر »[1] .

فمن قرأه قِراءَةَ « عبد الله » فقد قرأ بحرفه ، ومن قرأ قِراءَةَ « أُبىّ » فقد قرأ بحرفه ، ومن قرأ قراءة « زيد » فقد قرأ بحرفه[2] .

و « الحرف » يقع على المثال المتطوع من حروف المعجم ، وعلى الكلمة الواحدة ، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها ، والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

ألا ترى أنهم يقولون : قال الشاعر كذا فى كلمته ، يعنون فى قصيدته .

والله جل وعز يقول : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾[3]، وقال : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾[4] ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[5] .

وقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ

= قال : أقرأنيها رسول الله ، فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فقلت : يا رسول الله ، إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتنى سورة الفرقان . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ياعمر ، اقرأ ياهشام ، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها ، فقال رسول الله : هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التى أقرأنى رسول الله ، فقال رسول الله : هكذا أنزلت . ثم قال رسول الله : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها » .

(١) انظر النشر فى القراءات العشر ١ / ١٩ .

(٢) يقصد عبدالله بن مسعود ، وأبى بن كعب المتوفى سنة ٣٥ وزيد بن ثابت المتوفى سنة ٤٥ .

(٣) سورة التوبة ٢٤ .

(٤) سورة الفتح ٢٦ .

(٥) سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣ .

[١٩] بِهِ / وَإِنْ أَصَابَتْهُ فتنةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾[١] ، أراد سبحانه وتعالى : من الناس من يعبد الله على الخير يصيبه من تثمير المال ، وعافية البدن ، وإعطاء السُّؤل ، فهو مطمئن ما دام ذلك له . وإن امتحنه الله تعالى باللّأْوَاء فى عيشه ، والضّراء فى بدنه وماله ، كفر به .

٥ فهذا عَبَدَ الله على وجهٍ واحد ، ومعنى متحد ، ومذهبٍ واحد ، وهو معنى الحرف . ولو عبد الله على الشكر للنعمة ، والصبر للمصيبة ، والرضَا بالقضاء — لم يكن عبَدَه على حرف .

* * *

وقد تدَبَّرْتُ وُجوهَ الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه[٢] :

١٠ • أولها : الاختلاف فى إعراب الكلمة ، أو فى حركة بنائها بما لا يُزيلها عن صورتها فى الكِتَاب ولا يُغَيِّرُ معناها نحو قوله تعالى : ﴿ هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[٣] وَأَطْهَرَ لَكُمْ ﴿ وَهَلْ نُجَازِى إِلّا الكَفُورَ ﴾[٤] وَهَلْ يُجَازَى إِلّا الكَفُورُ ، ﴿ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾[٥] وَبِالْبَخَلِ ، ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾[٦] وَمَيْسُرَةٍ .

١٥ • والوجه الثانى: أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات

---

(١) سورة الحج ١١ .

(٢) نقل هذه الوجوه كلها ابن الجزرى فى كتاب النشر ١/٢٧ — ٢٨ والبلوى فى ألف باء ١/٢١١ . وانظر القرطبى ١ / ٤٥ .

(٣) سورة هود ٧٨ وقراءة النصب يراها سيبويه لحنا ، راجع كتاب سيبويه ١/٣٩٧ والقراءات الشاذة ص ٦٠ والبحر المحيط ٥ / ٢٤٧ .

(٤) سورة سبأ ١٧ .

(٥) سورة النساء ٣٧ والحديد ٢٤ وانظر الكشاف ١ / ٢٦٨ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٠ وانظر القراءات الشاذة ص ١٧ والكشاف ١ / ١٦٧ .

بنائها بما يغيّر معناها ، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ، نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾(١) وَربُّنَا بَاعَدَ بين أسفارنا ، و ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾(٢) وتَلِقُونه ، ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾(٣) وبعد أَمَهٍ .

● والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها ، بما يُغيّر معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾(٤) وَنُنْشِرُهَا ، ونحو قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾(٥) وفُرِّغَ .

● والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يُغيّر صورتها فى الكتاب ، ولا يُغيّر معناها ، نحو قوله : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلاَّ زَقْيَةً ﴾ و ﴿ صَيْحَةً ﴾(٦) و ﴿ كالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ ﴾ و ﴿ كالعِهْنِ ﴾(٧) .

● والوجه الخامس / [٢٠] أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحوقوله : ﴿ وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ ﴾ فى موضع ﴿ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾(٨) .

● والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير . نحو قوله : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحقِّ ﴾(٩) ، وفى موضع آخر : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ .

(١) سورة سبأ ١٩ وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ١٢١ .
(٢) سورة النور ١٥ « » » » » ١٠٠ .
(٣) سورة يوسف ٤٥ « » » » » ٦٤ .
(٤) سورة البقرة ٢٥٩ .
(٥) سورة سبأ ٢٣ وانظر القراءات الشاذة ص ١٢٢ .
(٦) سورة يس ٢٩ .
(٧) سورة القارعة ٥ .
(٨) سورة الواقعة ٢٩ . وفى القراءات الشاذة ١٥١ « وطلع بالعين قرأها على بن أبى طالب على المنبر ، فقيل له : أفلا نغيره فى المصحف ؟ قال : ما ينبغى للقرآن أن يهاج ، أى لا يغير » .
(٩) سورة ق ١٩ وانظر القراءات الشاذة ١٤٤ .

• والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى : ﴿وَما عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ، ﴿وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[١] ، ونحو قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾[٢] و ﴿انَّ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ .

وقرأ بعض السلف : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى﴾[٣]، و ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا﴾[٤].

* * *

• فأما زيادة « دعاء القنوت » فى « مصحف أُبَىّ » ، ونقصان أُمِّ الكتاب والمعوِّذتين من « مصحف عبد الله » ، فليس من هذه الوجوه ، وسنُخبر بالسبب فيه ، إن شاء الله .

وكل هذه «الحروف» كلام الله تعالى ، نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام[٥] وذلك أنه كان يُعارِضُه فى كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن[٦] فيُحْدِثُ الله إليه من ذلك ما يشاء ، وينسخ ما يشاء ،

---

(١) سورة يس ٣٥ .

(٢) سورة لقمان ٢٦ .

(٣) سورة ص ٧٣ ، وفى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٣٠ « له تسع وتسعون نعجة » بالفتح فيهما ، الحسن وابن مسعود ، ولى نعجة أنثى . ابن مسعود « إن هـذا أخى كان له تسع وتسعون نعجة ، ابن مسعود أيضاً » وفى الطبرى ٢٣ / ٩١ « ... نعجة أنثى . وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة كقولهم : هذا رجل ذكر ... » .

(٤) سورة طه ١٥ ، وقال ابن خالويه فى القراءات الشاذة : « أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها . قراءة أبى » .

(٥) نقلها ابن الجزرى فى النشر ١ / ٢٩ .

(٦) حديث معارضة جبريل بالقرآن فى رمضان :

أورده الطحاوى فى مشكل الآثار ٤/١٩٦ .

وأخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى ١ / ٢٩ .

وفى كتاب الصيام : باب أجود ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يكون فى رمضان ٤/٩٩ .

وكتاب بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ٦ / ٢٢٢ .

ويُيَسِّر على عباده ما يشاء . فكان[1] من تيسيره : أن أمره بأن يُقرِئ كل قوم بلغتهم وما جرت علية عادتهم :

فالهذلىّ يقرأ ﴿عَتَّى حين﴾ يريد ﴿حَتَّى حين﴾[2] ؛ لأنه هكذا يَلْفِظ بها ويستعملها .

والأسدِىّ يقرأ : تِعْلمون وتِعْلم و ﴿تِسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3] و ﴿أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾[4] . ٥

والتميمىُّ يهمز . والقُرَشِىُّ لا يهمز .

والآخَر يقرأ ﴿وإذا قِيل لهم﴾[5] ﴿وغُيض الماء﴾[6] بإشمام الضم مع الكسر ، و ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[7] بإشمام الكسر مع الضم و ﴿ما لَكَ لا تَأْمَنَّا﴾[8] بإشمام الضم مع الإدغام ، وهذا ما لا يَطُوعُ به ١٠ كل لسان .

[٢١] ولو أن كل فريق من هؤلاء ، أُمِرَ أن يزول عن لغته ، وما جرى / عليه اعتيادُه طفلا وناشئاً وكَهْلاً ـ لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المِحْنَةُ فيه ،

وكتاب المناقب : باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ٦/٤١٨ .
وكتاب فضائل القرآن : باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ٩/٣٩ـ٤٢ .
وأخرجه النسائى فى كتاب الصيام : باب الفضل والجود فى رمضان ١/٢٩٧ .
وأحمد فى المسند ١/٢٨٨ ، ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، ٣٧٣ (طبعة الحلبى) .

(١) من هنا إلى قوله : « كتيسيره عليهم فى الدين » نقله ابن الجزرى فى كتاب البشر ١/٢٢ـ٢٣ .
(٢) سورة المؤمنون ٥٤ / والصافات ١٧٤ ، ١٧٨ / والذاريات ٤٣ .
(٣) سورة آل عمران ١٠٦ .
(٤) سورة يس ٦٠
(٥) سورة البقرة ١١ وقد تكرر ذلك فيها وفى غيرها .
(٦) سورة هود ٤٤ .
(٧) سورة يوسف ٦٥ .
(٨) سورة يوسف ١١ .

ولم يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس طويلة ، وتذليل للّسان ، وقطعٍ للعادة . فأراد الله ، برحمته ولطفه ، أن يجعل لهم مُتَّسعاً فى اللغات ، ومُتَصرّفاً فى الحركات ، كتيسيره عليهم فى الدِّين حين أجاز لهم على لسان رسوله ، صلى الله عليه ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته فى فرائضهم وأحكامهم ، وصلاتهم ٥ وصيامهم ، وزكاتهم وحَجِّهم ، وطلاقهم وعتقهم ، وسائر أمور دينهم .

* * *

● فإن قال قائل : هـذا جائز فى الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحداً ، فهل يجوز أيضاً إذا اختلفت المعانى ؟

● قيل له : الاختلاف نوعان : اختلاف تَغَايُرٍ ، واختلاف تَضَادّ .

١٠ ● « فاختلاف التّضاد » لا يجوز ، ولستَ وَاجِدَهُ بحمد الله فى شىء من القرآن إلا فى الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ .

● « واختلاف التغاير » جائز ، وذلك مثل قوله : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[1] أى بعد حين ، و ﴿ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾ أى بعد نِسْيَانٍ له ، والمعنيان جميعا وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنه ذكر أمر « يوسف » بعد حين وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيه ، صلى الله عليه ، بالمعنيين جميعاً فى غرضين .

١٥ وكقوله : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ[2] ﴾ أى تَقْبلونه وتقولونه ، و « تَلِقُونه » من الوَلْقِ ، وهو الكذب[3] ، والمعنيان جميعا وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنهم قبلوه وقالوه ، وهو كذب ، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعا فى غرضين .

---

(١) سورة يوسف ٤٥ .
(٢) سورة النور ١٥ .
(٣) راجع اللسان ١٢ / ٢٦٥ .

وكقوله : ﴿ ربَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[١] على طريق الدعاء والمسألة ، و ﴿ ربُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ على جهة الخبر ، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان ؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يُفرِّقهمْ فى البلاد فقالوا : ﴿ ربَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ فلما فرقهم الله فى البلاد أيدِى سبا ، وبَاعَد بين أسفارهم ، قالوا : ربُّنَا بَاعَدَ بَيْن أَسْفَارِنَا وَأَجَابَنَا إلى ما سألنا ، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين فى غرضين . ٥

وكذلك قوله : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٢] و ﴿ لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء ﴾ لأن فرعون قال لموسى إن آياتك التى أتيْتَ بها سحر . فقال موسى مرّة : لقد علمتُ ما هى سحر ولكنها بصائر ، وقال مرّة : لقد علمتَ أنت أيضاً ما هى سحر ، وما هى إلا بصائر . فأنزل الله المعنيين جميعاً . ١٠

وقوله . ﴿ وأعتَدت لهنّ مُتْكَئاً ﴾[٣] وهو الطعام ، و « أعتدت لهن مُتْكاً » وهو الأُتْرُجّ ، ويقال : الزُّمَاوَرْد ، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام ، وأنزل الله بالمعنيين جميعاً .

وكذلك ﴿نُنْشِرُها﴾[٤] و« نُنشِزها » ؛ لأن الإنشار : الإحياء ، والإنشاز هو : التحريك للنقل ، والحياة حركة ، فلا فرق بينهما . ١٥

---

(١) سورة سبأ ١٩ ، وانظر اتحاف فضلاء البشر ٣٥٩ والبحر المحيط ٦٧٢/٧

(٢) سورة الإسراء ١٠٢ .

(٣) سورة يوسف ٣١ ، وانظر القراءات الشاذة ٦٣ والبحر المحيط ٥ / ٣٠٢ وفى اللسان ١ / ١٩٥ « وقيل للطعام متكئا ؛ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤا ، وقد نهيت هذه الأمة عن ذلك . وفى الحديث : لا آكل متكئا » .

(٤) سورة البقرة ٢٥٩ .

وكذلك : ﴿ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم ﴾[1] و « فُرِّغ » ؛ لأن فُزِّع : خُفف عنها الفزع ، وفُرِّغَ : فُرِّغ عنها الفزع[2] .

وكل ما فى القرآن من تقديم أو تأخير ، أو زيادة أو نقصان ـ فعلى مثل هذه السبيل .

٥ * * *

فإن قال قائل : فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه ؟

قيل له : كل ما كان منها موافقاً لمُصْحَفِنَا غيرَ خارج من رسم كتابه ـ جاز لنا أن نقرأ به . وليس لنا ذلك فيما خالَفَه ؛ لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين، قرأوا بلغاتهم ، وجَرَوا على عادتهم ، وخَلّوا أنفسهم وسَوْمَ طبائعهم،

١٠ فكان ذلك جائزا لهم ، ولقوم من القرّاء بعدهم مأمونين على التنزيل ، عارفين بالتأويل ؛ فأما نحن معشر المتكلفين، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العَرْض ، وليس لنا أن نَعْدُوَه ، كما كان لهم أن يُفسِّروه ، وليس لنا أن نفسِّره .

ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت فى مصحفنا ، لجاز أن نكتبه على

١٥ الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، وهناك يقع ما كرِهَهُ لنا الأئمة المُوفَّقون ، رحمةُ الله عليهم .

● وأما نقصان « مصحف عبد الله » بحذفه « أُمّ الكتاب »

---

(١) سورة سبأ ٢٣ ، وانظر القراءات الشاذة ١٢٢ وإتحاف فضلاء البشر ٣٥٩ .

(٢) فى البحر المحيط ٧ / ٢٧٨ « وقرأ عبد الله بن عمر ، والحسن ، وأيوب السختيانى وقتادة ، وأبو مجلز : « فرغ من الفراغ ـ مشدد الراء ـ مبنيا للمفعول » .

[٢٣] و« المُعَوِّذَتين » ، وزيادة « أُبَيّ » بسورتى/ القنوت[١] ـ فإنا لا نقول : إن « عبد الله » و « وأُبَيًّا » أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار ، ولكنّ « عبد الله » ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن « المعوذتين » كانتا كالعُوذَة والرُّقية وغيرها ، وكان يرى رسول الله ، صلى الله عليه ، يُعَوِّذُ بهما الحسن والحسين وغيرهما[٢] ، كما كان يُعَوِّذ بأعوذ بكلمات الله التامة[٣] ، وغير ذلك ، فظنّ أنهما ليستا من القرآن ، وأقام على ظنّه ومخالَفةِ الصحابة جميعاً[٤] كما

(١) راجع الإتقان ١/١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٢) أخرج أحمد في المسند ٥/١٣٠ من حديث زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب : إن أخاك يحكهما [المعوذتين] من المصحف، فلم ينكر . قيل لسفيان : ابن مسعود ؟ قال : نعم ، وليسا فى مصحف ابن مسعود ، كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ، ولم يسمعه يقرؤهما فى شيء من صلاته ، فظن أنهما عوذتان ، وأصر على ظنه ، وتحقق الباقون كونهما من القرآن ، فأودعوهما إياه .

(٣) فى ذلك يروى عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما : أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، كان يعوذ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة .

أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ٦ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره ٤ / ٢٠٨٠ ـ ٢٠٨١ .

والترمذى فى الطب ٢/٦ وابن ماجه فى الطب ٢/١١٦٤ ـ ١١٦٥ .

والدارمى فى الاستئذان ٢ / ٢٨٩ ، وأحمد فى المسند ١ / ٢٣٦ .

(٤) قد نقل القرطبى فى التفسير ٢٠/٢٥٥ قول ابن قتيبة ـ عن ابن مسعود ـ فى هذا بمعناه.

وقد رد الباقلانى ماروى عن ابن مسعود فى ذلك ردا طويلا مقنعا ، ومن قوله فى ذلك : أما دعوى من ادعى أن ابن مسعود أنكر أن تكون المعوذتان قرآنا منزلا وجحد ذلك ـ فإنها دعوى تدل على جهل من ظن صحتها ، وغباوته ، وشدة بعده عن التحصيل ، وعلى بهت من عرف حال المعوذتين وحال عبد الله وسائر الصحابة ؛ لأن كل عاقل سليم الحس يعلم أن عبد الله لم يجحدهما ، ولا أنكرهما ، ولا دفع أن يكون النبى تلاهما على الأمة ، وخبر أنهما منزلتان من عند الله وأنه أمر بأن يقولهما على ما قيل له فى أولهما ، وكيف يمكن ابن مسعود أو غيره من الصحابة جحد ذلك ، وإنكاره ، وذلك مما قد أعلنه الرسول وأظهره ، وتلاه وكرره ، وصلى به ، وجهر به فى قراءته ، وخبر أنه من أفضل ما أنزل عليه ، وكشف عن ذلك وأبانه . =

أقام على التَّطْبيق[١] .

= ثم قال : إن عبد الله بن مسعود لا يجوز منه مع عقله ، وتمييزه وجريان التكليف عليه، أن يحمل نفسه على جحد المعوذتين ، وإنكار نزولها ، وأن الله أوحى بهما إلى نبيه.

ومما يوضح ذلك ويبينه أنه لو كان قد جحد المعوذتين وأنكرهما مع ظهور أمرهما وإقرار جميع الصحابة بهما — لم يكن بد من أن يدعوه داع إلى ذلك ، وأن يكون هناك سبب بعثه عليه. ولو كان هناك سبب حداه على ذلك ، وحركه للخلاف فيه — لوجب في موضوع العادة أن يحتج به ، ويذكره ، ويعيد به ويبدىء ، ويكثر اعتداده له ، وتعويله عليه ، وظهوره عنه وانتشاره وحصول العلم به؛ إذ كان خلافا في أمر عظيم ، وخطر جسيم ، وأعظم مما نهى عنه من الإقامة على التطبيق في الصلاة ، وقوله في « بروع بنت واشق » وخلافه في الفرائض ، وغير ذلك مما شهر من مذهبه .

ولو كان منه هذا الخلاف مع الصحابة ، لوجب أن يعظم ردهم عليه ، ويغلظ قولهم له ، والحكم عليه بالكفر والردة ، وأنه بمثابة من جحد جميع كتاب الله ، وأن يطالبوا الإمام بإقامة حق الله عليه في ذلك . وفي عدم ظهور ذلك كله ، وحدوثه ، أوضح دليل على أنه لم يكن منه — قط — جحد المعوذتين ، وإنكار لكونهما قرآنا منزلا .

(١) في اللسان ١٢ / ٨٠ « والتطبيق في الصلاة جعل اليدين بين الفخذين في الركوع . وقيل : التطبيق في الركوع كان من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، وهو إطباق الكفين مبسوطتين بين الركبتين إذا ركع ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . وكان ابن مسعود استمر على التطبيق ؛ لأنه لم يكن علم الأمر الآخر . وروى المنذري عن الحربي قال : التطبيق في حديث ابن مسعود : أن يضع كفه اليمنى على اليسرى ، يقال : طابقت وطبقت . وفي حديث ابن مسعود أنه كان يطبق في صلاته ، وهو أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد » وانظر مسند أحمد ج ٥ رقم ٣٥٨٨ و ج ٦ رقم ٣٩٢٧ . وذكر ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ص ٢٦ رأى النظام في ذلك فقال : « قال النظام : ثم جحد — يعني ابن مسعود — من كتاب الله سورتين ، فهبه لم يشهد قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بهما ، فهلا استدل بعجيب تأليفهما وأنهما على نظم سائر القرآن المعجز للبلغاء أن ينظموا نظمه وأن يحسنوا مثل تأليفه . قال : وما زال يطبق في الركوع إلى أن مات ، كأنه لم يصل مع النبي أو كان غائباً . . . » ثم رد ابن قتيبة على النظام قوله فقال ص ٣١ : « وطعنه عليه — يعني ابن مسعود — لجحده سورتين من القرآن العظيم ، يعني المعوذتين ، فإن لابن مسعود في ذلك سبباً ، والناس قد يظنون ويزلون ، وإذا كان هذا جائزا على النبيين والمرسلين فهو على غيرهم أجوز . وسبب تركه إثباتهما في مصحفه : أنه كان يرى النبي يعوذ بهما الحسن والحسين ويعوذ غيرهما ، كما كان يعوذهما بأعوذ بكلمات الله التامة ، فظن أنهما ليستا من القرآن ، فلم يثبتهما في مصحفه . وبنحو هذا السبب أثبت أبي بن كعب في مصحفه افتتاح دعاء القنوت وجعله سورتين ؛ لأنه كان يرى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدعو بهما في الصلاة دعاء دائماً ، فظن أنه من القرآن .

=

وأقام « غيرهُ » على الفُتيا بالمُتعة ، والصَّرْف(١)

ورأى « آخر » أكلَ البَرَدِ وهو صائم(٢) .

= وأما « التطبيق » فليس من فرض الصلاة ، وإنما الفرض : الركوع والسجود ؛ لقول الله عز وجل : « اركعوا واسجدوا » فمن طبق فقد ركع ، ومن وضع يديه على ركبتيه فقد ركع ، وإنما وضع اليدين على الركبتين أو التطبيق من آداب الركوع ، وقد كان الاختلاف فى آداب الصلاة ، فكان منهم من يقعى ، ومنهم من يفترش ، ومنهم من يتورك ، وكل ذلك لا يفسد الصلاة وإن اختلف » .

وانظر حديث التطبيق فى مسند أحمد ١ / ١٨١ ، وابن ماجه ١ / ٢٨٣ ، والنسائى ١ / ١٥٨ — ١٥٩ ، والاعتبار للحازمى ٨٢ — ٨٤ .

(١) فى اللسان ١١ / ٩١ « والصرف فضل الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار ، لأن كل واحد منهما يصرف عن قيمة صاحبه » وكان ابن عباس يرى جوازه ، وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤ / ٤٥٩ « وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله فى الصرف ، وسفهوا رأيه حتى قيل : إنه تاب من ذلك عند موته » ! راجع البخارى ، وفتح البارى ٩/١٤٣ — ١٥٠ ، والاعتبار ١٧٦ — ١٧٩ فى المتعة ، ١٦٣ — ١٦٧ فى الصرف .

(٢) هو أبو طلحة الأنصارى ، وقد روى ذلك أبو يعلى فى مسنده ٣ / ٩٩٥ ونقله عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ / ١٧٢ : « عن أنس قال : مطرت السماء برداً . فقال لنا أبو طلحة — ونحن غلمان — : ناولنى يا أنس من ذلك البرد . فناولته ، فجعل يأكل وهو صائم . قلت : ألست بصائم ؟ ! قال بلى ، إن هذا ليس بطعام ولا شراب ، وإنما هو بركة من السماء ، نطهر به بطوننا . قال أنس : فأتيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته فقال : خذ عن عمك ! » ثم قال الهيثمى : وفيه على بن زيد ، وفيه كلام ، وقد وثق . وبقية رجاله رجال الصحيحين . ورواه البزار موقوفا وزاد : فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب ، فكرهه وقال : إنه يقطع الظمأ » ورواه الطحاوى كذلك فى مشكل الآثار ٢/٣٤٧ .

وقال ابن حزم فى المحلى ٦/١٧٧ « والذى روينا بأصح طريق عن شعبة وعمران القطان ؛ كلاهما عن قتادة ، عن أنس » وذكره فى الإحكام ٦/٨٣ .

وأورده السيوطى فى ذيل اللآلى ص ١١٦ عن الديلمى ، بسند فيه عبد الله بن الحسين المصيصى، وفى آخره زيادة نصها : « قال أنس : أصم الله هاتين إن لم أكن سمعته من رسول الله . وقال على بن زيد كذلك ، وتسلسل إلى الديلمى . وعبد الله بن الحسين يسرق الحديث » ونقل ذلك ابن عراق فى تنزيه الشريعة ٢/١٥٩ ثم قال : لاذنب لعبد الله بن الحسين فى هذا الحديث ، فقد أخرجه أبو يعلى والبزار فى مسنديهما دون قول أنس : أصم .

وقد راجعت المطالب العالية لابن حجر فرأيته قال بعد إيراد إسناده : ضعيف . ثم قال : وراوه البزار عن أنس : رأيت أبا طلحة . فذكره موقوفا . ا . هـ وقال البزار : لا نعلم =

ورآى « آخر » أكل السَّحُور بعد طلوع الفجر الثانى[1] . فى أشباهٍ لهذا كثيرة .

= هذا الفعل إلا عن أبى طلحة . فتبين أن هذا « المتن » ليس بموضوع ، ولعل السيوطى إنما عنى أنه موضوع بهذه الزيادة والتسلسل ، لا مطلقا » .

وعلى بن زيد بن جدعان ، رافضى ، ضعيف ، لايحتج بحديثه ، وإن قال فيه يعقوب بن شيبة: « ثقة ، صالح الحديث ، وإلى اللين ما هو » .

وقال الترمذى : « صدوق ، إلا أنه ربما رفع الشيء الذى يوقفه غيره » وقوله فى رفعه إلى النبى ، الحديث الذى يوقفه غيره على الصحابى — هو نفس قول البخارى . كان رفاعاً .

وقال الساجى : كان من أهل الصدق ، ويحتمل لرواية الجلة عنه ، وليس يجرى مجرى من أجمع على ثبته .

والقول ما قاله ابن حبان عنه : « كان يهم فى الأخبار ، ويخطىء فى الآثار ، حتى كثر ذلك فى أخباره ، وسرق المناكير التى يرويها عن المشاهير ، فاستحق ترك الاحتجاج به » .

وفى شرح نهج البلاغة ٤ / ٤٦٠ « وأنكرت الصحابة على طلحة قوله : إن أكل البرد لايفطر الصائم ، وهزئت به ونسبته إلى الجهل » .

راجع المجروحين لابن حبان ل ٣١٣ والتاريخ الكبير ٣ / ٢ / ٢٧٥ والجرح والتعديل ٣/١/٨٦ وطبقات ابن سعد ٧ / ٢٥٢ بيروت ، ونسب قريش للمصعب الزبيرى ٢٩٣ ، وميزان الاعتدال ٣ / ١٢٧ وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٢٢ والضعفاء للعقيلى ل ٢٩٥ وتذكرة الحفاظ ١ / ١٤٠ — ١٤١ .

(١) هو حذيفة بن اليمان . قال الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١/٣٢٤ : « حدثنا على ابن شيبة ، قال . حدثنا روح بن عبادة ، قال : حدثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش قال : « تسحرت ثم انطلقت إلى المسجد ، فمررت بمنزل حذيفة فدخلت عليه ، فأمر بلقحه [ناقة حديثة العهد بالولادة] فحلبت ، وبقدر فسخنت ، ثم قال : كل . فقلت : إنى أريد الصوم . قال : وأنا أريد الصوم . قال : فأكلنا ثم شربنا ، ثم أتينا المسجد ، فأقيمت الصلاة . قال : هكذا فعل بى رسول الله — أو صنعت مع رسول الله — قلت : بعد الصبح ؟! قال : بعد الصبح ، غير أن الشمس لم تطلع » !

قال أبو جعفر الطحاوى : فنى هذا الحديث عن « حذيفة » أنه أكل بعد طلوع الفجر ، وهو يريد الصوم ، ويحكى ذلك عن رسول الله ، وقد جاء عن رسول الله خلاف ذلك .. » .

وقد أخرجه الحازمى عن عاصم ، عن زر ، ثم قال : قال بعضهم : كان ذلك فى أول الأمر ثم نسخ » .

راجع الاعتبار ١٤٤ — ١٤٥ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٥٤١ ، والنسائى ١ / ٣٠٥ ، ومسند أحمد ٥ / ٣٩٦ .

وإلى نحو هذا ذهب « أُبَىّ » فى « دعاء القنوت » ؛ لأنه رأى رسول الله ، صلى الله عليه ، يدعو به فى الصلاة دعاء دائما ، فظن أنه من القرآن ، وأقام على ظنه ، ومخالفة الصحابة[1] .

* * *

وأما « فاتحة الكتاب » فإنى أشك فيما رُوى عن « عبد الله » من تركه إثباتها فى مصحفه ، فإن كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يَظُنَّ به الجهل بأنها من القرآن ، وكيف يُظَنُّ به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن ، ٥

---

(١) قال الباقلانى فى كتاب الانتصار ل ٨٠ ـ ١ .

« ثم إذا صرنا إلى القول فيما روى عنه ، من إثبات هذا الدعاء فى مصحفه ـ لم نجده ظاهراً منتشراً ، ولا مما يلزم قلوبنا العلم بصحته ، ويلزمنا الإقرار به ، والقطع على « أبى » بأنه كتب ذلك ، بل إنما يروى ذلك من طرق يسيرة نزرة ، رواية الآحاد التى لا توجب العلم ، ولا تقطع العذر ، ولا ينبغى لمسلم عرف فضل « أبى » وعقله ، وحسن هديه ، وكثرة علمه ، ومعرفته بنظم القرآن ، وما هو منه ، مما ليس من جملته ـ أن ينسب إليه أنه كتب دعاء القنوت فى مصحفه ، أو اعتقد أنه قرآن ؛ فإن اعتقاد كونه قرآنا أبين وأفحش فى الغلط من كتبته فى المصحف . . . فإذا كان ذلك كذلك سقط التعلق بهذه الرواية سقوطاً ظاهراً .

ومما يدل على وهاء هذا الخبر عن « أبى » ـ علمنا بأن « عثمان » تشدد فى قبض المصاحف المخالفة لمصحفه ، وفى المطالبة بها وتحريقها .

وإذا كان ذلك كذلك ـ لكانت العادة توجب أن يكون « مصحف أبى » أول مقبوض ومأخوذ . وقد جاءت الرواية عن محمد والطفيل ابنى أبى بن كعب أنهما قالا : لوفد أصحاب عبد الله عليهما بطلب مصحف أبيهما : إن عثمان قد قبضه منه .

وإذا كان ذلك كذلك وجب أن يكون « مصحف أبى » الذى فيه إثبات هذا الدعاء ـ إن كان ذلك على ما روى ـ مما قد أخذ وقبض . فكيف بقى حتى رآه الناس ؟

ورووا أنه كان عند أنس بن مالك . ويقول بعضهم : هذا لا أصل له ، وقد رأينا مصحف « أنس » الذى ذكر أنه مصحف « أبى » وكان موافقاً لمصحف الجماعة بغير زيادة ولا نقصان .

ولو صح وثبت أنه وجد مصحف ينسب إلى « أبى » فيه دعاء القنوت ـ لوجب أن يعلم أنه مكذوب موضوع ، قصد بوضعه إفساد الدين ، وتفريق كلمة المسلمين ، والقدح فى نقلهم ، والطعن فى مصحفهم الذى هو إمامهم » .

وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم ، و « النبيُّ » صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أحَبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنْزِل فليقرأه قراءة ابن أُمِّ عَبْد »[١] .

و « عمر » يقول فيه : « كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْماً »[٢] .

٥ وهو مع هذا مُتقدِّم الإسلام بَدْرِيّ لم يزل يسمع رسول الله ، صلى عليه وسلم يَؤُمّ بها ، وقال : « لاصلاة إلا بسورة الحمد »[٣] وهي السبع المثاني ، وأم الكتاب[٤] ، أي أعظمه ، وأقدم ما نزل منه ، كما سميت مكة أم القرىء ؛

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٧ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١ / ٤٥٢ — ٤٥٣ وابن أبي داود في المصاحف ١٣٧ .

وابن ماجه في مقدمة السنن ١ / ٤٩ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣١٨ ، وفي اللسان ١١ / ٢٢١ « والكنف — بكسر الكاف — وعاء يكون فيه أداة الراعي ومتاعه ، ومنه قول عمر في عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهما : كنيف ملىء علماً ، أي أنه وعاء للعلم بمنزلة الوعاء الذي يضع فيه الرجل أداته ، وتصغيره على جهة المدح له ، وهو تصغير تعظيم للكنف . . . شبه عمر قلب ابن مسعود بكنف الراعي ؛ لأن فيه مبراته ومقصه وشفرته ، ففيه كل ما يريد ، هكذا قلب ابن مسعود قد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم » .

وفي غريب الحديث لأبي عبيد ١ / ١٦٩ أن عبد الله بن مسعود قال لعمر في الرجل الذي قتل امرأة ولها أولياء فعفا بعضهم ، فأراد عمر أن يقيد لمن لم يعف منهم ، فقال عبد الله : لو غيرت بالدية كان في ذلك وفاء لهذا الذي لم يعف ، وكنت قد أتممت للعافي عفوه . فقال عمر : كنيف ملىء علماً » .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة : باب وجوب القراءة للامام والمأموم ٢ / ٢٠٠ من حديث عبادة بن الصامت : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

وهو عند مسلم في كتاب الصلاة : باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١ / ٢٩٥ .

(٤) في صحيح البخاري ٩ / ٤٩ من حديث أبي سعيد بن المعلى : أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن . . . الحمد لله رب العالمين ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

وانظر الدر المنثور ١ / ٢ .

لأنها أقدمها ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً ﴾[١] .

ولكنه ذهب ، فيما يَظُنُّ أهل النظر ، إلى القرآن إنما كُتِب وجمع بين / [٢٤] اللوحين مخافة الشك والنسيان ، والزيادة والنقصان ، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لِقِصَرها[٢] ولأنها تُثْنَى فى كل صلاة وكل ركعة ، ولأنه لا يجوز ٥ لأحدٍ من المسلمين ترك تعلّمها وحفظها ، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه ، إذ كانت لا صلاة إلا بها .

فلما أَمِنَ عليها العِلَّة التى من أجلها كُتِب المصحف ، ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن .

ولو أن رجلا كتب فى المصحف سُوَراً وترك سُوَراً لم يكتبها ، لم نر عليه ١٠ فى ذلك وَكْفاً[٣] إن شاء الله تعالى[٤] .

---

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) نقله السيوطى فى الإتقان ١ / ١٣٨ .

(٣) فى اللسان ١١ / ٢٨٠ « الوكف : الإثم والعيب . ويقال : ليس عليك فى هذا الأمر وكف : أى ليس عليك فيه مكروه ولا نقص » . ١٥

(٤) قال الباقلانى فى كتاب الانتصار ل ١٠١ – ا : وروى عن إبراهيم النخعى : أن عبدالله بن مسعود كان لا يكتب فاتحة الكتاب ، ويقول : لو كتبتها لكتبتها فى أول كل شىء .
والرواية عن إبراهيم فى الدر المنثور ١ / ٢ .

باب ما ادُّعي على القرآن من اللحن

وأما ما تعلقوا به من « حديث عائشة » رضى الله عنها فى غلط الكاتب ، و « حديث عثمان » رضى الله عنه : أرى فيه لحناً ـ فقد تكلم النحويون فى هذه الحروف ، واعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا الشعر[1] :

• فقالوا : فى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[2] وهى لغة بَلْحَرث بن كعب[3] يقولون : مررت برجلان ، وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يداه ، وركبت علاه . وأنشدوا :

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضَرْبَةً دَعَتْهُ إِلَى هَابِى التُّرابِ عَقِيمِ[4]

أى موضع كثير التراب لا ينبت .

وأنشدوا :

أىَّ قَلُوصِ راكِبٍ تراها طَارُوا عَلَاهُنَّ فَطِرْ عَلَاهَا[5]

---

(١) راجع اللسان ١٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٢) سورة طه ٦٣ .

(٣) انظر الصاحبى ٢٠ (السلفية) .

(٤) البيت لهوبر الحارثى ، كما فى اللسان ١٠ / ٦٤ ، ١٩ / ١٦٣ ، ٢٠ / ٢٢٦ ، وفى كل هذه المواضع ورد بلفظ : « بين أذنيه » والهابى من التراب : ما ارتفع ودق . والبيت فى الجمهرة ٢ / ٣٢٣ « بين أذناه » وقبله بيتان ، وفى الصحاح ٦ / ٢٥٣٢ ، وفى التاج ١٠ / ٤٠٥ .

(٥) فى نوادر أبى زيد ص ٥٨ « وقال المفضل : وأنشدنى أبو الغول لبعض أهل اليمن : أى قلوص راكب ... فشل علاها » القلوص مؤنثة . وعلاها : أراد عليها ، ولغة بنى الحارث ابن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً ، يقولون : أخذت الدرهان ، واشتريت ثوبان ، والسلام علاكم . وهذه الأبيات على لغتهم ... قال أبو حاتم : سألت عن هذه الأبيات =

على أن القراء قد اختلفوا فى قراءة هذا الحرف : فقرأه « أبو عمرو بن العلاء » ، و« وعيسى بن عمر » : ﴿ إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ ﴾ وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت « عائشة » .

وكان « عاصم الجحْدَرىّ »[1] يكتب هذه الأحرف الثلاثة فى مصحفه على مثالها فى الإمام ، فإذا قرأها ، قرأَ : ﴿ إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِران ﴾ ، وقرأ ﴿ والمُقيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾[2] ، وقرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئِينَ ﴾[3] / .

وكان يقْرَأُ أيضاً فى سورة البقرة : ﴿ وَالصَّابِرُونَ فى البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ ﴾[4] ويكتبها : ﴿ الصَّابِرين ﴾ .

وإنما فرَق بين القراءة والكتاب لقول « عثمان » رحمه الله : « أرى فيه لحناً وستُقيمُه العرب بألسنتها » فأقامه بلسانه ، وترك الرسم على حاله .

وكان « الحجاج » وكَلَ « عاصماً » و « ونَاجِيةَ بن رُمْح » و « علىّ ابن أصْمع »[5] بِتَتَبُّع المصاحف ، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان ، ويعطوا صاحبه ستين درهما .

= أبا عبيدة فقال : انقط عليه ، هذا صنعه المفضل » وكذلك قال فى ص ١٦٤ ، وانظر اللسان ١٩ / ٣٢٢ ، وخزانة الأدب ٣ / ١٩٩ ، وشرح شواهد الشافية ٣٥٥ وشرح شواهد المغنى ص ٤٧ .

(١) هو عاصم بن أبى الصباح : العجاج ، أبو المجشر الجحدرى ، البصرى . المقرى المفسر ؛ قرأ على الحسن البصرى . ومات سنة ١٢٨ . وترجمته فى غاية النهاية ١ / ٣٤٩ وتاريخ الإسلام ٥ / ٩٠ وميزان الاعتدال ٢ / ٣٥٤ ولسان الميزان ٣ / ٢٢٠ .

(٢) سورة النساء ١٥٢ .

(٣) سورة المائدة ٦٩ .

(٤) سورة البقرة ١٧٧ .

(٥) فى القرطين « على بن أصمع عم أبى الأصمى » .

خَبَّرَنى بذلك « أبو حاتم » عن « الأصمعى » قال : وفى ذلك يقول « الشاعر » :

وإلا رُسُومَ لدَّارٍ قَفْرًا كأنَّها كِتابٌ مَحَاهُ الباهِلِىّ بن أصْمَعَا

وقرأ بعضهم : ﴿ إنْ هَذانِ لَساَحِرانِ ﴾ اعتباراً بقراءة « أُبَىّ » لأنها

٥ لأنها فى مصحفه : « إنْ ذَانِ إلا ساحران » وفى مصحف « عبد الله » : « وأَسَرُّوا النَّجْوَى أنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ » منصوبة الألف بجعل ﴿ أن هذان ﴾ تَبْيِيناً للنجوى .

* * *

● وقالوا فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

١٠ وَالصَّابِئُون ﴾ رفع « الصابئين » لأنه رَدٌّ على موضع ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وموضعه رفع ، لأن « إنّ » مُبْتَدَأَةٌ وليست تُحْدِثُ فى الكلام مَعْنًى كما تُحْدِثُ أخواتها . ألا ترى أنك تقول : زيد قائم ، ثم تقول : إن زيداً قائم ، ولا يكون بين الكلامين فرق فى المعنى . وتقول : زيد قائم ، ثم تقول : لعل زيداً قائم ، فَتُحْدِثُ فى الكلام معنى الشك . وتقول : زيد قائم ، ثم تقول : ليت زيداً

١٥ قائم ، فَتُحْدِثُ فى الكلام معنى التمنى ، ويدُلُّكَ على ذلك قولهم : إن عبد الله قائم وزيد ، فترفع زيداً ، كأنك قلت : عبد الله قائمٌ وزيدٌ ، وتقول : لعل عبد الله قائمٌ وزيداً ، فتنصب مع «لعل» وترفع مع «إن» لما أَحْدَثَتْهُ «لعل» من معنى الشك فى الكلام ، ولأنّ «انَّ» لم تُحْدِث شيئاً . وكان «الكسائى» يُجيز : انّ عبدالله وزيدٌ قائمان ، وانّ عبد الله وزيدٌ قائم . و«البصريون» يُجيزونه ،

٢٠ ويحكون : ﴿ إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىّ ﴾[1] وينشدون/ :

---

(١) سورة الأحزاب ٥٦ وانظر البحر المحيط ٢٤٨/٧ .

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدِينَة رحْلُهُ ۞ فإنِّي وقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ[1]

* * *

• وقالوا فى نصب «المُقيمين» بأقاويل : قال بعضهم : أراد بما أُنْزِلَ إليك وإلى المقيمين . وقال بعضهم : وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين ، وكان «الكسائى» يردّه إلى قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [أى :] ويؤمنون بالمقيمين ، واعتبره بقوله فى موضع آخر : ﴿ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] أى بالمؤمنين . وقال بعضهم : هو نصب على المدح . قال «أبو عبيدة» : هو نصب على تطاوُل الكلام بالنَّسَق ، وأنشد « لِلخرْنِق بنت هِفَّانَ » :

لا يَبْعُدَنْ قَوْمِى الذين هُمُ ۞ سُمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ[3]
النازلين بكلِّ مُعْتَرَكٍ ۞ والطَّيِّبُون مَعاقِدَ الأُزْرِ

• ومما يشبه هذه الحروف ــ ولم يذكروه ــ قوله فى سورة البقرة : ﴿ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فى البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾[4] . و« القُرَّاء » جميعاً على نصب « الصابرين » إلا « عاصما الجحْدَرى » فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه ، ويَنْصِبه إذا كتبه ؛ لِلعِلَّة التى تقدم ذكرها .

واعتل «أصحاب النحو» للحرف ، فقال «بعضهم» : هو نصبٌ على المدح ،

(١) البيت لضابىء البرجمى فى اللسان ٦ / ٤٣٨ ، والكامل ١ / ١٨٨ ، والأصمعيات ١٦ ، ونوادر أبى زيد ص٢٠ والنقائض ١/٢٢٠ ، وخزانة الأدب ٢٢٣/٤ وتفسير الطبرى ١٣٧/١٦ ، وغير منسوب فى مجاز القرآن ١٧٢/١ ، ٢٢/٢ .

(٢) سورة التوبة ٦١ .

(٣) ديوانها ص ١٠ ــ ١٢ وأمالى القالى ٢ / ١٥٤ ، وأمالى المرتضى ٢٠٥/١ ومجاز القرآن ١ / ٦٥ ــ ٦٦ ومعانى القرآن للفراء ١ / ١٠٥ ، ٤٥٣ غير منسوب . والخزانة ٢٠٣/٢ ، وأمالى ابن الشجرى ٣١٠/١ ، وتفسير الطبرى ٢٧/٢٤ .

(٤) سورة البقرة ١٧٧ .

والعرب تَنْصِبُ على المدح والذم ، كأنهم ينوُون إفراد الممدوح بمدح مُجَدَّدٍ غير متبع لأوّل الـكلام ، كذلك قال « الفرّاء » .

وقال « بعضهم » : أراد : وآتى المالَ على حبه ذَوى القُرْبَى واليتامَى والمساكين وابن السَّبيل والسائلين والصابرين فى البأْسَاء والضَّرَّاء .

٥ وهذا وجه حسن ؛ لأنّ البأساء : الفقر ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[١] .

والضرّاء : البلاء فى البدن ، من الزَّمَانَةِ والعِلّة . فكأنه قال : وآتى المال على حُبّه السائلين الطوّافين ، والصابرين على الفقر والضرّ الذين لايسألون ولايَشْـكُون ، وجعل «المُوفين» وسَطاً بين المُعْطين نَسَقاً على «من آمن بالله» / .

١٠ * * *

● ومن ذلك قوله فى سورة الأنبياء : ﴿كَذَلِكَ نجى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] كُتِبَتْ فى المصاحف بنون واحدة ، وقرأها « القُرّاء » جميعاً « نُنْجِى » بنونين إلا « عاصم بن أبى النّجود » فإنه كان يَقرؤُها بنون واحدة ، ويخالف « القُرّاء » جميعاً ، ويرسل الياء فيها على مِثَال « فُعِلْ »[٣] .

---

١٥ (١) سورة الحج ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٨ .

(٣) قراءة عاصم الجحدرى التى ذكرها ابن قتيبة هى : « نجى » بضم النون ، وتشديد الجيم ، وسكون الياء ـ رواها عنه : أبو بكر بن عياش ، وحده . أما روايه حفص عنه فهى : « ننجى» بنونين ، مضمومة فساكنة . وهى التى عليها قراءتنا الآن فى المشرق .

٢٠ قال ابن مجاهد فى كتاب « السبعة » ورقة ٧٨ ـ ب : « قرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحده : (نجى المؤمنين) بنون واحدة ، مشددة ، على مالم يسم فاعله ، والياء ساكنة . حفص ، عن عاصم : (ننجى) بنونين ، خفيفة ؛ وكذلك قرأه الباقون . عبيد ، عن أبى عمرو ، وعبيد ، عن هاون ، عن أبى عمرو : (نجى) مدغمة . كذلك قالا : «مدغمة» وهو وهم . =

فأما مَنْ قرأها بنونين ، وخالف الكتاب ، فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم ، فأسقطها كاتب المصحف لخفائها ، ونيّته إثباتها .

واعتلّ بعض النحويين « لعاصم » فقالوا : أضْمَر المصدر ، كأنه قال : نُجِّيَ النجاء المؤمنين ، كما تقول : ضُرِبُ الضربُ زيدا ، ثم تُضْمِرُ الضَّرْب ، فتقول : ضُرِب زيداً[١] .

وكان « أبو عبيد » يختار فى هذا الحرف مذهب « عاصم » كراهية أن يُخالِفَ الكتاب ، ويستشهد عليه « حرفاً » فى سورة الجاثية ، كان يقرأ به « أبو جعفر المدنى » ، وهو قوله : ﴿ لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون ﴾[٢] أى لِيُجزَى الجزاءُ قوما .

وأنشدنى بعض النحويين[٣] :

= لايجوزها هنا الادغام ؛ لأن النون الأولى متحركة ، والثانية ساكنة . والنون لا تدغم فى الجيم . وإنما خففت لسكونها ، ولأنها تخرج من الخياشيم . فحذفت من الكتاب ، وهى ثابتة فى اللفظ ٢٣ .

وانظر التيسير للدانى ١٥٥ ، وإبراز المعانى لأبى شامة ٤٠٢ واتحاف فضلاء البشر ٣١١ والبحر المحيط ٦/٣٣٥ ، وأمالى ابن الشجرى ٢/٥١٥ .

(١) بعض النحويين الذين اعتلوا لقراءة عاصم هذه — هم : الفراء ، وأبو عبيد ، وثعلب . وقد خطأها الزجاج وأبو حاتم ، وقالا : إنها لحن ؛ لأنه نصب اسم مالم يسم فاعله ، وإنما يقال: نجى المؤمنون ، كما يقال : كرم الصالحون . ولا يجوز : ضرب زيد ، بمعنى : ضرب الضرب زيداً ؛ لأنه لا فائدة فيه ؛ إذ كان ضرب يدل على الضرب .

(٢) فى تفسير القرطبى ١١ / ٣٢٥ : « ولأبى عبيد قول آخر — وقاله القتبى — وهو أنه أدغم النون فى الجيم . قال النحاس : وهذا القول لا يجوز عند أحد من النحويين ؛ لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها . ولا يجوز فى « من جاء بالحسنة » : « مجاء بالحسنة . ولم أسمع فى هذا أحسن من شىء سمعته من « على بن سليمان [الأخفش] قال : الأصل « ننجى » فحذف إحدى النون ؛ لاجتماعهما ، كما تحذف إحدى التاءين ؛ لاجتماعهما ، نحو قوله عز وجل : (ولا تفرقوا) ، والأصل تتفرقوا » .

(٣) راجع تفسير القرطبى ١١/٣٣٤ — ٣٣٥ .

ولو وَلَدَتْ فُقَيْرَةُ جَرْوَ كلْبٍ ... لَسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكلابا[1]

* * *

● ومن ذلك : ﴿ فأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[2] أكثر القُرَّاء يقرءون ﴿ فأصَّدَّقَ أكُن ﴾ بغير واو . واعتلّ « بعض النحويين » فى ذلك بأنها

٥ محمولة على « موضع » فَأَصَّدَّقَ ، لو لم يكن فيه الفاء ، وموضعه جزم ، وأنشد :

فأبْلونى بلِيّتِكُمْ لَعَلّى ... أُصالحكم وأستدرِجْ نَوَيّا[3]

فجزم «وأستدرِجْ» ، وحمله على موضع « أُصالحكم » لو لم يكن قبلها : « لعلى » كأنه قال : فأبلونى بليتكم أُصالحكم واستَدْرِجْ .

وكان « أبو عمرو بن العلاء » يقرأ : ﴿ فأصَّدّق وأكُونَ ﴾ بالنصب[4] ،

١٠ ويذهب إلى أن الكاتب أسقط الواو ، كما تسقط حروف المد واللين فى « كَلَمُون » وأشباه ذلك .

* * *

وليست تخلو / هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل

---

(١) البيت لجرير كما فى الخزانة ١/١٦٣ وهو غير موجود فى ديوانه ولا فى النقائض . وهو

١٥ غير منسوب فى القرطبى ١١/٣٣٥ .

(٢) سورة المنافقين ١٠ .

(٣) البيت فى اللسان ١٣/١٠٥ غير منسوب ، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٨٤ لأبى دؤاد ، وهو له فى الخصائص ١/١٧٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ / ٨٨ وفى النقائض ١/٤٠٨ أراد : نواياً فذهب به إلى قفيا وهويا ، وهو الوجه الذى يريده . وأستدرج،يقول : أتركم

٢٠ وأذهب . ولعل بمعنى كى على رأى الكوفيين ، واستشهدوا بهذا البيت . وفى هامش م : « النوى : النية ، وأبلونى من الإبلاء وهو الإعطاء . والبلية : الناقة كانت تحبس على رأس قبر الميت ، وكانت العرب تزعم أن الأموات تبعث ركبانا » وانظر اللسان ١٨/٩٢ .

(٤) راجع الخصائص والقراءات الشاذة ص ١٥٧ ، والبحر المحيط ٨/٢٧٥ .

الإعراب فيها ، أو أن تكون غلطاً من الكاتب ، كما ذكرت « عائشة » رضى الله عنها .

فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحن بحمد الله .

وإن كانت خطأ فى الكتاب ، فليس على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، جناية الكاتب فى الخط .

ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن ، لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجّى :

فقد كُتِب فى الإمام : ﴿ إنَّ هَذَنِ لَساحِران ﴾ بحذف ألف التثنية .

وكذلك «ألف التثنية» تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان ، مثل : ﴿ قَالَ رَجُلَنِ ﴾ و ﴿ آخَرَنِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾[٢] وكتبت كُتّابُ المصحف : الصلوة والزكوة والحيوة ، بالواو ، واتّبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التيمّن بهم ، ونحن لا نكتب : «القطاة والقناة والفَلاة» إلا بالألف ، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه .

وكتبوا « الربو » بالواو ، وكتبوا : ﴿ فَمَالِ الذين كَفَرُوا ﴾[٣] فمال بلام منفردة .

---

(١) فى مجاز القرآن ٢ / ٢٥٩ : « قال أبو عمرو : وأكون الصالحين » وذهب الواو من الخط ، كما يكتب « أبو جاد » : « أبجد » هجاء . وقال آخرون : الجزم على غير موالاة ولا شركة « وأكون » ولكنه أشركه فى الكلام الأول ، كأنه قال : هلا أخرتنى أكن . فهذه الفاء شركة فى موضع الفاء الأولى ، والفاء الأولى التى فى « أصدق » فى موضع جزم ، قال :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

(٢) سورة المائدة ٢٣ ، ١٠٧ .

(٣) سورة المعارج ٣٦ .

وكتبوا : ﴿وَلَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾[1] بالياء ﴿أَوْ مِنْ وَرائِي حِجَابٍ﴾[2] بالياء فى الحرفين جميعاً ، كأنهما مضافان ، ولا ياء فيهما ، إنما هى مكسورة .

وكتبوا : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوا﴾[3] و ﴿فَقَالَ الضُّعَفَوا﴾[4] بواو ، ٥ ولا ألف قبلها .

وكتبوا : ﴿أَوْ أَنْ نَفعل فى أموالنا ما نشاو﴾[5] بواو بعد الألف ، وفى موضع آخر ﴿ما نَشاء﴾[6] بغير واو ، ولا فرق بينهما .

وكتبوا : ﴿أو لا أَذْبَحَنَّه أو ليأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[7] بزيادة ألف .
وكذلك ﴿وَلا أَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾[8] بزيادة ألف بعد لام ألف .

وهذا أكثر فى المصحف من أن نستقْصِيَه .

١٠ وكذلك لَحْنُ اللاحنين من القُرّاء المتأخرين، لا يُجعل حُجَّةً على الكِتَاب .

وقد كان الناس قديماً يَقْرَءُون بلغاتهم كما أَعْلَمْتُكَ .

ثم خَلَف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم / ليس لهم طَبْعُ اللغة ، ولا عِلْمُ التكلُّف ، فَهَفَوا فى كثير من الحروف وزَلُّوا وقرأوا بالشاذ وأخلُّوا .

١٥ (١) سورة الأنعام ٣٤ .
(٢) سورة الشورى ٥٢ .
(٣) سورة القلم ٤١ والشورى ٢١ .
(٤) سورة إبراهيم ٢١ .
(٥) سورة هود ٧٧ .
٢٠ (٦) سورة الإسراء ١٨ والحج ٥ .
(٧) سورة النمل ٣١ .
(٨) سورة التوبة ٤٧ .

منهم « رجل »[1] ستر الله عليه عند العوام بالصلاح ، وقرَّبَهُ من القلوب بالدين .

لم أر فيمن تدبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً ، ولا أشد اضطراباً منه ؛

---

(١) هذا الرجل هو : حمزة بن حبيب الزيات ، أبو عمارة الكوفى ، أحد القراء السبعة (٨٠ — ١٢٧ هـ) .

٥

ومن عجب أن يقول ابن مطرف فى كتاب القرطين ٢ / ١٥ : « وباقى الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن على حمزة . وكان أورع أهل زمانه . مع خلو باقى الباب من الفائدة » !؟! هكذا قال ابن مطرف ، وهو قول يدل عصبية مضلة ، وغفلة عن قيمة الحقائق العلمية ، وأى فائدة أعظم من أن يبين ابن قتيبة فى باقى الباب ، أوهام القراء التى وهموا فيها ، وسجلها عليهم العلماء الأثبات ، وبينوا أخطاءهم فيها . وهل طعن ابن قتيبة فى حمزة بغير الحق ؟ ثم إنه لم ينفرد بالطعن فيه . فقد سبقه إلى ذلك أعلام العلماء . فقد كان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية شديدة ، وأرسل إلى أبى الشعثاء : لا تقرىء فى مسجدنا قراءة حمزة . وقال عبد الرحمن بن مهدى : لو كان لى سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره .

١٠

وكذلك كان أحمد بن حنبل يكرهها . وكذلك كرهها وتبرم بها عبد الله بن إدريس الأودى . وقال أبو بكر بن عياش : قراءة حمزة بدعة . وعلق على ذلك الذهبى بقوله : « يريد ما فيها من : المد المفرط ، والسكت، وتغيير الهمز فى الوقف والإمالة وغير ذلك » وقال ابن دريد : إنى لأشتهى أن يخرج من الكوفة قراءة حمزة . وقال حماد بن زيد : لو صلى بى رجل فقرأ بقراءة حمزة ، لأعدت صلاتى . وكان أحمد يكره أن يصلى خلف من يقرأ بقراءته . وقال الأزدى والساجى : يتكلمون فى قراءته وينسبونه إلى حالة مذمومة .

١٥

ولكن الذهبى قال فى ميزان الاعتدال : « قد انعقد الإجماع بأخرة على تلقى قراءة حمزة بالقبول ، والإنكار على من تكلم فيها ، فقد كان من بعض السلف فى الصدر الأول فيها مقال ويكفى حمزة شهادة مثل الإمام سفيان الثورى له ، فإنه قال : ما قرأ حمزة حرفا إلا بأثر » وعجيب من الذهبى أن يكتفى بدعوى الإجماع ! وقول الثورى هذا ، ويسكت عما قاله فيه السلف ولا يتعرض له بنقد . فهل انعقد الأجماع بأخرة على أنهم كانوا فى نقدهم لحمزة من الخاطئين ؟ !!.

٢٠

راجع ترجمة حمزة فى طبقات ابن سعد ٢٦٨/٦ (ليدن)، ٣٨٥/٦ (بيروت) والتاريخ الكبير ٤٨/١/٢ والجرح والتعديل ٢٠٩/٢/١ — ٢١٠ وميزان الاعتدال ٦٠٥/١ — ٦٠٦ ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ٩٣/١ — ٩٩ ، ووفيات الأعيان ٤٤٥/١ ، والمعارف ٢٣٠ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ٢٦٣/١ والنشر ١٦٦/١ والتيسير ٦ — ٧ وتهذيب التهذيب ٢٧/٣ — ٢٨ ومعجم الأدباء لياقوت ٢٨٩/١٩ — ٢٩٣ .

٢٥

لأنه يستعمل فى الحرف ما يَدَعُه فى نظيره ، ثم يُؤَصِّل أصلا ويخالف إلى غيره لغير ما عِلّة . ويختار فى كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة .

هذا إلى نبذه فى قراءته مذاهب العرب وأهلِ الحجاز ، بإفراطه فى المد والهمز والإشباع ، وإفحاشه فى الإضجاع والإدغام ، وحَمْلِه المتعلمين على المركَب الصعب ، وتعسيره على الأمة ما يسره الله ، وتضييقه ما فسحه .

ومن العجب أنه يُقْرِئُ الناس بهذه المذاهب ، ويكره الصلاة بها ! ففى أى موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها ؟!

وكان « ابن عُيَيْنَة » يرى لمن قرأ فى صلاته بحرفه ، أو ائتم بقراءته : أن يعيد ، ووافقَه على ذلك كثير من خِيار المسلمين منهم « بشر بن الحارث »[1] « وأحمد بن حنبل » .

وقد شُغِف بقراءته عوامُّ الناس وسُوَقُهُم ، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها ، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها ، فإذا رأَوْه قد اختلف فى أمِّ الكتاب عشراً ، وفى مائة آية شهراً ، وفى السبع الطُّوَل[2] حوْلاً ، ورأوه عند قراءته مائل الشِّدقين ، دارَّ الوَرِيدين ، راشح الجَبِينين ـ توهَّموا أن ذلك لفضيلة فى القراءة وحِذْق بها .

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا خِيَار السلف ولا التابعين ؛ ولا القراء العالمين ؛ بل كانت قراءتهم سهلة رَسْلَة . وهكذا نختار

---

(١) توفى بشر بن الحارث ، المعروف بالحافى سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة ، راجع ترجمته فى تاريخ بغداد ٧ / ٦٨ ـ ٨٠ ووفيات الأعيان ١/٢٤٨ ـ ٢٥١ .

(٢) فى اللسان ١٣/٤٣٦ « والسبع الطول من سور القرآن : سبع سور ... » .

لقراء القرآن فى أَوْرَادِهِم ومحاريبهم . فأما الغلام الرَّيِّضُ والمُسْتَأْنِف للتعلّم ، فنختار له أن يُؤْخَذ بالتحقيق عليه ، من غير إفحاشٍ فى مَدٍّ أو همزٍ أو إدغامٍ ؛ لأن فى ذلك / تَذْلِيلًا للّسان ، وإطلاقاً من الحُبْسَةِ ، وحلاًّ للعُقْدة .

وما أقلّ من سَلِمَ من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط والوَهَم :

فقد قرأ « بعض المتقدمين »[1] : ﴿ ما تَلَوْتُهُ عليكُمْ ولا أدْرَأْتُكُمْ بِهِ ﴾[2] فهمز ، وإنما هو من دريْت بكذا وكذا .

وقرأ[3] : ﴿ وما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُون ﴾[4] توهم أنه جمع بالواو والنون .

● وقرأ آخر[5] : ﴿ فلا تَشْمِتْ بِيَ الأعْداءَ ﴾[6] بفتح التاء ، وكسر الميم ، ونصب الأعداء . وإنما هو من : أَشْمَتَ الله العدوَّ فهو يُشْمِتُهُ ، ولا يقال: شَمِتَ الله العدوَّ .

● وقال : « الأعمش »[7] قرأتُ عند « إبراهيم »[8] « وطلحة

(١) يقصد الحسن ، جاء فى القراءات الشاذة ص ٤٦ « ولا ادرأتكم به » بالهمز والتاء : « الحسن » وفى البحر المحيط ٥ / ١٣٣ « وقرأ ابن عباس وابن سيرين والحسن وأبو رجاء : « ولا ادرأتكم به » بهمزة ساكنة . وخرجت هذه القراءة على وجهين . . . » وانظر الكشاف ٢/١٨٤ .

(٢) سورة يونس ١٦ .

(٣) يقصد الحسن أيضاً ، راجع القراءات الشاذة ص ١٠٨ والكشاف ٣/١٢٩ وفى البحر المحيط ٧/٤٦ وقرأ الحسن: الشياطون ... قال أبو حاتم : هى غلط منه أو عليه . وقال النحاس: هو غلط عند جمع النحويين... وقال الفراء : غلط الشيخ ،ظن أنها النون التى على هجائن... »

(٤) فى سورة الشعراء ٢١٠ وانظر تفسير القرطبى ١٣/١٤٢ .

(٥) فى البحر المحيط ٤/٢٩٦ « وقرأ ابن محيصن تشمت ـ بفتح التاء وكسر الميم ونصب الأعداء ـ » .

(٦) فى سورة الأعراف ١٥٠ .

(٧) هو سليمان بن مهران الأعمش ، أبو محمد الأسدى الكوفى ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١٤٨ ، راجع غاية النهاية فى طبقات القراء ١/٣١٥ .

(٨) هو إبراهيم بن يزيد ، أبو عمران النخعى الكوفى المتوفى سنة ٩٦ .

ابن مُصَرِّف »[١] : ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾[٢] ، فقال : « إبراهيم » ما تزال تأتينا بحرف أشنع ! إنما هو : « لِمَنْ حوله » واستشهد « طلحة » فقال مثل قوله . قال « الأعمش » : فقلت لهما : لحنتما ، لا أقاعدكما اليوم[٣] .

● وقرأ « يحيى بن وَثَّاب »[٤] : ﴿وَإِنْ تَلُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾[٥] من الوِلاية . ولا وجه للولاية ههنا[٦] ، إنما هى تَلْوُوا — بواوين — من لَيِّكَ فى الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر. قال الله عز وجل: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾[٧] واتبعه على هذه القراءة « الأعمش » و « حمزة » .

● وقرأ « الأعمش » : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ﴾[٨] بكسر الياء[٩] ، كأنه ظن أن الباء تخفض الحرف كله ، واتّبعه على ذلك « حمزة »[١٠] .

---

(١) هو طلحة بن عمرو بن كعب ، أبو عبد الله الهمدانى الكوفى ، تابعى ، مات سنة ١١٢ ، كما فى غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/٣٤٣ والمعارف ٢٣٠ .

(٢) سورة الشعراء ٢٥ .

(٣) نقل البغدادى فى خزانة الأدب ٢ / ٢٥٨ عن الفراء قال : « حدثنى مندل بن على الغزى ، عن الأعمش قال : قلت عند إبراهيم ، وطلحة بن مصرف : (قال لمن حوله : ألا تستمعون) بنصب اللام من « حوله » فقال لى إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ! إنما هى (لمن حوله) بخفض اللام . قال : قلت : لا ، إنما هى : « حوله » فقال إبراهيم : ياطلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت . قال الأعمش : قلت : لحنتما ، لا أجالسكما اليوم » .

(٤) هو يحيى بن وثاب الأسدى ، الكوفى ، تابعى ثقة . قال ابن قتيبة : مات سنه ١٠٣ ، راجع غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/٣٨٠ والمعارف ص ٣٣٠ .

(٥) سورة النساء ١٣٥ . وانظر اتحاف فضلاء البشر ١٩٥ .

(٦) راجع الكشاف ١ / ٣٠٤ .

(٧) فى سورة آل عمران ٧٨ .

(٨) سورة إبراهيم ٢٢ .

(٩) فى الكشاف ٢/٣٠٠ « وهى ضعيفة » .

(١٠) فى البحر المحيط ٥/٤١٩ « وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة «بمصرخى» بكسر الياء ، وطعن كثير من النحاة فى هذه القراءة . قال الفراء : لعلها من وهم القراء ؛ فإنه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن أن الباء فى « بمصرخى » خافضة للفظ كله ، والياء للمتكلم ==

• وقرأ « حمزة » : ﴿وَمَكْرَ السَّيْءْ ، وَلا يَحِيقُ المَكرُ السَّيِّئُ إلا بأهله﴾[1] فجزم الحرف الأوّل ، والجزم لا يدخل الأسماء ، وأعرب الآخر وهو مثله[2] .

• وقرأ « نافع »[3] : ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾[4] بكسر النون . ولو أريد بها الوجه الذى ذهب إليه ، لكانت « فَبِمَ تُبَشِّرُوننى » بنونين ؛ لأنها فى موضع رفع .

• وقرأ « حمزة »[5] : ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا سَبَقُوا إنَّهم

= خارجة من ذلك .. وقال الأخفش : ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين . وقال الزجاج : هذه القراءة رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف .. » وقد نقل البغدادى فى خزانة الأدب ٢ /٢٥٨ ـ ٢٥٩ نص كلام الفراء والزجاج من تفسيريهما .

وانظر اتحاف فضلاء البشر ٢٧٢

(١) سورة فاطر ٤٣ .

(٢) فى البحر المحيط ٧ / ٣١٩ « وقرأ الجمهور : « ومكر السيء » بكسر الهمزة ، والأعمش وحمزة بإسكانها ، فإما إجراء للوصل مجرى الوقف ، وإما إسكانا لتوالى الحركات وإجراء للمنفصل مجرى المتصل كقوله : لنا إبلان . وزعم الزجاج أن هذه القراءة لحن . قال أبو جعفر : وإنما صار لحنا لأنه حذف الإعراب منه . وزعم محمد بن يزيد أن هذا لا يجوز فى كلام ولا شعر ؛ لأن حركات الإعراب دخلت للفرق بين المعانى . وقال الزجاج أيضاً : قراءة حمزة ومكر السيء موقوفا عند الحذاق بياءين لحن لا يجوز وإنما يجوز فى الشعر للاضطرار ... » وانظر الكشاف ٣ / ٢٨٧ ، واتحاف فضلاء البشر ٣٦٢ .

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن ، أبو رويم ، أحد القراء السبعة توفى سنة ١٦٩ ، راجع طبقات القراء ٢ / ٣٣٤ والمعارف ص ٢٣٠ وغرائب القرآن على هامش الطبرى ١ / ٩ ووفيات الأعيان ٥ / ٥ ، والتيسير ص ٤ .

(٤) سورة الحجر ٥٤ وانظر الكشاف ٢ / ٣١٥ وفى البحر المحيط ٥ / ٤٥٨ « وقرأ نافع بكسر النون مخففة ، وغلطه أبو حاتم ، وقال : هذا يكون فى الشعر اضطراراً ... »

(٥) فى البحر المحيط ٤ / ٥١٠ « وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص : « ولا يحسبن بالياء ، أى ولا يحسبن الرسول أو حاسب ، أو المؤمن ... وباقى السبعة بالتاء ، خطاباً للرسول أو للسامع ... » ويرى الزمخشرى أن قراءة حمزة هذه ليست بنيرة ، راجع الكشاف ٢ / ١٣٢ .

لا يُعجِزون ﴾[1] بالياء . ولو أُريد بها الوجه الذى ذهب إليه لكانت :
« وَلا يحسَبَنّ الذين كفروا أنهم سبقوا ، إنهم لا يُعجزون » .

وهذا يَكْثُرُ . ولم يكن القصد فى هذا الكتاب له ، وستراه كله فى
« كتابنا المؤلف فى وجوه القراءات » إن شاء الله تعالى .

(١) فى سورة الأنفال ٥٩ بفتح الياء والسين من « يحسبن » وكسر الهمزة من « إنهم »
وانظر آراء العلماء فى اتحاف فضلاء البشر ٢٣٨ . وإبراز المعانى ٣٣٤ ــ ٣٣٥ وتفسير
القرطبى ٨/٣٣ ــ ٣٥ والبحر المحيط ٥/٥١٠ ــ ٥١١ ، وتفسير الطبرى ١٤/٢٨ ــ ٣١
(طبعة شاكر) والتيسير ١١٧ ومعانى القرآن للفراء ١/٤١٤ ــ ٤١٦ .

باب التناقض والاختلاف

قال أبو محمد : عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

● فأما ما نحلوه من التناقض فى مثل قوله تعالى : ﴿ فيومئذٍ لا يُسأَلُ عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌّ ﴾[1] . وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فوربِّكَ لَنسْئَلَنَّهم أجمعين عمَّا كانوا يَعملُون ﴾[2] .

فالجواب فى ذلك : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى : ﴿ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[3] ، ففى مثل هذا اليوم يُسئلون وفيه لا يسئلون ؛ لأنهم حين يُعرَضون يوقفُون على الذنوب ويُحاسبون ، فإذا انتهت المسئلة ووَجَبتْ الحجّة : ﴿ انشقّتِ السماء فكانت وَرْدَةً كالدِّهَان ﴾[4] وانقطع الكلام ، وذهب الخصام ، واسودّت وجوه قومٍ ، وابيضت وجوه آخرين ، وعُرِف الفريقان بسيماهم ، وتطايرت الصحف من الأيدى : فآخِذٌ ذات اليمين إلى الجنة ، وآخِذٌ ذات الشمال إلى النار .

● وكذلك قال : «ابن عباس» رضى الله عنه فى قوله : ﴿ فيومَئذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ ﴾[5] قال : هو موطِنٌ لا يُسْئلون فيه . ومثله : ﴿ وَلا يُسْئَلُ عن ذُنُوبِهم المجرِمُون ﴾[6] .

---

(١) سورة الرحمن ٣٩ .
(٢) سورة الحجر ٩٢ .
(٣) سورة المعارج ٤ .
(٤) سورة الرحمن ٣٧ .
(٥) سورة الرحمن ٣٩ .
(٦) سورة القصص ٧٨ .

● وقوله : ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وقد قَدَّمْتُ إليكم بالوَعِيدِ﴾[١] وقوله : ﴿هذا يومُ لا يَنْطِقُون وَلا يُؤْذَنُ لهم فيَعْتَذِرُون﴾[٢] ، وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون﴾[٣] ويقول : ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾[٤] .

٥ والجواب عن هذا كله نحو جوابنا الأول ؛ لأنهم يختصمون ويدعى المظلومون على الظالمين ، فى تلك الحال يختصمون ، فإذا وقع القِصاص وثبت الحكم قيل لهم : لا تختصموا ولا تنطقوا ، ولا تعتذروا ، فليس ذلك بمُغْنٍ عنكم ولا نافع لكم ؛ فيَخْسَئُون .

روى عبد الرَّزَّاق عن مَعْمَر ، عن قتادة : أن رجلا جاء إلى « عِكْرِمة »

١٠ فقال:أرأيتَ قول الله تعالى : ﴿هذا يومُ لا يَنْطِقُون﴾ ، وقوله : ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فقال : إنها مواقف ، فأما موقف منها : فتكلموا واختصموا ، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمَتْ أيديهم وأرجلهم ، فحينئذ لا يتكلمون .

● وقوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُون﴾[٥] ، وهو

١٥ يقول فى موضع آخر : ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُون﴾[٦] ، فإنه إذا نُفخ فى الصور نفخةٌ واحدة ، تقطّعت الأرحام ، وبطلَت الأنساب ، وشُغِلوا بأنفسهم عن التَّسَآل و ﴿صَعِق مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فى الأرض

---

(١) سورة ق ٢٨ .
(٢) سورة المرسلات ٣٥ .
(٣) سورة الزمر ٣١ .
(٤) سورة البقرة ١١١ ، والنمل ٦٤ والمناسب هنا آية القصص ٧٥ .
(٥) سورة الطور ٢٥ .
(٦) سورة الصافات ٢٧ .

إلا مَنْ شاءَ اللهُ ﴾(١) . فإذا نُفِخَ فيه أُخرى : قاموا ينظرون ﴿ وأقبَلَ بعضُهم على بعضٍ يَتَساءلون ﴾ وقالوا : ﴿ مَنْ بَعَثَنا من مَرْقَدِنَا ؟ هذا ما وعَدَ الرحمنُ وصدقَ المُرْسَلُون ﴾(٢) . وهو معنى قول « ابن عباس » .

* * *

● وقوله : ﴿ قُلْ أئِنَّكم لَتَكْفُرُون بالذى خلَقَ الأرْضَ فى يَوْمَيْنِ وَتجعلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلكَ ربُّ العالمين . وَجَعَل فيها رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فيها أَقْواتَهَا فى أربعة أيَّامٍ سواءً للسَّائلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماء وَهِيَ دُخَانٌ فقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(٣) فدلَّت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السماء .

وقال فى موضعٍ آخر : ﴿ أمِ السَّماء بنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَها وأَخْرَجَ ضُحَاهَا والأرضَ بعد ذلك دَحَاهَا ﴾(٤) .
فدلَّت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض .

وليس على كتاب الله تحريف الجاهلين ، وغلطُ المتأوِّلين . وإنما كان يجد الطاعن متعلَّقاً ومقالًا لو قال : والأرضَ بعد ذلك خلقها أو ابتدأها أو أنشأها ، وإنما قال : ﴿ دَحَاهَا ﴾ فابتدأ الخلق للأرض على ما فى الآى الأُوَل فى يومين ، ثم خلق السموات وكانت دُخَاناً فى يومين ، ثم دَحَا بعد

---

(١) اقتباس من سورة الزمر .

(٢) اقتباس من سورة يس ٥٢ .

(٣) سورة فصلت ٩ ـ ١١ .

(٤) سورة النازعات ٢٧ ـ ٣٠ ، وتفسير غريب القرآن ٥١٣ ومعنى وأغطش ليلها : أظلمه ، وأخرج ضحاها : أبرز ضوء شمسها . ودحاها : بسطها ، وانظر الكشاف ٤/١٨٢ .

ذلك الأرض ، أى بسطها[١] ومدّها ، وكانت رَبْوَةً مجتمعة ، وأرْساها بالجبال ، وأنبت فيها النبات فى يومين ، فتلك ستة أيام سواء للسائلين ، وهو معنى قول « ابن عباس » .

وقال « مجاهد » : « بعد ذلك » فى هذا الموضع ، بمعنى « مع ذلك » ، ٥ و « مع » و « بعد » فى كلام العرب سواء .

* * *

● وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[٢] ، وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ اليومَ هَهُنَا حَمِيم وَلا طَعَامٌ إلا مِنْ غِسْلِين ﴾[٣] ، فإن النار دَرَكات ، والجنة درجات ، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثُوبات ، فمِن أهل النار مَنْ طعامُهُ الزَّقُّومُ ، ومنهم من طعامه ١٠ غِسْلِين ، ومنهم من شرابه الحميمُ ، ومنهم من شرابه / الصَّدِيدُ . [٣٣٣]

والضَّرِيعُ : نبتٌ يكون بالحجاز ، يقال لِرَطْبه : الشِّبِرقُ ، لا يُسْمِنُ ولا يُشبع ، قال « امرؤ القيس » :

فأتْبعْتُهُم طَرْفى وقد حَالَ دونَهم غواربُ رمْلٍ ذى ألاء وَشِبْرِقِ[٤]

والعرب تصفه بذلك .

١٥ وَغِسْلِين : فِعْلين من غَسلتُ ، كأنه الغُسالة ، قال « بعض المفسرين »[٥] : هو ما يسيل من أجساد المعذَّبين .

---

(١) اللسان ١٨/٢٧٥ .

(٢) سورة الغاشية ٦ . وتفسير غريب القرآن ٥٢٥ .

(٣) سورة الحاقة ٣٦ . وتفسير غريب القرآن ٤٨٤ .

(٤) ديوانه ص ٨٨ واللسان ٢٢/٣٨ . وألاء بوزن العلاء : شجر حسن المنظر مر الطعم ، دائم الاخضرار ، ينبت فى الرمل والأودية ، ورقه وحمله دباغ ، كما فى اللسان ١/١٥ .

(٥) فى اللسان ١٤ / ٧ « والغسلين فى القرآن : ما يسيل من جلود أهل النار ، كالقيح =

وهذا نحو قوله : ﴿سرابيلُهم من قَطِرَانٍ﴾[1] و « سرابيلُهم مِنْ قَطِرٍ آنٍ » قراءةُ عِكْرِمَةَ[2] وَمَنْ تَابَعَهُ .

والقَطْرُ : النُّحاس . والآن : الذى قد بلغ منتهى حرّه[3] . كأن قوماً يُسَرْبَلُون هذا ، وقوماً يُسَرْبلون هذا ، وَيُلْبَسُون هذا تارةً ، وهذا تارةً .

٥ ● وأما قولهم : « كيف يكون فى النار نبت وشجر ، والنار تأكلهما ؟ » فإنه لم يُرِدْ فيما يرى أهل النظر ـ والله أعلم ـ أن الضريع بعينه ينبت فى النار ، ولا أنهم يأكلونه . والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس ، وإذا وَقَعَت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هُزْلا .

قال « الهُذَلىّ » يذكر إبلا وسوء مَرْعاها :

١٠ وَحُبِسْنَ فى هَزْمِ الضريع فكلُّها حَدْبَاءُ دامِيَةُ اليدين حَرُودُ[4]

فأراد أن هؤلاء قوم يقتاتون ما لا يشبعهم ، وضرَب الضريع لهم مثلا . أو يُعذَّبون بالجوع كما يُعذبُ من قُوتُه الضريع .

وكان ما أراد الله بهذا معلوماً عندهم مفهوماً ، ولو لم يكن كذلك

وغيره ، كأنه يغسل عنهم . التمثيل لسيبويه والتفسير للسيراف ... وقال الكلبى : هو ما أنضجت النار من لحومهم وسقط أكلوه ... وقال الفراء : إنه ما يسيل من صديد أهل النار .

(١) سورة إبراهيم ٥٠ . وتفسير غريب القرآن ٢٣٤ .

(٢) فى القراءات الشاذة ص ٧٠ « من قطرآن : ابن عباس وأبو هريرة وعكرمة وجماعة » وانظر البحر المحيط ٥ / ٤٤٠ .

(٣) اللسان ٦/٤١٧ .

(٤) البيت لقيس بن عيزارة الهذلى ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ١١٥ ، واللسان ١٦ / ٩٢ وفيه : « حدباء بادية الضلوع » وفى ١٠ / ٩٢ « هزم الضريع : ما تكسر منه . والحرود : التى لا تكاد تدر . وصف الإبل بشدة الهزال » والبيت غير منسوب فى مقاييس اللغة ٣/٣٩٦ وفيه : « وتركن فى هزم » . وهو غير منسوب فى المخصص ١/٢٠١ وفيه : « حدباء بادية الضلوع » .

لأنكروه كما أنكروا قوله : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فى أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[1] وقالوا : كيف تكون فى النار شجرة والنار تأكل الشجر ؟ فأنزل الله : ﴿ وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فى القرآن ﴾[2] ، يعنى بالرؤيا : ما رآه ليلة أُسْرِىَ به وأخبر عنه ، فارتد لذلك قوم ، وزاد الله فى بصائر قوم . وأراد بالشجرة الملعونة : شجرة الزَّقُّوم . فهذا وجه .

[٣٤] وقد يكون / الضريع وشجرة الزَّقُّوم : نَبْتَين من النار ، أو من جوهرٍ لا تأكله النار . وكذلك سلاسل النار وأغلالها ، وأَنْكَالُهَا وعقارِبُها وحيَّاتُها – لو كانت على ما نعلم ، لم تبق على النار ، وإنما دَلَّنا الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا ، فالأسماء متفقة للدلالة ، والمعانى مختلفة .

● وما فى الجنة من شجرها وثمرها وفُرُشِها ، وجميع آلاتها – على مثل ذلك .

قال « ابن عباس » : نخل الجنة ، جذوعها من زُمُرُّد أخضر ، وكَرَبُها[3] من ذهب أحمر ، وسعَفُها كِسْوَةٌ لأهل الجنة ، منها مُقَطَّعَاتُهم[4] وحُلَلُهم .

---

(١) سورة الصافات ٦٤ – ٦٥ .

(٢) سورة الإسراء ٦٠ . وتفسير غريب القرآن ٢٥٨ .

(٣) فى اللسان ٢/٢٠٨ « الكرب : أصول السعف الغلاظ العراض التى تيبس فتصير مثل الكتف ، واحدتها كربة ... » .

(٤) فى اللسان ١٠ / ١٥٥ « والمقطعات من الثياب شبه الجباب ونحوها من الخز ، وفى التنزيل «قطعت لهم ثياب من نار» أى خيطت وسويت وجعلت لبوسا لهم . وفى حديث ابن عباس فى صفة نخل الجنة ... » .

وتمرها أمثال القِلال والدِّلاء ، أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ليس له عَجَم[1] .

* * *

● وقوله : ﴿ وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾ ، ثم قال على إثر ذلك : ﴿ وما لهمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُم اللهُ ﴾[2] فإن النَّضْر بن الحارث قال : ﴿ اللهم إنْ كان هـذا هو الحقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِر علينا حِجَارةً من السَّماء أو ائْتِنا بِعذابٍ أليمٍ ﴾[3] يُريد أهْلِكنا ومحمداً ومَن معه عامة . فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كانَ اللهُ مُعذِّبهم وهم يستغفرون ﴾ ، أى وفيهم قوم يستغفرون ، يعنى المسلمين .

يدلّكَ على ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبهم وأنتَ فيهم ، وما كان اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾ ، ثم قال : ﴿ وما لهم ألاَّ يُعذِّبهم اللهُ ﴾ خاصة ﴿ وهم يَصُدُّون عن المسجد الحرامِ ، وما كانُوا أولِياءَه ، إنْ أَوْلياؤُه إلا المتَّقُون ﴾[4] يعنى المسلمين ، فعذّبهم الله بالسيف بعد خروج النبي عنهم ، وفى ذلك نزلت : ﴿ سَأَلَ سائلٌ بعذاب واقعٍ ﴾ ، أى دعا داعٍ بعذاب واقع ، يعنى «النضر بن الحارث» ﴿ للكافِرينَ لَيْسَ لَهُ

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٢/٤٧٥ ـ ٤٧٦ وفيه : « أخضر ، وكرانيفها ذهب أحمر » وفى اللسان ١٥/٢٨٤ « والعجم ـ بالتحريك ـ النوى ، نوى التمر والنبق ، الواحدة عجمة مثل قصبة وقصب » .

(٢) سورة الأنفال ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة الأنفال ٣٢ . وانظر أسباب نزول القرآن للواحدى ٢٣٢ .

(٤) سورة الأنفال ٣٤ .

دَافِعٌ ﴾[1] ، يقول : هو للكافرين خاصة دون المؤمنين ، وهو معنى قول « ابن عباس » .

وقال « مجاهد » فى قوله : ﴿ وهم يستغفرون ﴾ : عَلِمَ أن فى أصلابهم من سَيَسْتَغْفِر .

٥

* * *

● وأما قولهم : أين قوله : ﴿ فإنْ خِفْتم ألاَّ تُقْسِطُوا فى اليَتَامَى ﴾ من قوله : ﴿ فانكِحُوا ما طابَ لكُمْ من النِّساء ﴾[2] ، فهل شىء أشْبَهُ بشىء أليقُ به من أحد الكلامين بالآخر ؟ ! .

[٣٥] والمعنى : أن الله تعالى قصَرَ الرجال على أربع نسوة / وحَرّم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن ؛ لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من

١٠ مِلْكِ اليمين ــ لم يستطيعوا العدل عليهن بالتّسْوية بينهن ، فقال لنا : فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم ، فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ، فانكحوا اثنتين وثلاثا وأربعا ، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل .

ثم قال : فإن خفتم أيضاً ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع ، فانكحوا واحدةً ،

١٥ أو اقتصروا على ما ملكت أيمانكم من الإماء ، ذلك أدْنَى ألا تَعُولُوا ، أى لا تجوروا وتميلوا .

وقال « ابن عباس » : قَصِرَ الرجال على أربع من أجل اليتامى .

يقول : لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى ، وكان العدل على اليتامى

---

(١) سورة المعارج ١ ، ٢ . وانظر أسباب نزول القرآن للواحدى ٤٧٤ .

(٢) سورة النساء ٣ ، وتفسير غريب القرآن ١١٨ .

شديداً على كافلِهم ـ قَصِرَ الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء ، ولم يُطلَق لهم ما فوق ذلك ؛ لئلا يميلوا .

* * *

● وقولهم : أين قوله : ﴿ جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البَيْتَ الحرامَ قِياماً لِلنَّاسِ والشَّهْرَ الحرامَ والهَدْىَ والقلائد ﴾ من قوله : ﴿ ذلك لِتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فى السموات وما فى الأرض وأنَّ اللهَ بكل شىءٍ عَلِيم ﴾[1] ؟ ٥

وتأويل هذا : أن أهل الجاهلية كانوا يتغاوَرُون ويسفكون الدماء بغير حقها ، ويأخذون الأموال بغير حِلِّها ، ويُخيفون السُّبُل ، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله ، ويصيب غير الجانى عليه ، ولا يبالى مَنْ كان بعد أن يراه كُفْأً لِوَلِيِّه ويُسَمِّيه : الثأر المُنِيم ، وربما قتل أحدُهم حميمَهُ بحميمِه . ١٠

قال « ابن مُضَرِّس »[2] وقتَلَ خالَه بأخيه :

بكَتْ جزَعاً أُمِّى رُمَيْلَةُ أَنْ رأَتْ ... دَماً من أخِيها بالمُهَنَّدِ باقِياً[3]

فقلتُ لها : لا تجزَعى إنَّ طارقاً ... خَليلى الذى كانَ الخليلَ المُصافِيا

وما كنتُ لو أُعطِيتُ أَلْفَىْ نجيبَةٍ ... وَأَوْلادَها لَغْواً وستين راعيا[4]

لِأَقْبَلَها مِنْ طارقٍ دونَ أن أرَى ... دماً مِنْ بنى حِصْنٍ على السيف جاريا ١٥

وما كان فى عوف قتيلٌ عَلِمْتُهُ ... لِيُوفِيَنى مِنْ طارقٍ غيرُ خاليا

وربما أسْرَفَ فى القتل فقتل بالواحد ثلاثةً وأربعةً وأكثرَ .

وقال « الشاعر » :

---

(١) سورة المائدة ٩٧ . وتفسير غريب القرآن ١٤٧ .

(٢) هو توبة بن المضرس العبسى ، وترجمته فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) الأبيات رواها أبو تمام فى كتاب « الوحشيات » ص ٨٢ .

(٤) فى اللسان ٢٠/١١٦ « واللغو : مالا يعد من أولاد الإبل فى دية أو غيرها لصغرها » .

هُمُ قَتَلُوا منكُمْ بِظِنَّةِ واحِــدٍ ثمانيةً ثم استَمرُّوا فَأَرْتَعوا[١]

يقول : إنهم اتهموكم بقتل رجل منهم ، فقتلوا منكم ثمانية به[٢] .

فجعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرَم ، والشهر الحرام ، والهَدْىَ ، والقلائِدَ ـ قِواماً للناس . أى أمْناً لهم ؛ فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحرَم فأمِن . يقول الله جل وعز : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣] .

وإذا دخل الشهر الحرام تَقَسَّمَتْهُم الرِّحَلُ ، وَتَوَزَّعَتْهُم النُّجَعُ ، وَانْبَسطوا فى متاجرهم ، وأمنوا على أموالهم وأنفسهم .

وإذا أهْدَى الرجل منهم هَدْياً ، أو قَلَّدَ بعيره من لِحَاء شجر الحرَم ـ أمِنَ كيف تَصَرَّف وحيثُ سلك .

ولو تُرِكَ الناس على جاهليتهم وتَغَاوُرِهم فى كل موضع وكل شهر ـ لفسدت الأرض ، وفَنِىَ الناس ، وتقطَّعت السُّبُل ، وبطلت المتاجر . ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شُئونهم ، وليعلموا أنه كما عَلِمَ ما فيه من الخير لهم ـ أنه يعلم أيضاً ما فى السّموات وما فى الأرض من مصالح العباد ومَرَافِقِهِم ، وأنه بكل شىء عليم .

* * *

● وقولهم : وأين قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فى البحر

---

(١) البيت ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير فى باب الثأر ص ١٠٢١ ولم ينسبه الى قائل .

(٢) فى المعانى بعد ذلك : « ثم أرتعوا إبلهم آمنين لا يخافون منكم غيرا » .

(٣) سورة العنكبوت ٦٧ .

بنعمة الله ليريكم من آياته﴾ من قوله : ﴿إنّ فى ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور﴾(١) ؟

ولم يُرِد الله فى هذا الموضع معنى الصبر والشكر خاصةً ، وإنما أراد : إن فى ذلك لآياتٍ لكل مؤمن . والصبر والشكر أفضل ما فى المؤمن من خِلال الخير ، فذكره الله عز وجل فى هذا الموضع بأفضل صفاته . وقال فى موضع آخر : ﴿إنّ فى ذلك لآيةً للمؤمنين﴾(٢) . وفى موضع آخر : ﴿لقومٍ يتفكرون﴾(٣) و ﴿لقومٍ يعقلون﴾(٤) و ﴿إنما يتذكّرُ أولوا الألباب﴾(٥) يعنى المؤمنين .

ومثله قوله تعالى فى قصة سبإ : ﴿ومزّقناهم كلَّ ممزّقٍ إنَّ فى ذلك لآياتٍ لكلِّ صبّارٍ شكورٍ﴾(٦) . وهذا كما تقول : إن فى ذلك لآيةً لكل موحّد مُصَلٍّ ، ولكلِّ فاضلٍ تقيّ . وإنما تُريد المسلمين .

* * *

● وقوله : ﴿كمثلِ غيثٍ أعجبَ الكفّارَ نباتُهُ﴾(٧) فإنما يريد بالكفار ههنا : الزُّرّاع ، واحدُهم كافر . وإنما سُمِّيَ كافراً لأنه إذا ألقى البذر فى الأرض كفَرَهُ ، أى غطّاه ، وكل شىء غطّيته فقد كفرته ، ومنه قيل :

---

(١) سورة لقمان ٣١ .
(٢) سورة الحجر ٧٧ .
(٣) سورة النحل ٦٩ .
(٤) سورة النحل ٦٧ .
(٥) سورة الرعد ١٩ .
(٦) سورة سبأ ١٩ وانظر سورة إبراهيم ٥ والشورى ٣٣ .
(٧) سورة الحديد ٢٠ وتفسير غريب القرآن ٤٥٤ .

تَـكَفَّرَ فلان فى السِّلاح : إذا تَغطَّى . ومنه قيل الّليل كافر ؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء . ومنه قول « الشاعر »[١] :

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِراً   فى ليلةٍ كفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

أى غطّاها . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الـكُفَّارَ ﴾[٢] .

* * *

● وأما قوله : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمواتُ والأرضُ إلّا مَا شَاءَ ربُّـك ﴾[٣] ، فإن العرب فى معنى « الأَبَدِ » ألفاظاً يستعملونها فى كلامهم ، يقولون : لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار ، وما طَمَى البحر ، أى ارتفع ، وما أقام الجبل ، وما دامت السموات والأرض ، فى أشباه هٰذا كثيرة ، يريدون لا أفعله أبداً ؛ لأن هذه المعانى عندهم لا تتغيّر عن أحوالها أبداً ، فخاطبهم الله بما يستعملونه فقال : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمواتُ والأرضُ ﴾ أى مقدار دوامهما ، وذلك مدة العالم . وللسماء وللأرض وقتٌ يَتَغَيَّران فيه عن هيئتهما ، يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ

---

(١) هو لبيد ، والبيت من معلقته ، قال التبريزى فى شرح القصائد العشر ص ١٤٧ « أى يعلو طريقة متن هذه البقرة مطر متتابع . والطريقة : خطة مخالفة للونها . والمتنان : مكتنفا الظهر . وكفر : غطى . يريد أنها ليلة مظلمة وقد غطى السحاب فيها النجوم » والبيت له فى تفسير الطبرى ١ / ٨٦ .

(٢) سورة الفتح ٢٩ .

(٣) سورة هود ١٠٧ . وقد أحال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ٢٠٠ على ما هنا .

الأرضِ والسّموات ُ﴾(١) ، ويقول : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُب ﴾(٢) .

أراد أنهم خالدون فيهامدة العالم ، سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم . ثم قال : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(٣) أى غيرَ مقطوع .

و « إلّا » فى هذا الموضع بمعنى « سوى » ومثله من الكلام : لأَسْكُنَنَّ فى هذه الدار حَوْلًا إلا ما شئت . تريد سِوى ما شئت أن أزيد على الحول .

هذا وجه . وفيه « قول آخر » ، وهو : أن يُجْعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد ، على ما تعرف العرب وتستعمل ، وإن كانتا قد تتغيّران ، وتُسْتَثنى المشيئة من دَوامهما ؛ لأن أهل الجنة وأهل / النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السماء والأرض فى الدنيا لا فى الجنة ، فكأنه قال : خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دَوَامَ السماء والأرض ، إلا ما شاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك .

وفيه « وجه ثالث » : وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مُكْثَ أهل الذنوب من المسلمين فى النار حتى تلحقَهُم رحمة الله ، وشفاعة رسوله ، فيُخْرَجُوا منها إلى الجنة . فكأنه قال سبحانه : خالدين فى النار ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة ،

---

(١) سورة إبراهيم ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٤ . وتفسير غريب القرآن ٢٨٨ .

(٣) سورة هود ١٠٨ .

وخالدين فى الجنة ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة من المدد ، ثم يصيرون إلى الجنة .

* * *

• وأما قوله : ﴿لا يَذُوقُون فيها الموتَ إلا الموتَةَ الأُولَى﴾[1] ، فإن « إلّا » فى هذا الموضع أيضاً بمعنى « سِوَى » . ومثله : ﴿ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ من النِّساءِ إلّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2] يريد سِوَى ما سلَفَ فى الجاهلية قبل النهى .

وإنما استثنى الموتَةَ الأولى وهى فى الدنيا ؛ لأن الشُّعداء حين يموتون يصيرون بماشاء الله من لُطْفه وقدرته، إلى أسباب من أسباب الجنة ، ويتفاضلون أيضاً فى تلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله : فمنهم من يُلَقّى بالرَّوحِ والرَّيحَان ، ومنهم من يُفتح له بابٌ إلى الجنة ، ومنهم « الشهداء » أرواحهم فى حواصل طيرٍ خُضْر تَعْلُقُ فى الجنة[3] . أى تأكل ، قال « الشاعر » :

* إن تَدْنُ مِنْ فَنَنِ الألاءَةِ تَعْلُقِ[4] *

و « جعفر بن أبى طالب » ذو الجناحين يطير مع الملائكة فى الجنة[5] .

---

(١) سورة الدخان ٥٦ .

(٢) سورة النساء ٢٢ .

(٣) سنن أبى داود ٣ / ٢٢ ، والترمذى ٢/١٦٨ ومسند أحمد ٢/٤٥٥ ، ٦ / ٣٨٦ والمستدرك للحاكم ٢/٢٩٧ .

(٤) فى اللسان ١٢/١٣٥ « وفى الحديث : أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة ، قال الأصمعى : تعلق أى تناول بأفواهها ، وأنشد للكميت يصف ناقته :

أو فوق طاوية الحشى رملية * إن تدن من فنن الألاءة تعلق

يقول : كأن قتودى فوق بقرة وحشية ... » .

(٥) فتح البارى ٢٧/٦٢ ، ٣٩٧ ومقاتل الطالبيين ١٧ وأسد الغابة ١/٢٨٧ والإصابة ١ / ٢٤٩ .

والله يقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أَمْوَاتاً بل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ ﴾[١] .

أفما ترى أنهم عندنا مَوْتَى وهم فى الجنة مُتَّصلون بأسبابها ؟ فكيف لا يجوز أن يستثنى من مُكْثِهِم فيها الموتَة الأولى ؟

٥

* * *

● وأما قوله : ﴿ إِنَّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ سَيَجْعَلُ لهمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[٢] ، فإنه ليس على تأوُّلهم ، وإنما أراد أنه يجعل لهم فى قلوب / العباد محبَّةً . فأنت ترى المُخلِصَ المجتهد مُحَبَّباً إلى البَرِّ والفاجر ، مَهِيباً مذكوراً بالجميل . ونحوه قول الله سبحانه فى قصة موسى صلى الله عليه : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عليك مَحَبَّةً مِنِّى ﴾[٣] ، لم يُرِد فى هذا الموضع أنى أحببتك ، وإن كان يحبه ، وإنما أراد أنه حبّبَهُ إلى القلوب ، وقرّبه من النفوس ، فكان ذلك سبباً لنَجاتِهِ من فرعون ، حتى اسْتَحْيَاهُ فى السَّنة التى كان يَقْتُل فيها الوِلْدَان .

١٠

* * *

● وأما قوله : ﴿ وجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾[٤]، فليس السُّبات ههنا: النوم ، فيكونَ معناه : وجعلنا نومكم نَوْماً . ولكن السُّبَات الراحة : أى جعلنا النوم راحة لأبدانكم . ومنه قيل : يوم السبت ؛ لأن الخلق اجتمع

١٥

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩ .

(٢) سورة مريم ٩٦ . وتفسير غريب القرآن ٢٧٦ .

(٣) سورة طه ٣٩ .

(٤) سورة النبأ ٩ ، وتفسير غريب القرآن ٥٠٨ .

في يوم الجمعة ، وكان الفراغ منه يوم السبت ، فقيل لبنى إسرائيل : استريحوا في هذا اليوم ، ولا تعملوا شيئاً ، فسُمِّيَ يوم السبت ، أى يوم الراحة .
وأصل السبت : التَّمدُّد ، ومن تَمَدَّدَ استراح . ومنه قيل : رجُلٌ مَسْبُوتٌ ، ويقال : سَبَتَتِ المرأةُ شَعْرَها : إذا نَقَضَتْهُ من العَقْصِ وَأَرْسَلته . قال
٥ « أبو وَجْزَةَ السَّعْدِى » :

وَإِنْ سَبَتَتْهُ مَالَ جَثْلًا كأنَّهُ — سَدَى وَاثِلاتٍ مِنْ نَوَاسِج خَثْعما[1]

ثم قد يسمَّى النوم سُباتاً؛ لأنه بالتمدُّد يكون . ومثل هذا كثير ، وستراه في « باب المجاز » إن شاء الله .

* * *

● وأما قوله : ﴿قَوَارِيراً قوارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾[2] ، فقد أعلمتُكَ أن
١٠ كل ما في الجنة من آلتها وسرُرِها وفُرُشِها وأكوابها ـ مُخالِفٌ لما في الدنيا من صنعة العباد[3] ، وإنما دلّنا الله بما أَرانَاهُ من هـذا الحاضر على ما عنده من الغائب . وقال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء .
والأكواب : كِيزان لاعُرَى لها ، وهى في الدنيا قد تكون من فضة ، وتكون من قوارير .

١٥ فأعْلَمَنَا أن هناك أكواباً لها بياض الفِضَّة وصفاء القوارير ، وهذا على التشبيه ، أراد قوارير كأنها من فضة ، كما تقول : أتانا بشراب من نور ، أى كأنه / نور .

---

(١) البيت غير منسوب في أمالي المرتضى ٢ / ١٥ وفيه « سداواهلات » وفي البحر المحيط ٨/٤٠٩ « أى إن مدت شعرها مال والتف كالتفاف السدى بأيدى نساء ناسجات » .

(٢) سورة الإنسان ١٦ ، وقال المؤلف في تفسير غريب القرآن ٥٠٣ « مفسر في كتاب تأويل المشكل » .

(٣) راجع ص ٥٠

وقال «قَتَادَةَ» في قول الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[١].
أى لهن صفاء الياقوت وبياض المَرْجان .

* * *

• وأما قوله : ﴿ حِجَارَةً مِن طِينٍ ﴾[٢] ، فإن ابن عباس ، رضى الله عنه ، ذكر أنها آجُرّ . والآجرّ : حجارة الطين ؛ لأنه فى صلابة الحجارة . ٥

و« قَرَأْتُ فى التَّوْرَاة » بعد ذكر أنساب ولد نوح صلى الله عليه : أنهم تفرّقوا فى كل أرض ، وكانت الأرضُ لِساناً واحداً ، فلما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة فى الأرض اسمها « سُنِير » فحلّوا بها ، ثم جعل الرجل منهم يقول لصاحبه : هَلُمَّ فَلْنُلَبِّن لَبِناً فنُحَرِّقَهُ بالنار فيكون اللَّبِنُ حجارة ، ونبنى مِجْدَلًا[٣] رأسه فى السماء . ١٠

وذكر بعض من رأى هذه الحجارة أنها حُمْرٌ مختّمةٌ . وقال آخرون : مُخَطَّطَةٌ ، وذلك تَسْوِيمها ، ولهذا ذهب قومٌ فى تفسير « سجّيل » إلى سَنْكِ وَكِل . أى حجر وطين[٤] .

* * *

• وأما قوله : ﴿ فَإِنْ كُنتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾[٥] ، فإن المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه ، ١٥

(١) سورة الرحمن ٥٨ .
(٢) سورة الذاريات ٣٣ .
(٣) فى اللسان ١٣/١١٠ « المجدل : القصر المشرف ، لوثاقة بنائه ، وجمعه مجادل » .
(٤) اللسان ١٣/٣٤٧ .
(٥) سورة يونس ٩٤ ، ٩٥ . وأحال المؤلف فى تفسير غريب القرآن ١٩٩ على ما هنا .

والمرادُ غيره من الشُّكّاك ؛ لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلّها ، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره .

والجواب عن هذا مستقصى فى « باب الكناية والتعريض » فكرهْتُ إعادتَه فى هذا الموضع .

٥

* * *

● وأما قوله : ﴿ ولهمْ رِزْقُهمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[1] ، فإن الناس يختلفون فى مطاعمهم : فمنهم من يأكل الوجْبَةَ[2] ، ومنهم من عادته الغَداء والعَشاء ، ومنهم من يزيد عليهما ، ومنهم من يأكل متى وجَد لغير وقْتٍ ولا عدد . فأَعْدَلُ هذه الأحوال للطَّاعِمِ وأنفعُها ، وأبعدُها من البَشَم

١٠ والطَّوَى[3] على العموم ـ الغَداء والعَشاء . والعرب تكره الوجبة ، وتستحبّ العَشاء ، وتقول : تَرْكُ العَشاء مَهْرَمَة ، وترك العشاء يذهب بلحم الكاذَة[4]

وقد بيّنتُ معناهم فى هذا القول فى كتاب « غريب الحديث » .

ونحن لا نعرف دهراً لا يَخْتَلِفُ له وقتٌ ، ولا يُرَى فيه ظلامٌ / ولا شمسٌ ، فأراد الله جل وعز أن يُعرِّفَنَا من حيث نفْهَم ونعلَم ، أحوال

١٥ أهل الجنة فى مأكلهم ، واعتدال أوقات مطاعمهم ، فضرب لنا البُكْرَةَ وَالعَشِىّ مَثَلًا ، إذ كانا يدلّان على العشاء والغداء .

ورَوَى عبد الرّزّاق ، عن معمر ، عن « قَتَادَةَ » ، أنه قال : « كانت

---

(١) سورة مريم ٦٢ .

(٢) فى اللسان ٢/٢٩٥ « الوجبة : الأكلة فى اليوم والليلة مرة واحدة » .

(٣) فى هامش م « البشم : التخمة ، والطوى : الجوع » .

(٤) فى اللسان ٥/٤١ : « الكاذة : لحم مؤخر الفخذين » .

العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء أعجبه ذلك » . فأخبرهم الله تبارك وتعالى أن لهم فى الجنة هذه الحال التى تعجبهم فى الدنيا .

* * *

● وأما قوله : ﴿ النَّارُ يُعرَضُون عليها غُدوًّا وَعَشِيًّا ﴾[1] ، فإنه لم يُرِد أن ذلك يكون فى الآخرة ، وإنما أراد أنهم يُعرَضون عليها بعد مماتهم فى القبور .

وهذا شاهدٌ من كتاب الله لعذاب القبر ، يدلك على ذلك قوله : ﴿ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾ ، فهم فى البَرْزَخِ يُعرضون على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، وفى القيامة يُدْخَلُون أشد العذاب .

* * *

● وأما قوله : ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ التى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[2] ، ولم يأت بالشىء الذى جعل له الجنة مَثَلًا ـ فإن أصل المَثَل ماذهبوا إليه من معنى المِثْل ، تقول : هذا مِثْلُ الشىء ومَثَله ، كما تقول : هذا شِبْهُ الشىء وشَبَهُه .

ثم قد يصير المِثْلُ بمعنى صورة الشىء وصِفَته ، وكذلك المِثَالُ والتِّمْثالُ ، يقال للمرأة الرّائقَة : كأنها مثال ، وكأنها تِمْثَالٌ ، أى صورة ، كما يقال : كأنها دُمْيَةٌ ، أى صورة ، وإنما هى مَثَل ، وقد مَثَّلْتُ لك كذا ، أى صوّرْته ووصفته .

فأراد الله بقوله : ﴿ مَثَلُ الجنة ﴾ ، أى صورتها وصفتها .

وروى أن « عليًّا » رحمه الله كان يقرأ : مِثَالُ الجنة أو أَمْثَالُ[3] الجنة ،

---

(١) سورة غافر ٤٦ .

(٢) سورة الرعد ٣٥ .

(٣) فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٧ « أمثال الجنة بالجمع ، على بن أبى طالب ، وابن مسعود ، والسلمى ، رحمهم الله » .

وهو بمنزلة مَثَلٍ ، إلا أنه أوضح وأقرب فى أفهام الناس إلى المعنى الذى تأوّلناه فى مَثَل .

— ونحوه قوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً، سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُم فى الإِنْجِيلِ ﴾[١] أى ذلك وصفهم ؛ لأنه لم يَضرِب لهم مَثلًا فى أوّل الكلام ، فيقول : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ ﴾ وإنما وَصَفَهم وحَلّاهم ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ ﴾ أى وَصْفُهم .

— وقوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَه ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه ﴾[٢] ، ولم يأت بالمثل ؛ لأن فى الكلام معناه ، كأنه قال : يأيها الناس ، مثلكم مثل من عَبَد آلهةً اجتمعت لأن تَخْلُقَ ذُباباً فلم تَقدر عليه ، وسَلَبها الذباب شيئاً فلم تَسْتَنْقِذْهُ منه .

ومِثْلُ هذا فى القرآن وكلام العرب أشياء قد اقتَصَصْنَاهَا فى « أبواب المجاز » .

* * *

● وأما قوله : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ ، أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وَعَلَيْنَا الحِسابُ ﴾[٣] . فإنه لم يُرِد أن عليك البلاغ بعد

(١) سورة الفتح ٢٩ .
(٢) سورة الحج ٧٣ .
(٣) سورة الرعد ٤٠ .

الوفاة كما ظنُّوا ، وإنما أراد : إن أَرَيْنَاكَ بعض الذى نعدهم فى حياتك ، أو توفيناك قبل أن نُرِيَك ذلك ـ فليس عليك إلا أن تُبلِّغ ، وعلينا أن نُجَازِى .

ومِثْل هذا : رجل بَعَثْتَه والياً وقلتَ له : سِرْ إلى بلد كذا فادْعُهم ، فإن استجابوا لك فأَحْسِن فيهم السيرة ، وابسط المَعْدِلة ، وإن عَصَوْكَ فعِظْهم وحذِّرهم عقاب المعصية ، فإن أقاموا على الغَوَايَةِ أَعلِمْنى ليأتيهم النَّكِيرُ . فصار إليهم فمانَعُوه ، ووعظَهم فخالفوه ، وأقام حيناً مُسْتَبْطِئاً ما أوعدتهم به ، فقلت : إن أريناك ما وعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نُرِيَك ذلك ـ فليس لك أن تَسْتَبْطِئَنَا ، إنما عليك التبليغ والعِظة ، وعلينا الجزاء والمكافأة .

* * *

وأما قوله : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجوعِ والخوفِ ﴾[١] .

وقوله : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾[٤] .

ـ فقد ذكرنا الجواب عن ذلك فى « باب المجاز » ، وكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضع / وستراه هناك كافياً ، إن شاء الله . [٤٣]

(١) سورة النحل ١١٢ .
(٢) سورة الأحزاب ١٠ .
(٣) سورة الأنفال ٥ .
(٤) سورة القلم ١٦ .

باب المتشابه

وأما قولهم : ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن ، مَنْ أراد بالقرآن لعباده الهدى والتّبيان ؟

— فالجواب عنه : أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ، ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار ، والإطالة والتوكيد ، والإشارة إلى الشىء ، وإغماض

٥ بعض المعانى حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقِن[(١)] ، وإظهار بعضها ، وضرب الأمثال لما خَفِى .

ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس ، وسقطت المِحْنة ، وماتت الخواطر .

ومع الحاجة تقع الفِكْرَة والحيلة ، ومع الكِفَاية يقع العجز والبلادَة .

١٠ وقالوا : عَيْبُ الغِنى أنه يُورِث البَلَه ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة .

وقال « أَكْثَم بن صَيْفِىّ » : ما يسُرُّنى أنى مَكْفِىٌّ كُلَّ أمر الدنيا . قيل له : ولِمَ ؟ قال : أكره عادة العجز .

وكل باب من أبواب العلم : من الفقه والحساب والفرائض والنحو ، فمنه ما يجلُّ ، ومنه ما يَدِقُّ ، ليرتقى المتعلم فيه رُتبةً بعد رتبة ، حتى يبلُغَ منتهاه ،

١٥ ويُدرِكَ أقصاه ؛ ولتكون للعالم فضيلةُ النظر ، وحسنُ الاستخراج ، ولتقع المثوبةُ من الله على حسن العناية .

---

(١) فى اللسان ١٧/٢٧٥ « لقن : سريع الفهم . وفى حديث الهجرة : ويبيت عندهما عبدالله ابن أبى بكر ، وهو شاب ثقف لقن أى فهم حسن التلقين لما يسمعه » .

ولو كان كل فن من العلوم شيئاً واحداً : لم يكن عالم ولا متعلم ، ولا خفيّ ولا جليّ ؛ لأن فضائل الأشياء تُعرف بأضدادها ، فالخيرُ يعرف بالشر ، والنفعُ بالضرّ ، والحلو بالمر ، والقليلُ بالكثير ، والصغيرُ بالكبير ، والباطن بالظاهر .

وعلى هذا المثال كلامُ رسول الله ، صلى الله عليه ، وكلام صحابته والتابعين، وأشعار الشعراء . وكلام الخطباء — ليس منه شيء إلا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذي يتحيّر فيه العالمُ المتقدّم ، ويقرّ بالقصور عنه النقّاب المبرِّز .

- قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« تجدُون الناس كإبلٍ مائةٍ / ليس فيها راحلة »[1] .

- وقال : « لا تستضيئوا بنار المشركين »[2] .

- وقال : « إنّ مما يُنبت الرّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أو يُلِمّ »[3] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة : باب قوله ، صلى الله عليه وسلم : « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ١٩٧٣/٤ .

والبخاري في الرقاق : باب رفع الأمانة ٢٨٦/١١ ؛ كلاهما من حديث ابن عمر . وقال ابن دريد في المجتنى ص٣٣ « يريد عليه السلام أن الناس كثير والمرضى منهم قليل ، كما أن المائة من الإبل لا تصاب فيها الرحلة الواحدة » .

(٢) أخرجه النسائي في الزينة : باب قوله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تنقشوا على خواتيمكم عربياً ٢٩٠/٢ .

وأحمد في المسند ٩٩/٣ : كلاهما من حديث أنس . وفي اللسان ١٠٧/١ «أي لا تستشيروهم ، ولا تأخذوا آراءهم ، جعل الضوء مثلا للرأي عند الحيرة » .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله ٣٦/٦ ومسلم في الزكاة : باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٧٢٧/٢ وأحمد في المسند ٧/٣ ، ٢١ ، ٩١

كلهم من حديث أبي سعيد الخدري . وانظر الحديث بتمامه ، وشرح الأزهري له في اللسان ١٣٨/٩ — ١٤٠ والحبط : أن تأكل الماشية فتستكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها . وفي اللسان ١٦ / ٢٣ أويلم ، قال أبو عبيد : معناه أو يقرب من القتل » وفيه ١٣٩/٩ « قال الأزهري . فأما قوله صلى الله عليه وسلم : وإن مما ينبت الربيع مايقتل حبطا ، فهو مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع ، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التي تحلوليها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذي يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها — يهلك في الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب ... » .

- وقال للضحَّاك بن سفيان حين بعثه إلى قومه : « إذا أتيتهم فارْبِضْ فى دارِهم ظَبْياً »[١] .
- وقال : « الـكاسِيَاتُ العاريات لا يَدْخُلْنَ الجنة »[٢] .
- وكتب فى كتاب صلح[٣] : « وإن بيننا وبينكم عَيْبَةً مكْفوفَةً ».
- وقال : « أَجِدُ نَفَسَ رَبِّكم من قِبَلِ اليمن »[٤] .

٥

* * *

(١) فى اللسان ١٩/٢٤٨ وتأويله أنه بعثه إلى قوم مشركين ليتبصر ما هم عليه ، ويتجسس أخبارهم ، ويرجع إليه بخبرهم ، وأمره أن يكون منهم بحيث يراهم ويتبينهم ولا يستمكنون منه ؛ فإن أرادوه بسوء أو رابه منهم ريب، تهيأ له الهرب وتفلت منهم ، فيكون مثل الظبى الذى لا يربض إلا وهو متباعد متوحش بالبلد القفر ،ومتى ارتاب أو أحس بفزع نفر ... وقال القتيبى: قال ابن الأعرابى : أراد : أقم فى دارهم آمنا لا تبرح كأنك ظبى فى كناسه قد أمن لا يرى إنسا » وانظر اللسان ٩/٩ .

(٢) فى اللسان ٢٠/٨٨ « قيل : أراد أنهن يلبس ثيابا رقاقا يصفن ما تحتها من أجسامهن ، فهن كاسيات فى الظاهر عاريات فى المعنى » .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ٤/٣٢٥

وأبو داود فى السنن : كتاب الجهاد : باب صلح العدو ٣/١١٤ ، و فى اللسان ٢/١٢٥ « وفى الحديث : أنه أملى فى كتاب الصلح بينه وبين كفار أهل مكة بالحديبية : لا إغلال ولا إسلال ، وبيننا وبينهم عيبة مكفوفة . . وروى عن ابن الأعرابى أنه قال : معناه إن بيننا وبينهم فى هذا الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما فى الـكتاب نقيا من الغل والغدر والخداع . والمـكفوفة : المنسرجة المعقودة . والعرب تـكنى عن الصدور والقلوب التى تحتوى على الضمائر المخفاة بالعياب ، وذلك أن الرجل إنما يضع فى عيبته حر متاعه ، وصون ثيابه ، ويكتم فى صدره أخص أسراره التى لا يحب شيوعها ، فسميت الصدور والقلوب عيابا تشبيها بعياب الثياب .. وقال بعضهم : أراد به : الشر بيننا مكفوف كما تـكف العيبة إذا أشرجت . وقيل : أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب، يجريان مجرى المودة التى تـكون بين المتصافيين الذين يثق بعضهم إلى بعض » .

(٤) مسند أحمد ٢ / ٥٤١ من حديث أبى هريرة ، وفى اللسان ٨/١٢٢ « وفى رواية : أجد نفس الرحمن . يقال: إنه عنى بذلك الأنصار ؛ لأن الله عز وجل نفس الـكرب عن المؤمنين بهم وهم يمانون ، لأنهم من الأزد ، ونصرهم بهم وأيدهم برجالهم ، وهو مستعار من نفس الهواء الذى يرده التنفس إلى الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها ، أو من نفس الريح الذى يتنسمه فيستروح إليه ، أو من نفس الروضة ، وهو طيب روائحها فينفرج به عنه ... » .

وقال « أبو بكر الصديق » : « نحن حَفْنَةٌ من حَفَنَاتِ الله »[١] .

وقال « عمر بن الخطاب » للعريف الذى أتاه بالمنبوذ[٢] : « عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً » .

وقال « علىّ بن أبى طالب » : من يَطُل هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به[٣] .

وحُدِّثْتُ عن « الأصمعى » أنه قال : أعْيانى أن أعلم معنى قول «عمر» : « أيما رجلٍ بايع عن غير مُشَاوَرَةٍ ، فلا يُؤَمَّرُ وَاحِدٌ منهما تَغِرَّةً أن يُقتَلا »[٤] .

* * *

(١) فى اللسان ١٦ / ٢٨٠ « الحفن : أخذك الشىء براحة كفك والأصابع مضمومة . . وملء كل كف حفنة ، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى حديث الشفاعة : إنما نحن حفنة من حفنات الله . أراد انا على كثرتنا قليل يوم القيامة عند الله كالحفنة ، أى يسير بالإضافة إلى ملكه ورحمته ، وهى ملء الكف ، على جهة المجاز والتمثيل ، تعالى الله عزوجل عن التشبيه »

(٢) المنبوذ : اللقيط ، وفى اللسان ٦/٣٤٣ « قال ثعلب : أتى عمر بمنبوذ فقال : عسى الغوير أبؤسا ، أى عسى الريبة من قبلك ... قال الأزهرى : وذلك أن عمر اتهمه أن يكون صاحب المنبوذ ، حتى أثنى على الرجل عريفه خيراً ، فقال عمر : هو حر وولاؤه لك . وقال أبو عبيد : كأنه أراد عسى الغوير أن يحدث أبؤسا أو أن يأتى بأبؤس » والغوير : تصغير غار ، والأبؤس : جمع بؤس وهو الشدة . وأصل المثل الذى تمثل به عمر : أن قوما حذروا عدواً لهم ، فاستكنوا منه فى غار ، فقال بعضهم : عسى الغوير أبؤسا ، يقول : لعل البلاء يجىء من قبل الغار ، فكان كذلك ، احتال العدو حتى دخل عليهم من وهى كان فى قفا الغار فأسروهم . وقيل فى أصل المثل غير ذلك وانه من قول الزباء . وهو يضرب للرجل يخبر بالشىء فيتهم فيه . قال ابن الأثير : وأراد عمر بالمثل : لعلك زنيت بأمه وادعيته لقيطا ، فشهد له جماعة بالستر فتركه » راجع جمهرة الأمثال ص ١٤٣ ومجمع الأمثال ١/٤٧٧ واللسان ٦/٣٤٤ .

(٣) فى اللسان ١٢/٢٣٣ « أى من كثر بنو أبيه يتقوى بهم » وانظر جمهرة الأمثال ١٨٧ ومجمع الأمثال ٢/٢٥٦ .

(٤) فى اللسان ٦/٣١٦ « التغرة : مصدر غررته ، إذا ألقيته فى الغرر ، وهو من التغرير كالتعلة من التعليل ... قال ابن الأثير : ومعنى الحديث أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة ، فإن عقد لأحد بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها ؛ لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة التى أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم لم يؤمن أن يقتلا ، هذا قول ابن الأثير =

● وقال «المازنيّ» : سألت «الأخفش» عن حرفٍ رواه« سيبويه » عن « الخليل » في « باب من الابتداء يُضْمَرُ فيه ما بُنِيَ على الابتداء » وهو قوله : « ما أَغْفَلَهُ عنك شيئاً ، أي دَع الشّكَّ »[(١)] : ما معناه ؟

قال « الأخفش » : أنا مذ وُلِدْتُ أسأل عن هذا[(٢)] .

وقال « المازنيّ » : سألت « الأصمعي » و « أبا زيد » ، و «أبا مالكٍ» عنه ، فقالوا :ما ندري ما هو .

* * *

والعرب تقول :

« حَوَرٌ في مَحَارَةٍ »[(٣)] .

١٠ و « جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلابٌ »[(٤)] .

= وهو مختصر قول الأزهري : فإنه يقول : لا يبايع الرجل إلا بعد مشاورة الملأ من أشراف الناس واتفاقهم ، ثم قال: ومن بايع رجلا من غير اتفاق من الملأ لم يؤمر واحد منهما تغرة المؤمر منهما ، لئلا يقتلا أو أحدهما . وقوله : أن يقتلا أي حذرا أن يقتلا وكراهة أن يقتلا . قال الأزهري : وما علمت أحدا فسر من حديث عمر ما فسرته ، فافهمه » .

(١) راجع كتاب سيبويه ١/٢٧٩ .

(٢) قال أبو سعيد السيرافي : لم يفسر هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرد ، وفسره أبو إسحاق الزجاج بعد ذلك فقال : معناه على كلام تقدم ، كأن قائلا قال : زيد ليس بغافل عني ، فقال المجيب : بلى ما أغفله عنك انظر شيئاً ، أي تفقد أمرك ، فاحتج به على الحذف ، يريد حذف الناصب شيئاً . راجع هامش سيبويه ١/٢٧٩ .

(٣) في اللسان ٥/٢٩٧« معنى المثل: نقصان في نقصان ورجوع في رجوع ، يضرب للرجل إذا كان أمره يدبره » وانظر جمهرة الأمثال ص ٨٩ ومجمع الأمثال ١/٢٠٤ .

(٤) المثل لقيس بن زهير العبسي ، وهو يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل . جاء في اللسان ١٨/٣١٥« المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والمذكي أيضاً من الخيل الذي يذهب حضره وينقطع . وفي المثل : جرى المذكيات غلاب ، أي جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجرى غلابا » وانظره في جمهرة الأمثال ٧٨ ومجمع الأمثال ١/١٦٦ .

و « عِيلَ ما هو عائِلُهُ »[١] .

و « إنَّهُ لَشَرَّابٌ بأَنْقُعٍ »[٢] .

و « عَاطٍ بغيرِ أَنْوَاطٍ »[٣] .

و « إلّا دَهٍ فَلَا دَهٍ »[٤] .

و « النُّفاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ »[٥] .

و « به دَاءُ ظَبْيٍ »[٦] .

---

(١) فى اللسان ١٣/٥١١ « أى غلب ما هو غالبه . يضرب للرجل الذى يعجب من كلامه أو غير ذلك ، وهو على مذهب الدعاء » وانظر مجمع الأمثال ١/٨٣؛ وجمهرة الأمثال ص ١٣٨ .

(٢) الأنقع : جمع نقع ، وهو الموضع الذى يستنقع فيه الماء . وأصله الطائر إذا كان حذرا ورد المناقع فى الفلوات حيث لا يبلغ القناص ، ولا تنصب له الأشراك . كذلك الرجل الحذر لا يقتحم الأمور . وقيل فى معنى المثل غير ذلك . راجع اللسان ١٠ / ٢٣٩ — ٢٤٠ وجمهرة الأمثال ص ١٢٢ ومجمع الأمثال ١/٣٧٤ والصاحبى ٤٠ .

(٣) العطو : التناول ، والأنواط : جمع نوط . وهو كل شىء معلق . يقول : هو يتناول وليس هناك معاليق . يضرب لمن يدعى ما ليس يملكه . راجع مجمع الأمثال ١/٤٨٤ وجمهرة الأمثال ص ١٤١ واللسان ٩/٢٩٦ .

(٤) فى اللسان ١٧/٣٨٣ « وقولهم : إلاده فلاده ، معناه . إن لم يكن هذا الأمر فلا يكون بعد الآن ، ولا يدرى ما أصله ... وقال أبو زيد : تقول : إلاده فلاده يا هذا ، وذلك أن يوتر الرجل فيلقى واتره فيقول له بعض القوم : إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه . قال الأزهرى : هذا القول يدل على أن ده فارسية ، معناها الضرب ، تقول للرجل إذا أمرته بالضرب : ده .. وقال ابن الأعرابى : العرب تقول : إلاده فلاده ، يقال للرجل إذا أشرف على قضاء حاجته من غريم له ، أو من ثأره ، أو من إكرام صديق له : إلاده فلاده ، أى إن لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبداً » وانظر اللسان ١٤/٩٢ ، ١٨/٣٠٢ ومجاز القرآن ١/١٠٦ ، وديوان رؤبة ١٦٦ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٢٦٢ ، والعقد الفريد ٣/١٢٤ ، ومجمع الأمثال ١ / ٤٦ ، وجمهرة الأمثال ٢٣ .

(٥) النفاض — بفتح النون وضمها — فناء الزاد ، والجلب : المجلوب للبيع . يقول : إذا ذهب طعام القوم أو ميرتهم قطروا إبلهم التى كانوا يضنون بها ، فجلبوها للبيع فباعوا واشتروا بثمنها ميرة ، راجع اللسان ٩/١٠٨ ومجمع الأمثال ٢/٣٠٠ .

(٦) فى اللسان ١٩/٢٤٨ « ومن أمثالهم فى صحة الجسم : بفلان داء ظبى . قال أبو عمرو : معناه أنه لا داء به ، كما أن الظبى لا داء به » ، وفى جمهرة الأمثال ص ٥٧ : « ولا تخلو الظباء

و « أَرَاكَ بَشَرُ ما أَحَارَ مِشْفَرٌ »(١) .

و « أَفْلَتَ فلانٌ بِجُرَيْعَةِ الذَّقَن »(٢) .

و « غُبَارُ ذَيْلِ المرأة الفاجرة يُورِثُ السِّلَّ »(٣) .

و « هو كَبَارِحِ الأَرْوِيّ »(٤) .

و « عَبْدٌ وَخَلًى فى يديه »(٥) . ٥

من الأدواء كسائر الحيوان ، ولكن لما رأتها العرب تفوت الطالب ، ولا يقدر على لحاقها المجتهد ، نسبوا ذلك إلى صحة منها فى أجسامها فقالوا : لا داء بها .. » .

(١) فى ذيل الأمالى ص ١٠١ : « يريد إذا رأيت جسمه أغناك عن طعمه » ، وفى اللسان ٦ / ٨٨ : « أى أغناك الظاهر عن سؤال الباطن ، وأصله فى البعير » ، وفى جمهرة الأمثال ص ١٩ : « أى ما اعتلفته الدواب ليبين فى أجسامها » ، وفى مجمع الأمثال ٢/٣٠٢ : « أى لما رأيت بشرته أغناك ذلك أن تسأل عن أكله ، يضرب للرجل ترى له حالا حسنة أو سيئة . ومعنى أحار : رد ورجع ، وهو كناية عن الأكل ، يعنى ما رد مشفرها إلى بطونها مما أكل ، يقال : حارت الغصة : إذا انحدرت إلى الجوف وأحارها صاحبها أى حدرها » .

(٢) فى اللسان ٩ / ٣٩٦ « أى وقرب الموت منه كقرب الجريعة من الذقن ، وذلك لما أشرف على التلف ثم نجا . قال الفراء : هو آخر ما يخرج من النفس ، يريدون أن نفسه صارت فى فيه فكاد يهلك فأفلت وتخلص ... » ، وفى مجمع الأمثال ٢/١٦ : « وصغر جريعة تصغير تحقير وتقليل ؛ لأن الجرعة فى الأصل : اسم للقليل مما يتجرع كالحسوة والغرفة وأشباهها ... »

(٣) فى اللسان ١٣ / ٣٦٣ : « وفى الحديث : غبار ذيل المرأة الفاجرة يورث السل ، يريد أن من اتبع الفواجر وفجر ، ذهب ماله وافتقر ، فشبه خفة المال وذهابه بخفة الجسم وذهابه إذا سل » .

(٤) فى اللسان٣/٢٣٤ : « برح الظبى ، بالفتح ، بروحا : إذا ولاك مياسره ، يمر من ميامنك إلى مياسرك ، وفى المثل : إنما هو كبارح الأروى قليلا ما يرى . يضرب ذلك للرجل إذا أبطأ عن الزيارة ؛ وذلك أن الأروى يكون مساكنها فى الجبال من قنانها ، فلا يقدر أحد عليها أن تسنح له ، ولا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحه إلا فى الدهور مرة » وانظر مجمع الأمثال ١ / ٧١ .

(٥) فى اللسان ١٨/٢٦٦ : « الخلى : الرطب من النبات واحدته خلاة ، وجاء فى المثل : عبد وخلى فى يديه ، أى أنه مع عبوديته غنى ، قال يعقوب : ولا تقل وحلى فى يديه » ، وانظره فى مجمع الأمثال ١/٤٦٦ وفيه : « يضرب فى المال يملكه من لا يستأهله » .

و « رَمَّدَتِ الضأنُ فَرَبِّق رَبِّق ، ورَمَّدَتِ المِعْزَى فَرَنِّق رَنِّق »[1] .

و « أفْوَاهُهَا مَجَاسُّها »[2] .

و « نِجَارُها نارُها »[3] .

فى أشباهٍ لهذا كثيرةٍ ، لولا العلماء المُنَقِّبون فى البلاد ، المُنَقِّرون عن الخبْء ، الناظِرُون للخُلوفِ ، الطالبون أعْقَابَ الأحاديث ، ولسانَ الصِّدْقِ فى الباقين ـ لَطَالَ علينا أن نطّلِع على خفيّاتها ، أو نُظهِرَ مستورَها / .

وإن آثرت أن تعرف معانيها التَمَسْتَهَا فى كتابنا المؤلف فى « تفسير غريب الحديث » فإنك واجدُها أو أكثرَها هناك ، إن شاء الله تعالى .

* * *

• وحدثنى أبو حاتم ، عن « الأصمعى » أنه قال : سألت « عيسى ابن عمر » عن قول « أمية بن أبى الصَّلْت » : ١٠

---

(١) فى مجمع الأمثال ١ / ٣٠٥ « الترميد : أن تعظم ضروعها ، فإذا عظمت لم تلبث الضأن أن تضع . وربق : أى هيء الأرباق ، وهى جمع ربق ، والواحدة ربقة ، وهو أن يعمد إلى حبل فيجعل فيه عرا يشد فيها رءوس أولادها . يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا . وفى ضده يقال : رمدت المعزى فرنق رنق ، الترنيق والترميق : الانتظار ، وإنما يقال هذا لأنها تبطىء وإن عظمت ضروعها » ، وانظر اللسان ١٦٨/٤ ، ٤٠٣/١١ ، ٤١٩ .

(٢) فى اللسان ٣٣٧/٧ « لأن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك فى معرفة سمنها من أن يجسها » .

(٣) فى اللسان ٧ / ٤٥ « النجر والنجار : الأصل والحسب واللون » ، وفيه ص ١٠٢ « والنار : السمة . والعرب تقول : ما نار هذه الناقة ؟ أى ما سمتها ، سميت ناراً لأنها بالنار توسم ... ومن أمثالهم : نجارها نارها ، أى سمتها تدل على نجارها ، يعنى الإبل ، قال الراجز يصف إبلا سماتها مختلفة :

نجار كل إبل نجارها ونار إبل العالمين نارها

يقول : اختلفت سماتها ؛ لأن أربابها من قبائل شتى ، فأغير على سرح كل قبيلة ، واجتمعت عند من أغار عليها سمات تلك القبائل كلها » .

والأرْضُ نوَّخَهَا الإلهُ طَرُوقَةً   الماءِ حتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدُ(١)

فقال : لا أعرِفه ، وقد سألت عنه فلم أَجِدْ مَنْ يعرِفه .

فهذا «الأصمعى» ، و «عيسى بن عمر» ، ومن سأله عيسى من أهل اللّغة ، لم يعرفوا هذا البيت : وفسّرَه من دُونَهُم فقال : معناه : أن الله جعل الأرض كالأُنثى للماءِ ، وجعلَ الماءَ كالذكرِ للأرض ، فإذا مُطِرَت أَنْبَتَتْ .

ثم قال : وهكذا كل شيء حتى الزُّنُودُ ، فإن أعلى الزَّنْدين ذَكَرٌ ، والأسفل أنثى ، والنار لهما كالولد .

و « مُسفَدٌ » بمعنى : مُنْكَحٍ . تقول : سَفِدَ الذكرُ الأنثى ، والله أَسْفَدَهُ ، كما تقول : نكح والله أَنكَحَه .

● ومثل هذا قول « ذى الرُّمة » :

وَسِقْطٍ كعين الدِّيك عاوَرْتُ صُحْبَتِى   أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْقِعِها وَكْرَا(٢)

مُشَهَّرَةٍ لا تُمْكِنُ الفَحْلَ أُمُّهَا   إذا هى لم تُمسَك بأطرافها قَسْرا(٣)

أراد بالسِّقطِ : النار ، وأراد بالأب : الزَّنْد الأعلى ، وبالأمّ : الزَّنْد الأسفل .

● وحدثنى « أبو حاتم » عن « الأصمعى » أيضاً ، عن « عيسى ابن عمر » ، أنه قال : لا أدرى مامعنى قول « أميّة بن أبى الصّلت الثّقفى » ، ولا رأيت أحداً يُحْسِنُه :

---

(١) ديوانه ص ٢٣ ، واللسان ٤/٢٠٣ « والأرض صيرها » ، وفى ص ٣٢ « وقولهم : نوخ الله الأرض طروقة للماء ، أى جعلها مما تطيقه » ، وانظر الحيوان ٣/٣٦٣ ، ٣٦٥ .

(٢) فى ديوانه ص ١٧٥ « عاورت صاحبى » ، واللسان ٦/٢٩٧ .

(٣) فى الديوان : « إذا نحن لم نمسك » .

عَسَلٌ مّا وَمِثْلُه عُشَرٌ ما عائِلٌ مّا وَعالَتِ البَيْقُورَا[١]

هكذا رواه « عَسَلٌ مّا » . وإنما هو : « سَلعٌ ما » .

ومعنى البيت : أنهم كانوا يَسْتَمْطِرُون بالسَّلَعِ وَالعُشَرِ ، وهما ضربانِ من الشجر ، فيعقدونهما فى أذناب البقر ، ويضرمون فيهما النار .

وقوله : « وعالت البيقورا » يعنى : سنةُ الجدْبِ أثقلتِ البقر بما حُمِّلَت من الشجر والنار فيها . والعائلُ : الفقير . ٥

والدليل على أنّ الرِّواية « سَلَعٌ مّا » قولُ « الآخر » :

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقُورًا مُسَلَّعَةً / ذَريعَةً لكَ بين الله والمطرِ[٢] ؟

* * *

● وحدثنى أيضاً أبو حاتم ، عن « الأصمعى » ، أنه قال فى بيت « امرئ القيس » : ١٠

نَطْعَنُهم سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لَأْمَيْنِ على نابِلِ[٣] :

---

(١) ديوانه ص ٣٦ ، والجمهرة١/ ٢٧٠ ، واللسان٥/ ١٤٠ ، ١٣/ ٥١٦ ، ١٩/ ٣١٩، وفيه : وعال على ، أى حمل ، ومنه قول أمية . . أى أن السنة الجدبة أثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر » . وانظر الحيوان٤/ ٤٦٧ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٤٧ ، وشرح نهج البلاغة ٤/ ٤٣٢ ، وتاج العروس ١٠/ ٢٥٢ ومعجم البلدان ٥/ ١٠٨ .

(٢) هو الورل الطائى ، كما فى اللسان ٥/ ١٤٠ ، وقبل البيت :

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

وإنما قال ذلك لأن العرب كانت فى الجاهلية إذا استقوا جعلوا السلعة والعشر فى أذناب البقر وأشعلوا فيه النار ، فتضج البقر من ذلك ، ويمطرون » .

(٣) ذكر ابن قتيبة البيت فى كتاب المعانى الكبير ٢/ ٩١٢ ، وعقب عليه بقوله : « عن أبى عبيدة : سألت أبا عمرو بن العلاء عن هذا البيت فقال : ذهب من كان يعرف هذا ، وهو مما درس معناه . غيره : السلكى : الطعنة المستقيمة ، ومخلوجة : يمنة يسرة ، ومن الأمثال : الأمر مخلوجة وليس بسلكى . لفتك : ردك ، ويروى : كرك ، وهو مثله . ولأمين : سهمين ، واحدهما لأم ، أى ككرك سهمين على رام رمى بهما تعيدهما عليه ، فكذلك نطعنهم ثم نعود =

ذهب من يُحسن هذا الكلام .

● وقال مثل ذلك فى بيت « الحارث بن حِلِّزَة » .

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوالٍ لنَا وَأَنَّا الوَلاءُ[1]

وفسَّره « الأصمعىُّ » فقال : أراد نطعَنُهم طعنةً سُلْكَى ، أى مُسْتَوِيَةً ،

٥ وَمَخْلُوجَةً : عادِلَةً ذات اليمين وذاتَ الشمال ، كما تَردُّ سَهْمَيْنِ على صاحبِ سِهامٍ قد دفعهما إليك لتنظُرَ إليهما ، وإذا أنت ألقيتهما إليه : لم يقعا جميعاً مُسْتَوِيَيْن على جهةٍ واحدةٍ ، ولكن أحدهما يعوجُّ ، ويستوى الآخر . فَشَبَّهَ جهتى الطعنتين ، بجهتى هذين السهمين .

وقال « الزِّيادِى » : كان « زيد بن كَثْوَةَ العَنْبَرِىّ » يقول : الناس

١٠ يغلَطُون فى لفظ هذا البيت ومعناه ، وإنما هو : كَرُّ كلامين على نابل . أى : نَطْعن طعنتين متواليتين لا نَفْصِل بينهما ، كما تقول للرامى : ارْمِ ارْمِ ، فهذان كلامان لا فصل بينهما ، شَبَّه بهما الطعنتين فى موالاته بينهما . وكان يستحسن هذا المعنى .

وأما « العَيْرُ » فقد اختلفوا فيه[2] : فكان بعضهم يجعله الوتد ، سَمَّاه

١٥ عَيراً لِنُتُوئِه مثل عَيْرِ نَصْلِ السَّهم ، وهو الناتئ وسطه . يريد : أن كل من ضرب خِباءً من أهل العمَدِ ، فضرب له وتداً ـ رَمَوْنَا بذنبه .

= عليهم ، كما يعاد السهمان على الرامى ، أى ينفذهم ثم يعودهم . وسألت ابن السجستانى فقال : كـكرك سهمين على رام رمى بهما ؛ لأنك تردهما إلى ورائك » .

والبيت فى ديوانه ص ١١٧ ، والموشح ص ١٠٥ ، واللسان ٣/ ٨٤ ، ١٢/ ٣٢٨ .

(١) البيت من معلقته بشرح الزوزنى ص ١٥٩ وشرح ابن الانبارى ٤٤٩ ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٨٤ وهو غير منسوب فى اللسان ٦ / ٣٠٠ .

(٢) راجع تفصيل الخلاف فى اللسان ٦/ ٣٠٠ ـ ٣٩١ ، ٣٠٣ .

وقال بعضهم : هو كُلَيْبُ وائلٍ ، والعَيرُ : سَيِّدُ القوم ، سمّى بذلك لأنّ العَيرَ أكبر الوحش ؛ ولذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه ، لأبى سُفيان : « كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ العَيْرِ »[١] .

وقال آخر : العيرُ جَبَلٌ بالمدينة ، ومنه : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه حَرَّم ما بين عَيرٍ إلى ثَوْرٍ[٢] . يريد كلَّ من ضربَ إلى ذلك الموضع وبلَغَه . ٥

وقال آخر : هو الحمارُ نفسُه ، يريد أنهم يُضيفُون إلينا ذُنُوبَ كلّ من ساقَ حِماراً / . [٤٧]

ومعنى هذا كله : أنهم يُلزمونا بذنوب الناس جميعاً ، ويجعلوننا أولياءهم.

* * *

---

(١) المجتنى لابن دريد ص ١٨ ، وفى اللسان ١/١١٦ « وفى الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى صلى الله عليه وسلم ، فحجبه ، ثم أذن له ، فقال له : ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهمتين ، فقال : يا أبا سفيان ، أنت كما قال القائل : كل الصيد فى جوف الفرا مقصور ، ويقال : فى جوف الفراء ، ممدود وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بما قاله لأبى سفيان تألفه على الإسلام فقال : أنت كحمار الوحش فى الصيد ، يعنى أنها كله مثله ، وقال أبو العباس : معناه : أنه إذا حجبك قنع كل محجوب ورضى ؛ لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره ، فيضرب هذا المثل للرجل يكون له حاجات ، منها واحدة كبيرة ، فإذا قضيت تلك الكبيرة لم يبال ألا تقضى باقى حاجاته » وانظر مجمع الأمثال ٢/٨٢ ، وغريب الحديث لأبى عبيد ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٨ .

وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة ٤٢٣ : « وسنده جيد ، لكنه مرسل » يريد أن راوى الحديث عن النبى ، وهو نصر بن عاصم الليثى تابعى ، مات بعد سنة ٨٠ هـ .

(٢) روى الحربى ، من طريق إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن « على » قال : حرم النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ما بين عير إلى ثور . قال : وثور : الجبل الذى فيه غار النبى ، صلى الله عليه وسلم ... » كذلك نقل أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ١/٣٤٨ وقال أبو عبيد فى غريب الحديث ١/٣١٥ « وهذا حديث أهل العراق ، وأهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له : ثور . وإنما ثور بمكة . فيرى أن الحديث إنما أصله : ما بين عير إلى أحد . ثم قال أبو عبيد : سألت عن هذا أهل المدينة فلم يعرفوه . أما عير فبالمدينة معروف ، وقد رأيته » .

وفى اللسان ٦/٣٠٥ ، وفى الفائق ٢/٢٠١ « هما جبلان بالمدينة ، وقيل : لا يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورا ، وإنما ثور بمكة ، ولعل الحديث ما بين عير إلى أحد » .

• وقال « الأصمعى » : لا أدرى ما معنى قول « رؤبة » :

* يَغْمِسْنَ مَنْ غَمَسْنَهُ فى الأهْيَغ[1] *

ثم قال بعده : يُوهِمُ أنَّ ثَمَّ ماء .

وقال « ابن الأعرابى » : يقال : فلان مُنْغَمِسٌ فى الأهْيَغَيْن ، يُرَادُ :
٥ الأكلُ والنِّكاح . ونحوٌ منه : ذهب منه الأطْيَبَان ، يُرَادُ : الأكلُ والنكاح .

وقال أيضاً : لا أدرى ما معنى قول « رؤبة » فى صفة الثور :

* كأنه حَامِلُ جَنْبٍ أَخْذَعَا *[2]

وقال « ابن الأعرابى » : أراد : كأنه ضُرِب بالسيف ضربةً فتعلَّقت
١٠ جنْبَه وهو حاملها ، وذلك لميله من بَغْيه على أحد جانبيه . والخَذَعُ : المَيْلُ .
ومثل هذا كثيرٌ ، وفيما ذكرنا منه ما أَقْنَعَ ودلَّ على ما أردناه ، إن شاء الله تعالى .

* * *

ولسنا ممن يزْعُم : أنّ المتشابه فى القرآن لا يعلمه الراسخون فى العلم .
١٥ وهذا غلط من مُتأوِّليه على اللغة والمعنى .

ولم ينزِل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عبادَه ، ويدلَّ به على معنى أرادَه .

---

(١) ديوانه ص ٩٧ ، واللسان ١٠/ ٣٤١ .

(٢) بعده فى المعانى الكبير ٢/ ٧٧٢ « * من بغيه والرفق حين أكنعا * لم يعرف الأصمعى معنى قوله : كأنه حامل جنب أخذعا ، ولا الاخذع أيضاً لم يعرفه . وقوله : أكنع ، يقول : أكنعهن فصرن قريباً منه ، يريد أدناهن ... وقال ابن الأعرابى فى هذا البيت : أى كأنه ضرب بالسيف ضربة فتعلق جنبه . وحكى : ترى الجريع منهم يمارضه جنبه أو يده ، وذلك إذا تعلقت ، والخذع : الميل ، يقول : تراه من بغيه مائلا كأنه ضرب فتملق جنبه فال » وفى اللسان ٩/ ٤١٩ المخذع : المقطع بالسيوف ، وقول رؤبة ... معناه أنه خذع لحم جنبه فتدلى عنه » .

فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره لَلَزِمَنَا للطَّاعِن مقالٌ ، وتعلَّق علينا بِعِلَّةٍ .

وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يعرف المتشابه ؟ ! .

وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾[1] جَازَ أن يعرفه الرَّبَّانيون من صحابته ؛ فقد علَّمَ « عليًّا » التفسير .

ودعا « لابن عباس » فقال :

« اللهم علِّمْهُ التأْوِيل ، وفقِّهْهُ فى الدين »[2] .

وروَى عبدُ الرزَّاق ، عن إسرائيل[3] ، عن سِمَاكِ بن حرْب[4] ، عن عِكْرِمَة ، عن « ابن عباس » أنه قال :

كلُّ القرآن أعلمُ إلا أربعاً : غِسْلِين ، وحَنَانًا ، والأَوَّاه ، والرَّقِيم[5] .

وكان هذا من قول « ابن عباس » فى وقت ، ثُمَّ عَلِمَ ذلك بَعْدُ .

---

(١) سورة آل عمران ٧ .

(٢) فى الإصابة ٤ / ٩١ « وفى معجم البغوى من طريق داود بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر : أنه كان يقرب ابن عباس ويقول : إنى رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دعاك فمسح رأسك وتفل فى فيك وقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ثم رواه من عدة طرق . وكذلك صنع فى فتح البارى ١ / ١٥٥ والحديث فى البخارى « اللهم علمه الكتاب » وفى مسلم ٤ / ١٩٢٧ « اللهم فقهه » وفى طبقات ابن سعد ٢/٣٦٥ « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » مع الرواية التى ذكرها المؤلف .

وفى اللسان ١٧ / ٤١٨ « اللهم علمه الدين وفقهه فى التأويل » أى فهمه تأويله ومعناه .

(٣) هو إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى ، أبو يوسف ؛ الكوفى ، محدث ثقة ولد سنة مائة . ومات سنة اثنتين وستين ومائة ، وترجمته فى التاريخ الكبير ١/٢/٥٦-٥٧ وتهذيب التهذيب ١/٢٦٩ .

(٤) من كبار تابعى أهل الكوفة . وأحاديثه حسان ، وهو صدوق لابأس به . مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وترجمته فى تهذيب التهذيب ٤/٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٥) أخرجه السيوطى فى الاتقان ١/٩٦ عن الفريابى .

● حدثنى محمد بن عبد العزيز ، عن موسى بن مسعود ، عن شِبْل ، عن ابن أبى نُجَيح ، عن « مُجاهد » قال : تعلمونه وتقولون : آمنا به .

ولو لم يكن للراسخين فى العلم حظ فى المتشابه إلا أن يقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ـ لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين ، بل على جهلة / [٤٨]

٥ المسلمين ؛ لأنهم جميعاً يقولون : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ .

* * *

وبعد :

فإنا لم نر المفسرين توقفوا عن شىء من القرآن فقالوا : هذا متشابه لا يعلمه إلا الله ، بل أَمَرُّوهُ كلَّه على التفسير ، حتى فسروا «الحروف المُقَطَّعة» فى أوائل السّوَر ، مثل : آلر ، وحم ، وطه ، وأشباه ذلك . وسترى ذلك

١٠ فى الحروف المشكلة ، إن شاء الله .

* * *

فإن قال قائل : كيف يجوز فى اللغة أن يعلمه الراسخون فى العلم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، وأنت إذا أشركت الراسخين فى العلم انقطعو عن « يقولون » ، وليست ها هنا وَاوُ نَسَقٍ تُوجِبُ للراسخين فِعْلَين . وهذا مذهب كثير من

١٥ النحويين فى هذه الآية ، ومن جهته غَلِطَ قومٌ من المتأوِّلين ؟ .

قلنا له : إن « يقولون » ها هنا فى معنى الحال ، كأنه قال : الرّاسخون فى العلم قائلين : آمنا به . ومثله فى الكلام : لا يأتيك إلا عبدُ الله ، وزيدٌ

يقول : أنا مَسرُورٌ بزيارتك . يريد : لا يأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا : أنا مسرور بزيارتك .

ومثله « لابن مُفَرِّغٍ[1] الحِمْيَرِىّ » يرثى رجلا[2] فى قصيدة أولها :

أَصَرَمْتَ حبلَكَ مِنْ أُمامَهْ   من بَعــدِ أَيّامٍ برامَهْ :

والرِّيحُ تَبْـكِى شَجْوَهَا   والبَرْقُ يَلْمَعُ فى غَمامَهْ[3]   ٥

أراد : والبرقُ لامعاً فى غمامةٍ تبـكى شجْوَه أيضاً ، ولو لم يكن البرق يَشْرَكُ الرِّيح فى البـكاء ، لم يكن لذكره البرقَ ولمعَه معنى .

* * *

● وأصل « التّشَابُهِ » : أن يُشْبِهَ اللفظُ اللفظَ فى الظاهر ، والمعنيان مختلفان . قال الله جل وعز فى وصف ثمر الجنة : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾[4] ، أى متّفِقَ المناظر ، مُختلِفَ الطُّعُوم . وقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[5] ،   ١٠
أى يُشْبه بعضُها بعضاً فى الـكفر والقسْوة .

ومنه يقال : اشتبه علىَّ الأمرُ ، إذا أشبه غيرَهُ فلم تَـكَد تَفرُقُ بينهما ،

---

(١) راجع ترجمة يزيد بن مفرغ فى الشعر والشعراء ١ / ٣١٩ ـ ٣٢٤ ، والأغانى ١٧/ ٥٥ ـ ٧٣ ، وطبقات الشعراء ص ٥٥٤ ـ ٥٥٧ .

(٢) القصيدة ليست فى الرثاء ، بل هى فى هجاء عباد بن زياد .

(٣) فى طبقات الشعراء « فى الغمامة » ، وفى الأغانى « المضامة » ، وفى أمالى الزجاجى ص ٧٢ « عن المبرد أنه سأل الرياشى عن معنى هذا البيت فقال : هو عندى كقولهم : ويل للخلى من الشجى ، يعنى أن البرق يضحك ، والريح تبـكى ، فضربه مثلا لنفسه ، قال : وغير الرياشى يذهب إلى أن الريح تبـكى شجوها ، والبرق أيضاً يبـكى ، وجعل يلمع حالا . والتقدير : الريح تبـكى شجوها والبرق لامعاً فى الغمامة » .

(٤) سورة البقرة ٢٥ .

(٥) سورة البقرة ١١٨ .

وشَبَّهْتَ علىَّ : إذا لَبَّسْتَ الحقَّ بالباطل ، ومنه قيل لأصحاب المخاريق : أصحابُ الشُّبَه ، لأنهم يُشَبِّهُونَ الباطل بالحق .

[٤٩] ثم قد يقال لكلِّ ما غَمُضَ وَدَقَّ : مُتَشَابِهٌ ، وإن لم تقع / الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المُقَطَّعَةِ فى أوائل السُّوَر : متشابه ، وليس الشك فيها ، والوقوف عندها لِمُشَاكَلَتِهَا غيرَها ، والتباسِها بها.

● ومثل المتشابه « المُشْكِلُ » . وسمى مشكلا : لأنه أَشْكَل ، أى دخل فى شكلِ غيره فأشْبَهَهُ وشاكله[1]

ثم قد يقال لما غَمُضَ ـ وإن لم يكن غموضُه من هذه الجهة ـ : مُشْكِلٌ.

* * *

وقد بيّنتُ ما غَمُضَ من معناه لالتباسه بغيره ، واستِتَارِ المعانى المختلفة تحتَ لفظه ، وتفسير « المشكل » الذى ادُّعِيَ على القرآن فسادُ النّظم فيه .

وقدّمت قبل ذلك « أبواب المجاز » : إذْ كان أكثَرُ غَلَطِ المتأوِّلين من جهته .

وأرجو أن يكون فى ذلك ما شفى مرضَ القلوب ، وهدى من الحَيْرة ، إن شاء الله .

---

(١) فى اللسان ١٣ / ٣٨١ « وحرف مشكل : مشتبه ملتبس » .

باب القول في المجاز

وأما « المجاز » فمن جهته غلِطَ كثير من الناس فى التأويل ، وتشعَّبت بهم الطرق ، واختلفت النِّحل : فالنصارى تذهب فى قول المسيح عليه السلام فى « الإنجيل » : « أدعو أبى ، وأذهب إلى أبى » وأشباه هذا ، إلى أُبُوّة الولادة .

ولو كان المسيح قال هذا فى نفسه خاصةً دون غيره ، ما جاز لهم أن يتأوّلوه هذا التأويل فى الله ـ تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ مع سعة المجاز ، فكيف وهو يقوله فى كثير من المواضع لغيره ؟ كقوله حين فتح فَاهُ بالوحى : « إذا تصدَّقْتَ فلا تُعلِم شِمالَك بما فعلت يمينُك ، فإنّ أباك الذى يرَى الخفِيّات يَجزيك به علانيةً ، وإذا صلّيتم فقولوا : يا أبانا الذى فى السماء لِيتَقَدَّسَ اسمُك ، وإذا صُمْتَ فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غيرُ أبيك » .

وقد قرأوا فى « الزَّبُور » أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام : « سيولد لك غلام يُسَمَّى لى ابناً وأُسَمَّى له أباً » .

وفى « التّوراة » أنه قال ليعقوب عليه السلام : « أنت بِكْرِى » .

وتأويل هذا / أنه فى رحمته وبرّه وعطفه على عباده الصالحين ، كالأَب الرحيم لولده . [٥٠]

وكذلك قال المسيح للماء : « هذا أبى » ، وللخبز : « هذا أمى » ؛ لأنّ

قِوَامَ الأبْدَان بهما ، وبقاءَ الروح عليهما ، فهما كالأبوين اللَّذين منهما النَّشْأَةُ ، وبَحضَانتهما النَّماء .

وكانت العرب تُسمِّى الأرض أُمًّا ؛ لأنها مُبْتَدَأُ الخلق ، وإليها مرجعهُم ، ومنها أقواتُهم ، وفيها كِفايتُهم .

٥ وقال « أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت » :

والأرضُ مَعْقِلُنَا وكانت أُمَّنا   فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ[(١)]

و « قال » يذكرها :

منها خُلِقْنا وكانت أُمَّنا خُلِقَتْ   ونحنُ أبناؤُها لو أننا شُكُرُ[(٢)]

هِيَ القَرَارُ فما نَبْغِى بها بَدَلًا   ما أرْحَمَ الأرْضَ إلا أنَّنا كُفُرُ

١٠ وقال الله تعالى فى الكافر : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[(٣)] لَمَّا كانت الأمُّ كافِلَةَ الولد وغَاذِيَتَه ، ومَأْوَاه ومُرَبِّيَته ، وكانت النار للكافر كذلك ـ جعلها أُمَّه .

وقال فى أزواج النبى ، صلى الله عليه : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[(٤)] ، أى : كأمهاتهم فى الحُرُمات .

وفى « التوراة » : « إنّ الله بَرَّكَ اليومَ السابع وَطَهَّره ، من أجل أنه ١٥ استراح فيه من خَلِيقَتِه التى خلَق » .

وأصل الاستراحة : أن تكون فى مُعَانَاة شىء يُنْصِبُك ويُتعِبُك ، فتستريحَ .

---

(١) ديوانه ص ٢٣ ، والحيوان ٥/٤٣٧ ، والقرطبى ١/١١٢ .

(٢) ديوانه ص ٣٢ .

(٣) سورة القارعة ٩ . وتفسير غريب القرآن ٥٣٧ .

(٤) سورة الأحزاب ٦ .

ثم يَنْتَقِلُ ذلك فتصير الاستراحة بمعنى : الفراغ . تقول فى الكلام : استرَحْنا من حاجتك وأَمَرْنا بها . تريد فَرَغْنا ، والفراغُ ، أيضاً يكون من الناس بعد شُغل .

ثم قد ينتقل ذلك فيصير فى معنى القَصْد للشيء ، تقول : لئن فرغتُ لك ، أى قصَدْتُ قصْدَك .

وقال الله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾[1] . والله تبارك وتعالى لا يشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ . ومَجَازُهُ : سنقصد لكم بعد طول التَّرْك والإمْهال .

وقال « قتادة » : قد دَنا من الله فراغ خَلْقِهِ . يريد : أن الساعة قد أَزِفَت وجاء أَشْرَاطُهَا .

* * *

● وتأوّل قوم فى قوله تعالى: ﴿فى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[2] معنى «التناسخ» . ولم يُرِد الله فى هذا/ الخطاب إنساناً بعينه ، وإنما خاطب به [٥١] جميع الناس كما قال : ﴿يَأَيُّهَا الإنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً﴾[3] . كما يقول القائل : يا أيها الرجل ، وكُلُّكُمْ ذلك الرجل .

فأراد أنه صَوَّرَهم وعَدَّلهم ، فى أىّ صورة شاء ركّبهم : من حُسنٍ وقُبحٍ ، وبياضٍ وسواد ، وأُدْمَةٍ وحُمْرَة .

---

(١) سورة الرحمن ٣١ .

(٢) سورة الانفطار ٨ .

(٣) سورة الانشقاق ٦ . وتفسير غريب القرآن ٥٢١ .

ونحوه قوله : ﴿ ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ واخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ والْوَانِكُمْ ﴾[١] .

* * *

• وذهب « قوم » فى قول الله وكلامه : إلى أنه ليس قولا ولا كلاما على الحقيقة ، وإنما هو إيجاد للمعانى . وصرفوه فى كثير من القرآن إلى « المجاز » ، كقول القائل : قال الحائط فمال ، وَقُلْ برأسك إلىَّ ، يريد بذلك المَيل خاصة ، والقولُ فضْل .

• وقال « بعضهم » فى قوله للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ : هو « إلهام » منه للملائكة ، كقوله : ﴿ وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ ﴾[٢] أى ألهمها. وكقوله : ﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يَشَاءُ ﴾[٣] وذهبوا فى « الوحى » ههنا : إلى الإلهام .

* * *

• وقالوا فى قوله للسماء والأرض : ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٤] : لم يقل الله ولم يقولا ، وكيف يخاطب معدوما ؟ وإنما هذا عبارة : لكَوَّنّاهما فكانتا .

قال « الشاعر » حكايةً عن ناقته :

---

(١) سورة الروم ٢٢ .
(٢) سورة النحل ٦٨ .
(٣) سورة الشورى ٥١ .
(٤) سورة فصلت ١١ .

تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي : أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي ؟[١]

أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌّ وَارْتِحَالٌ ؟ أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ وَلَا يَقِينِي ؟

وهى لم تقل شيئاً من هذا ، ولكنه رآها فى حال من الجَهْد والكَلَالِ ، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل الذى ذكر .

وكقول « الآخر » :

* شَكَا إلىّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى[٢] *

والجمل لم يَشْكُ ، ولكنه خَبَّرَ عن كثرة أسفاره ، وإتعابه جملَهُ ، وقضَى على الجمل بأنه لو كان متكلما لاشتكى ما به .

وكقول « عنترة » فى فرسه :

فازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إلىَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[٣] / [٥٢]

لما كان الذى أصابه يُشتكى مثله ويُسْتَعْبَرُ منه ، جعلَه مُشْتَكِياً مُسْتَعْبِراً ، وليس هناك شكوى ولا عَبرة .

* * *

(١) هما للمثقب العبدى من قصيدة فى المفضليات ص ٢٩٢ وأمالى اليزيدى ص ١١٤ ، وهما له فى الكامل ١/١٩٣ والصناعتين ص ٨٦ والأول فى اللسان ١/٦٩ ، ١٧/٣٤٢ ومقاييس اللغة ٢/٢٧٣ ونظام الغريب ص ١٥٣ وتفسير الطبرى ١/٤٠٦ وتأويل مختلف الحديث ص٨٢ وفى اللسان ١٧/٣٤٢ « الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر » . وفيه ١/٦٨ : « ودرأت وضين البعير : إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به ... » .

(٢) بعده فى أمالى المرتضى ١/٧٢ :

« يا جملى ليس إلى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى

معناه فليكن منك صبر جميل » وبعده فى اللسان ١٩ / ١٧١ « صبرا جميلى فكلانا مبتلى » وهو فى مجاز القرآن ١/٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(٣) البيت من معلقته فى شرح الزوزنى ٢٧٧ وشرح ابن الأنبارى ٣٦٠ .

● قالوا : ونحو هذا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾[1] وليس يومئذ قول منه لجهنم ، ولاقول من جهنم، وإنما هى عبارة عن سعتها .

● وفى قوله : ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ يريد : أن مصير من

٥ أدبر وتولى إليها ، فكأنها الداعية لهم ؛ كما قال « ذو الرُّمة » :

دَعَتْ مَيَّةَ الأَعْدَادُ وَاسْتَبْدَلَتْ بِهَا
خَنَاطِيلَ آجَالٍ من العِيْنِ خُذَّلِ[3]

والأعداد : المياه ، لما انتقلت مَيَّةُ إليها ورغبت عن مائها ، كانت كأنها دعتها .

١٠ وكقول « الآخر » :

ولقد هَبَطْتُ الوادِيَيْنِ وَوَادِياً
يدعُو الأنيسَ بِهِ الغَضِيضُ الأبْكَمُ[4]

والغضيض الأبكم : الذباب ، يريد : أنه يَطِنّ فيدُل بطنينه على النبات والماء ، فكأنه دعاء منه .

١٥ وقال « أبو النجم » يذكر نبتاً :

---

(١) سورة ق ٣٠ .

(٢) سورة المعارج ١٧ .

(٣) فى اللسان ٤ / ٢٧٦ « قال ذو الرمة يذكر امرأة حضرت ماء عدا بعد ما نشت مياه الغدران فى القيظ . واستبدلت بها : يعنى منازلها التى ظعنت عنها حاضرة أعداد المياه ، فخالفتها إليها الوحوش وأقامت فى منازلها ، وهذه استعارة » والبيت فى ديوانه ص ٥٠٣ .

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ٤ / ٢٧٦ ، والمعانى الكبير للمؤلف ص ٦٠٣ .

مُسْتَأْسِدًا . ذِبَّانُهُ فى غَيْطَلٍ يَقُلْنَ للرَّائِدِ : أَعْشَبْتَ انْزِلِ (١)

ولم يقل الذباب شيئاً من هذا ، ولكنه دل على نفسه بطنينه ، ودل مكانه على المرعى ؛ لأنه لا يجتمع إلا فى عشب ، فكأنه قال للرائد : هذا عشب فأنزل .

وقال « آخر » يصف ذئباً :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ (٢)

يريد : أنه يتشمم ثم يَتَّبع الرائحة بخَطْمٍ (٣) كأنه الفأس التى يُكسر بها الصخر ، فجعل تشممه استخباراً .

* * *

● قال أبو محمد :

وقد تبين لمن قد عرف اللغة ، أن القول يقع فيه المجاز ، فيقال : قال الحائط فمال ، وقُلْ برأسك إلىّ ، أى أَمِلْهُ ، وقالت الناقة ، وقال البعير .

ولا يقال فى مثل هذا المعنى : تكلم ، ولا يُعْقَلُ الكلام إلا بالنطق بعينه ، خلا موضع واحد وهو أن تتبين فى شىء من الموات عبرة وموعظة فتقول خَبَّر وتكلم وذكّر ؛ لأنه دلّك معنى فيه ، فكأنه كلمك ، وقال « الشاعر » :

---

(١) فى اللسان ٤/٣٨ : « استأسد النبت : طال وعظم ، .. وأنشد الأصمعى لأبى النجم : مستأسد أذنابه فى غيطل يقول . . . الخ » والغيطل — كما فى اللسان ١٤/٩ — « الشجر الكثير الملتف ، وكذلك العشب » والبيت فى الحيوان ٣/٣١٤ . والطرائف الأدبية ص ٥٨ .

(٢) البيت فى اللسان ٧/٥ ، ١٠/١٣٦ وروايته فيهما : يستمخر الريح . ورواه ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير ١/١٨٣ كما رواه هنا ، وقال فى شرحه : « أى يستروح إذا لم يسمع صوتا بخرطوم مثل مقراع الصفا ، وهو الفأس التى يكسر بها الصخر ، وجعل تشممه استخبارا » .

(٣) فى اللسان ١٥/٧٦ « الخطم من كل دابة مقدم أنفها وفمها نحو الكلب والبعير » .

[٥٣] وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ / وَنَعَتْكَ أَلْسِنَةٌ خُفُتْ[١]

وتكلّمتْ عن أَوْجُهٍ تَبْلَى وعن صُوَرٍ سُبُتْ[٢]

وأرتْكَ قَبْرَكَ فى القُبُو رِ وأنتَ حَيٌّ لم تَمُتْ

وقال « الكُمَيْت » يمدح رجلا :

٥ أَخْبَرَتْ عن فَعَالِهِ الأرضُ واسْتَنْ طَقَ مِنها اليَبَابَ والمَعْمُورَا[٣]

أراد أنه حفر فيها الأنهار ، وغرس الأشجار ، وأثّر الآثار ، فلما تبيَّنت للناظر صارت كأنها مُخْبِرَةٌ .

وقال « عَوْفُ بن الخِرِع » يذكر الدار :

وقَفْتُ بها ما تُبِينُ الكلامَ لسائِلِها القولَ إلا سِرَارا[٤]

١٠ يقول : ليست تُبِينُ الكلام لمخاطبها ، إلا أنّ ظاهر ما يَرى دليل على الحال ، فكأنه سِرارٌ من القول ، ولهذا قالت الحكماء : كل صامت ناطق . يريدون أنّ أثر الصنعة فيه يدل على مُحْدِثه ومدبّره .

ومن هذا قول الله عز وجل : ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَاناً فهو يَتَكَلَّمُ بما كانُوا به يُشْرِكُون﴾[٥] أى أنزلنا عليهم برهاناً يستدلون به ، فهو يدلهم .

---

(١) ذكر ابن قتيبة هذه الأبيات فى عيون الأخبار ٢ / ٣٠٦ ونسبها لأبى العتاهية ، وهى فى ديوانه ص ٥٢ .

(٢) فى الديوان : شتت » .

(٣) أساس البلاغة ٢ / ٥٥٨ « قال الكميت فى خالد بن عبد الله القسرى ، وكان حفارا غراسا » .. وقد ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١ / ٥٥٤ للكميت وقال فى شرحه : « أى أثر فيها آثارا حسنة ، بنى المساجد وحفر الآبار والأنهار ، واليباب : الخراب ، أى بنى فيه فسكن » .

(٤) البيت من قصيدة له فى المفضليات ص ٤١٣ وروايته فيها :

وقفت بها أصلا ما تبين لسائلها القول إلا سرارا

(٥) سورة الروم ٣٥ .

وتبيَّن له أيضاً أنّ أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تُؤكّد بالتكرار ، فتقول : أراد الحائط أن يسقط ، ولا تقول : أراد الحائط أن يسقط إرادةً شديدة ، وقالت الشجرة فمالت ، ولا تقول : قالت الشجرة فمالت قولاً شديدا . والله تعالى يقول : ﴿ وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً ﴾[١] فوكّد بالمصدر معنى الكلام ، ونَفَى عنه المجاز .

وقال : ﴿ إنَّما قَوْلُنَا لِشَيءٍ إذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ له كُنْ فَيَكُون ﴾[٢] فوكّد القول بالتكرار ، ووكّد المعنى بإنما .

* * *

● وأما قول من قال منهم : إن قوله للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾[٣] إلهام[٤] ، ﴿ وما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْياً أوْ مِنْ وَراءِ حِجَاب ﴾[٥] أي إلهاما ـ فما نُنْكِرُ أنّ القول قد يسمى وحياً ، والإيماءَ وَحياً ، والرمزَ بالشفتين والحاجبين وَحْيَاً ، والإلهامَ وحياً . وكل شيء دلَلْتَ به فقد أوحيتَ به ، غير أنّ إلهامَ النَّحْل تَسْخِيرُها لاتخاذ البيوت ، وسلوك السُّبُل والأكلِ من كل الثمرات .

وقال « العَجَّاجُ » وذَكَرَ الأرضَ :

* وحَى لها القَرارَ فاسْتَقَرّتِ[٦] *

(١) سورة النساء ١٦٤ .
(٢) سورة النحل ٤٠ .
(٣) سورة البقرة ٣٠ والأعراف ١١ والإسراء ٦١ والكهف ٥٠ وطه ١١٦ .
(٤) راجع ص ٧٨ .
(٥) سورة الشورى ٥١ .
(٦) بعده في اللسان ٢٠/٢٥٧ « وشدها بالراسيات الثبت . وقيل : أراد أوحي ، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف ، ويروى : أوحى . قال ابن برى : ووحى في البيت بمعنى كتب » وهو في مقاييس اللغة ٦/٩٣ وديوانه ص ٥ .

أى : سخّرها لأن تستقر ، فاستقرت :

* * *

● وأما قوله : ﴿ وما كَانَ لِبشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أوْ مِنْ وَراءِ حِجَابٍ / أو يُرْسلَ رسولاً فيُوحِى بإذْنِهِ ما يَشَاءُ ﴾[١] فالوحى الأول: [٥٤]

ما أراه الله تعالى الأنبياءَ فى منامهم . ٥

والكلام من وراء الحجاب : تكليمُه موسى .

والكلام بالرسالة : إرْسَالُهُ الرّوحَ الأمينَ بالرُّوح من أمره إلى من يشاء من عباده .

ولا يقال لمن ألهمه الله : كلّمَهُ الله ؛ لما أعْلَمْتُكَ من الفرق بين «الكلام» « والقول » . ١٠

ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس ، وطُولُ مراجعتِه إياه فى السّجود ، والخروج من الجنة ، والنَّظِرَةُ إلى يوم البعث — إلْهاماً . هذا مالا يُعقَل . وإن كان ذلك تسخيراً فكيف يُسخّرُ لشىء يَمْتَنِعُ منه ؟ .

* * *

● وأما تأولهم فى قوله جل وعزّ للسّماء والأرض : ﴿ائتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قَالتَا : أتَيْنَا طائِعِينَ ﴾[٢] : إنه عبارة عن تكوينه لهما . وقوله لجهنم : ﴿هل امْتَلأْتِ وَتَقولُ : هَل مِنْ مَزِيدٍ﴾[٣] إنّه إخبارٌ عن سَعَتِها ـ فما يُحوِجُ إلى التّعَسُّف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة ؟ وما ينفع من وجود ذلك فى الآية والآيتين والمعنى والمعنيين ـــ وسائرُ ما جاء فى كتاب الله ١٥

(١) سورة الشورى ٥١ .
(٢) سورة فصلت ١١ .
(٣) سورة ق ٣٠ .

عزّ وجلّ من هذا الجنس ، وفى حديث رسول الله صلى عليه — مُمْتَنِعٌ عن مثل هذه التأويلات ؟

وما فى نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب ؟ والله تبارك وتعالى يُنْطِق الجلودَ ، والأيدىَ ، والأرجل ، ويُسَخِّرُ الجبال والطير ، بالتَّسبيح . فقال : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإِشْرَاقِ ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾[(١)] وقال : ﴿ ياجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ والطَّيْرَ ﴾[(٢)] أى سَبِّحْنَ معه . وقال: ﴿ وإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّه كان حليماً غفوراً ﴾[(٣)] .

وقال فى جهنم : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ ﴾[(٤)] أى تتقطع غيظاً عليهم كما تقول : فلان يكاد يَنقَدُّ غيظاً عليك ، أى ينشق .

وقال : ﴿ إِذا رَأَتْهُمْ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾[(٥)] .

وروِى فى « الحديث » أنها تقول : « قَط قَطْ » أى[(٦)] حسبى .

---

(١) سورة ص ١٩ .

(٢) سورة سبأ ١٠ .

(٣) سورة الإسراء ٤٤ .

(٤) سورة الملك ٨ .

(٥) سورة الفرقان ١٢ ، وتفسير غريب القرآن ٣١٠ .

(٦) أخرج البخارى فى كتاب الأيمان والنذور : باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ١١/٥٧٥ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول : قط قط وعزتك ، ويزوى بعضها إلى بعض » .

وأخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/٢١٨٧ .

والبيهقى فى الأسماء والصفات ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

وابن خزيمة فى كتاب التوحيد ٦٤ ـ ٦٦ .

وهذا « سليمان » عليه السلام يفهم منطق الطَّير وقول النَّملِ ؛ والنمل من الحُكْلِ ، والحُكْل مالا يُسمَعُ له صوت . قال « رؤبة » :

لو كُنتُ قد أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ   عِلْمَ سليمانَ كلامَ النَّملِ[1]

[٥٥] وقال « العُمَانيّ »[2] يمدحُ رجلا / :

٥ ويفهَمُ قَولَ الحُكْلِ لو أنَّ ذَرَّةً   تُساوِدُ أُخْرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُها[3]

والسِّوَاد : السِّرَار ، جعل قولها سِرَاراً ؛ لأنها لا تُصوِّت .

وهذا « رسول الله » صلى الله عليه وسلم ، تُخْبِرُهُ الذِّرَاعُ المسْمُومَةُ[4]

وفى اللسان ٩/٢٥٦ « وفى الحديث فى ذكر النار : أن النار تقول لربها : إنك وعدتنى ملئى ، فيضع فيها قدمه ، فتقول : قط قط ، بمعنى حسب » .

(١) البيت له ، كما فى ديوانه ص ١٢٨ واللسان ١٤ / ٤٣ والحيوان ٤/٨ ، ٢٣ والبيان والتبيين ١ / ٤٠ والجمهرة ٢ / ٨٤ ، وهو غير منسوب فى مقاييس اللغة ٢/٩١ ونسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢ / ٦٣٦ وعلق عليه بقوله : « الحكل من الحيوان ما لم يكن له صوت فى شىء من أحواله ، وكذلك النمل . والحكلة فى الإنسان : ثقل فى لسانه من العجمة ، فإذا كان خلقة قيل : حبسة » .

(٢) فى أساس البلاغة ١ / ١٩٠ « العثمانى » وهو خطأ ، واسم العمانى : محمد بن ذؤيب الفقيمى ، راجع ترجمته فى الأغانى ١٧/٧٣ — ٧٨ والشعر والشعراء ٢/٧٣١ — ٧٣٣ .

(٣) البيت للعمانى فى مدح عبد الملك بن صالح ، كما فى البيان والتبيين ١/٤٠ والحيوان ٤/٢٣ ونسبه له المؤلف فى المعانى الكبير ٢ / ٦٣٦ وقال فى شرحه : « السواد : السرار ، يقول : الذر الذى لا يسمع لمناجاته صوت ولا عليه دليل — لو كان بينه سرار ، لفهمه » .

(٤) أخرج أبو داود فى كتاب الديات : باب فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيقاد منه ؟ ٤/٢٤٣ من حديث جابر بن عبدالله : أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله الذراع فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم » وأرسل الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت : نعم ، قال : فما أردت إلى ذلك ؟ » قالت : قلت : « إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه ، فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعاقبها .

وهو عند الدارمى فى مقدمة السنن ١ / ٣٣ .

ويخبرُه البعير أنَّ أهله يُجيعُونَه ويُدْئبُونَه[١] .

فى أشباهٍ لهذا كثيرة .·.

* * *

وأنكروا مع هذا « السِّحرَ » إلا من جهة الحيلة .

٥ وقالوا : منه رُقَاةُ التَّمِيمة يُفرِّقُ بها بين المرء وزوجِه ، والكذبُ تصرف به القلوبُ عن المحبة إلى البِغْضَة ، وعن البِغْضَة إلى المحبة .

وقالوا : منه السُّمُومُ يُسحَر بها فتقطعُ عن النساء ، وتَحُتُّ الشَّعرَ وتغيِّر الخَلْق .

والله تعالى يقول : ﴿ ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فى العُقَدِ ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ[٢] ﴾ فأعلمنا أنهن يَنفُثْنَ — والنَّفْثُ كالتَّفل — كما ينفث الرَّاقى فى عُقَدٍ يعقدها . ١٠

قال « الشاعر » :

يُعَقِّدُ سِحْرَ البابليِّين طَرْفُهَا ... مِرَاراً ، ويَسْقِينا سُلاَفًا مِنَ الخَمْرِ[٣]

(١) أخرج أبو داود فى كتاب الجهاد : باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ٣/٣٣ من حديث عبد الله بن جعفر ، قال : أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم ، فأسر إلى حديثا لا أحدث به أحدا من الناس ، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى عليه وسلم لحاجته هدفا أو حائش نخل ، قال : فدخل حائطا لرجل من الأنصار ، فإذا جمل فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، حن وذرفت عيناه ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسح ذفراه فسكت ، فقال : « من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ » فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لى يا رسول الله . فقال : « أفلا تتق الله فى هذه البهيمة التى مللكك الله إياها ؟ فإنه شكى إلى أنك تجيعه وتدئبه » .

وهو عند أحمد فى المسند ١/٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وعند السيوطى فى الخصائص الكبرى ٢/٢٥٦

(٢) سورة الفلق ٤ — ٥ . وتفسير غريب القرآن ٥٤٣ .

(٣) البيت غير منسوب فى مقاييس اللغة ٤/٨٩ ونسبه الزمخشرى فى أساس البلاغة ٢/١٣١ لذى الرمة وهو غير موجود فى ديوانه .

فأراد أن طرفَها يذهب بِعُقولنا كما يذهب السِّحرُ والراح بالعقل .

وقد سُحِر رسول الله ، صلى الله عليه ، وجعل سحره فى بئر ذِى أرْوَان[١] ، واستخرجه « علىّ » منها ، وجعل يحلُّه عُقْدَةً عُقدة ، فكلما حل عقدة وجد النبى ، صلى الله عليه ، راحة وخِفًّا ، فلما فرغ من حَلِّه قام النبى ، ٥ صلى الله عليه ، كأنما أُنْشِطَ من عِقَال[٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يقُولا : إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُر ؛ فَيَتَعَلَّمُونَ منهما ما يُفَرِّقُون به بينَ المرء وزوجه ﴾[٣] .

أفتَراهُما كانا يُعلِّمَان التَّمائِم ، والكذبَ وسَقْىَ السُّموم ؟ !

١٠ * * *

● وبمثل هذا النظر أنكروا عذابَ القبر ، ومُساءَلَةَ الملَكين ، وحياةَ الشهداء عند ربهم يرزقون ؛ وأنكروا إصابةَ العينَ ونفعَ الرُّقَى والعُوَذِ ، وَعَزِيفَ الجِنَّانِ ، وَتَخَبُّطَ الشيطان ، وتَغَوُّلَ الغِيلان .

فلما رأوا تواطُؤَ العرب على ذلك ، وإكثارَ الشعراء فيه ، كقول ١٥ « ذى الرُّمة » :

---

(١) ويقال لها : « ذروان » راجع معجم ما استعجم ١/١٤٢ ، ٢/٦١٢ ، ومعجم البلدان ١/٢٠٧ ، ٢/٤ ، ٤/١٩٣ والروض الأنف ٢ / ٢٤ ومشارق الأنوار ١/١١٧ ، ٢٧٥ وشرح مسلم للنووى ١٤/١٧٧ وفتح البارى ١٠/١٧٩ .
وكان سحره عليه السلام فى المحرم من سنة سبع ، بعد عودته من الحديبية ، راجع طبقات ابن سعد ٢/١٩٧ (بيروت) وفتح البارى ١٠/١٧٦ وشرح الشفا للخفاجى ٤/٢٧٧ .
(٢) راجع تفصيل ذلك فى أسباب نزول القرآن ٥١٣ ـ ٥١٦ .
(٣) سورة البقرة ١٠٢ . وتفسير غريب القرآن ٥٩ .

إذا حَثَّهنَّ الرَّكْبُ فى مُدْلَهِمَّةٍ أحاديثُهَا مِثْلُ اصطِخَابِ الضَّرائِرِ [(١)]

وكقول « زهير » :

تَسْمَعُ لِلجنِّ عازِفِينَ بها تَضْبَحُ عن رَهْبَةٍ ثَعَالِبُهَا [(٢)] / [٥٦]

فى أشباه لهذا كثيرة — طلبوا الحيلة فقالوا [(٣)] : عِلَّةُ ما يسمعون من هذا

---

(١) فى اللسان ١٥ / ٩٦ « وفلاة مدلهمة : لا أعلام فيها . أحاديثها : أحاديث ما بها من جن ، والبيت فى ديوانه ص ٢٩٦ وبعده فيه :

تياسرن عن حذو الفراقد فى السرى ويامن شيئا عن يمين المغاور

وهو فى الحيوان ٦ / ٢٤٨ وقد نقل الجاحظ تعليق أبى إسحاق النظام عليه فقال : « قال أبو إسحاق : يكون فى النهار ساعات ترى الشخص الصغير فى تلك المهامه عظيما ، ويوجد الصوت الخافض رفيعا ، ويسمع الصوت الذى ليس بالرفيع مع انبساط الشمس غدوة ، من المكان البعيد ؛ ويوجد لأوساط الفيافى والقفار والرمال والحرار ، فى أنصاف النهار ، مثل الدوى ؛ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان ، عند ما يعرض له، ولذلك قال ذو الرمة :

إذا قال حادينا لتشبيه نبأة صه لم يكن إلا دوى المسامع

قالوا : وبالدوى سميت دوية وداوية ، وبه سمى الدو دوا » .

(٢) ديوانه ص ٢٦٥ ومعنى تضبح : تصيح .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان ٦/٢٤٨ : « وكان أبو إسحاق [النظام] يقول فى الذى تذكر الأعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان : أصل هذا الأمر وابتداؤه ، أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه فى البلاد والخلاء والبعد من الأنس — استوحش ، ولا سيما مع قلة الأشغال والمذاكرين . والوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمنى أو بالتفكير . والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة ، وقد ابتلى بذلك غير حاسب . . . وإذا استوحش الإنسان تمثل له الشىء الصغير فى صورة الكبير ، وارتاب ، وتفرق ذهنه ، وانتقضت أخلاطه ، فرأى ما لا يرى ، وسمع ما لا يسمع ، وتوهم على الشىء اليسير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه ، وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك إيمانا ، ونشأ عليه الناشىء ، وربى به الطفل ، فصار أحدهم حين يتوسط الفيافى ، وتشتمل عليه الغيطان فى الليالى الحنادس — فعند أول وحشة وفزعة ، وعند كل صياح بوم ومجاوبة صدى ، وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور ، وربما كان فى أصل الخلق والطبيعة كذابا نفاجا ، وصاحب تشنيع وتهويل ، فيقول فى ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول : رأيت الغيلان ! وكلمت السعلاة ! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول : قتلتها ! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول : رافقتها ! ثم يتجاوز إلى أن يقول تزوجتها ! ... ومما زادهم فى هذا الباب ، وأغراهم به ، ومد لهم فيه ، إنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيا مثلهم ، وإلا عاميا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التكذيب والتصديق أو الشك ، ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت فى هذه الأجناس قط ... » .

ويرون ـ انفرادُ القوم وتوَحُّشُهم فى الفلوات والقِفَار ، ومن انفرد فكَّر وتوَهَّم واستوحش وتخيَّل ، فرأى مالا يرى ، وسمع مالا يُسمع ، كما قال « حُميدُ بن ثور » :

مُفزَّعَةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ من الخوف تَسْمَعُ مالا تَرى[١]

٥ وقالوا : ومن أحنَاشِ الأرض ، وأحنْاش الطير فى المهَامِهِ والرمال — مالا يظهر ولا يُصوِّتُ إلا بالليل كالصَّدَى والضُّوَع والبُوم[٢] واليَرَاعِ[٣] ، فإذا سمع أحدهم حَسِيسَ هامَةٍ ، أو زُقَاءَ بُومٍ ، أو رأى لَمْعَ يَرَاعَةٍ من بُعْدٍ — وَجَبَ قلبُه ، وَقَفَّ شَعْرُه ، وذهبت به الظّنون .

وقالوا : فى النهار ساعات تتغيّرفيها مناظر الأشباح ، وتتضاعف أعدادها ،

١٠ فربما رُئِى الصغير كبيراً ، والكبير صغيراً ، والواحد اثنين ، وقد يُسْمَعُ لأصوات الفَلَا والحِرارِ ، مثلُ الدّوِىّ ، ولذلك قال « ذو الرُّمّة » :

---

(١) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٧٠٢ « قال حميد بن ثور يصف ظبية ... تستحيل الشخوص ، يقول : تنظر هل يحول الشخص أى يتحول أم لا ، من الخوف على ولدها . وقوله : تسمع مالا ترى ، قال الأصمعى : يقال : إن أذن الوحشية أصدق من عينها ، وكذلك أنفها أصدق من عينها » وأنشده المبرد شاهدا على أن معنى تستحيلها : تتبين حالاتها ، وروايته : « مروعة تستحيل » وعلق عليه الأخفش بقوله : « قوله مروعة ، يقول : كل شىء يدنينى من الظفر بها يروعها وينفرها » راجع الكامل ٢/٤٣ .

(٢) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان ٢ / ٢٩٨ : « ويقال للطائر الذى يخرج من وكره بالليل : البومة ، والصدى ، والهامة ، والضوع . . . ويصيد بعضها الفأر وسام أبرص والقطا وصغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوض والفراش وما أشبه ذلك . والبوم يدخل بالليل على كل طائر فى بيته ، ويخرجه منه ويأكل فراخه وبيضه . وهذه الأسماء مشتركة » وقال فى ص٢٩٥ : « ثم الذى لا يدع الصياح فى الأسحار مع الصبح أبدا : الضوع ، والصدى ، والهامة ، والبومة ، وهذا الشكل من الطير » .

(٣) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان ٤/٤٨٨ : « ونار أخرى ، وهى شبيهة بنار البرق ، وهى نار اليراعة . واليراعة : طائر صغير ، إن طار بالنهار كان كبعض الطير ، وإن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف أو مصباح يطير » .

إذا قال حادينا لِتَشْبيه نَبْأةٍ : صَهٍ ؛ لم يكُن إلا دَوِيُّ المسامِعِ [١]

وبهذا سُمِّيت الفلاة : دَوِّيَّة ، كأن الدَّوّ حكاية ما يسمعون ، ثم نسب المكان إليه [٢] ، قال « الأعشى » :

فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تخيَّلُ بالسَّفرِ قِفَارًا إلا من الآجالِ [٣]

يريد بقوله : تخيّل بالسفر ، أنهم يرَونها مرّة على هيئة ، ومرة على هيئة ، ٥ فقال « كعب ابنُ زُهَير » :

وَصَرْمَاءَ مِذْكارٍ كأنَّ دَوِيَّهَا بُعيْدَ جنَانِ اللّيلِ مما يُخَيَّلُ [٤]

حديثُ أنَاسِيٍّ فلمَّا سَمِعْتُه إذَا لَيْسَ فيه ما أُبِينُ فأَعْقِلُ [٥]

وقال « الأخطل » يذكر فلاة رأى الصغيرَ فيها كبيراً :

---

(١) ديوانه ص ٣٦٠ « النبأة : الصوت الخفى ، وصه بمعنى اسكتوا ، لم يكن إلا أن يسمع دويا فى الآذان » والبيت فى اللسان ٤٠٦/١٧ والحيوان ٢٤٨/٦ .

(٢) عقب الجاحظ على بيت ذى الرمة بقوله : « قالوا : وبالدوى سميت دوية وداوية ، وبه سمى الدو دوا » ونقل الجوهرى كلامه هذا ، ونقده ابن برى ودلل على فساد قول الجاحظ ، راجع تفصيل ذلك فى اللسان ٣٠٤/١٨ .

(٣) ديوانه ص ٧ « الأصمعى : تغول بالسفر ، أبو عبيدة : تغول للسفر . الديمومة : الفلاة البعيدة الأطراف ، التى يدوم فيها السير . وقوله : تخيل : يرونها مرة على خلقة ، ومرة على أخرى لا تثبت أعلامها على حال. الأصمعى : تغول بالسفر : تبعدهم وتسقطهم ، من قوله : غالته غول » . والآجال : جمع إجل — بالكسر — وهو القطيع من بقر الوحش ، كما فى اللسان ١٣ / ١٠ .

(٤) ديوانه ص٥٤ وقال السكرى فى شرحه: « الصرماء : الأرض التى لا نبت فيها ولا ماء والمذكار : المخوفة التى لا يسلكها إلا الذكر من الرجال . وقال بعضهم : معنى مذكار : أنها ذات هول تذكرهم ما مر بهم فيها . والدوى : الصوت ، وإنما يريد عزيف الجن بها وتخيلهم . وجنان الليل : ظلمته وما وارك . وقال بعضهم : جنان الليل ، إلباس ظلمته ، وكل ما سترك من شىء فقد أجنك ؛ وإنما قيل للقلب ، جنان ، لأنه استتر ويستر ما فيه » .

(٥) قال السكرى فى شرحه ص ٤٦ ، « يريد ، أسمع همهمة لا تفهم وذلك من خلاء المكان . وقال غيره ، يريد كأن عزيف الجن حديث أناسى » .

تَرَى الثَّعْلَبَ الحَوْلِيَّ فيها كأنَّهُ　　إذا ما عَلا نَشْزًا حِصَانٌ مُجَلَّلُ

وقال « النابغة »

وَحلّت بُيوتِى فى يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ　　تخَالُ بِهِ رَاعِى الحَمُولَةِ طائرا(٢)

هذا رأى الكبير صغيراً لأنه فى شَرَف .

٥　وقال « ابن أحمر » أيضاً فى تضاعف الأعْداد :

وَازْدَادت الأشْبَاحُ أَخْيِلَةً وتَعَلَّلَ الحِرْباءُ بالنَّقْرِ

* * *

● وأخشى أن يكون معتقد هذا والقائل به ، يُرَقِّقُ عن صَبُوحٍ(٣) ، ويُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتِغاء(٤) .

١٠　وما على من آمن بالبعث بعد الممات : أن يؤمن بعذاب البَرْزَخ ، وقد [٥٧] خبَّر به / رسولُ الله صلى الله عليه ، وقولُه قَاضٍ على الكِتَابِ ؛ وبمُسائلة الله يوم القيامة : أن يُؤْمِنَ بِمُسَائَلة الملكين فى القبر ؟ ! .

---

(١) ديوانه ص ٧ وقبله :

إلى ابن أسيد خالد أرقلت بنا　　مسانيف تعروري فلاة تغول

(٢) ديوانه ص ٥٥ .

(٣) جاء فى اللسان ٣ / ٣٣٥ « وفى المثل : أعن صبوح ترقق . يضرب مثلا لمن يجمجم ولا يصرح ، وقد يضرب أيضاً لمن يورى عن الخطب العظيم بكناية عنه ، ولمن يوجب عليك مالا يجب بكلام يلطفه . وأصله أن رجلا من العرب نزل برجل عشاء فغبقه لبنا ، فلما روى علق يحدث أم مثواه بحديث يرققه وقال فى خلال كلامه : إذا كان غدا اصطبحنا وفعلنا كذا ، ففطن له المنزول عليه وقال : أعن صبوح ترقق ؟ » . وانظر مجمع الأمثال ١ / ٤٨١ وجمهرة الأمثال ص ٧ .

(٤) فى اللسان ١٩/٤٦ « وفى المثل : يسر حسوا فى ارتغاء ، يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره » .

وما على من آمن بإِنِيَّةِ الشيطان : أنْ يؤمن بتخبُّطِهِ ؟ ومن صدّق بخلق الجن والغيلان : أن يُصدِّق بعزِيفِها وتَغوّلِها ؟ ! .

وما أخرجَهُ إلى تجهيل العرب قاطبة وتكذيبها : وشاهِدُها على صدق ما تقول كتابُ الله تعالى ، ورسوله ، وكتب الله المتقدمة ، وأنبياؤه ، وأممُ العجم كلها ؟ ! . ٥

قد جعل الله « الجن » أحد الثَّقَلين ، وخاطبهم فى الكتاب كما خاطبنا ، وسمَّاهم رجالا كما سمَّانا فقال : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾[١] .

وقال فى الحور العين : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٢] ، فدل على أن الجن تَطْمِث كما تطمث الإنسُ . ١٠

وأخبرَنا عن طائفة منهم سمعوا القرآن فولّوا إلى قومهم مُنذِرين[٣] ، وقال : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[٤] ، والمَسُّ : الجنون ، سُمِّى مسًّا ؛ لأنه عن إلمام الشيطان ومسِّه ، يكون .

هذا مع أخبار كثيرة صِحاح تُؤثَرُ عن الرسول ، صلى الله عليه ، وعن السلف فى الرِّئِىّ[٥] والنَّجِىِّ . ١٥

---

(١) سورة الجن ٦ .

(٢) سورة الرحمن ٥٦ ، ٧٤ . وتفسير غريب القرآن ٤٤٢ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحقاف ٢٩ « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » .

(٤) سورة البقرة ٢٧٥ . وتفسير غريب القرآن ٩٨ .

(٥) فى اللسان ١٩/١٠ « الرئى ــ بفتح الراء وكسرها ــ جى يتعرض للانسان يريه كهانة وطبا . . . وفى حديث عمر ــ رضى الله عنه ــ قال لسواد بن قارب : أنت الذى أتاك رئيك بظهور الإسلام ؟ قال : نعم . . . » .

وما نُنكِر مع هذا أن الفَلَوات قد يَعرِضُ فيها ما يذكرون، ولكنّ ذلك لا يُدْفَعُ به حقائق ما يسمعون ويُبصِرون.

ولم تكن العرب طُرًّا — مع أفهامها وألبابِها — لتتواطأ على تخيُّل وظنون، ولا كلُّها أسمعه الخوف، وأراه الجبن، فهذا «أبو البلادِ الطُّهَوِيّ[١]»، و«تأبَّطَ شرًّا»[٢] — : وهما من مَرَدَةِ العرب، وشياطين الإنس. — يصفان الغول، ويُحَلِّيانها ويُساوِرانها.

وهذا «أبو أيوبَ الأنصاري» يأْسِرُها[٣].

---

(١) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ١٦٣ «أبو الغول الطهوى، هو من قوم من بنى طهية يقال لهم: بنو عبد شمس بن أبى سود، يكنى أبا البلاد، وقيل له: أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتله وقال: لقيت الغول تهوى جنح ليل الخ» وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، وقد عاب حماد الراوية شعرا له فقال يهجوه:

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد

وهى أبيات ذكرها أبو الفرج فى الأغانى ٥/١٧١ وقد قال الجاحظ عنه فى الحيوان ٦/٢٣٥ بعد نقله قصيدته التى قص فيها لقاء الغول: «وكان من شياطين الأعراب، وهو كما ترى يكذب وهو يعلم، ويطيل الكذب ويحبره» وقد ترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١/٣٩٤—٣٩٥.

(٢) راجع ترجمته وقصيدته التي زعم فيها أن لقى الغول وقتلها، فى الشعر والشعراء ١/٢٧١ — ٢٧٣ والأغانى ١٨/٢٠٩ — ٢١٨.

(٣) روى الترمذى ٢/١٤٤ والحاكم فى المستدرك ٣/٤٥٨ — ٤٥٩ عن أبى أيوب الأنصارى أنه قال: كانت لى سهوة فيها تمر، فكانت تجيء الغول كهيئة السنور فتأخذ منه، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله: أجيبى رسول الله. قال: فأخذها فحلفت ألا تعود، فأرسلها، وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حلفت ألا تعود، قال: كذبت وهى معاودة للكذب. قال فأخذها مرة أخرى فحلفت ألا تعود، فأرسلها، ثم جاء إلى الرسول فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حلفت ألا تعود. قال: كذبت وهى معاودة للكذب. قال: فأخذها وقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب إلى رسول الله، فقالت: إني ذاكرة لك شيئا: آية الكرسى، اقرأها فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره. فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل أسيرك؟ فأخبره بما قالت فقال: صدقت وهى كذوب.

قال أبو عيسى الترمذى: هذا حديث حسن غريب، وفى الباب عن أبى بن كعب».

وهذا « عمرُ » رضى الله عنه ، يُصَارِع الجِنّىّ[(١)] .

وما جاء فى هذا أكثرُ من أن نُحيطَ به .

• فمن آمن بمحمد ، صلى الله عليه ، وبأنّ ما جاء به الحقُّ ، آمَنَ بجميع هذا ، وشرح صدره به . / [٥٨]

ومن أنكره ـ : لأنه لا يؤمن إلا بما أوْجَبَهُ النظر والقياس على ما شاهَد ورأى فى المَواتِ والحيوان ـ فبماذا بَتّى على المسلمين ؟ وأىَّ شىء ترك الملحدين ؟ ٥

* * *

وذهب « أهل القدَر » فى قول الله عز وجل : ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ﴾[(٢)] إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة ، ولهم بالهداية . ١٠

وحديث « أبى » فى المستدرك ١ / ٥٦٢ وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه . راجع أيضاً حياة الحيوان للدميرى ٢ / ٢٣٠ .

والسهوة ـ كما فى اللسان ١٩/١٣٣ « شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشىء » .

(١) فى حياة الحيوان للدميرى ٢ / ٢٣١ : « وفى مسند الدارمى ٢/٤٤٨ عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال له : هل لك أن تصارعنى ، فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان ، فصارعه فصرعه الإنسى ، وقال : إنى أراك ضئيلا ، شخيتا ، كأن ذراعيك ذراعا كلب ، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم ؟ أم أنت من بينهم ؟ فقال : إنى منهم لضليع ، ولكن عاودنى الثانية ، فإن صرعتنى علمتك ، فصرعه الإنسى ، فقال : تقرأ آية الكرسى ، فإنها لا تقرأ فى بيت إلا خرج منه شيطان له حبج كحبج الحمار ، ثم لا يدخله حتى يصبح ، فقيل لعبد الله بن مسعود . أهو عمر ؟ قال : ومن عسى أن يكون إلا عمر ؟ » .

قوله : الضئيل ، معناه الدقيق النحيف ، والشخيت : الهزيل الخسيس المجفر الجنبين. والضليع : الوافر الأضلاع ، والحبج : الضراط » .

وانظر باب ذكر مصارعة عمر للشياطين وخوف الشياطين منه ، فى كتاب سيرة عمر لابن الجوزى ص ٤٤ .

(٢) سورة النحل ٩٣ وفاطر ٨ .

وقال « فريق منهم » : يُضِلّهم : يَنْسُبُهم إلى الضلالة ، ويهديهم : يُبَيِّنُ لهم ويُرْشِدُهم .

فخالفوا بين الحكمين ، ونحن لا نعرف فى اللغة أفْعَلتُ الرجل : نَسَبْتُه . وإنما يُقالُ إذا أردت هذا المعنى : فَعَّلتُ . تقول : شجّعت الرجل وجبّنْتُه وسرّقْتُه وَخَطَّأْتُه وكفّرته وضلّلته وفسّقْتُه وَفجّرْته ولحنته . وقُرِى : ﴿ إِنَّ ابنَكَ سُرِّقَ ﴾[١] ، أى نُسِبَ إلى السَّرِق .

ولا يقال فى شىء من هذا كله : أفْعَلته ؛ وأنت تريد نسبته إلى ذلك .

وقد احتج « رجل من النحويين » كان يذهب إلى « القدر »[٢] — لقول العرب : كذَّبتُ الرجل وأكْذَبْتُه . — بقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ[٣] ﴾ ولا يُكْذِبُونَكَ ، وذكر أنَّ أكْذَبْتُ وكذَّبْتُ جميعاً ، بمعنى : نَسَبْتُ إلى الكذب .

---

(١) سورة يوسف ٨١ وقرأ الجمهور : « سرق » ثلاثيا مبنيا للفاعل . وأما قراءة « سرق » بتشديد الراء ، مبنيا للمفعول ، فهى قراءة ابن عباس ، وأبو زرين ، والكسائى — فى رواية — راجع القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٥ والبحر المحيط ٥/٣٣٧ .

(٢) فى م « إلى القدر ، وهو أبو عمرو الجرمى » لكن قال الخطيب البغدادى فى ترجمته : « وكان ممن اجتمع له مع العلم صحة المذهب ، وحسن الاعتقاد . . . وكان ذا دين وأخا ورع » راجع تاريخ بغداد ٩/٣١٣ — ٣١٥ وبغية الوعاة ص ٢٦٨ ، وإنما قيل له : الجرمى لأنه كان ينزل فى جرم ، وهى من قبائل اليمن ، واسمه صالح بن إسحاق ، وهو بصرى قدم بغداد على الحسن بن سهل ، وناظر الفراء وأفحمه . وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين .

(٣) سورة الأنعام ٣٣ « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » . وجاء فى البحر المحيط ٤/١١١ » وقرأ على ونافع والكسائى بتخفيف يكذبونك ، وقرأ باقى السبعة وابن عباس بالتشديد ، فقيل : هما بمعنى واحد نحو كثّر وأكثر ، وقيل بينهما فرق ... فعلى القول بالفرق يكون معنى التخفيف : لا يجدونك كاذبا ، أو لا ينسبون الكذب إليك . وعلى معنى التشديد يكون : إما خبرا محضا عن عدم تكذيبهم إياه ، ويكون نسبة ذلك إلى كلهم على سبيل المجاز ، والمراد به بعضهم ؛ لأنه معلوم قطعا أن بعضهم كان يكذبه ويكذب ما جاء به . وإما أن يكون نفى التكذيب لانتفاء ما يترتب عليه

وليس ذاك كما تأوّل ، وإنما معنى أكذبت الرجل : ألفَيْتُهُ كاذباً .

وقولُ الله تباركَ وتعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ ﴾ بالتخفيف أى : لا يجدونك كاذباً فيما جئت به ، كما تقول : أبخَلْتُ الرجل وأجبَنْتُه وأحمَقْتُه ، أى وجدته جباناً بخيلًا أحمق .

٥ وقال : « عمرو بن مَعدِيكرِب » لبنى سُلَيم : « قاتلناكم فما أجبَنَّاكم ، وسألناكم فما أبخلناكم ، وهجوناكم فما أفحمناكم »[1] أى : لم نجدكم جُبَناءَ ، ولا بُخلاءَ ، ولا مُفحَمِين .

وقال « الكِسائى » : العرب تقول : أكْذَبْتُ الرجل : إذا أخبرت أنه روايَةٌ للكذب : وكذَّبتُه : إذا أخبرت أنه كاذِبٌ . ففرَق بين ١٠ المعنيين[2] .

واحتج أيضاً لأفْعَلتُ فى معنى نسبت ، بقول « ذى الرُّمَّةِ » يصف ربْعاً :

وأَسقيه حتَّى كادَ مِمَّا أُبثُّه ... تُكلِّمنى أحجارُهُ وملاعِبُه /[3] [٥٩]

من المضار ، فكأنه قيل : لا يكذبونك تكذيبا يضرك ، لأنك لست بكاذب ، فتكذيبهم كلا تكذيب » .

(١) فى اللسان ١٦ / ٢٣٥ « قال عمرو بن معديكرب — وكان قد زار رئيس بنى سليم فأعطاه عشرين ألف درهم وسيفا وفرسا وغلاما خبازا وثيابا وطيبا — : لله دركم يا بنى سليم ، قاتلتها فما أجبنتها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتها فما أفحمتها » وفيه ١٣/٤٩ : يا بنى سليم لقد سألناكم فما أبخلناكم » وفيه ١٥/٣٣٦ : وهاجيناكم فما أفحمناكم ، أى فما أسكتناكم عن الجواب » وانظر ترجمته عمرو بن معديكرب وأخباره فى الأغانى ١٤ / ٢٥ — ٤١ والشعر والشعراء ١/٣٣٢ — ٣٣٦ .

(٢) فى اللسان ٢ / ٢٠٢ : « قراءة الكسائى : فإنهم لا يكذبونك ، بضم الياء وتسكين الكاف ، على معنى لا يكذبون الذى جئت به إنما يجحدون بآيات الله ويتعرضون لعقوبته ، وكان الكسائى يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول : كذبت الرجل : إذا نسبته إلى الكذب ، وأكذبته : إذا أخبرته أن الذى يحدث به كذب » .

(٣) ديوانه ص ٣٨ وأمالى المرتضى ٢ / ١١ ، ٨٥ والجواليقى ٣٢٠ والأضداد ص ٨٢ واللسان ١٩/١١٤ ، وفى ص ١٧٠ : « وأشكيه حتى » قالوا : معنى أشكيه أى أبثه شكواى

وتأوّل فى أَسْقِيه معنى أسقِّيه من طريق النِّسْبة .

ولا أعلم « له » فى هذا حجّة ؛ لأنا نقول : قد أرْعَى الله هذه الماشية ، أى : أنبتَ لها ماترعاه ، فكذلك تقول : أسقَى اللهُ الربع ، أى أنزل عليه مطراً يَسقيه ، وأنا أرعى الماشية ، وأُسْقِى الربع ، أى أدعو لها بالمرعى ، وله بالسُّقيا .

٥ واحتج « آخر » ببيتٍ ذكر أنه « لِطَرَفَة » :

وما زَال شُرْبى الرَّاحَ حتَّى أشرَّنِى صديقى وحتّى ساءنى بَعْضُ ذَلكِ(١)

وتوهَّمَ أن قوله : أَشَرَّنى ، نسبنى إلى الشرّ .

وليس ذاك كما تأوّل ، وإنما أراد شهرَنى وأذاعَ خبَرى ، من قولك : أشْرَرْتُ الأقِط وشرَّرْتُه ، إذا بسطته على شىء ليجف . وقال « الشاعر »

١٠ وذكر يوم صِفِّين :

* وحتى أُشِرَّتْ بالأَكُفِّ المصَاحِفُ(٢) *

يُرِيدُ : شُهِرَتْ وَأُظهِرَتْ .

* * *

= وما أكابده من الشوق إلى الظاعنين عن الربع حين شوقتنى معاهدهم فيه إليهم » والصاحبى ص ١٩٢ « وأسأل حتى » وتفسير الطبرى ١٤/ ١٦ وكتاب سيبويه ٢/٢٣٥ وشرح شواهد الشافية ص ٤١ ونوادر أبى زيد ص ٢١٣ وأساس البلاغة ١/٣٠ ومجاز القرآن ١/٣٥٠ .

(١) ديوانه ص ٥٥ واللسان ٦/٦٧ ومقاييس اللغة ٣/١٨١ .

(٢) فى اللسان ٦ / ٦٩ « وأشر الشىء : أظهره ، قال كعب بن جعيل ، وقيل : إنه للحصين بن الحمام المرى :

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى أشرت بالأكف المصاحف

والشطر غير منسوب فى مقاييس اللغة ٣/١٨١ والبيت كذلك فى إصلاح المنطق ص ٢٨٦ وفى وقعة صفين ص ٣٣٦ لكعب بن جعيل وفى ص ٤١١ لأبى جهمة الأسدى ، وذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٣٥١ ولم ينسبه . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٧٨ : « هذا البيت للحصين بن الحمام المرى ، قاله فى حرب صفين ، وذلك أن معاوية لما رأى أمر على يقوى ، =

وروَى عبدُ الله بن محمد بن أسماء ، عن جُوَيْرِيَةَ ، قال : كنتُ عند « قتادَةَ » فسُئل عن « القَدَر » ، فقال : ما زالت العرب تُثبتُ « القَدَرَ » فى الجاهلية والإسلام .

وحدثنى « أبو حاتم : سهل بن محمد » ، عن الأصمعى / قال : قلت [٦٠] « لِدِرْوَاسٍ الأعرابىّ » : ما جعل بنى فلان أشرفَ من بنى فلان ؟ قال : الكتابُ . يعنى « القَدَرَ » ، ولم يقل : المكارمُ والفَعال . ٥

* * *

وكان «الأصمعى» يُنشدُ من الشعر أبياتاً فى «القَدَر» ذكَرْتُها وغيرها :

قال : أنشدنى عيسى ابن عمر البَدَوِىّ :

كلُّ شَىْءٍ حتى أَخِيكَ مَتَاعُ ... وبِقَدْرٍ تَفَرُّقٌ واجتماعُ[1] ١٠

وقال « المَرَّارُ بن سعيد الأسَدِىّ[2] » :

وَمَنْ سابِقُ الأقدار إذْ دَأَبَتْ به ... وَمَنْ نائلٌ شيئاً إذا لم يُقَدَّرِ ؟

وقال « جميلٌ » :

أُقدِّرُ أمراً لستُ أدرى : أنالُه ؟ ... وما يقدرُ الإنسانُ : فاللهُ قادِرُ

= وأمره يضعف ، شاور عمرو بن العاص ، وقال له : ما ترى ؟ فقال : مر الناس برفع المصاحف . فأمر بخمسمائة مصحف فرفعت . فلما علم أصحاب على ذلك كفوا عن القتال ، فقال لهم : إن هذه خديعة . فسألوهم ما شأن هذه المصاحف ؟ فقال معاوية : نجعل القرآن حكما بيننا ونثوب إلى السلم ، فكان ذلك سبب تحكيم الحكمين : عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى ، وخروج الخوارج ... » .

(١) فى اللسان ٦ / ٣٨٢ « والقدر ــ بفتح الدال ــ كالقدر ــ بسكونها ــ وجمعهما جميعا : أقدار ، وقال اللحيانى : القدر ــ بالفتح ــ الاسم ، والقدر ــ بالسكون ــ المصدر ، وأنشد : * كل شىء حتى أخيك الخ .

(٢) المرار شاعر إسلامى من مخضرمى الدولتين ، كان يهاجى المساور بن هند ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ٢/٦٨١-٦٨٢ والأغانى ٩/١٥٨-١٦١ ومعجم الشعراء ص٤٠٨-٤٠٩ .

وقال « ابن الدُّمَيْنَة » :

زُورُوا بنَا اليومَ سَلمى أيُّهَا النَّفَرُ ... ونحنُ لَمَّا يُفرِّقْ بيننا القَدَرُ(١)

وقال « الفرَزْدَق » :

نَدمْتُ نَدامةَ الكُسَعِيِّ لمّا ... غدَتْ منى مُطلَّقةً نَوَارُ(٢)

ولو ضَنَّتْ بها كَفِّي وَنفسي ... لَكانَ عليَّ للقَدَرِ الخِيَارُ(٣)

وقال « القَسّ »(٤) :

قد كُنْتُ أَعْذِلُ في السَّفاهةِ أهلَها ... فاعْجَبْ لِمَا تَأْتِي به الأيَّامُ

فاليَومَ أَعذِرُهم ، وَأَعْلَمُ أنّمَا ... سُبُلُ الغَوايَةِ وَالهُدَى أقسَامُ

---

(١) ديوانه ص ٤٨ .

(٢) ديوانه ص٣٦٣ والكامل ١/٨٢ واللسان ١٠/١٨٦ وروى المبرد بسنده عن أبي شفقل راوية الفرزدق قال : قال لي الفرزدق يوما : امض بنا إلى حلقة الحسن — البصرى — فإني أريد أن أطلق النوار ، فقلت : إني أخاف عليك أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه ، فقال : امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال : كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ فقال بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال : تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثا ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا . قال : فانطلقنا ، فقال لي الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النوار شيئا ، فقلت : قد حذرتك . فقال : ندمت ندامة الكسعي الخ » والكسعي : هو محارب بن قيس من بني كسيعة ، الذي يضرب به المثل في الندامة ، وهو راجل رام رمى بعد ما أسدف الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا ، وانظر تفصيل قصته وأشعاره فيها في اللسان ١٠/١٨٦ — ١٨٧ .

(٣) في الكامل : « ولو أني ملكت يدي ونفسي » وقبل هذا البيت :

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار ، من بني جشم بن معاوية ، وكان فقيها ، عابدا من عباد مكة ، وكان يسمى القس لعبادته ، وقد فتن بسلامة المغنية ، جارية سهيل بن عبد الرحمن ، وشاعت فتنته بها وظهرت . فغلب عليها لقبه ، وسميت سلامة القس ، وفي ذلك يقول عبيد الله ابن قيس الرقيات :

لقد فتنت ريا وسلامة القسا ... فلم تتركا للقس عقلا ولا نفسا

راجع تفصيل ذلك في الأغاني ٨/٦ — ٧ وعيون الأخبار ٤/١٣٤ — ١٣٥ .

وقال «ابنُ أحْمَرَ»(١) حين سُقِىَ بطنُه :

شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا ، وَمَا كانَ ضَرَّنَا ـ إذا اللهُ حَمَّ القَدْرَ ـ ألاَّ نُداوِيَا(٢)

وقال «الشَّمَّاخ» :

وإنّى عَدَانِى عنكما غَيْرَ مَاقِتٍ نَوَاران مكتوبٌ علىَّ بُغَاهُمَا(٣)

أى حاجتان عسيرتان . والنَّوار : النَّفورُ . مكتوب علىّ / أى مَقْدُورٌ [٦١] علىَّ طلبُهما .

وقال «الأَعْشَى» :

فى فِتْيةٍ كَسُيوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا
أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِى الحِيلَةِ الحِيَلُ(٤)

يعنى : هم موقِنُون بأن ما قُدِّرَ وحُتِمَ لا يُدفع بالحيلة ، فهم مُوَطِّنون ١٠ أنفسَهم عليه .

وقال «أبو زُبَيْد» :

فلاتَكُ كالموْقُوصِ عَنْ ظَهْرِ رَحْلِهِ تَرَدَّتْ به أسبابُهُ وهو ينظُرُ

---

(١) هو أبو الخطاب عمرو بن أحمر الباهلى ، شاعر جاهلى صحيح الكلام ، كثير الغريب ، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازى الروم وأصيبت عينه هناك . ونزل الشام وعمره تسعين سنة ، وسقى بطنه فمات فى عهد عثمان ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ١ / ٣١٥ ـ ٣١٨ ومعجم الشعراء ص ٢١٤ وطبقات الشعراء ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

(٢) البيت من قصيدة ذكرها المؤلف فى الشعر والشعراء ١/٣١٦ ، وذكره أيضاً فى عيون الأخبار ٣/٢٧٤ « حم المرء » .

(٣) فى ديوانه ص٨٨ « عنكم » عدانى : صرفنى وشغلنى ، غير ماقت : مبغض . ونواران : تثنية نوار ، وهى النفور من الريبة . والمعنى : «ان طلب وصل هاتين المرأتين حبسه عمن يخاطب» وقد ذكر البيت المؤلف فى كتاب المعانى الكبير ٢/٨٧١ .

(٤) ديوانه ص ٤٥ : « علموا : أيقنوا أن ما قدر الله لابد منه ، ويروى : « عن ذى الحيلة الأجل »

أسبابُهُ : المقادير ، تردّت به وهو ينظر لا يَقدِرُ أن يَدفعَ ذلك .
والمَوْقُوص : الذى قد اندقَّت عُنُقُه .

وقال « الراعى » :

وهُنَّ يُحَاذِرْنَ الرَّدَى أن يُصِيبَنى ... ومن قبل خَلْقِى خُطَّ ما كُنْتُ لاقِيَا

٥ وكائن تَرى مِنْ مُسْعَفٍ بِمَنِيَّةٍ ... يُجَنَّبُهَا أو مُعْصِمٍ لَيْسَ نَاجِيَا[(١)]

وقال « أُفْنُون التَّغلبى »[(٢)] :

لعمرُكَ ما يَدرى الفتى كيفَ يَتَّقى ... إذا هُوَ لم يَجعلْ له اللهُ واقِيَا[(٣)]

وقال « لبيد بن ربيعة العامرى » :

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيرُ نَفَلْ ... وبإذْنِ اللهِ رَيْثِى وَعَجَلْ[(٤)]

١٠ من هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ اهْتَدَى ... نَاعِمَ البَالِ ، وَمَنْ شاءَ أَضَلْ

أفتُرَى لبيداً أراد بقوله : من شاء أضل ، أى سُمّى ضالّا ؟ لا لعمرُ الله / ما عَرَف هذا لبيدٌ ولا وجدَه فى شىء من اللغات . والمعنى فى ضلّت ، وأضلت ، ويشْرَح صَدرَهُ للإسلام ، ويجعل صدره ضيّقاً حَرِجاً — يَمتنِعُ على التأويل المطلوب بالحيلة عند من عرف اللغة . [٦٢]

---

(١) فى اللسان ١١ / ٥٣ وكل شىء دنا فقد أسعف ، ومنه قول الراعى
* وكائن ترى من مسعف بمنية *

(٢) لقب لشاعر جاهلى ، اسمه : صريم بن معشر بن ذهل ، لقب بذلك ، لأنه قال فى بيت : « إن للشباب أفنونا » راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ١/٣٨٢ والمؤتلف والمختلف ص ١٥١ .

(٣) البيت من أبيات فى المفضليات ص ٢٦١ والشعر والشعراء ١/٣٨٢ والمؤتلف ص ١٥١ والصناعتين ص ١٦٤ وتاج العروس ١٠/٣٩٨ .

(٤) ديوانه ص ١١ وبين البيتين فيه :

أحمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

والبيت الأول فى الكامل ٢/٢٤٦ ونظام الغريب ص ٢٣٧ واللسان ١٤/١٩٤ ، والنفل — بالتحريك الغنيمة والهبة ، والثانى فى اللسان ١٣ / ٤١٥ .

• وربما جعلت العربُ « الإضلال » فى معنى الإبطال والإهلاك ؛ لأنه يؤدِّى إلى الهَلَكة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : أَإِذَا ضَلَلْنَا فِى الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1] ، أى بَطَلنا ولَحِقنَا بالتراب وصرنا منه . والعرب تقول : ضلّ الماء فى اللبن : إذا غاب اللبن عليه فلم يَتَبَيَّن .

وقال « النابغة الذبيانى » يرثى بعض الملوك : ٥

وآبَ مُضِلُّوهُ بعَينٍ جَلِيَّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائلُ[2]

أى قابِروه ، سمَّاهُم مضلّين لأنهم غيّبوه وأفقدوه فأبطَلوه .

* * *

هذا مذهب العرب فى « القدر » ، وهو مذهب كل أمة من العجم ، وأنّ الله فى السماء ، ما تُرِكَت على الجِبلّة والفِطْرَة ، ولم تُنقَل عن ذلك بالمقاييس والتَّلْبِيس . ١٠

وقد أَعْلَمتُك فى كتاب « غريب الحديث » أن فريقاً منهم يقولون : لا يلزمنا اسم « القَدَر » من طريق اللغة ؛ لأنه يُتَأَوَّل علينا / أنا نقول : لا قَدَرَ ، فكيف نُنسَبُ إلى ما نَجْحَدُ ؟ [٦٣]

وأن هذا تمويهٌ ، وإنما نُسِبوا إلى « القَدَر » لأنهم يضيفونه إلى أنفسهم ،

---

(١) سورة السجدة ١٠ . وتفسير غريب القرآن ٣٤٦ .

(٢) الجمهرة ٣/٢٢٨ ، ٢٦٠ والأمالى ١/٢٤٧ والحيوان ٣/٤٨٩ وفى اللسان ١٣/٤١٩ « وأضل الميت : إذا دفن ، وروى بيت النابغة الذبيانى يرثى النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى :

فإن تحى لا أملك حياتى وإن تمت فما فى حياة بعد موتك طائل

فآب مضلوه الخ يريد بمضليه : دافنيه حين مات . وقوله : بعين جلية أى بخبر صادق أنه مات . والجولان : موضع بالشام . أى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء » وانظر البحر ٢/٤٨٩ .

وغيرُهم يجعله لله دون نفسه ، ومُدَّعِي الشيء لنفسه أَوْلَى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره .

* * *

• وأما الطاعنون على القرآن « بالمجاز » فإنهم زعموا أنه كَذِبٌ ،

٥ لأن الجدارَ لا يُريدُ ، والقَرية لا تسأل .

وهذا من أشنع جهالاتهم ، وأدلها على سوء نظرهم ، وقلة أفهامهم .

ولو كان[١] المجاز كَذِباً ، وكلُّ فعل يُنسب إلى غير الحيوان باطلا — كان أكثرُ كلامنا فاسداً ؛ لأنا نقول : نَبت البقلُ ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخُصَ السِّعر .

[٦٤] وتقول : كان هذا الفعل منك فى وقت كذا وكذا / والفعل لم يكن وإنما كُوِّن .

وتقول : كان الله . وكان بمعنى حَدَثَ ، والله ، جل وعز ، قبل كل شيء بلا غاية ، لم يحدث : فيكونَ بعد أن لم يكن .

والله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾[٢] وإنما يُعزم عليه .

١٥ ويقول تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾[٣] وإنما يُرْبَحُ فيها .

ويقول : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[٤] وإنما كُذِّبَ به .

---

(١) نقل هذا الكلام ابن رشيق فى العمدة ١/٢٣٦ .

(٢) سورة محمد ٢١ . وأحال فى تفسير غريب القرآن ٤١١ على ما هنا .

(٣) سورة البقرة ١٦ .

(٤) سورة يوسف ١٨ .

ولو قلنا(١) للمنكر لقوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾(٢) : كيف كنت أنت قائلا فى جدار رأيته على شفا انهيار : رأيتَ جداراً ماذا ؟ لم يجد بُدًّا من أن يقول : جداراً يَهُمُّ أن ينقضّ ، أو يكاد أن ينقضّ ، أو يقارب أن ينقضّ . وأيًّا ما قال فقد جعله فاعلا ، ولا أحسِبُه يصلُ إلى هذا المعنى فى شىء من لغات العجم ، إلا بمثل هذه الألفاظ .

وأنشدنى « السِّجِسْتَانى » عن « أبى عبيدة » فى مثل قول الله : ﴿ يريد أن ينقضّ(٣) ﴾ :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِى بَرَاءٍ ... ويَرغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِى عَقِيلِ(٤)

وأنشد الفرّاء :

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِى بِجُمْلٍ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ(٥)

والعرب تقول : بأرض فلان شجرٌ قد صاح . أى طال ؛ لَمَّا تَبَيَّنَ

---

(١) نقل هذا الكلام ابن رشيق فى العمدة ١/٢٣٦ .

(٢) سورة الكهف ٧٧ .

(٣) نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ / ٤١٠ : « يريد أن ينقض » وليس للحائط إرادة ، ولا للموت ، ولكنه إذا كان فى هذه الحال من ربه ، فهو إرادته ، وهذا قول العرب فى غيره . قال [الحارثى] : يريد .. بنى براء ... عقيل » ومجازه : يقع ، يقال : انقضت الدار: إذا انهدمت وسقطت . وقرأ قوم : « أن ينقاض » ومجازه : أن ينقلع من أصله ويتصدع ، بمنزلة قولهم : قد انقاضت السن . أى انصدعت وتقلعت من أصلها ، يقال : فراق كقيض السن . أى لا يجتمع أهله . قال :

فراق كقيض السن ، فالصبر إنه ... لكل أناس عثرة وجبور

(٤) مجاز القرآن ١ / ٤١٠ والبيت فى الصناعتين غير منسوب ص ٢١٢ وتفسير الطبرى ١٦ / ١٨٦ وكذلك فى اللسان ٤/١٧١ وفيه : « ويعدل عن دماء » .

(٥) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٤/٥٥ والصناعتين ص ٢١٢ وفيه « شملى بسلمى » وتفسير الطبرى ١٥/١٨٧ .

الشَّجَرُ للنّاظِرِ بطوله ، ودلَّ على نفسه ـ جعله كأنه صائحٌ ؛ لأن الصائح يدلُّ على نفسه بصوته .

ومثله قولُ « العجاج » :

* كالكَرْمِ إذْ نَادَى مِنَ الكافُورِ[1] *

٥ ويقال : « هذا شجرٌ واعِدٌ » إذا نوَّر ، كأنه لما نوَّر وَعَد أن يُثمر .

« ونباتٌ واعِدٌ » : إذا أقْبَلَ بماءٍ وَنَضْرةٍ .

قال « سُوَيدُ بن كُرَاعٍ »[2] :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ ... لَعَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّكادِكُ وَاعِدُ[3]

في أشباه لهذا كثيرة ، سنذكر ما نحفظ منها في كتابنا هذا مما أتى في كتاب الله ، عز وجل ، وأمثاله من الشعر ، ولغات العرب ، وما استعمله

١٠ الناس في كلامهم .

ونبدأ بباب الاستعارة ؛ لأن أكثر المجاز يقع فيه .

---

(١) ديوانه ص ٢٧ وقبله :

غراء تسبى نظر النظور ... بفاحم يعكف أو منشور

وهو في الجمهرة ٣٨٩/٣ له وكذلك المخصص ٢١٦/١٠ ، واللسان ١٢ / ١١٢ والعمدة ١ / ٢٣٨ ومبادىء اللغة ص ١٧٨ وفي اللسان ٤٦٥/٦ : « كافور الطلعة : وعاؤها الذى ينشق عنها ، سمى كافورا لأنه قد كفرها ، أي غطاها . وقول العجاج . * كالكرم الخ . كافور الكرم : الورق المغطى لما في جوفه من العنقود ، شبهه بكافور الطلع لأنه ينفرج عما فيه » .

(٢) سويد بن كراع العكلى ، شاعر فارس مقدم ، من شعراء الدولة الأموية كان في آخر أيام جرير والفرزدق ، راجع ترجمته في الشعر والشعراء ٢ / ٦١٦ ـ ٦١٧ وطبقات الشعراء ص ١٤٧ ـ ١٤٩ والأغاني ١١ / ١٢٧ ـ ١٣٠ .

(٣) البيت له في اللسان ٤٧٩/٤ ، والعمدة ٢٣٨/١ وهو غير منسوب في الأمالي ١٨١/١٠ والمخصص ١٨٣/١٠ وعجزه له في الصناعتين ص ٢١٢ وفي اللسان ١٠ / ١٩٥ « قال سويد ابن كراع ووصف ثورا وكلابا : رعى غير مذعور الخ . راقه : أعجبه . واعد : يرجى منه خير وتمام نبات . واللعاع : نبت ناعم في أول ما ينبت » .

بابُ الاستِعارة

فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسببٍ من الأخرى، أو مُجاوراً لها، أو مُشاكِلاً. فيقولون للنبات: نوءٌ لأنه يكون عن النوء عندهم.

[٦٥]

قال «رؤبة بن العجاج» /:

* وَجفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ المُرْتَزَقْ[(١)] *

أي جفّ البقل.

ويقولون للمطر: سماءٌ؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال: ما زلنا نطأُ السماء حتى أتيناكم.

قال «الشاعر»[(٢)]:

إذا سَقَطَ السَّماءُ بأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْناهُ وإنْ كانُوا غِضَابَا[(٣)]

١٠

ويقولون: ضَحكتِ الأرض: إذا أنبتت؛ لأنها تُبدِي عن حُسْن

---

(١) المخصص ١٠/١٢٩ والصناعتين ص ٢١١ وفي ديوانه ص ١٠٥:

وجف أنواء الربيع المرتزق ... واستن أعراف السفا على القيق

وانظر لشرح الأخير اللسان ١٢/٢٠١.

(٢) هو معود الحكماء، معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب، كما في الاقتضاب ص ٣٢٠ واللسان ١٩/١٢٣ ومعجم الشعراء ص ٣٩١ والمفضليات ص ٣٥٩.

(٣) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢١٢ ومقاييس اللغة ٣/٩٨ وفي الأمالي ١/١٨١ «وأنشد ابن قتيبة: إذا سقط السماء الخ وقال أبو بكر: يقال ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، أي مواقع الغيث» ونسبه ابن رشيق في العمدة ١/٢٣٧ لجرير بن عطية. وصدره غير منسوب في الصاحبي ص ٦٣.

وقال ابن السيد في شرحه: «يقول: إذا نزل المطر بأرض قوم فأخصبت بلادهم وأجدبت بلادنا ــ سرنا إليها فرعينا نباتها، وإن غضب أهلها لم نبال بغضبهم لعزتنا ومنعتنا».

النبات ، وتَنفَتِقُ عن الزهرِ ، كما يَفْتَرُّ الضاحكُ عن الثغر ، ولذلك قيل لطَلْعِ النخل إذا انفتق عنه كافورُهُ : الضَّحْكُ[١] ؛ لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر . ويقال : ضَحكت الطَّلعةُ ، ويقال : النَّورُ يُضاحِكُ الشمس ؛ لأنه يدور معها .

٥ وقال « الأعشى » يذكر رَوْضَةً :

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ[٢]

وقال « آخر » :

* وضحِكَ المُزنُ بها ثمَّ بَكَى[٣] *

يريد بضحكه انعِقَاقَه[٤] بالبرق ، وببكائه : المطر .

ويقولون : لَقيتُ من فلانٍ عَرقَ القِرْبَةِ ، أى شِدَّةً ومشقَّةً . وأصل

١٠ هذا أن حامل القِرْبَة يتعَبُ فى نَقْلِها حتى يَعرَقَ جبينُه ، فاستُعِيرَ عَرَقُها فى موضع الشِّدةِ[٥] .

ويقول الناس : لقيتُ من فلانٍ عرَقَ الجبين ، أى شدّة .

---

(١) اللسان ١٢/٣٤٦ .

(٢) الصناعتين ص ٢١٢ واللسان ٥/٧٦ وديوانه ص ٤ وفى اللسان ١٤ / ١٢٢ « وقول الأعشى : يضاحك الشمس ، معناه : يدور معها ، ومضاحكته إياها : حسن له ونضرة . والكوكب : معظم النبات . والشرق : الريان الممتلىء ماء . والمؤزر: الذى صار النبات كالإزار له . والعميم : النبت الكثيف الحسن ، وهو أكثر من الجميم ، يقال : نبت عميم ومعتم وعمم . واكتهلت الروضة : إذا عمها نبتها » .

(٣) الصناعتين ٢٣٩ والحيوان ٣/٧٥ غير منسوب فيهما ، وهو فى أمالى المرتضى ٢/٩٤ لدكين الراجز ، وقبله فيه :

* جن النبات فى ذراها وزكا *

(٤) الانعقاق : الانشقاق .

(٥) قال الأصمعى : « عرق القربة معناه الشدة ، ولا أدرى ما أصله » . وانظر أقوال العلماء فى معنى هذا القول فى اللسان ١٢/١١١ ـ ١١٢ .

ومثل هذا فى كلام العرب كثير يطول به الكتاب ، وسنذكر ما فى كتاب الله تعالى منه .

* * *

● فمن الاستعارة فى كتاب الله قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عن سَاقٍ ﴾(١) أى عن شِدَّةٍ من الأمر ، كذلك قال « قَتَادَةُ » . وقال « إبراهيم » : عن أمر عظيم .

وأصل هذا أنّ الرجل إذا وَقَعَ فى أمرٍ عظيمٍ يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه - شَمَّرَ عن ساقِهِ ، فاستُعيرت « الساق » فى موضع الشدة .

وقال « دُرَيْد بن الصِّمَّة » :

كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... صَبُورٌ على الجَلاَّءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ(٢)

وقال « الهُذلىّ » :

وكُنْتُ إذا جَارِى دعَا لِمَضُوفَةٍ ... أُشَمِّرُ حتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِى(٣)

* * *

---

(١) سورة القلم ٤٢ . وأحال فى تفسير غريب القرآن ٤٨١ على ما هنا .

(٢) البيت له من قصيدة فى الأصمعيات ص ١١٣ وجمهرة أشعار العرب ص ١١٨ وديوان المعانى ٥٦/١ والصناعتين ٣٠٥ : « صبور على العزاء » وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٣٠٨/٢ « بعيد من الآفات طلاع أنجد » وكميش الإزار ، مثل فى الجد والتشمير ، والكمش والكميش : الخفيف السريع الحركة ، وأضاف الكميش إلى الإزار على المجاز ، كما يقال : عفيف الحجزة ، ونقى الجيب . وقوله :« خارج نصف ساقه ، يصفه بالتشمير . وبعيد من الآفات ، يريد أنه لاداء به وهو سليم الأعضاء » والبيت غير منسوب فى اللسان ١٣ / ١٢٣ وفيه : « الجلاء : الخصلة العظيمة » .

(٣) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ، القسم الثالث ص ٩٢ واللسان ١١٥/١١ ، ١١ / ٢٤٤ ، ١٧ / ٢٤٨ ، وهو فى الأضداد ١١٣ والمخصص ١٢ / ١٢٥ والخزانة ٣ / ٣٢١ وشرح شواهد الشافية ص ٣٨٣ . مضوفة : أى أمر ضافه ، أى نزل به وشق عليه ، وإنما يخبر عن حاله ، وليس يخبر بكنت عما مضى من فعله .

● ومنه قول الله عز وجل: ﴿ولا يُظْلَمُون فَتِيلاً﴾[١] ﴿ولا يُظْلَمُون نَقِيراً﴾[٢] « والفَتيل » : ما يكون / فى شقّ النّواة . « والنّقِيرُ » : النُّقْرَةُ [٦٦] فى ظهرها . ولم يُرِد أنهم لا يظلمون ذلك بعينه ، وإنما أراد أنّهم إذا حُوسِبُوا لم يُظلموا فى الحساب شيئاً ولا مِقْدَار هذين التّافهين الحقيرين .

٥ والعرب تقول : ما رَزَأْتُه زِبَالاً . « والزِبَالُ » ما تحمله النّملة بفمها ، يريدون ما رَزَأْتُه شيئا .

وقال « النابغة الذُّبْيَانِى » :

يَجْمَعُ الجيْشَ ذا الألُوفِ ويَغْزُو ثم لا يَرْزَأُ العَـدُوَّ فَتيلا[٣]

وكذلك قوله عز وجل : ﴿والذين يَدْعُون مِنْ دُونه ما يَمْلِـكُونَ ١٠ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[٤] وهو « الفُوفَةُ » التى فيها النّواة . يريد ما يملكون شيئاً .

● ومنه قوله عز وجل : ﴿وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فجعلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورا﴾[٥] أى قصَدْنا لأعمالهم وعَمَدنا لها . والأصل أنّ مَنْ أراد القُدُومَ إلى موضع عَمَدَ له وقَصَدَهُ .

« والهباء المنثور » : ما رأيته فى شعاع الشمس الداخل من كُوَّة البيت .

---

(١) سورة النساء ٤٩ ، والإسراء ٧١ . وتفسير غريب القرآن ٢٥٩ .

(٢) سورة النساء ٢٤ وانظر الصناعتين ص ٢٠٥ .

(٣) البيت للنابغة فى هجاء النعمان بن المنذر ، أو قاله على لسانه حاسدوه ، كما فى الشعر والشعراء ١/١١٧ وللنابغة فى الصناعتين ص ٢٠٦ والأغانى ٩/١٦٦ ومقاييس اللغة ٤/٤٧٢ وهو لعبد القيس بن خفاف البرجمى فى هجاء النعمان ، كما فى الحيوان ٤ / ٣٧٩ . ومعنى لا يرزأ : لا ينقص ، يقال : ما رزأته ماله ، أى ما نقصته .

(٤) سورة فاطر ١٣ وانظر الصناعتين ص ٢٠٦ .

(٥) سورة الفرقان ٢٣ . وتفسير غريب القرآن ٣١٢ .

و « الهباء المُنْبَثُّ » : ما سَطع من سَنابِك الخيل . وإنما أراد أنّا أبْطَلْناهُ كما أنّ هذا مُبطَلٌ لا يُلْمَس ولا ينتفع به .

● ومنه قوله : ﴿ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[1] يريد أنها لا تَعِي خيراً ؛ لأن المكان إذا كان خالياً فهو هواء حتى يَشغَلَهُ الشيء .

● ومثله قوله عز وجل : ﴿ وكذلك أعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾[2] يريد أطْلَعْنَا عليهم . وأصل هذا أنّ من عَثر بشيء وهو غافل نظر إليه حتى يَعرِفه . فاستُعِيرَ العِثَارُ مكان التبيّن والظهور . ومنه يقول الناس : ما عثرتُ على فلانٍ بسوء قطُّ . أى ما ظَهَرتُ على ذلك منه .

* * *

● ومنه قوله عز وجل : ﴿ إنِّى أحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بالحِجَابِ ﴾[3] أراد الخيلَ ، فسمَّاها الخَيْرَ لما فيها من المنافع .

قال « الرّاجز »[4] بعد أن عدَّد فضائِلها وأسبابَ الانتفاع بها — :

* فالخيلُ والخيراتُ فى قَرْنَيْنِ[5] *

---

(١) سورة إبراهيم ٤٣ وتفسير غريب القرآن ٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٢) سورة الكهف ٢١ . وتفسير القرآن ٢٦٥ .

(٣) سورة ص ٣٢ وانظر المعانى الكبير ١/٨٥ .

(٤) هو أبو ميمون العجلى : النضر بن سلمة ، وقد ذكر ابن قتيبة بعض هذه الأرجوزة الطويلة فى عيون الأخبار ١ / ١٥٦ ، وذكرها كلها مع شرحها فى المعانى الكبير ١ / ١٧٠ — ١٧٦ .

(٥) فى عيون الأخبار : « فى قرينين » وفى المعانى ١ / ٨٥ ، ١٧٦ : « كالقرينين » ، والخزانة ٣/٦٤٣ .

وقال « طُفَيل » :

[٦٧] وللخيلِ أيّامٌ فمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ... ويَعْرِفْ لها أيّامَهَا الخيرَ تُعقِبِ/(١)

* * *

● ومنه قوله عز وجل ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنَا لهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(٢). أى كان كافرا فهديناه وجعلنا له إيماناً يهتدى به سُبُلَ الخير والنَّجَاة ﴿كَمَنْ مَثَلُه فى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾(٢) أى فى الكُفْر . فاستعار « الموت » مكانَ الكُفْرِ ، « والحياةَ » مكانَ الهداية ، « والنّورَ » مكان الإيمان .

● ومنه قوله عز وجل : ﴿وَوَضَعْنَا عنكَ وِزْرَكَ﴾(٣) أى إثمَكَ .

وأصل الوِزْرِ : ما حمله الإنسان على ظهره . قال الله عز وجل : ﴿ولَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ﴾(٤) أى أحمالاً من حُليّهم . فشبَّه الإثمَ بالحمل ، فَجُعِلَ مكانه ، وقال فى موضع آخر : ﴿ولَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾(٥) يريد آثامهم .

* * *

(١) ديوانه ص ١٦ . « يقول : الخيل تأتى بالغنم ، فمن يعرف لها أيامها الخير أعقبته ، قال : والخير صفة للأيام . قال أبو حاتم : كان سيبويه يقول : ويعرف لها أيامها تعقبه الخير ... » والبيت له فى المعانى الكبير ١/٨٥ والخزانة ٣/٦٤٢ والإنصاف ٢٥٧ والصناعتين ٢١٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٢٢ .

(٣) سورة الشرح ٢ . وتفسير غريب القرآن ٥٣٢ .

(٤) سورة طه ٨٧ . وتفسير غريب القرآن ٢٨١ .

(٥) سورة العنكبوت ١٣ ، وتفسير غريب القرآن ٣٣٧ .

• ومن ذلك قوله : ﴿ ولَـكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[(١)] أى نكاحاً ، لأن النكاح يكون سراً ولا يظهر ، فاستُعِيرَ له السرُّ .

قال « رُؤْبَة » :

* فَعفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بعْدَ العَسَقْ[(٢)] *

والعَسَق : الملازمة . ٥

• ومنه قوله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾[(٣)] أى مُزْدَرَعٌ لكم كما تُزْدَرَعُ الأرض .

• ومنه قوله : ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾[(٥)] أى تترَخَّصُوا . وأصل هذا أن يصرفَ المرء بصره عن الشيء ويُغمضَه ، فسُمِّى التَّرَخُّصُ إغْمَاضاً . ومنه يقولُ الناس للبائع : أَغْمِضْ وغمّض . يريدون ١٠ لا تستقص وكن كأنك لم تُبْصِر .

• ومنه قوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[(٤)] لأنَّ المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد ، ويَتَضَامَّانِ فيكون كلٌّ واحدٍ منهما للآخر بمنزلة اللباس .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٥ . وتفسير غريب القرآن ٩٠ .

(٢) ديوانه ص ١٠٤ وقبله : « * أجنه فى مستكنات الحلق * وبعده : * ولم يضعها بين فرك وعسق * وانظر اللسان ٦/٢٢ ، ١٢ / ١٢٢ « عسق به يسق عسقا : لزق به ولزمه وأولع به ، وعسقت الناقة بالفحل: أربت ، وكذلك الحمار بالأتان .. » وفى مجاز القرآن ١/٧٦: « فعف ، يعنى عن غشيانها ، أراد الحمار » وهو غير منسوب فى المخصص ٥/١١١ .

(٣) سورة البقرة ٢٢٣ . وتفسير غريب القرآن ٨٤ ، ومجاز القرآن ١/٧٣ .

(٤) سورة البقرة ٢٦٧ .

(٥) سورة البقرة ١٨٧ .

قال « النابغة الجَعْدِىّ » :

إذا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا تَدَاعَتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسَا(١)

* * *

● ومنه قوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾(٢) أى طهِّر نفسك من الذنوب،

٥ فكنى عن الجسم بالثياب ؛ لأنّها تشتمل عليه .

قالت « ليلى الأخيلية » وذكرتْ إبلا :

رَمَوهَا بِأَثْوابٍ خِفَافٍ فَلا تَرَى لهَا شَبَهاً إلاَّ النَّعَامَ الُمنَفَّرَا(٣)

أى ركبوها فرمَوها بأنفسهم .

وقال « آخر » :

١٠ لا هُمَّ إنَّ عامِرَ بن جَهمِ أَوْذَمَ حجًّا فى ثيابٍ دُسْمِ(٤)

[٦٨] أى هو متدنّس بالذنوب / .

والعرب تقول : قومٌ لِطَافُ الأُزُر . أى خِماصُ البطون ؛ لأنَّ الأُزُرَ تُلاثُ عليها . ويقولون : فِدًى لك إزارى . يريدون : بدنى ، فتضع الإزار موضعَ النَّفْسِ .

---

(١) البيت له فى اللسان ٧/٨٧ والشعر والشعراء ١/٢٥٥ وعجزة فى مجاز القرآن ١/٦٧ .

(٢) سورة المدثر ٤ .

(٣) البيت لها فى المعانى الكبير ١/٤٨٦ وفيه : « يعنى بأجسام خفاف ، يريد ركبوها » والصناعتين ص ٢٧٧ والفائق ١/٢٨ وهو غير منسوب فى اللسان ١/٢٣٩ وفيه : « رموها ، يعنى الركاب بأبدانهم » .

(٤) فى أساس البلاغة ١/٢٧١ غير منسوب ، والمعانى الكبير ١/٤٨١ وشرحه ابن قتيبة هناك بقوله : « أو ذم : أوجب وعقد ، فى ثياب ، أى فى جسم غير طاهر » وهو غير منسوب أيضاً فى اللسان ١٦ / ١١٧ « أى متلطخة بالذنوب ، يعنى أحرم بالحج وهو مدنس بالذنوب » وفى ١٥/٩٠ « الدسم : الوضر والدنس » .

قال « الشاعر » :

ألا أبْلِغْ أبَا حَفْصٍ رَسُولاً فِدًى لَكَ مِنْ أخِى ثِقَةٍ إزَارِى[١]

وقد يكون الإزارُ فى هذا البيت : الأهلَ[٢] . قال « الهذلىّ » :

تَبرّأُ من دَمِّ القَتيل وبَزِّهِ وقد عَلِقَتْ دمَّ القتيل إزَارُها[٣]

أى نفسها .

٥

ويقولون للعَفَافِ : إزارٌ ؛ لأنّ العفيف كأنّه استتر لمّا عفّ .

وقال « عَدِىّ بن زَيْد » :

أجْلِ أنّ اللهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوقَ ما أَحْكِى بِصُلْبٍ وإزَارِ[٤]

---

(١) البيت لأبى المنهال بقيلة الأكبر الأشجعى ، كما فى اللسان ٥/٧٥ وفى ٨ / ٣٥٠ غير منسوب ، وكذلك فى الصناعتين ص ٢٧٧ ولبقيلة فى المؤتلف والمختلف ص ٦٢ وأبواب مختارة ص ١٠ والعقد ٢/٤٦٣ والعمدة ١ / ٢٨١ . وسيأتى البيت مع أبيات أخر فى ص ١١٤ من صفحات الأصل المخطوط .

(٢) راجع ألف باء للبلوى ٢/١٣٠ .

(٣) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوانه ص ٢٦ واللسان ٥ / ٧٣ والمعانى الكبير ٤١٣/١ وقال ابن قتيبة فى شرحه : « بزه : سلاحه ، وقد علقت دم القتيل إزارها ، هذا مثل ، يقال : حملت دم فلان فى ثوبك ، أى قتلته . قال الأصمعى : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وأن ترجل شعره ، ثم جاء كلب لها فولغ فى إنائها فغسلته سبع مرات ، وذلك بعين الرجل ، يتعجب منها ومن ورعها ، فبينا هو كذلك أتاها قوم يطلبون عندها قتيلا ، فانتفلت من ذلك وحلفت ؛ ثم فتشوا منزلها فوجدوا القتيل وسلاحه فى بيتها » ومعنى انتفلت : أنكرت . وهو له فى الجمهرة ٢/٣٢٨ .

(٤) الجمهرة ٣ / ٢٣٥ ، وفى اللسان ١ / ٥١ حكأ العقدة وأحكأها : شدها وأحكمها ، قال عدى بن زيد :

أجلَ أن الله قد فضلكم فوق من أحكا صلبا بإزار

أراد فوق من أحكأ إزارا بصلب . معناه فضلكم على من ائتزر فشد صلبه بإزار ، أى فوق الناس أجمعين ؛ لأن الناس كلهم يحكئون أزرهم بأصلابهم . ويروى :

* فوق ما أحكى بصلب وإزار *

أى بحسب وعفة ، أراد بالصلب ههنا : الحسب ، وبالإزار : العفة عن المحارم « أى فضلكم الله بحسب وعفاف فوق ما أحكى أى ما أقول» . وقد ورد فى اللسان أيضاً ٥/٧٥ ، ٢٠٨/١٨ ، وانظر تهذيب الألفاظ ٥٤٨ .

فالصُّلبُ : الحسبُ ، سمّاه صُلْباً لأنَّ الحُسَبَ : العشيرة . والخَلْقُ . من ماء الصّلب . والإزار : العفاف .

ويجوز أن يكون سَمّى العشيرة صُلْباً لأنّهم ظَهْرُ الرجل ، والصُّلبُ فى الظّهر .

* * *

● وقال : ﴿ وَهُوَ الذى جَعَل لَكُمْ ٱلْلَيلَ لِبَاساً ﴾[1] : أى سِتْراً وحجابا لأبصاركم .

قال « ذو الرُّمة » :

وَدَوِّيَّةٍ مِثلِ السَّمَاءِ اعْتَسَفْتُها   وقـد صَبغَ اللَّيلُ الحُصَى بِسَوَادِ[2]

أى لمّا ألبسَهُ الليلُ سَوادَهُ وظُلمتَه ، كان كأنه صَبغَهُ .

وقد يَكْنُون باللباس والثوب عما سَتَرووقى ، لأنّ اللباس والثوبَ وَاقِيانِ ساتِرَان .

وقال « الشاعر » :

كَثَوْبِ ابن بِيضٍ وقاهم به   فَسَدَّ على السَّالكين السَّبيلا[3]

قال الأصمعى : « ابن بيض » : رجلٌ نحرَ بعيراً له على ثَنِيّةٍ فسَدَّها فلم يقدر أحد أنْ يجوز ، فَضُرِبَ به المثل فقيل : سَدّ ابن بِيضٍ الطريقَ[4] .

(١) سورة الفرقان ٤٧ . وقد أحال فى تفسير غريب القرآن ٣١٣ على ما هنا .

(٢) ديوانه ص١٣٩ « ودوية : فلاة ، مثل السماء : فى استوائها . اعتسفتها : سرت فيها على غير هداية » .

(٣) البيت لبشامة بن الغدير من قصيدة فى المفضليات ص ٦٠ وطبقات الشعراء ص ٥٦٥ وهو له فى الأغانى ١٢/٤٣ ونسبه فى اللسان ٨/٣٩٧ لبسامة بن حزن ، وهو خطأ .

(٤) المثل فى أمثال العرب للمفضل الضبى ص ٧١ — ٧٢ وجمهرة الأمثال ص ١١٨ ومجمع الأمثال ١ ٣٤١ واللسان ٨/٣٩٧ .

وقال غير الأصمعى : « ابن بيض » رجلٌ كانت عليه إتَاوَةٌ فهرب بها فاتَّبَعَهُ مُطالِبُهُ ، فلما خشىَ لحَاقَه وضع ما يطالبه به على الطريق ومضى ، فلما أخذ الإتاوةَ رجع وقال : «سدّ ابن بيضٍ الطريق » أى منعَنا من اتباعِهِ حين وَفَى بما عليه ، فكأنه سدّ الطريق[1] .

فكَنَى الشاعرُ عن البعير ـ إن كان التفسير على ما ذكر الأصمعى .
أو عن الإتاوَةِ ـ إن كان التفسير على ما ذكَرَ غيره ـ بالثوب ؛ لأنهما وَقيَا ٥
كما يقى الثوبُ / .
[٦٩]

وكان « بعض المفسرين » يقول فى قوله عز وجل : ﴿ وهو الذى جَعَلَ لَكم الليلَ لِباساً ﴾[2] أى سكَنا ، وفى قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾[3] أى سكن لكم .

وإنما اعتَبر ذلك من قوله : ﴿ جَعَلَ لَكم الليلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾[4] ١٠
ومن قوله : ﴿ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[5] .

* * *

● ومن الاستعارة : ﴿ وَأَمَّا الذين ابيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6] يعنى جَنّتَه ، سمَّاها رحمة ؛ لأن دخولهم إيَّاها كان برحمته .

---

(١) راجع الأغانى ١٢/٤٢ ـ ٤٣ ، واللسان ٨/٣٩٧ ومجمع الأمثال ١/٣٢٨ .
(٢) سورة الفرقان ٤٧ وتفسير الطبرى ١٩/٦٤ .
(٣) سورة البقرة ١٨٧ .
(٤) سورة يونس ٦٧ .
(٥) سورة الأعراف ١٨٩ .
(٦) سورة آل عمران ١٠٧ وانظر الكشاف ١/٢٠٩ .

ومثله قوله : ﴿ فَأَمَّا الذين آمَنُوا بالله وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فى رَحْمَةٍ مِنْه وَفَضْلٍ ﴾[١] . وقد توضَعُ «الرحمةُ» موضع «المطر» لأنه يَنزِل برحمته .

قال تعالى : ﴿ وهُوَ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بين يَدَىْ رَحْمَتِه ﴾[٢] . يعنى المطر .

٥ وقال تعالى : ﴿ قُلْ : لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ ربِّى ﴾[٣] يعنى مفاتيح رزقه .

وقال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[٤] أى من رزق .

* * *

١٠ • ومن الاستعارة : اللسان يوضع موضع القول ؛ لأنّ القول يكونُ بها . قال الله ، عز وجل ، حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ واجعَل لى لسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرِين ﴾[٥] . أى ذِكْراً حسناً . وقال « الشاعر » :

إنّى أَتَتْنِى لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا   من عَلوَ لاعَجَبٌ مِنْهَا ولا سَخَرُ[٦]

(١) سورة النساء ١٧٥ .

(٢) سورة الأعراف ٥٧ .

(٣) سورة الإسراء ١٠٠ .

(٤) سورة فاطر ٢ .

(٥) سورة الشعراء ٨٤ وتفسير الطبرى ١٩/ ٥٤ .

(٦) البيت مطلع قصيدة لأعشى باهلة يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى ، وهى فى أمالى الشريف المرتضى ٣/ ١٠٥ ــ ١١٣ والكامل ٢/ ٢٩١ــ٢٩٢ والأصمعيات ٣٢ وأمالى اليزيدى ص١٣ ــ ١٨ وجمهرة أشعار العرب ١٣٥ ــ ١٣٧ وهو فى الجمهرة ٣/ ١٤٠ وفى اللسان ١٩/ ٣١٦ « ويروى من علو وعلو ــ بفتح الواو وكسرها ــ أى أتانى خبر من أعلى » ورواية اليزيدى : « إنى أتيت بشىء لا أسر به * ... « لا عجب فيه ... » ويروى من علو ومن عل ، يقال : أتيتك من علا ومن معال ومن عل . وقوله : لا عجب ، أى ليس ببديع ؛ لأن الناس يموتون =

أى أتانى خبرٌ لا أُسَرُّ به .

* * *

● ومنه الذِّكْرُ يوضعُ موضع الشرف ؛ لأنَّ الشّريف يُذْكر.

قال الله تعالى : ﴿ وإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[1] يريد أن القرآن شرفٌ لكم . ٥

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[2] أى شرفكم .

وقال : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾[3] أى أتيناهم بشرفهم .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾[4] أى ١٠ لا تستثقل شيئاً من أمرهما ، وتَضِقْ به صدراً ، ولا تُغْلِظ لهما .

والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون : أُفٍّ له . وأصل هذا نفخُكَ للشىء يسقط عليك من تراب أو رماد وغير ذلك ، وللمكان تريد إماطة الشىء عنه لتقعُد فيه . فقيل لكل مُسْتَثْقَل : أُفٍّ لك ، ولذلك تُحَرَّكُ بالكسر للحكاية ، كما يقولون : غاقِ غاقِ ، إذا حكَوْا صوْتَ الغراب / [٧٠]

ويقتلون ، فلا سخر من ذلك ، أى لا عجب فيه ولا هزء منه » واللسان ههنا : الرسالة ، كما فى الكامل ٢/٢٩٢ والجمهرة لابن دريد ٣/٤٨٧ ، وتاج العروس ١٠/٢٥٣ .

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠ .

(٣) سورة المؤمنون ٧١ .

(٤) سورة الإسراء ٢٣ .

والوجه أن يُسكَّن هذا ، إلا أنه يُحرَّكُ لاجتماع الساكنين ، فربما نُوِّن ، وربما لم ينوّن ، وربما حُرِّك إلى غير الكسر أيضاً .

* * *

● ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾[١]

٥ يريد كلما هاجوا شرًّا وأجمعوا أمراً ليحاربوا النبي صلى الله عليه — سكّنه الله وَوَهَّن أمرهم .

● ومنه قوله سبحانه : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[٢]. الإصر : الثِّقْل الذي ألزمَهُ الله بني إسرائيل في فرائضهم وأحكامهم ، ووضعه عن المسلمين . ولذلك قيل للعهد : إصرٌ .

١٠ قال تعالى : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾[٣] أي عهدي ؛ لأن العهد ثِقْلٌ ومَنْعٌ من الأمر الذي أُخِذَ له .

﴿ وَالأَغْلالُ ﴾ : تحريمُ الله عليهم كثيراً مما أطلقه لأمَّة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وجعله أغلالًا لأن التحريم يمنع كما يقبض الغُلُّ اليدَ ، فاستُعِيرَ .

١٥ قال « أبو ذؤيب »[٤] :

---

(١) سورة المائدة ٦٤ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧ . وتفسير غريب القرآن ١٧٣ .

(٣) سورة آل عمران ٨١ .

(٤) البيتان ليسا لأبي ذؤيب الهذلي ، وإنما هما لأبي خراش الهذلي ، من قصيدة يرثي بها زهير بن العجوة ، كما في ديوان الهذليين ، القسم الثاني ص ١٥٠ والأغاني ٢١ / ٥٨ قال أبو الفرج الأصفهاني : « قال الأصمعي وأبو عمرو ، في روايتهما جميعاً : أخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في يوم حنين أسارى ، وكان فيهم زهير بن العجوة ، فمر به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو مربوط في الأسرى ، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية فضرب عنقه ، فقال أبو خراش يرثيه : الخ » .

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يا أمّ مالكٍ ولـكن أحاطَتْ بالرِّقَابِ السَّلاسِلُ[١]

وَعَادَ الفَتَى كالـكَهْلِ لَيْسَ بقَائلٍ سِوَى العَدْلِ شَيْئًا فاستراح العَوَاذِلُ[٢]

يقول : ليس الأمرُ كعَهْدِك إذ كنا فى الدَّار ونحن نَتَبَسَّطُ فى كل شىء ولا نَتوقّى ، ولـكن أسْلَمْنَا فصِرْنا من موانع الإسلام فى مثل الأغلال المحيطة بالرِّقاب القابضة للأيدى . ٥

ومن هذا قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا ﴾[٣] ، أى قبضنا أيديهم عن الإنفاق فى سبيل الله بموانع كالأغلال .

* * *

● ومن ذلك قوله : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾[٤] ، يريد الخِتان ، فسماه صِبْغةً ؛ لأن النصارى كانوا يَصْبُغُون أولادهم فى ماء ١٠ ويقولون : هذا طُهْرَةٌ لهم كالختان للحُنَفَاء ، فقال الله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾ أى الزَمُوا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم ؛ وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام .

* * *

(١) البيتان فى البحر المحيط ٤ / ٤٠٤ للهذلى . وفيه فى الاول : « كهذا الدار » وفى الثانى « ليس بقابل » وفى ديوان الهذليين : « أراد : الإسلام أحاط برقابنا ، فلا نستطيع أن نعمل شيئا » .

(٢) رواية الأغانى : « سوى الحق » وفى البحر المحيط بعد البيت : « وليس ثم سلاسل ، وإنما أراد أن الإسلام ألزمه أمورا لم يكن ملتزما لها قبل ذلك ، كما قال [صلى الله عليه وسلم] : الإيمان قيد الفتك » وفى ديوان الهذليين : « يقول : رجع الفتى عما كان عليه من فتوته وصار كأنه كهل . قوله : فاستراح العواذل ، لأنهن لا يجـدن ما يعذلن فيه سوى العدل ، أى سوى الحق » .

(٣) سورة يس ٨ .

(٤) سورة البقرة ١٣٨ . وأحال فى تفسير غريب القرآن ٦٤ على ما هنا .

[٧١] • ومنه قوله / : ﴿مَالَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾[١] ، أى مالها من تَنَظُّرٍ وَتَمَكُّثٍ إذا بدأَتْ ، ولذلك سمّاها ساعة لأنها تأتى بغْتَةً فى ساعة .

وأصل الفَوَاقِ أن تُحلب الناقة ثم تُترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثم تُحلب ، فما بين الحَلْبَتين فَوَاق[٢] ، فاستعير الفَوَاق فى موضع الانتظار .

* * *

٥ • ومنه قوله : ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾[٣] ، أى حظًّا ونصيباً .

وأصلُ الذَّنوب : الدَّلْوُ ، وكانوا يَسْتقون الماء ، فيكون لهذا ذَنُوبٌ ولهذا ذَنُوبٌ ، فاستُعيرَ فى موضع النَّصِيب ، وقال « الشاعر » :

إنَّا إذا نَازَعَنَا شَرِيبُ   لنا ذَنوبٌ وله ذَنُوب[٤]

١٠ * * *

• والعرب تقول : « أخى وأخوك أيُّنَا أَبْطَشُ ؟ » يريدون : أنا وأنت نَصْطرع فننظر أيُّنا أشدُّ ؟ فيكْنى عن نفسه بأخيه ، لأن أخاه كنفسه .

---

(١) سورة ص ١٥ . وتفسير غريب القرآن ٣٧٧ – ٣٧٨ .
(٢) اللسان ١٢ / ١٩٢ .
(٣) سورة الذاريات ٥٩ . وتفسير غريب القرآن ٤٢٣ ومجاز القرآن ٢/٢٢٨ .
(٤) فى اللسان ١ / ٣٧٨ : « وقال الفراء : الذنوب فى كلام العرب : الدلو العظيمة ، ولكن العرب تذهب به إلى النصيب والحظ ، وبذلك فسر قوله تعالى : (فإن للذين ظلموا) أى أشركوا (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) أى حظا من العذاب ، كما نزل بالذين من قبلهم ، وأنشد الفراء :

لها ذنوب ولكم ذنوب   فإن أبيتم فلنا القليب »

وأنشده الطبرى فى تفسيره ٢٧/٩ والزمخشرى فى الكشاف ٤/٣٣ :
* لنا ذنوب ولكم الخ * وأنشده أبو حيان فى البحر المحيط ٨/١٣٢ :

وقال « العَبْدِىّ » :

أخى وأخُـوكَ ببطن النُّسَيْر ليس به مِنْ مَعَدٍّ عَرِيبُ[١]

ويكنى عن أخيه بنفسه .

قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَلمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾[٢] ، أى لا تعيبُوا إخوانكم من المسلمين ؛ لأنهم كأنفسهم .

وقال : ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾[٣] أى بأمثالهم من المسلمين .

و « بعض المفسّرين » يقول فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ ، أى على أهاليكم[٤] ، جعلهم أنفسهم على التّشبيه .

وقال : « ابن عباس » فى تفسير ذلك : البيوتُ : المساجدُ ، إذا دخلتها سلّمْتَ على نفسك وعلى عباد الله الصالحين[٥] .

● وقال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٦] ، أى إلى الجهاد الذى يُحْيِى دينكم ويُعْليكم .

إنا إذا نازلنا غريب له ذنوب ولنا ذنوب
وإن أبيتم فلنا القليب »

والشريب كما فى اللسان ١/٤٧١ « صاحبك الذى يشار بك ويورد إبله معك » .

(١) البيت لثعلبة بن عمرو العبدى ، من قصيدة له فى المفضليات ص ٢٥٤ وبطن النسير : موضع . وليس به عريب : ليس به أحد ، ولا تستعمل فى غير النفى .

(٢) سورة الحجرات ١١ وتفسير غريب القرآن ٣١٦ وانظر الطبرى ٢٨/٧٧ .

(٣) سورة النور ٦١ .

(٤) راجع ذكر من قال ذلك فى تفسير الطبرى ٢٨/١٣١ ــ ١٣٢ .

(٥) فى الطبرى ٢٨ / ١٣٢ عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : ﴿إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم﴾ قال : هى المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

(٦) سورة الأنفال ٢٤ .

• وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[١] ، أى لا تقتلوا إخوانكم ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[٢] ، أى أموال إخوانكم .

وإن جعلْتَهُ بمعنى لا يأكلْ بعضكم مال بَعْضٍ ، ولا يَقتلْ بعضكم بعضاً ـ فهو أيضاً قريب المعنى / من الأوّل . [٧٢]

٥ • وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾[٣] أراد : خلقْنا آدم وصوَّرناه ، فجعل الخلقَ لهم ، إذ كانوا منه .

• ومنه قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[٤] ، أى عقل ؛ لأن القلب موضعُ العقل ، فكنى عنه به .

١٠ • وقوله : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾[٥] ، أى تدلهم عقولهم عليه ؛ لأن الحِلم يكون من العقل ، فكنى عنه به .

• ومنه قوله : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾[٦] لأن التعذيب قد يكون بالسوط .

• ومنه قوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[٧] يعنى العِلْم ، لم يتحقَّقُوه

(١) سورة النساء ٢٩ « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما » .
(٢) سورة البقرة ١٨٨ « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .
(٣) سورة الأعراف ١١ .
(٤) سورة ق ٣٧ .
(٥) سورة الطور ٣٢ .
(٦) سورة الفجر ١٣ .
(٧) سورة النساء ١٥٧ . وتفسير غريب القرآن ١٣٦ .

ويَسْتَيقِنُوه . وأصل ذلك أن القتل للشيء يكون عن قهرٍ واستعلاء وغلبةٍ . يقول : فلم يكن عِلمهم بقتل المسيح عِلماً أُحِيطَ به ، إنما كان ظنًّا .

● ومنه قوله سبحانه : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾[١] ، أي كلَّ ذي مِخْلَبٍ من الطير ، وكلَّ ذي حافرٍ من الدّواب . كذلك قال المفسّرون . ٥

وسمّى الحافر ظُفراً على الاستعارة ، كما قال « الآخر »[٢] وذكر ضيفاً طرَقَه :

فما رَقَدَ الوِلْدَانُ حتَّى رَأَيْتُهُ ... على البَكْرِ يَمْرِيهِ بسَاقٍ وحافِرِ[٣]

فجعل الحافرَ موضعَ القدَم .

وقال « آخر » : ١٠

سَأَمْنَعُها أو سَوْفَ أَجْعَلُ أمْرَها ... إلَى مَلِكٍ أَظْلافُه لم تَشَقَّقِ[٤]

---

(١) سورة الأنعام ١٤٦ وتفسير غريب القرآن ١٦٣ .

(٢) هو جبيهاء الأشجعى ، كما فى الجمهرة ٣ / ٤٩٠ والبيت من قصيدة طويلة فى ملحق حماسة ابن الشجرى ص ٢٨٥ — ٢٨٩ .

(٣) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص ٢٣٣ والموازنة ص ٣٦ والموشح ٩١ وفى اللسان ٥/٢٨٣ « الجوهرى : الحافر : واحد حوافر الدابة ، وقد استعاره الشاعر فى القدم ، قال جبيهاء الأسدى يصف ضيفا طار فأسرع إليه :

فأبصر نارى وهى شقراء أوقدت ... بليل فلاحت للعيون النواظر

فما رقد الولدان — البيت — ومعنى يمريه : يستخرج ما عنده من الجرى » ومعنى شقراء : ذهب دخانها ، وذلك أشد لضوئها .

(٤) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص ٢٣٤ والموازنة ص ٣٦ وأبواب مختارة ص ٣٨ والأمالى ٢ / ١٢٠ وقال أبو عبيد البكرى فى اللآلىء ٢/٧٤٦ « البيت لعقفان بن قيس بن عبيد اليربوعى ، وكان النعمان بن المنذر استعمل الفلاق بن عمرو الرياحى على هجائن من يلى أرضه من العرب ، وكانت لعقفان هذا هجائن فأخفاها ، فطلبها الفلاق ، فعمد عقفان بإبله حتى أتى النعمان فأجاره ولم يأخذ منها شيئا ، فقال قصيدة منها :

يريد بالأظْلاف : قدَميْه ، وإنما الأظلافُ للشاء والبقر .

والعرب تقول للرجل : « هو غايظُ المَشَافِرِ » تريد الشفتين ، والمشافرُ للإبل .

وقال « الحُطَيْئَة » :

٥ قَرَوْا جارَكَ العَيْمَان لمّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهْ[1]

* * *

● ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾[2] .

قال « ابن عباس » : اليمين ههنا : القُوَّة . وإنما أقامَ اليمين مُقامَ القوّة ،
١٠ لأن قوة كل شيء في مَيامنه .

[٧٣] ولأهل اللغة في هذا مذهب / آخر قد جرَى الناس على اعتيادِه : انْ كان الله عز وجل أراده في هذا الموضع ، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجلٍ : خُذ

سواء عليكم شؤمها وهجانها وإن كان فيها واضح اللون يبرق

سأمنعها — البيت — وهذه من أقبح الاستعارات ، وإنما يريد بقوله : أظلافه لم تشقق أنه منتعل مترفه فلم تشقق قدماه » والبيتان لعقفان في الجمهرة ٣ / ٤٩٠ ، واللسان ١١ / ١٣٤ ، وفيه : « الشؤم : السود من الإبل ، والهجان : بيضها » .

(١) ديوانه ص ١٢ والمخصص ٤/١٣٦ ، والجمهرة ٣/٤٩٠ ، والموشح ص ٩١ والموازنة ص ٣٦ والصناعتين ص ٢٣٣ وفي الديوان : « لما تركته » وفيه بعد البيت :

سناما ومحضا أنبت اللحم فأكست عظام امرئ ما كان يشبع طائره

وقال السكري في شرحه : « يقول : لما لم يقدروا على شرب الماء من شدة البرد قروه : سناما ولبنا محضا . يقولون : لو وقع عليه طائر ما شبع من لحمه من شدة هزاله ، والمحض من اللبن : مالم يخالطه الماء » .

(٢) سورة الحاقة ٤٦ وتفسير غريب القرآن ٤٨٤ وانظر تفسير الطبري ٢٩/٤٢ .

بيده وافعل به كذا وكذا . وأكثرُ ما يقولُ السلطانُ والحاكمُ بعد وُجُوبِ الحُكم : خذ بيده واسفعْ بيده[١] .

ونحوه قول الله : ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[٢] أى لنأخُذَنَّ بها ، ثم لَنُقِيمنَّه ولنُذِلَّنَّه إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾[٣] أى يُجَرُّونَ إلى النار بنواصيهم وأرجلهم . ثم قال : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ وإنما يعنى صاحبها . والناس يقولون : هو مَشْئُوم الناصية . لا يريدونها دون غيرها من البدن . ويقولون: قد مرّ على رأسى كذا . أى مرّ علىّ .

فكأنه تعالى قال : لو كذب علينا فى شىء مما يلقيه إليكم عنّا ، لأمَرْنا بالأخذ بيده ، ثُمَّ عَاقَبْنَاه بقطع الوَتِينِ .

وإلى هذا المعنى ذهب « الحسن » فقال فى قوله تعالى : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أى بالمَيَامِن ، ثم عاقبناه بقطع الوتين ، وهو : عِرق يتعلق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .

ولم يُرد أنا نقطعه بعينه ، فيما يَرَى أهلُ النظر ، ولكنّه أراد : ولو كذَبَ علينا لأمَتْنَاه أو قتلناه ، فكان كمن قُطِع وتينُه .

ومثله قول النبى صلى الله عليه :

---

(١) اللسان ١٠ / ١١ – ١٢ « وسفع بناصيته ، ورجله ، يسفع سفعا : جذب وأخذ وقبض . وفى التنزيل « لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة » ناصيته : مقدم رأسه ، أى لنصهرنها ولنأخذن بها ، أى لنقمئنه ولنذلنه ... وحكى ابن الأعرابى : اسفع بيده : أى خذ بيده » .

(٢) سورة العلق ١٥ ، ١٦ . وتفسير غريب القرآن ٥٣٣ .

(٣) سورة الرحمن ٤١ .

« ما زالت أَكْلَةُ خَيْبَر تُعَادُّنِى ، فَهذَا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى »(١) .

والأَبْهَرُ : عِرقٌ يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه . فكأنَّه قال :
فهذا أوان قتلنى السّمّ ، فكنت كمن انقطع أَبْهَرُه .

* * *

٥ ● ومنه قوله سبحانه : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾(٢) ذهب « بعض
المفسّرين » فيه : إلى أنَّ الله عز وجل يَسِمُ وجهَه يوم القيامة بالسَّواد .
وللعرب فى مثل هذا اللفظ مَذْهَبٌ نُخبر به ، والله أعلم بما أراد .

تقولُ العرب للرجل يُسَبُّ الرجل سبَّةً قبيحة ، أو يَنْثُو عليه فاحِشَةً :
« قد وَسَمَهُ بميسم سوء » يريدون : أَلْصَق به عاراً لا يُفَارِقُه ، كما أنَّ السِّمَةَ
١٠ لا تَنْمَحِى ولا يَعْفُو أَثَرُهَا .

[٧٤] وقال « جرير » :

لمـا وَضَعْتُ على الفَرَزْدَقِ مِيسَمِى
وعلى البَعِيثِ ، جَدَعْتُ أَنفَ الأَخْطَلِ(٣)

---

(١) فى صحيح البخارى بهامش الفتح : كتاب المغازى : باب مرض النبى صلى الله عليه سلم ووفاته ٨ / ٩٩ عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبرْ ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى » .

والحديث عند الدرامى فى مقدمة السنن : باب ما أكرم النبى صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى ١/٣٢ — ٣٣ من حديث أبى سلمة ، وعند أحمد فى المسند ٦/١٨ من حديث امرأة كعب ابن مالك رضى الله عنها .

وفى اللسان ٥/١٥٠ « تعاودنى » والفائق ١/٣٨ « تعادنى » وكذلك فى اللسان ٤/٢٧٤ وفيه : « أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة » .

(٢) سورة القلم ١٦ وانظر اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك فى الطبرى ٢٩/١٨—١٩ وانظر اللسان ١٥ / ٦٣ — ٦٤ .

(٣) ديوانه ص ٤٤٣ « وضعا البعيث » .

يريد : أنه وسَم « الفرزدق » ، وجَدَع أنف « الأخطل » بالهجاء ، أى أبقى عليه عاراً كالجدْعِ والوسْم .

و « قال » أيضاً :

رُفِـعَ المَطىُّ بما وسَمْتُ مُجاشِعاً والزّنبَرِىُّ يَعُومُ ذو الأَجْلَالِ[1]

يريد : أن هجاءه قد سارت به المطىّ ، وغُنِّىَ به فى البر والبحر . وقال : ٥

وأوْقدتُ نَارِى بالحديدِ فأصبَحتْ لها وَهجٌ يُصْلِى به اللهُ مَنْ يُصْلِى[2]

شَبَّهَ شِعرَهُ بالنَّار ، وهجاءَهُ بمواسم الحديد .

وقال « الكُمَيت بن زيد » يذكر قصيدة له[3] :

تُعَلِّطُ أقْوَاماً بمَيسِمِ بَارِقٍ وتَقْطِمُ أو بَاسْاً زَنِياً ومُسْنَدَا

والعِلَاط : سِمَةٌ فى العُنُق . ١٠

وربما استعاروا للهجاء غيرَ الوَسْمِ ، كقول « الهذلىّ » :

مَتَى ما أشَأْ غَيْرَ زَهْوِ المُلُو كِ أجعَلْكَ رَهْطاً عَلَى حُيَّضِ[4]

---

(١) ديوانه ص ٤٦٦ والنقائض ١/٢٩٥ واللسان ١٣/١٢٨ والمعانى الكبير ٢ / ٨٠٢ وشرحه ابن قتيبة بقوله : « الزنبرى . العظام من السفن ، والأجلال : الشرع . يقول : غنى بهجائى لهم فى البحر والبر » والشطر الثانى غير منسوب فى اللسان ٥ / ٤١٩ « كالزنبرى يقاد بالأجلال » .

(٢) ديوانه ٤٦٢ .

(٣) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٨٠٣ « وقال يذكر قصائده :

غرائب يدعون الرواة كأنما رشونهم والراكب المتفردا

نعلط . . . وتقطم أو باشا حميلا ومسندا » يقول : يطلبها الناس حتى يرووها من حسنها ، فكأنها رشتهم . والعلاط : سمة فى العنق بمنزلة القلادة . والمسند : الدعى ، والحميل : الذى يحمل من بلاده صغيرا » .

(٤) الشعر لأبى المثلم الهذلى ، كما فى شرح أشعار الهذليين ١/٣٠٦ ـ ٣٠٧ وهذا البيت له فى اللسان ١٩/٨٠ ، ٩ / ١٧٧ وغير منسوب فى مقاييس اللغة ٢/٤٥٠ ، ٣/٢٩ والمخصص ٢ / ٣٦ وذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١/ ٤٨٤ ، ٥٩٣ وقال فى شرحه : «الرهط : =

وأَكْحُلْكَ بالصَّابِ أو بالجَلاَ ففقِّحْ لِكَحْلِكَ أو غَمِّضِ[١]
وأُسْعُطْكَ في الأنفِ ماءَ الأَبا ءِ مِمَّا يُثَمِّلُ بالمِخْوَضِ[٢]
جَهِلْتَ سَعُوطَكَ : حتى ظَنَنْتُ بأَنْ قد أُرِضْتَ ، ولم تُؤْرَضِ[٣]

والرَّهطُ : جلدٌ تلبسه المرأة أيامَ الحيض .

٥ والصابُ : شجرٌ له لبنٌ يحرقُ العين .

والجلاَ : كحلٌ يُحكُّ على حَجَرٍ ثم يُكتحل به .

والأباء : القَصَبُ ، وماؤه شرُّ المياه .

ويقال : الأباء ههنا : الماء الذي تَشرب منه الأَرْوَى ، فتبول فيه وتُدَمِّنُهُ .

ويُثَمِّلُ : يُنْقَع .

١٠ وهذه أمثال ضربها لما يهجوه به .

وقال « آخر » :

سَأَكْسُوكُمَا يا ابْنَيْ يزيدَ بنَ جُعْشُمٍ
رداءَيْنِ مِنْ قَارٍ ومِنْ قَطِرَانِ[٤]

في أشباهٍ لهذا كثيرة .

* * *

= جلد يشق أسفله ويترك أعلاه فيلبسه الصبيان ، وهذا مثل ، وإنما أراد : إذا أسبك وألبسك العار» وفي اللسان ٩/١٧٧ « الرهط : جلد قدر ما بين الركبة والسرة تلبسه الحائض ، وكانوا في الجاهلية يطوفون عراة والنساء في أرهاط » والزهو ـ كما في اللسان ١٩ / ٨٠ « الكبر والتيه والفخر والعظمة » .

(١) البيت في اللسان ١٨/١٦٤ «ففقح لذلك» والجمهرة ٢/١١٢ ومعنى فقح : افتح عينيك .

(٢) قال السكرى : المخوض : الذي يخاض به .

(٣) قال السكرى : أرضت : زكمت ، والمأروض : المزكوم . وبه أرض : أي زكام .

(٤) البيت غير منسوب في الشعر والشعراء ١ / ١٥٦ وفيه « من قير » وهو غير منسوب كذلك في المعاني الكبير ٢ / ٧٩٩ ، ١١٧٥ وبعده فيهما :

إذا لبسا زادا على اللبس جدة ولم يبل وشي منهما لأوان

وهذه الآية(١) نزلت فى « الوليد بن المغيرة » ، ولا نعلم أن الله عزّ وجل وصف أحدا وصْفَهُ له ، ولا بلغ من ذكرِ عيوبه ما بلغه من ذكرِها منه / [٧٥] لأنه وصفَهُ بالُخلْف ، والمهانة ، والعيب للناس ، والمشى بالنّمائم ، والبخل ، والظلم ، والإثم ، والجفاء ، والدِّعوة .

٥ فألحق به عارا لا يفارقهُ فى الدنيا ولا فى الآخرة ، كالوسم على الخرطوم ، وأبينُ ما يكون الوَسْمُ فى الوجه .

ومما يشهد لهذا المذهب ، ما رواه سُفْيَانُ ، عن زكريا ، عن « الشّعْبى » فى قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾(٢) أنه قال : العُتُلُّ : الشديد . والزّنيم : الذى له زَنَمَةٌ من الشّرّ يُعرفُ بها ، كما تُعرفُ الشاةُ بالزّنَمةِ .

١٠ أراد « الشّعبى » : أنّه قد لحتمته سُبّة من الدِّعوة عُرِفَ بها كزَنَمةِ الشّاة(٣) .

* * *

● ومنه قوله : ﴿ وامرأتُه حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فى جِيدِها حَبْلٌ من مَسدٍ ﴾(٤) .

١٥ قال «ابن عباس» : فى رواية أبى صالح عنه : الحطب : النّميمةُ(٥) وكانت تَنِمُّ وَتُؤرِّش بين الناس .

---

(١) يقصد قوله تعالى : « سنسمه على الخرطوم » راجع ص ١٥٦ .

(٢) سورة القلم ١٣ . وقد أحال فى تفسير غريب القرآن على ما هنا .

(٣) راجع تفسير الطبرى ٢٩/١٦ – ١٨ .

(٤) سورة المسد ٤ ، ٥ . وتفسير غريب القرآن ٥٤٢ .

(٥) قال الطبرى فى تفسيره ٣٠ / ٢١٩ « واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « حمالة الحطب » فقال بعضهم : كانت تجىء بالشوك فتطرحه فى طريق رسول الله ، صلى عليه وسلم ، ليدخل فى قدمه إذا خرج للصلاة .. عن ابن عباس فى قوله : وامرأته حمالة الحطب قال: كانت=

ومن هذا قيل : « فلان يَحْطِبُ عَلَيَّ » إذا أغْرَى به ، شبّهوا النَّميمةَ بالحطَبِ ، والعداوةَ والشحناء بالنار ؛ لأنّهما يقعان بالنميمة ، كما تلتهب النار بالحطب . ويقال : نار الحِقْد لا تَخْبُو . فاستعاروا الحطب فى موضع النميمة . وقال « الشاعر » وذَكَرَ امرأة :

٥ مِنَ البِيضِ لمْ تَصْطَدْ عَلَى حَبْلِ سَوْأَةٍ
وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الحَيِّ بالخِطْرِ الرَّطْبِ[1]

أى لم تُوجَدَ على أمر قبيح ، ولم تَمْشِ بالنمائِم والكَذِب .

والخِطْر : الشّجر ذو الشَّوك يُحْظَرُ به .

وقال « آخر » :

١٠ فَلَسْنَا كَمن تُزْجَى المقالةُ شَطْرَهُ
بقَرفِ العِضَاهِ الرَّطْبِ وَالعَبَلِ اليَبْسِ

وقال « بعض المتقدمين » : كانت تُعيِّرُ رسول الله ، صلى الله عليه ، بالفقر كثيراً ، وهى تحتَطِب على ظهرها بحبل من ليف فى عنقها .

تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم ليعقرة وأصحابه . ويقال : حمالة الحطب : نقالة للحديث . . . وقال آخرون : قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام وتمشى بالنميمة ، وتعير رسول الله بالفقر . . . وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال : كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك » .

(٥) فى اللسان ١/٢١٣ : « قال الأزهرى : جاء فى التفسير أنها أم جميل امرأة أبى لهب ، وكانت تمشى بالنميمة ، ومن ذلك قول الشاعر :

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

يعنى بالحطب الرطب: النميمة » وأنشد عجزه فى ٥/٢٧٩« لم يمش بين الحى بالحظر الرطب» . والبيت غير منسوب كذلك فى مقاييس اللغة ٢ / ٧٩ « على حبل لأمة » والبحر المحيط ٨/٥٢٦ « جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر » وأساس البلاغة ١ / ١٨٣ « على خبل لامة » .

ولستُ أدرى كيف هذا ! لأنّ الله عز وجل وصفه بالمـال والوَلد ، فقال : ﴿ ما أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[١] .

وأما المَسَدُ ، فهو عند كثير من الناس : اللّيف دون غيره . وليس كذلك ؛ إنما المسدُ : كلّ ما ضُفِر وفُتِلَ من اللّيف وغيره ، يقال : مَسَدت الحْبل / مَسْداً إذا فتَلْتَه ، فهو مَسَدٌ . كما تقول : نفضْتُ الشّجرة نفضاً ٥ وخَبَطْتُها خَبْطاً . واسم ما يسقط من ثمرها وورقها : نَفَضٌ وَخَبَطٌ ، ومنه قيل : رجل مَمْسُودُ الخَلْق ؛ إذا كان مَجْدُولًا مفتولا[٢] .

ويدلُّكَ على أن المَسَد قد يكون من غير الليف ، قولُ « الرّاجز » :

يا مَسَدَ الخُوصِ تعوّذْ مِنِّى إنْ تكُ لَدْنًا لَيِّناً فإنِّى

مَا شِئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَئِنِّ[٣] ١٠

فجعله هذا من خُوص .

وقال « آخر » :

---

(١) سورة المسد ٢ ، وقال الطبرى ٣٠/٢١٨ « يقول تعالى ذكره : أى شىء أغنى عنه ماله ودفع من سخط الله عليه ؟ وما كسب : هم ولده ، وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل» .

(٢) اللسان ٤/٤١٠ .

(٣) فى اللسان ٤ / ٤٠٩ « ابن سيده : المسد : حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف ، أو جلود الإبل ، أو جلود ، أو من أى شىء كان ، وأنشد :

* يا مسد الخوص . . . مقسئن *

قال : وقد يكون من جلود الإبل ، أو من أوبارها » والرجز غيرمنسوب كذلك فى اللسان ١٧ / ٢٢١ « والمقسئن : الذى قد انتهى سنه ، فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب . وقيل : هو الذى فى آخر شبابه وأول كبره » .

ومَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقِ [(١)] لَسْنَ بأنْيابٍ ولا حَقائقِ [(٢)]

فجعله هذا من جلود الإبل .

وأراد الله ، تبارك وتعالى ، بهذا الحبل السلسلةَ التى ذكرها ، فقال : ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه ﴾ [(٣)] . كذلك قال ٥ « ابن عباس » .

فيجوز أن يكون سمّاها مَسَدًا ، وإن كانت حديداً أو ناراً أو ما شاء الله أن تكون ، بالضَّفْر والفَتْل .

* * *

● ومنه قوله سبحانه : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ ١٠ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِين ﴾ [(٤)] .

---

(١) البحر المحيط ٨ / ٥٢٤ وفى مجاز القرآن ٢/٣١٦ ، وتفسير الطبرى ٣٠ / ٢٢١ وبعده فيهما :

* صهب عتاق ذات مخ زاهق *

(٢) الرجز فى اللسان ١١/٣٣٩ لعمارة بن طارق ، وفيه ٤ / ٤٠٩ « وأنشد الأصمعى لعمارة بن طارق — وقال أبوعبيد : هو لعقبة الهجيمى — :

فاعجل بغرب مثل غرب طارق ومسد أمر من أيانق

* ليس بأنياب ولا حقائق *

يقول : اعجل بدلو مثل دلو طارق ، ومسد فتل من أيانق ، وأيانق : جمع أينق ، وأينق : جمع ناقة . والأنياب : جمع ناب ، وهى الهرمة . والحقائق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة ، وليس جلدها بالقوى ، يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير ، بل هو جلد ثنية أو رباعية أو سديس أو بازل » .

والرجز فى اللسان أيضا ١٢/١٣ لعثمان بن طارق .

(٣) سورة الحاقة ٣٢ وانظر تفسير الطبرى ٢٩/٤٠ .

(٤) سورة الأنبياء ٧ .

قال « قتادة » و « الحسن » : اللهو : المرأة[١] :

وقال « ابن عباس » : هو الولد .

والتفسيران متقاربان ؛ لأن امرأة الرجل لَهْوه ، وولدَه لهوُه[٢] ، ولذلك يقال : امرأة الرجل وولده رَيْحَانَتَاهُ .

وأصل اللهو : الجماع ، فكُنِّىَ عنه باللهو[٣] ، كما كُنِىَ عنه بالسِّرِّ ، ثم قيل للمرأة لَهْوٌ لأنها تُجامَع . قال « امرؤ القيس » :

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليوم أَنَّنى
كَبِرْتُ وألّا يُحسِنَ اللهوَ أمثالى[٤]

أى النكاح .

ويروى أيضاً : « وألا يحسن السر أمثالى » : أى النكاح

وتأويل الآية : أن النَّصارى لما قالت فى المسيح وأمِّه ما قالت[٥] ، قال الله جل وعز : لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ، أى صاحبةً وولداً ، كما يقولون ، لاتَّخَذْنَا ذلك مِنْ لَدُنَّا ، أى من عندنا ، ولم نتَّخذه من عندكم لو كُنَّا فَاعِلِين

(١) فى تفسير الطبرى ٢٧ / ٨ « عن عقبة بن أبى حمزة ، قال : شهدت الحسن بمكة ، وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد ، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهوا لا تخذناه » قال الحسن : اللهو : المرأة ... عن قتادة : اللهو بلغة أهل اليمن : المرأة » .

(٢) فى اللسان ٢٠ / ١٢٦ « اللهو فى لغة أهل حضرموت : الولد . وتأويله فى اللغة : أن الولد لهو الدنيا ، أى لو أردنا أن نتخذ ولدا ذا لهو نلهى به . ومعنى لا تخذناه من لدنا ، أى لاصطفيناه مما نخلق » .

(٣) اللسان ٢٠ / ١٢٦ .

(٤) ديوانه ص ١٠٦ ، والجمهرة لابن دريد ١/٨٢ .

(٥) فى الطبرى ٢٧/٨ « عن ابن جريج ، قال : قالوا : مريم صاحبته وعيسى ولده ، فقال تبارك وتعالى : لو أردنا الخ » .

ذلك ، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره .

وقال الله فى مثل هذا المعنى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ[1] ﴾ ، يعنى الملائكة .

٥ * * *

● ومنه قوله سبحانه : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[2] .

وأصل الذَّوَاقِ : بالفم ، ثم قد يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار ، تقول فى الكلام : نَاظِرْ فُلاناً وذُقْ ما عنده ، أى تعَرَّف واختبر ، واركب

١٠ الفرس وذُقْه .

قال « الشَّماخ » فى وصف قَوْس :

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ من اللّين جَانِباً
كَفَى وَلَها أَنْ تُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ[3]

يريد : أنه ذاق القَوسَ بالنَّزْعِ فيها ليعلم أَلَيِّنَةٌ هى أم صُلبةٌ ؟

١٥ وقال « آخر » :

(١) سورة الأعراف ٢٠٦ .

(٢) سورة النحل ١١٢ .

(٣) ديوانه ص ٤٩ وجمهرة أشعار العرب ١٥٧ وأساس البلاغة ٣٠٦/١ والشعر والشعراء ٢٧٥/١ والحيوان ٢٩/٥ واللسان ٤٠١/١ وفى ص٤٠٢ « أى لهـا حاجز يمنع من إغراق ، أى فيها لين وشدة ... وذقت القوس : إذا جذبت وترها لتنظر شدتها » .

وإنَّا للهَ ذَاقَ حُلومَ قَيْسٍ فلمَّا رَآءَ خِفَّتهَا قَلاهَا [١]

وهذه الآية نزلت فى أهل مكة ، وكانوا آمنين بها [٢] لا يُغَارُ عليهم ، مطمئنين لا يَنْتَجِعُون ولا يتنقَّلون ، فأبدلهم الله بالأمن الخوفَ من سَرَايَا رسول الله صلى الله عليه وبُعُوثِهِ ، وبالكفاية الجوعَ سبع سنين ، حتى أكلوا القِدَّ والعِظَامَ .

« ولباسُ الجوع والخوف » : ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضُّمْرِ والشُّحوب ونَهكَةِ البدن ، وتغيّر الحال ، وكُسُوف البال [٣] .

وقال فى موضع آخر : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ [٤] ، أى ما ظهر عنه من السَّكِينَةِ والإخْباتِ والعمل الصالحِ ، وكما تقول : تعرَّفْتُ سوء أثرِ الخوف والجوع على فلان ، وذقت بمعنى : تعرفتُ واللِّبَاسُ : بمعنى سوء الأثر — كذلك تقول : ذقتُ لِبَاسَ الجوع والخوف ، وأذاقنى الله ذلك .

* * *

(١) قال الجاحظ فى الحيوان ٥ / ٣٠ « قال يزيد بن الصعق لبنى سليم حين صنعوا بسيدهم العباس [بن أنس] ما صنعوا وقد كانوا توجوه وملكوه ، فلما خالفهم فى بعض الأمر وثبوا عليه ، وكان سبب ذلك قلة رهطه — : وإن الله ذاق ... فلما ذاق خفتها الخ وبعده :

رآها لا تطيع لها أميرا فخلاها تردد فى خلاها »

خلاها : تركها ، والخلى : الرطب من النبات .

(٢) راجع الطبرى ١٤ / ١٢٤ .

(٣) قال الطبرى ١٤ / ١٢٥ « يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع» وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله ، تعالى ذكره ، ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية ، بدعاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العلهز والجيف . قال أبو جعفر : والعلهز : الوبر يعجن بالدم ، والقراد يأكلونه . وأما الخوف ، فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله التى كانت تطيف بهم . وقوله : « بما كانوا يصنعون » يقول : بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويجحدون آياته ، ويكذبون رسوله ... » .

(٤) سورة الأعراف ٢٦ . وتفسير غريب القرآن ١٦٦ .

• ومنه قوله : ﴿ والْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ﴾ [١] يعنى الملائكة ، يريد : أنها متتابعةٌ يتلو بعضها بعضاً بما تُرْسَلُ به من أمر الله عز وجل .

وأصلُ هذا من عُرْف الفرس ؛ لأنه سطرٌ مستوٍ بعضُه فى إثْرِ بعض . فاستُعِيرَ للقوم يتبع بعضُهم بعضاً [٢] .

٥ ومنه يقول الناس : هُمْ إليه عُرْفٌ وَاحِدٌ ، إذا كثروا وتتابعوا فى توجُّههم إليه [٣] .

ويقال : أُرْسِلْتُ بالعُرْفِ أى بالمعروف .

* * *

ومنه قوله سبحانه : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤]

[٧٨] والاستدراج : أن يُدنيَهم من بأسه قليلا قليلا / من حيث لا يعلمون ، ولا يباغتَهم [٥] ولا يجاهِرَهم . ومنه يقال : دَرجْتُ فلاناً إلى كذا وكذا ، واسْتَدْرِجْ فُلاناً حتى تعرف ما عنده وما صنع . يُرَادُ لا تجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال ، ولكن استخرج ما عنده قليلا قليلا .

وأصل هذا من الدَّرَجة ، وذلك أن الراقى فيها النازلَ منها ينزل مِرْقاةً

١٥ مِرْقاةً ، فاستَعِيرَ هذا منها .

---

(١) سورة المرسلات ١ . وتفسير غريب القرآن ٥٠٥ .

(٢) راجع اللسان ١١/١٤٤ .

(٣) فى تفسير الطبرى ٢٩/١٤١ « حدث محمد بن يزيد عن إسماعيل ، قال سألت أبا صالح عن قوله : « والمرسلات عرفاً » قال : هى الرسل ترسل بالمعروف . قالوا : فتأويل الكلام : والملائكة التى أرسلت بأمر الله ونهيه ، وذلك هو العرف . وقال بعضهم : عنى بقوله : «عرفاً » : متتابعة كعرف الفرس ، كما قالت العرب : الناس إلى فلان عرف واحد ، إذا توجهوا إليه فأكثروا ... » .

(٤) فى سورة الأعراف ١٨٢ ، وسورة القلم ٤٤ . وتفسير غريب القرآن ٤٨١ .

(٥) [illegible] بعضهم : معناه سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم » .

• ومنه قوله سبحانه : ﴿ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾[١] أى يُمسكون عن العطية . وأصل هذا : أن المُعْطِيَ بيده يمدُّها ويبسطها بالعطاء ، فقيل لكل من بَخِلَ وَمَنَعَ : قد قَبَضَ يده .

* * *

• ومنه قوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾[٢] أى : مُمْسِكَةٌ . ٥

* * *

• ومنه قوله : ﴿ وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[٣] : أى دنَوا من الهلاك . وأصل هذا : أن العَدُوّ إذا أحاط بقومٍ أو ببلدٍ فحاصَرَهُ فقد دنا أهله من الهَلَكَةِ . وقال فى موضع آخر : ﴿ وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾[٤] . ١٠

* * *

• ومنه قوله : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأرضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾[٥] تقول العربُ إذا أرادت تعظيم مهلكِ رجل عظيم الشأن ، رفيع المكان ، عامّ النفع ، كثير الصنائع : « أظلمت الشمس له ، وكَسَفَ القمرُ لفقده ، وبكته الرّيحُ والبرقُ والسماءُ والأرضُ » . ١٥

---

(١) سورة التوبة ٦٧ .

(٢) سورة المائدة ٦٤ وتفسير غريب القرآن ١٤٤ وانظر اللسان ١٤/١٧ .

(٣) سورة يونس ٢٢ . وتفسير غريب القرآن ١٩٥ .

(٤) سورة الكهف ٤٢ وتفسير غريب القرآن ٢٦٨ وفى اللسان ٩/١٥٠ « أى أصابه ما أهلكه وأفسده » .

(٥) سورة الدخان ٢٩ وأحال فى تفسير غريب القرآن على ما هنا ، وانظر تفسير الطبرى ٢٥/٧٤ ــ ٧٥ وأمالى المرتضى ١/٣٨ .

يريدون المبالغة فى وصف المصيبة به ، وأنها قد شمِلت وعمّت . وليس ذلك بكذب ؛ لأنَّهم جميعاً مُتَوَاطِئُون عليه ، والسَّامِعُ له يَعرف مذهب القائل فيه .

وهكذا يفعلون فى كل ما أرادوا أن يعظّموه ويَسْتَقْصوا صفته . ونيَّتُهمْ فى قولهم : أظلمت الشمس ، أى كادت تُظلم ، وكسَفَ القمر ، أى كاد يَكسِف .

ومعنى كاد : همَّ أن يفعَلَ ولم يفعل . وربما أظهروا كاد ، قال «ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِىّ» يرثى رجلا [١] :

الرِّيحُ تَبْـكِى شَجْـوَهُ والبَرْقُ يَلْمَعُ فى غَمَامَه [٢]

وقال « آخر » :

الشَّمْسُ طَالِعَـةٌ لَيْسَـتْ بِكَاسِفَـةٍ
تَبْـكِى عَلَيْكَ ، نُجُومَ اللَّيْلِ والقَمَرا [٣]

أرادَ : الشمسُ طالعةٌ تبكى عليك ، وليست مع طلوعها كاسِفةً النجومَ والقمرَ ؛ لأنَّها مظلمةٌ ، وإنما تَـكْسِفُ بضوئها ، فَنُجُومُ الليل باديةٌ بالنهار .

وهذا كقول « النابغة » وذكر يوم حرب :

---

(١) راجع تعليقات ص ٧٤ .

(٢) البحر المحيط ٧/٣٦ وأمالى المرتضى ١/٣٩ ، ٢/٩٦ وشرح شواهد الشافعية ص٣٦ وهو غير منسوب فى الصاحبي ص ٢٠١ والأضداد لابن الأنبارى ص ٣٧٢ .

(٣) البيت غير منسوب فى اللسان ١٨/٨٩ ، وفيه ١١/٢٠٨ لجرير ، وفى أمالى المرتضى ١/٢٩ له يرثى عمر بن عبد العزيز ، والأزمنة والامكنة ٢/٣١٣ .

تَبْدُوا كَوَاكِبُهُ والشمسُ طَالِعةٌ
لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ (١)

ونحوه قول « طَرَفة » فى وصف امرأة :

إنْ تُنَوِّلْهُ فقَدْ تمنَعُهُ وَتُرِيهِ النّجمَ يَجْرِى بالظُّهُرْ (٢)

يقول : تَشقُّ عليه حتى يُظلَمَ نهارُه فيرَى الكواكب ظهراً . ٥

والعامة تقول : أرانى فلانٌ الكواكبَ بالنّهار ، إذ برّح به .

وقال « الأعشى » :

رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِرًا
تَرَى لِلكواكب ظُهْرًا وَبِيصا (٣)

أى : رجعتَ كئيباً حسيراً ، قد أظلَمَ عليكَ نهارُك ، فأنت ترى ١٠
الكواكب تُعالِى النّهارَ بريقاً .

* * *

وقد اختلف الناس فى قول الله عز وجل : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ ﴾ (٤) .

فذهب به « قومٌ » مَذَاهِبَ العرب فى قولهم : بكته الريحُ والبرق . كأنه ١٥
يريد أن الله عز وجل حِينَ أهلك فرعون وقومَه وغرّقهم وأوْرَثَ منازِلهم

---

(١) ديوانه ص ٣٠ والشعر والشعراء ١/١٢٥ .

(٢) أمالى المرتضى ١/٢٩ والكامل ١/٤٠٢ وفى ديوانه ص ٦٥ : « والتنويل : التقبيل هنا ، يقال : أنلته ونلته ، ونولته : أعطيته . وبالظهر ، أى يظلم نهاره ، وهذا مثل » .

(٣) فى ديوانه ص ١٣٩ : « ومستحسناً ترى للكواعب كهرا وبيصا » وبيص بريق ، قال : كهرى نصف النهار وهو الظهيرة . فى اللسان ٨/٤٧٠ « كهر النهار يكهر كهراً : ارتفع واشتد حره . الأزهرى : كهر النهار : ارتفاعة فى شدة الحر » .

(٤) سورة الدخان ٢٩ .

وجنَّاتهم غيرَهم ـ لم يَبْكِ عليهم باكٍ ، ولم يجزع جازعٌ ، ولم يُوجَدْ لهم فَقْدٌ [١] ـ

وقال « آخرون » : أراد : فما بكى عليهم أهلُ السماء ولا أهل الأرض . فأقامَ السماءَ والأرضَ مقامَ أهلهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [٢] ، أراد أهلَ القرية .

٥ وقال : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [٣] ، أى يضع أهلُ الحربِ السِّلاح .

وقال « ابن عباس » : لكل مؤمنٍ بابٌ فى السماء يصعَدُ فيه عمله ، وينزل منه زرقه ، فإذا مات بكى عليه البابُ ، وبكت عليه آثارُه فى الأرض ومُصَلّاه . والكافر لا يَصْعد له عمل ، ولا يبكى له باب فى السماء ولا أثرُهُ ١٠ فى الأرض [٤] .

* * *

[٨٠] • ومن هذا الباب / قول الله جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ [٥] يريد أنهم ينظرون إليك بالعداوة نظراً شديداً يكاد يُزْلِقُكَ من شدّته ، أى يُسقِطك [٦] .

---

(١) راجع المجلس الخامس من أمالى المرتضى ١/٤٩ ـ ٥٥ .

(٢) سورة يوسف ٨٢ .

(٣) سورة محمد ٤ .

(٤) راجع ماروى عن ابن عباس فى ذلك ، فى تفسير الطبرى ٢٥/٧٤ ـ ٧٥ والدر المنثور ٦/٣٠ ـ ٣١ .

(٥) سورة القلم ٥١ ، وانظر تفسير الطبرى ٢٩/٢٩ ـ ٣٠ .

(٦) فى اللسان ١٢/١٠ « قال أبو إسحاق : مذهب أهل اللغة فى مثل هذا : أن الكفار من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم إليك نظر البغضاء ، أن يصرعوك ، يقال : نظر فلان إلى نظراً كاد يأكلنى وكاد يصرعنى . وقال القتيبي : أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالبغضاء يكاد يسقطك ، وأنشد : يتقارضون ... ـ البيت » .

ومثله قول الشاعر :

يَتَقَارَضُونَ إذا الْتَقَوْا فى مَوْطِنٍ ... نظراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأقْدَامِ [(١)]

أى ينظر بعضهم إلى بعضٍ نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء ، يزيل الأقدام عن مواطئها .

فتفهَّم قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ أى يقاربون أن يفعلوا ذلك ، ولم يفعلوا . وتفهّم قول الشاعر : « نظراً يُزيلُ » ولم يقل : يَكادُ يزيل ؛ لأنه نواها فى نفسه .

وكذلك قول الله عز وجل : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا ﴾ [(٢)] إعظاماً لقولهم .

وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾ [(٣)] ، إكباراً لمكرهم . وقرأها بعضهم : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ [(٤)] .

وأكثرُ ما فى القرآن من مثل هذا فإنه يأتى بكادَ ، فما لم يأت بكاد ففيه إضمارها ، كقوله : ﴿ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [(٥)] ، أى كادت من شدّة الخوف تبلغُ الحلوقَ :

---

(١) البيت من غير نسبة فى تفسير غريب القرآن ٤٨٢ ، واللسان ٩/٢٨٣ والصناعتين ٢٨١ ، والبيان والتبيين ١/١١ ، وتفسير القرطبي / ٢٥٦ ، والبحر المحيط ٢/٣١٧ وقد ورد عجزه غير منسوب فى مقاييس اللغة ٣/٢١

(٢) سورة مريم ٩٠ وقبلها « وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد الخ » وانظر تفسير الطبرى ١٦/٩٧ ــ ٩٩ .

(٣) سورة إبراهيم ٤٦ .

(٤) فى القراآت الشاذة لابن خالويه ص ٦٩ « وإن كاد مكرهم ، على ، وابن مسعود ، وابن عباس ، رحمهم الله » .

(٥) سورة الأحزاب ١٠ .

وقد يجوز أن يكون أراد: أنها ترجُف من شدَّة الفَزَع وتجفُ ويتصلُ وَجِيفُها[1] بالحلوق، فكأنها بلغت الحلوقَ بالوَجِيبِ[2]. وهم يصفون القلوب بالخفقان، والنَّزْو عند المخافة والذُّعر.

قال «الشاعر» فى وصف مفازةٍ تَنزُو من مَخَافَتِهَا قُلُوبُ الأدِلَّاء:

٥ كأنَّ قُلُوبَ أَدِلَّائِهَا مُعَلَّقَةٌ بقرون الظِّبَاءِ[3]

وهذا مثل قول «امرىء القيس»:

ولا مِثْل يَومٍ فى قُدَارٍ ظَلِلْتُهُ كأنِّى وَأَصْحَابى على قَرْنِ أَعْفَرَا[4]

أى كأنّا من القلق على قرن ظبى، فنحن لا نستقر ولا نسكن.

* * *

١٠ وكان «بعض أهل اللغة» يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفَنِّ،

(١) فى اللسان ١١/٢٦٨ «وجف القلب وجيفا: خفق، وقلب واجف، وفى التنزيل: «قلوب يومئذ واجفة»».

(٢) فى اللسان ٢/٢٩٤ «وجب القلب يجب وجبا وجيبا: خفق واضطرب».

(٣) الحماسة البصرية ٢/٣٦٢، وقال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص ٤٤٨: «وقال المرار [الفقعسى] يذكر فلاة تنزو من مخافتها قلوب الأدلاء: كأن ـ البيت ـ يريد أنها تنزو وتجب، فكأنها معلقة بقرون الظباء؛ لأن الظباء لا تستقر، وما كان على قرونها فهو كذلك» وهو فى أمالى المرتضى ٢/٩ ـ كما هنا ـ من غير نسبة.

(٤) فى تأويل مختلف الحديث ص ٤٤٩: «يريد أنا لا نستقر ولا نطمئن، فكأنا على قرن ظبى» وقال المرتضى فى أماليه ٢/٩: «أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب، ومفارقة السكون والاستقرار، وإنما خص الظبى لأن قرنه أكثر تحركا ونشاطا واضطرابا؛ لنشاطه ومرحه وسرعته. وقد قال بعض الناس: إن امرأ القيس لم يصف شدة أصابته فى هذا البيت، فيليق قوله: «على قرن أعفرا» بالتأويل المذكور، بل وصف أماكن كان فيها مسرورا متنعما، ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصل:

ألا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

فيكون معنى قوله: «على قرن أعفرا» على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مشرف. شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبى، وهذا القول لابن الأعرابى، والأول للأصمعى».

والبيت فى ديوان امرىء القيس ص ٥١.

وينسبها فيه إلى الإفْرَاط وتجاوز المقدار . وما أرى ذلك إلا جائزاً حَسَناً على ما بينَّاه من مذاهبهم . .

[٨١] كقول « النابغة » في وصف سيوف / :

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ وتُوقِدُ بالصَّفَاحِ نَارَ الحُباحِبِ[1] ٥

ذَكر أنها تقطع الدّروعَ التى هذه حالُها ، والفارسَ حتى تبلغَ الأرضَ فتُورى النار إذا أصابت الحجارة .

وقول «النّمِر بن تَوْلب» فى صفة سيف :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنهُ إن ضَرَبْتَ به

بَعدَ الذراعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهادِى[2] ١٠

يقول : رسب فى الأرض بعد أن قطع ما ذكر ، واحتاج أن يحفر عنه ليستخرجه من الأرض .

ومثله قول « مُهَلهِل » :

(١) ديوانه ص ٤٤ ، والجمهرة ١/١٢٥ ، ٣/٤١ ، والوساطة ص ٤٣٥ ، والعمدة ٢/٥٩ ، وإعجاز القرآن ص ٧٧ ، وديوان المعانى ٢/٥٢ والحيوان ١/٣١٢ ، واللسان ١٢/٢٩ وفيه ١/٢٨٨ : « السلوقى : الدرع المنسوبة إلى سلوق ، قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض . وقال أبو حنيفة : نار حباحب ونار أبى حباحب : الشرر الذى يسقط من الزناد » وقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١/١٢٢ « وذكر أنها تقد الدروع التى ضوعف نسجها ، والفارس والفرس ، حتى تبلغ الأرض فتنقدح النار بها من الحجارة »

(٢) فى الشعر والشعراء ١/٢٧٠ « ذكر أنه قطع ذلك كله ثم رسب فى الأرض ، حتى احتاج إلى أن يحفر عنه ! وهذا من الإفراط فى الكذب » ، والبيت له فى الوساطة ص ٤٣٥ ونقد الشعر ص ١٨ والعمدة ٢/٥٨ ، والصناعتين ص ٢٨٣ ، والموشح ص ٧٨ ، والأغانى ١٩/١٦٢ ، وإعجاز القرآن ص ٧٧ ، وديوان المعانى ٢/٥١ .

ولولا الرِّيحُ أُسْمِعَ أهلَ حَجْرٍ صَليلَ البَيضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ (١)

وقال « قيس بن الخطيم » يَصِف طعنة :

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا

يَرَى قائمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا (٢)

٥ وقال « أيضاً » :

لَوَ انَّكَ تُلْقِي حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا

تَدَحْرَجَ عن ذِي سَامِهِ الْمُتَقَارِبِ (٣)

يقول : تَرَاصَّ القومُ فى القتال حتى لو أن ملقياً ألقى على بيضهم حنظلا لجرى عليها كما يجرى على الأرض ولم يستط لِشِدّة تَرَاصُفِهِمْ .

١٠ و « عن » بمعنى « على » .

---

(١) قال أبو على القالى فى الأمالى ٢/١٣٤ « حجر : قصبة اليمامة ، وحريمهم إنما كانت بالجزيرة . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف التى عملت من حديد غير أنيث ، ويروى : نقاف البيض يقرع بالذكور » وهى رواية الزيدى فى أماليه ص ١٢٢ ، وقال دعبل : وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام . والبيت فى الكامل ١/٣٥٠ ، و عمدة ٢/٥٩ ، والعقد ٥/٢٢٠ ، والوساطة ٤٣٥ ، والشعر والشعراء ١/٢٥٦ ، والحيوان ٦/٤١٨ ، والأغانى ٤/١٤٧ ، ومعجم الشعراء ٣٣١ ، والبيان والتبيين ١/١٢٤ والموشح ٧٤ ، ونقد الشعر ٨٤ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١/١٨٥ .

(٢) ديوانه ص ٣ : « ترى قائما من خلفها ، واللسان ٧/٩٦ : أنهر الطعنة : وسعها . ملكت : أى شددت وقويت ، ويقال : طعنه طعنة أنهر فتقها أى وسعه » ، وديوان المعانى ٢/٥١ ، والمختار من شعر بشار ٩١ ، وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ١/١٧٨ وبشرح المرزوقى ١/١٨٤ ، والأغانى ٣/١٦٠ ، والبحر المحيط ٨/١٨٤ .

(٣) ديوانه ص ١٣ ، ومعجم البلدان من أبيات ٨/٤٤ ، وغير منسوب فى المخصص ١١/٢٣ وفى اللسان ١٥/٢٠٥ « أى على ذى سامه ، وعن فيه بمعنى على ، والهاء فى سامه ترجع إلى البيض المموه به ، أى البيض الذى له سام ، قال ثعلب : معناه : أنهم تراصوا فى الحرب ، حتى لو وقع حنظل على رءوسهم على إملاسه واستواء أجزائه — لم ينزل إلى الأرض » . وانظر مجالس ثعلب ١/١٨٤ وعجزه له فى أدب الكاتب ٥١٣ وهو فى الإقتضاب ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

وذو سامه : بيضه المذهب . والسَّامُ : عُروق الذَّهب .

وقول « عنترة » :

وأنا المَنِيَّـةُ فى المَواطِنِ كلها والطَّعْنُ مِنِّى سَابِقُ الآجالِ (١)

وقال « بشار » :

إذا ما غَضِبْنَـا غَضْبَـةً مُضَرِيَّةً

٥

هَتَـكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا (٢)

وقال « طُرَيح الثقفى » :

لو قُلْتَ للسَّيل : دع طريقَكَ والـ ـموج عليه بالهَضْب يَعْتَـلِجُ (٣)

لارتدَّ أوْساخ أو لَكانَ لهُ فى سائِر الأرضِ عنك مُنْعَرَج

وقال « ابن ميّادة » :

١٠

ولو انّ قَيْسًا قيسَ عَيلانَ أَقْسَمَتْ على الشَّمسِ لم تَطْلُع عليك حِجَابُها (٤)

---

(١) ديوانه ص ١٠٩ ، والوساطة ٤٣٤ .

(٢) المختار من شعر بشار ١٦٣ ، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٥ ، والأغانى ٣/٣١ ، والشعر والشعراء ٢/٧٣٦ ، والعمدة ٢/١٧٣ ، والموشح ٢٤٨ ، والحيوان ٦/١١٢ ، وفى مجموعة المعانى : « للقحيف بن خمير ... كذا رواه أبو هلال العسكرى فى كتاب الحماسة الذى جمعه ، ونسبه إلى القحيف ، والبيت مشهور لبشار » ونسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٩٣ للقحيف ابن خمير ، وقال : « أخذ هذا البيت بشار فأدخله فى قصيدته » ، وفى اللسان ٢/٢٩٠ « وأنشد الأزهرى للغنوى : إذا ما غضبنا الخ ، وقال : حجابها : ضوء هاهنا » .

(٣) البيتان لطريح فى مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، كما فى الشعر والشعراء ٢/٦٦٠ والأغانى ٤/٨٠ ، ٨١ ، وفى اللسان ٣/٢٢٣ « يمدح الوليد بن عبد الملك » قال أبو الفرج : « وقوله : لوقلت للسيل دع طريقك » يقول : أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك فيه ، حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل ؛ لنفوذ أمرك . وإذا ضرب هذا مثلا ، وجعله مبالغة ؛ لأنه لاشىء أشد تعذرا من هذا وشبهه ، فإذا صرفه كان على كل شىء سواه أقدر . وقوله : « لساخ » أى لغاص فى الأرض ، « وارتد » أى عدل عن طريقه ، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك إلى سائر الأرض .

(٤) الأغانى ٢/١١٧ من قصيدة يهجو بها بنى أسد وبنى تميم وفيه : (لم يطلع عليكم) .

وقال « الطِّرِمَّاح » :

ولو أنَّ حُرْقوصاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ　　يَكُرُّ على صَفَّى تميمٍ لَوَلَّتِ[(١)]

وقال «آخر» يذكر حديث امرأة :

حَديثٌ لو انّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ　　غَرِيضاً أَتَى أَصحَابَهُ وهْوَ مُنْضَجُ[(٢)]

[٨٢] وقال « أبو النجم » يذكر سيلا / :

كأنَّ فَوْقَ الأُكْمِ مِنْ غُثَائِهِ　　قطائِفَ الشّام على عَبَائه

والشِّيحَ يَهْدِيهِ إلَى طَحْمَائِهِ[(٣)]

يقول : صار الجبلُ والسهل واحداً ، وصار الغُثاء على رءوس الأُكم .

والطَّحْماء : شجر ينبت فى الجبال[(٤)] .

١٠ والشِّيحُ ينبت فى السّهول[(٥)] ، فأراد أنه حَمَل نبْتَ السهل إلى الجبال .

و « قال » وذكر ظَلِيماً يَعْدُو ويطير :

* هَاوٍ تَضِلُّ الطّيرُ فى خَوائِهِ *

والخَوَاء : ما بين قوائمه وبطنه ، وبين الأرض إذا عدا وطار . يريد أنّ

---

(١) أنشده له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٦٨٠ وهو فى ديوانه ص ١٣٢ — ١٣٣ والشعر والشعراء ٢/٥٦٨ والصناعتين ٢٨٤ وحماسة ابن الشجرى ١٢٦ وراويته فيهما « ولو ان برغوثاً » والحرقوص : دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد من عضه ، كما قال الجاحظ فى الحيوان ٦/٤٥٤ .

(٢) نسبه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٤/٨٢ لجران العود ، وهو غير موجود فى ديوانه ، وفى الأمالى ٢/٧٦ لأم الضحاك المحاربية ، وكذلك فى زهر الآداب ٤/٨٨ .

(٣) فى الحيوان ٣/٣٨٩ » والشيخ تهديه إلى طحمائه » ! وهوتحريف .

(٤) اللسان ١٥/٢٥٣ .

(٥) فى اللسان ٣/٣٣٢ « الشيح . نبات سهلى ، يتخذ من بعضه المكانس ، وهو من الأمرار ، له رائحة طيبة وطعم مر ، وهو مرعى للخيل والنعم ، ومنابته القيعان والرياض » .

الطير يطير بينه وبين الأرض حتى يَضِـلَّ.

وقد يُرْوَى : * تَضِلُّ الرِّيحُ فى خَوَائِهِ[١] *

وقال «الـكُمَيْت» وذكر الرِّياح :

تَرَامَى بِـكَذَّانِ الإكامِ ومَرْوِهَا تَرَامِىَ وُلْدَانِ الْأَصَارِمِ بالخَشْلِ[٢]

أراد أن الرياح ترامى بالحجارة الـكبار ، كما يترامى الصّبيان بنوى المُقْلِ .

٥

وقال « آخر » :

زَعَمت غُـدَانَةُ أَنَّ فيها سَيِّدًا ضَخْمًا يُوَازِنُه جَنَاحُ الْجُنْـدَبِ[٣]

يُرْوِيه ما يُروِى الذّبابَ فينتَشِى سُـكراً وتشبعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ[٤]

هذه الأبيات التى ذكرناها ومثلها فى الشعر كثير .

* * *

١٠

والعرب تقول : « له الطِّمُّ والرِّمُّ » إذا أرادوا تـكثير ماله .

---

(١) فى اللسان ٢٦٩/١٠ « وخواء الأرض — ممدود — براحها ، قال أبو النجم :
* يبدو خواء الأرض من خوائه * ويقال : دخل فلان فى خواء فرسه ، يعنى ما بين يديه ورجليه . وأبو النجم وصف فرساً طويل القوائم » .

(٢) فى اللسان ٤١/٥ « الـكذان — بالفتح — حجارة كأنها المدر فيها رخاوة ، وربما كانت نخرة ، الواحد كذانة ... قال الـكميت يصف الرياح : ترامى إلخ » والخشل : المقل نفسه ، قيل : هو اليابس ، وقيل : هو رطبه وصغاره الذى لا يؤكل ، وقيل : هو نواه » كما فى اللسان ٢١٨/١٣ والمقل : حمل الدوم ، والدوم : شجرة تشبه النخلة فى حالاتها » .

(٣) ثمار القلوب ٣٢٥ غير منسوب نقلا عن الجاحظ ، وقال الجاحظ فى الحيوان ٣٩٨/٣ « وقال بعض الشعراء يهجو حارثة بن بدر الغدانى : زعمت ... ضخما يواريه » وهما فى الأغانى ١١/١٢ لأبيرد بن المعذر الرياحى يهجو حارثة ، وفيه : « يواريه » .

(٤) فى الأغانى « ذراع الأرنب » وفى الحيوان بعد البيتين : قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناح الجندب » ثم يقول : ويشبعه كراع الأرنب » . وإنما ذكر كراع الأرنب ، لأن يد الأرنب قصيرة ... » .

والطِّمُّ : البحر ، والرِّمُّ : الثرى . وهذا لايملكه إلا الله تعالى .

ويقولون : «فلان دون نائله العَيُّوق» ويقولون : «له الضِّحُّ والرِّيحُ[١]» .
يريدون ماطلعت عليه الشمس ، وجرت عليه الرِّيح .

ويقولون : « فلان يثير الكلاب عن مرابضها » يريدون أنه لِشرَهِه
٥ ولؤْمِه ـ يثيرها عن مواضعها ، يَطلُب تحتها شيئاً فاضِلا من طُعْمها ليأكُلَه .
وهذا ما لا يفعله بشر .

وقال « الشاعر » :

تركُوا جارَهُم يَأْكُلُه ضَبُعُ الوادى ويَرميه الشَّجرْ [٢]

والشجر لا يرمى أحدا .

١٠ وهذا كله على المبالغة فى الوصف ، وينوون فى جميعه يكاد يفعل ، وكلهم
يعلمُ المراد به .

[٨٣] وقال « آخر » / :

إذا رَأَيْتَ أَنْجُمًا من الأَسَدْ جَبهتِه أو الخَرَاةِ والكَتَدْ [٣]

بالَ سُهيْلٌ فى الفَضِيخِ فَفَسَدْ وطاب أَلْبَانُ اللِّقَاحِ فَبَرَدْ

---

(١) راجع اللسان ٣/٣٥٩ .

(٢) البيت غير منسوب فى الحيوان ٦/٤٥٤ وشرحه الجاحظ بقوله : « يقول : خذلوه حتى أكله ألأم السباع وأضعفها . وقـوله : « ترميه الشجر » يقول : حتى صار يرميه من لا يرمى أحداً » .

(٣) الرجز غير منسوب فى تفسير الطبرى ١٤/٨٩ ومبادىء اللغة ٧٩ واللسان ٢/٣٣٤ ، ٤/٣٨٠ ، ١٧/٤٧٧ ومجالس ثعلب ٢/٤٨٩ والاقتضاب ٣٩٩ .
« والجبهة : النجم الذى يقال له: جبهة الأسد ، وهى أربعة أنجم ينزلها القمر . والخراتان : نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان بينهما قدر سوط . والكتد : نجم ، وجمعه أكتاد وكتود . وسهيل : كوكب . والفضيخ: شراب يصنع من التمر ، وهو يفسد عند طلوع سهيل ، فلما كان طلوعه سبباً لفساده جعل سهيلا كأنه بال فيه » .

وهذا وقت يذهب فيه الفَضِيخُ ؛ لأنّه يكون من البُسْر ، والبسر يصير عند طلوع هـذه الأنجُم رُطَباً ، فلما كان فسادُه عن طـلوع سُهَيل ، وكان الشرابُ يفسد بأن يبال فيـه ـ جعَـلَ سُهيلا كأنه بالَ فيـه لمـّا أفْسدَهُ وقتَ طلوعِه .

وقال « دُكَيْن » : ٥

وقَدْ تَعَالَلتُ ذَمِيلَ العَنْسِ   بالسَّوْطِ فى دَيْمُومَةٍ كالتُّرْسِ[1]

* إذ عَرَّجَ الليل بروح الشمس *

فجعل للشمس رُوحا عرّج بها الليل .

والأصل فى هذا كله: أن كلَّ حيوان يموت تُقْبَضُ روحُه، فلما أبطل الليل الشمس جعله كأنه قَبض لها رُوحاً . ١٠

وقال « ذو الرُّمَّة » يصف إبلا فى مسيرها :

إذا اغْتَبَقَتْ نَجْماً فَغار تَسَحَّرَت   عُلَالَةَ نَجْمٍ آخرَ الليل طالِـعِ[2]

يقول: تهتدِى بكوكبٍ طالع أوّلَ الليل ، حتى إذا غاب اهتدت بكوكب

---

(١) الرجز غير منسوب فى البيان والتبيين ٣/٣٣٤ وفى الحيوان ٣/٧٤ لدكين وفى ص٣٦٣ « دكين الراجز أو أبو محمـد الفقعسى » وفى المؤتلف والمختلف ص ١٠٤ « لمنظور بن حبة الأسدى، ويروى هذا الرجز لدكين فى أرجوزة » وفيه « بالسعط فى ديمومة .. إذا عرج الـكيل بروح » وهو تحريف . وفى زهر الآداب ٢/١٢١ لاعرابى . وفى اللسان ١٣/٤٩٧ « وتعاللت الناقة : إذا استخرجت ما عندها من السير . وقال : وقد تعاللت ذميل العنس » والذميل : سير سريع لين . والعنس : الصخرة ، والعنس : الناقة القوية ، شبهت بالصخرة لصلابتها . والديمومة : الصحراء البعيدة .

(٢) فى ديوانه ص ٣٧١ « إذا اغتبقت ، هذا مثل، يقول: إذا ابتدأت كما يبتدأ الغبوق ، وهو شرب العشى ، يقول : يكون ذلك النجم غبوقها فى أول الليل ، فإذا غار ، أى غاب ، تسحرت علالة نجم ، أى بقية نجم، يقول : يكون سيرها فى ذلك الوقت بالسحر » .

آخر طالعٍ في السَّحر ، ولم يُرِدْهَا ، وإنما أراد رُكبانَها فجعلها تَغْتَبق النَّجْمَ ، وتَتَسَحَّر بالنَّجْم .

وقال « مُزَرِّد » :

ولو أَنَّ شَيْخاً ذا بَنِينَ كأنَّما   على رأسه مِن شاملِ الشَّيْبِ قَوْنَس[(١)]

٥ تُبَيِّتُ فيه العنكبوتُ بَناتِها   نَوَاشِئ حتَّى شِبْنَ أوْ هُنَّ عُنَّس[(٢)]

وإنما أراد طول مكث العناكب في رأسه ، فجعلهنَّ قد شِبْنَ وعَنَّسْنَ .

وأصل هذا : أنَّ المرأة إذا طال مُكثها في بيت أبيها لا تزوّج عَنَّسَت وشابت ، فاستعار الشيب والتَّعْنيسَ مثلًا لطُول مكث العناكب .

وقال « المُسَيّب بن عَلَس » :

١٠ دَعَا شَجَرَ الأرْضِ دَاعِيهم   لينصره السِّدرُ والأثْأَب[(٣)]

أراد أنه دعا عليهم الخلق يستنصرهم ، فضرب الشجر مثلا لكثرة الناس .

و « العوام » تقول: جاءنا بالشّوك والشجر . إذا جاء في جيش عظيم[(٤)] .

* * *

[٨٤] ● ومنه / قوله سبحانه : ﴿وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً﴾[(٥)] أي طعاما ، يقال: اتَّكأنا عند فلان، أي طَعِمنا .

---

(١) ذكرهما له ابن قتيبة في المعاني الكبير ص ٦٢٥ وذكر الأول مع بيتين آخرين في ص ٧٢١ حيث قال : « وقال مزرد وذكر امرأة » والأبيات التي ذكرها في الموضعين أثبتها الجاحظ في الحيوان ٥ / ٤١٠ وفيه « شيخاً ذا بنين » .

(٢) قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ص ٦٣٥ « العناكب لا تشيب وإنما هو مثل ، أي كما يطول مكث العانس في بيت أبويها حتى تشيب ولا تتزوج » .

(٣) ديوان المسيب المطبوع مع ديوان الأعشى ص ٣٥١ والعمدة ١ / ٢٨٠ .

(٤) نقله ابن رشيق في العمدة ١ / ٢٨٠ .

(٥) سورة يوسف ٣١ .

وقال « جميل » :

نَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ[(١)]

والأصل: أن من دعوته ليطعَم أعددت له التكأة للمُقام والطمأنينة، فسمّى الطعام متّكئاً على الاستعارة .

٥

* * *

● ومنه قوله تعالى : ﴿مَامِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [(٢)] أى يقهرها ويذلّها بالمُلكِ والسُّلطان . وأصل هذا: أن من أخذت بناصيته فقد قهرته وأذْلَلْته ، ومنه قيل فى الدعاء : ناصيتى بيدك . أى أنت مالك لى وقاهرٌ .

* * *

١٠

ومنه قوله عز وجل : ﴿ إِلَّا مَادُمْتَ عليه قائماً ﴾ [(٣)] أى مواظباً بالاقتضاء والمطالبة . وأصله أن المُطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرّف ، والتاركُ له يقعد عنه .

قال « الأعشى » :

يَقومُ على الوَغْمِ فى قومِه فيَعْفُو إذا شاءَ أو يَنتقِمْ[(٤)]

١٥

---

(١) ديوانه ٥٣ وأساس البلاغة ٢/٢٧٣ واللسان ١٤/٨٣ والأغانى ٧/٧٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ١٢٦ وهو غير منسوب فى الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١ / ٣٠٥ وذكره له ابن قتيبة فى كتاب الأشربة ص ٦٠ وقال فى شرحه : « أتكأنا : طعمنا ، ومنه قول الله تعالى : « وأعتدت لهن متكأ » أى طعاماً ، وشربنا الحلال : يعنى النبيذ ، والقلل : جمع قلة ، وهى جرار يكون فيها النبيذ ... » .

(٢) سورة هود ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران ٧٥ .

(٤) ديوانه ٣١ يقوم : يطلب لقومه. والوغم : الذحل والترة والحقد الثابت فى الصدور .

أى يطالب بالذَّحْلِ [١] ولا يقعد عنه .

وقال : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ [٢] أى عاملة غير تاركة .

وقال : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [٣] أى آخذ لها بما كسبت .

٥

* * *

• ومنه قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [٤] أى يقبل كلّ ما بلغه . والأصل : أن الأذن هى السامعة ، فقيل لكل من صدّق بكلّ خبر يَسْمَعُه : أُذُنٌ ، ومنه يقال : آذنتك بالأمر فأَذِنت ، كما تقول : أعلمتُك فعلمت ، إنما هو أوقعته فى أُذَنك . يقول اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورسولهِ ﴾ [٥] أى اعلموا ، ومن قرأها « فآذِنوا » أراد فأَعْلِموا [٦] .

١٠

ومنه ما قالت الشعراء:

---

(١) فى اللسان ١٣/٢٧٢ « الذحل : الثأر وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح أو نحو ذلك».

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

(٣) سوره الرعد ٣٣ .

(٤) سورة التوبة ٦١ .

(٥) سورة البقرة ٢٧٩ وانظر اللسان ١٦/١٤٦ — ١٤٧ .

(٦) فى البحر المحيط ٢/٣٣٨ « قرأ حمزة ... « فآذنوا » أمر من آذن الرباعى ، بمعنى أعلم ، مثل قوله: ﴿فقل آذنتكم على سواء ﴾ وقرأ باقى السبعة : « فأذنوا » أمر من أذن الثلاثى مثل قوله : ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ﴾ وانظر مجمع البيان للطبرسى ١/٣٩١ — ٣٩٢

* آذنتنا بِبَيْنِها أسماء[1] *

ومنه الأذَانُ إنما هو إعلام الناس وقت الصلاة .

وقولُه : ﴿ وأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾[2] أى إعْلَام .

وكان « المنافقون » يقولون : إن « محمداً » أُذُن فقولوا ما شئتم ، فإنا متى أتيناه فاعتذرنا / إليه صَدَّقنا . فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾[3] أى كان الأمر كما تذكرون ، ولكنه إنَّمَا ﴿ يُؤْمِنُ باللهِ ويُؤْمِنُ للمُؤْمِنِين ﴾[3] أى يُصَدِّقُ اللهَ ويصدّق المؤمنين ، لا أنتم ، « والباء » و « اللام » زائدتان . [٨٥]

* * *

● ومنه قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾[4] أى قُتِلَ . وَالنَّحْبُ : النَّذْرُ[5] . ١٠

---

(١) الشطر مطلع معلقة الحارث بن حلزة ، وعجزه * رب ثاو يمل منه الثواء * وآذنتنا : أعلمتنا ، البين : الفراق ، والثاوى : المقيم ، والثواء : الإقامة . راجع شرح القصائد العشر ص ٢٤١ .

(٢) سورة التوبة ٣ .

(٣) سورة التوبة ٦١ .

(٤) سورة الأحزاب ٢٣ .

(٥) فى اللسان ٢/٢٤٧ « وقيل : ﴿فنهم من قضى نحبه﴾ أى قضى نذره ، كأنه ألزم نفسه أن يموت فوفى به ... النحب : النذر ، كأنه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء فى الحرب فوفى به ولم يفسخ . وقيل : هو من النحب : الموت ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت . وقال الزجاج : النحب : النفس ، عن أبى عبيدة » وقال الزجاج والفراء : ﴿فنهم من قضى نحبه﴾ : أى أجله » .

وأصل هذا : أنَّ رجالًا من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه ، نذروا إن لَقوا العدُوَّ لَيَصْدُقُنَّ القتال أو ليُقتَلُنَّ ، هذا أو نحوه[٤] ، فقُتِلوا ، فقيل لِمَنْ قُتِلَ : قَضَى نَحْبَهُ . واستُعير النَّحْبِ مكان الأَجل ؛ لأن الأجل وَقَع بالنَّحْب وكان النَّحْبُ له سبباً .

٥ ومنه قيل للعطية : المَنّ ؛ لأنَّ من أعطى فقد مَنَّ . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ﴾[١] أى لا تُعْطِ لتأخذ أكثرَ مما أعْطيت.

وقال: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ﴾[٢] ، أى فأعْط أو أمْسِكْ . وقوله : ﴿ بِغَيْرِ حِسَاب ﴾[٣] مردود إلى قوله : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ بغير حساب .

---

(١) فى تفسير الطبرى ٢١/٩٣ « ... وقيل : إن هذه الآية نزلت فى قوم لم يشهدوا بدراً ، فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه ، ومنهم من بدل ، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه ، وكان منتظراً ، على ما وصفهم الله به .... زعم أنس بن مالك قال : غاب أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله المشركين ، لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعنى المسلمين — فمشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أى سعد ، إنى لأجد ريح الجنة دون أحد ، فقال سعد : يا رسول الله ، فما استطعت أن أصنع ما صنع . قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه . وقال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه﴾ — نزلت فيه وفى أصحابه » .

وانظر أسباب نزول القرآن للواحدى ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

(٢) سورة المدثر ٦ .

(٣) سورة ص ٣٩ .

بابُ المقلوب

ومن المقلوب : أن يُوصف الشيء بضدّ صفته للتطيّر والتفاؤل ، كقولهم للّديغ : سليمٌ ، تطيُّراً من السُّقم ، وتفاؤُلاً بالسّلامة . وللعطشان : ناهِل ، أى سينْهَل . يعْنُون : يرْوَى . وللفلاة : مفَازَة . أى منجاة ، وهى مَهلَكةٌ .

وللمبالغة فى الوصف ، كقولهم للشمس : جَوْنَة ، لشدّة ضوئها . وللغراب : أعْوَر ؛ لحدّة بصره .

وللاستهزاء ، كقولهم للحبشىّ : أبو البَيْضَاء . وللأبيض : أبو الجَوْن .

ومن هـذا قولُ قومِ شُعَيب : ﴿ إنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشيد ﴾[1] .

كما تقول للرجل تستجهله : ياعاقل ، وتستخفه : ياحليم .

قال « الشاعر » :

فقلتُ لِسَيِّدِنَا : يَا حَلِيـ ـمُ إنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوًا رَفِيقًا[2]

---

(١) سورة هود ٨٧ .

(٢) البيت لشتيم بن خويلد ، كما فى اللسان ١١/٣٦٨، ٣٦٩ وفيه: « ياحكيم » وبعده :

أعنت عـديًا على شأوها تعـادى فريقاً وتنفى فريقا
أطعت اليمين عناد الشمال تنحى بحد المواسى الحلوقا
زحرت بها ليـلة كلها فجئت بها مؤيداً خنفقيقا

وقوله : ياحكيم ، هزء منه ، أى أنت الذى تزعم أنك حكيم ، وتخطىء هذا الخطأ . وقوله: أطعت اليمين عناد الشمال ، مثل ضربه ، يريد فعلت فعلا أمكنت به أعداءنا منا ، كما أعلمتك أن العرب تأتى أعداءها من ميامنهم ، يقول : فجئتنا بداهية من الأمر ، وجئت به مؤيداً خنفقيقاً ، أى ناقصاً مقصراً » وقال الجـاحظ فى شرح الأبيات فى البيان والتبين ١/١٨٢ « تأسو : تداوى ، أسوا وأسى ، مصدران . والآسى : الطبيب . ومؤيد : داهية . خنفقيق : داهية أيضاً . الشأو : الغـلوة لركض الفرس . وهو فى الحيوان ٣/٨٢ ، ٥/٥١٧ لشتيم أيضاً وفى الأضداد ٣٢٥ والصاحبى ٢١٤ غير منسوب فيهما .

قال قتادة : ومن الاستهزاء قولُ الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُون ، لاتَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ، وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُون ﴾[١] . [٨٦]

وفى قول « عَبيد بن الأبْرَص » لِكِنْدَةَ ـ طَرَفٌ من هذا المعنى :

٥ هَلَّا سأَلْتَ جُموع كِنْـ ـدَة يومَ وَلَّوْا: أَيْنَ أَيْنَا؟[٢]

يستهزئ بهم حين انهزموا ، يريد أين تذهبون ؟ ارجعوا .

● وأما قول الله سبحانه : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[٣] ، فبعضُ الناس يَذْهَبُ به هذا المذهب ، أى أنت الذليل المهان .

وبعضهم يريد : أنت العزيز الكريم عند نفسك . وهو معنى تفسير « ابن
١٠ عباس » لأن « أبا جهل » قال : مابين جبليها أعزُّ منى ولا أكرم ، فقيل له : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾[٤] .

* * *

ومن ذلك أن يسمّى المتضادّان باسم واحد ، والأصل واحد .

فيقال للصبح : صَرِيمٌ ، والليل : صَرِيمٌ . قال الله سبحانه : ﴿ فَأَصْبَحَتْ

---

(١) سورة الأنبياء ١٢ ، ١٣ .

(٢) ديوانه ص ٢٨ وبعده :

أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا

وهو له فى مختارات ابن الشجرى ٢/٣٩ ، والشعر والشعراء ١/٢٢٤ ، والأغانى ١٩/٨٥ وهو فى الصناعتين ١٤٤ وإعجاز القرآن ٩٤ غير منسوب فيهما . وكذلك فى معانى القرآن للفراء ١/١٧٧ .

(٣) سورة الدخان ٤٩ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ٢٥/٨٠ .

كالصَّرِيمِ ﴾(١) ، أى سوداء كالليل ؛ لأنّ الليل يَنصَرِمُ عن النّهار ، والنهار ينصرم عن الليل (٢) .

* * *

وللظلمة : سُدْفَة . والضوء : سُدفة . وأصل السُّدْفة : السُّتْرَة ، فكأن الظلام إذا أقبل سِتْرٌ للضّوء ، والضوء إذا أقبل سِتْرٌ للظّلام (٣) . ٥

* * *

وللمستغيث : صارخ . وللمُغيث : صارخ ؛ لأن المستغيثَ يصرُخ فى استغاثته ، والمُغيث يصرُخ فى إجابته (٤) .

* * *

١٠ ولليقين : ظَنٌّ . وللشك : ظَنٌّ ؛ لأنّ فى الظن طرَفاً من اليقين . قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ ﴾(٥) ، أى يَستيقنون . وكذلك : ﴿ إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾(٦) ، ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾(٧) ، و ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾(٨) ؛ هذا كلّه فى معنى « اليقين » .

١٥ قال « دُريد بن الصِّمة » :

---

(١) سورة القلم ٢٠ .

(٢) نقل هذا ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد ص ٨ .

(٣) الأضداد ص ٨ .

(٤) الأضداد ١١ ـ ١٣ .

(٥) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٦) سورة الحاقة ٢٠ .

(٧) سورة الكهف ٥٣ .

(٨) سورة البقرة ٢٣٠ .

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمُ فِى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ (١)

أى تيقنوا بإتيانهم إيَّاكُم .

وكذلك جعلوا «عَسَى» شَكًّا ويقيناً، «ولعلّ» شكًّا ويقيناً . كقوله: ﴿فِجَاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢)، أى ليهتدوا .

٥

* * *

والمشترى: شارٍ، وللبائع: شارٍ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما اشترى .

وكذلك قولهم لكل واحدٍ منهما: «بائع»؛ لأنه باع وأخذ عِوَضاً مما دَفع، فهو «شارٍ» و «بائعٌ» .

[٨٧] قال الله عز وجل: ﴿وَشَرَوْهُ / بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ﴾ (٣)، أى باعوه .

١٠ وقال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ (٤) .

وقال «ابن مُفَرِّغ»:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي   مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ (٥)

---

(١) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ١١٢ وجمهرة أشعار العرب ١١٧، ونسبه له المبرد فى كتاب: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ص ٩ وابن الأنبارى فى الأضداد ص١٢ وفيهما «بألفى مقاتل» وهو له فى الأغانى ٩/٤ وتفسير الطبرى ١/٢٠٦ وغير منسوب فيه ٢٥/٨٣ وله فى البحر المحيط ١/١٨٥ وغير منسوب فى ٢/٨٨ وله فى حماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٢/٣٠٥ «والمدجج: التام السلاح. سراتهم: خيارهم. وعنى بالفارسى المسرد: الدروع. وقال الخليل: السرد اسم جامع للدروع وما أشبهها؛ لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار، والمسرد: هو المثقب. والمعنى: إنى نصحت لهم، وهم فى حاضرون يسمعون نصيحتى وقلت لهم: إن الأعداء لكم مترصدون فأسيئوا الظن بهم إذا تمكنوا منكم، أو أيقنوا ...».

(٢) سورة الأنبياء ٣١ .

(٣) سورة يوسف ٢٠ .

(٤) سورة البقرة ١٠٢ .

(٥) الشعر والشعراء ١/٣٢١، والأغانى ١٧/٥٥، ومجاز القرآن ١/٤٨، ٣٠٤ وأمالى المرتضى ٢/٩٥ — ٩٦ .

« ونَرْدٌ » : غلام كان له فباعه وندم على بيعه .

* * *

● و « وراء » تكون بمعنى « خَلْف » وبمعنى « قُدَّام »[١] .

ومنها المُواراةُ والتَّوارِى . فكلُّ ماغاب عن عينك فهو وراءٌ ، كانَ قُدَّامَك أو خلفك .

٥

قال الله عز وجل : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٢] ، أى أمامَهم .

وقال : ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾[٣] ، أى أمامهم .

وقال : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[٤] .

* * *

١٠

● وقالوا للكبير : « جَلَلٌ » ، وللصغير : « جَلَلٌ »[٥] ؛ لأنَّ الصغير قد يكون كبيراً عند ماهو أصغر منه ، والكبير يكون صغيراً عند ماهو أكبر منه ، فكلّ واحدٍ منهما صغير كبير .

● ولهذا جُعلت « بعض » بمعنى « كلّ » ؛ لأنَّ الشيء يكون كلُّه بعضاً لشيء ، فهو بعضٌ وكُلٌّ[٦] .

١٥

---

(١) الأضداد ٥٦ — ٥٧ .

(٢) سورة الكهف ٧٩

(٣) سورة إبراهم ١١٦ .

(٤) سورة إبراهيم ١٧ .

(٥) الأضداد ٨ ، ٧٤ — ٧٦ .

(٦) الأضداد ٨

وقال عز وجل : ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ [١] .

« وكلٌّ » بمعنى « بعض » ، كقوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٢] ، و ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [٤] .

٥

* * *

● وجُعلتْ « فوق » بمعنى « دون » فى قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [٥] ، أى فما دونها ؛ لأن « فوق » قد تكون « دون » عند ماهو فَوْقَها ، و «دون» قد تكون « فوق » عند ماهو دونَها [٦] .

١٠

* * *

● و « خشيتُ » بمعنى : «علمت» . قال عز وجل : ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْرًا ﴾ [٧] ، أى عَلِمْنا . وفى قراءة أُبَىّ [٨] : ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ ﴾ .

---

(١) سورة الزخرف ٦٣ . وفى مجاز القرآن ٢/٢٠٥ : « البعض هاهنا: الكل، قال لبيد:

تراكُ أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

الموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض » .

(٢) سورة النمل ٢٣ .

(٣) سورة النحل ١١٢ .

(٤) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٥) سورة البقرة ٢٦ .

(٦) راجع الأضداد ص ٢١٧ — ٢١٨ .

(٧) سورة الكهف ٨٠ .

(٨) فى البحر المحيط ٦/١٥٥ « وفى قراءة أبى : (فخاف ربك) والمعنى : فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره » وبهذه القراءة قرأ أيضاً عبد الله بن مسعود ، كما فى البحر والقراءات الشاذة ص ٨٢ .

ومثله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾ [١] . وقوله : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [٢] ، أى علم .

وقوله : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [٣] ؛ لأنَّ فى الخشية والمخافة طَرَفًا من العلم .

● و « رَجَوْتُ » بمعنى : « خِفْتُ » . قال الله سبحانه : ﴿ مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلّهِ وَقَارًا﴾ [٤] ، أى : لاتخافون لله عظمته [٥] ؛ لأنَّ الرَّاجِيَ ليس بمستيقِن ، ومعه طَرَفٌ من المخافة . ٥

قال « الهُذَلِيّ » :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لم يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَحَالَفَهَا فى بَيْتِ نُوبٍ عَوامِلِ [٦]

---

(١) سورة البقرة ٢٢٩ .

(٢) سورة البقرة ١٨٢ ، وفى اللسان ٣٧٧/١٠ « قال الزجاج : جنفاً أى ميلا . إثما : أى قصد الإثم » .

(٣) سورة الأنعام ٥١ .

(٤) سورة نوح ١٣ .

(٥) فى الأضداد ص ٩ « قال الفراء : العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف إلا مع الجحد ، كقولهم : ما رجوت فلاناً ، أى ما خفته ، قال الله عز وجل : ﴿مالكم لا ترجون الله وقاراً﴾ فمعناه لا تخافون لله عظمته .

(٦) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوانه ص ١٤٣ . والضمير فى لسعته يعود على مشتار النحل الحاذق الذى ذكره فى البيت السابق لهذا وهو :

تدلى عليها بالحبال موثقا ... شديد الوصاة نابل وابن نابل

ويروى : « خالفها » بالخاء ، لم يرج : أى لم يخش لسعها ، والنوب : التى تنوب ، تجىء وتذهب ، ويروى : « عواسل » .

والبيت فى اللسان ٢٧٣/٢ ، ومجاز القرآن ٧٣/٢ ، والخزانة ٤٩٢/٢ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٧ ، والأضداد لابن الأنبارى ص ٩ والأضداد لابن السكيت ص ١٧٩ ، والمقاييس ٤٩٥/٢ والمقصور والممدود لابن ولاد ص ٤٥ ، وإصلاح المنطق ص ١٤٢ ، وتفسير الطبرى ٨٣/٢٥ ، ومجمع البيان ٣١٣/١ ، والمخصص ١٧٨/٨ .

أى : لم يخفها .

* * *

[٨٨] و « يئستُ » / بمعنى : « علمتُ » من قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[١] ؛ لأنّ فى علمك

٥ الشىء وتيقّنك له يأسك من غيره .

قال « لَبيد » :

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ فَأَرْسَلُوا ... غُضُفاً دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُها[٢]

أى : علموا ماظهر لهم فيئِسُوا من غيره .

وقال « آخر » :

١٠ أقولُ لهم بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِى ... :أَلَمْ تَيْئَسُوا أَنِّى ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[٣]

---

(١) سورة الرعد ٣١ ، وانظر اللسان ١٤٧/٨ ، ومجاز القرآن ٣٣٢/٢ وشرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٥٦٦-٥٦٨ . وهذا قول أبى عبيد وقطرب. وحكى أبو عبيد : أنها لغة هوازن وبعض أحياء النخع . وقال ابن الأنبارى : وأنكر الكسائى أن يكون يئس بمعنى : علم ، وقال : لم أسمع أحداً من العرب يقول : يئست بمعنى علمت . قال: ولكنه عندى يخرج معناه من اليأس نفسه ، وذلك أن يكون لما سأل المشركون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرآناً تسير به الجبال ، أو تكلم به الموتى — اشرأب له المؤمنون لأن يفعل الله ذلك ، فيؤمن المشركون ، فأنزل الله : ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ﴾ بمعنى : أفلم ييأسوا من ذلك علماً منهم بأن لو يشاء الله لفعل ذلك، فأضمر العلم ».

(٢) البيت له فى اللسان ٧٩/١٤ ، ٢٩٨/١٥ ، ٤/١٧ . والغضف : كلاب الصيد ، يقال لها ذلك لاسترخاء آذانها إلى خلف . وكلب داجن : قد ألف البيت . وقفل الجلد يقفل قفولا ، وقفل فهو قافل وقفيل: يبس. والأعصام : القلائد ، واحدها عصمة ، ثم جمت على عصم ثم جمع عصم على أعصام مثل : شيعة وشيع وأشياع .

(٣) البيت فى البرهان ١٠٠/١ ، وفى اللسان ١٦٢/٧ لسحيم بن وثيل اليربوعى ، وكان وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام وفى ١٤٧/٨ له أو لولده جابر بن سحيم ، وفى أساس البلاغة ٥٥٨/٢ لسحيم ، وكذلك مجاز القرآن ٣٣٢/١ ، وتفسير الطبرى ١٠٣/١٣ ، وهو غير منسوب فى البحر المحيط . ولم ينسبه ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١١٤٨/٢ ، =

أى : ألم تعلموا .

• ومن المقلوب : أن يقدَّمَ ما يوضِّحه التأخيرُ ، ويؤخَّر ما يُوضحه التقديمُ .

كقول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ [1] ، أى مُخلف رُسلِه وعْدَه ؛ لأنَّ الإخلافَ قد يقعُ بالوعد كما يقعُ بالرُّسُل ، فتقول : أخلفتُ الوعد ، وأخلفتُ الرُّسلَ ،

• وكذلك قولُه سبحانه : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ ﴾ [2] . أى : فإنِّى عَدُوٌّ لهم ؛ لأنَّ كل من عاديته عاداك .

• وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ [3] أى : تدلى فدنا ؛ لأنه تدَلّى للدُّنُوّ ، ودنا بالتّدَلِّى .

• ومنه قوله سبحانه : ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [4] أى : بل على الإنسان من نفْسِه بصيرةٌ . يريد شهادةَ جوارِحه عليه ؛ لأنها منه ، فأقامه مُقامها .

= وفى الميسر والقداح ص ٣٣ . وقال فى الميسر : يروى : يقسرونى ، ويأسرونى . فمن روى : يقسرونى ، أراد يقتسمونى ويجعلونى أجزاء . أحسبه أراد فداءه؛ لأنهم إذا أخذوا فداءه فكأنهم اقتسموا نفسه . ومن رواه : يأسرونى ، جعله من الأسر. وقوله: « ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم » أراد : ألم تعلموا . . » وزهدم : فرس سحيم ، وروى: «قاتل زهدم» وفسر بأنه: اسم رجل من عبس ، راجع اللسان ٨ ٧ ١٤ .

(١) سورة إبراهيم ٤٧ .

(٢) سورة الشعراء ٧٧ .

(٣) سورة النجم ٨ .

(٤) سورة القيامة ١٤ .

قال « الشاعر » :

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بادٍ إلى الشمس أَجْمَعُ (١)

أراد : « مُدخلَ رأسِهِ الظلَّ » فقلَب ؛ لأن الظلّ التبس برأسه فصار كل واحدٍ منهما داخــلًا فى صاحبه . والعرب تقول : « اعرض النّاقةَ على

٥ الحوض » تريد: اعرض الحوض على الناقة ؛ لأنك إذا أوْرَدْتَها الحَوْضَ : اعترضتَ بكلِ واحدٍ صاحبَه .

وقال « الحطيئة » :

فلما خَشِيتُ الهُوْنَ والعَيرُ مُمسِكٌ على رَغْمِه ماأمسكَ الحبلَ حافِرُه (٢)

وكان الوجه أن يقول : « ماأمسك حافِرَه الحبــلُ » فقلَبَ ؛ لأنّ

١٠ ما أمسكته فقد أمسكَكَ ، والحافر مُمسِكٌ للحبل لايفارقه مادام به مَربُوطا ، والحبل مُمْسِكٌ للحافر .

[٨٩] وقال « الأخطل » : /

عَلَى العَيَاراتِ هدّاجون قَدْ بَلَغَتْ نَجرانَ أَوْ بَلَغَتْ سوآتِهم هَجَرُ (٣)

---

(١) البيت فى سيبويه ١/٩٢ ، وأمالى المرتضى ١/٥٥ وهو غير منسوب فيهما .

(٢) ديوانه ص ١٠ « ما أثبت الحبل » قال السكرى : يقول : ما دام الحمار مقيداً فهو ذليل معترف بالهون ، وهذا مقلوب ، أراد ما أثبت الحبل حافره فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا ، والمفعول فاعلا » وهو له فى تفسير الطبرى ١٤/٨٤ .

(٣) ديوانه ص ١١٠ « أو حدثت سوآتهم » العيارات : جمع عير ، وهو الحمار . والهداجون : الذين هدجوا ، وهو سير ضعيف ، يقال جمل هدجان : إذا قارب خطوه من مرض أو كبر . يشير إلى أنهم يتلصصون . حدثت سوآتهم هجر ، أى أهل هجر » والبيت له فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٣٨ ، واللسان ٧/٤٨ ، وأمالى ابن الشجرى ١/٣٣٠ وأبواب مختارة من كتاب أبى يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص ٢٩ ، والوساطة ص ٤٨٢ ، وشرح شواهد المغنى ٣٢٨ ، وهو غير منسوب فى أمالى المرتضى ٢/١١٦ .

وكان الوجهُ أن يقولَ : « سَوآتُهم ـ بالرفع ـ نجرانَ وهجَرِ » فقلب ؛ لأن مابلغْتَه فقد بلغَكَ .

قال الله تعالى : ﴿ وقد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ ﴾ [1] أى بَلَغْتُه .

وقال « آخر » :

قد سالَمَ الحياتُ منه القَدَمَا   الأفعوانَ والشجاعَ الشَّجْعَمَا [2]   ٥

« فنصب » الأفعوانَ والشجاعَ ، وكان الوجه « أن يرفعَهما » ؛ لأن ماحالفتَه فقد حالفَكَ ، فهما فاعلان ومفعولان .

وقال « الشمّاخ » يذكر أباه :

منه وُلِدْتُ ولم يُؤْشَبْ به حَسَبِي   لَمًّا ؛ كما عُصِبَ العِلْباءُ بالعُودِ [3]

وكان الوجه أن يقول : « كما عُصِبَ العُودُ بالعلباء » فقلب ؛ لأنك قد تقول : عَصَبْتُ العِلْباءَ على العُودِ ، كما تقول : عَصَبْتُ العود بالعلباء .   ١٠

---

(١) سورة آل عمران ٤٠ .

(٢) فى اللسان ٧/٢٣٣ « قال مساور بن هند . ويقال : هو لأبى حيان الفقعسى » وفى كتاب سيبويه ١/١٤٥ لعبد بنى عبس ، ونسبه الأعلم للعجاج ، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٣٢٩ « هو من أرجوزة لأبى حيان الفقعسى ، وقيل لمساور بن هند العبسى ، وبه جزم البطليوسى ، وقيل : للعجاج . وقال السيرافى : قائله التدمرى ، وقال الصغانى : قائله عبد بنى عبس » . . والأفعوان — بضم الهمزة — ذكر الأفاعى ، والشجاع : الحية ، وكذا الشجعم ، والميم زائدة . وقال البطليوسى : يصف رجلا بغلظ القدمين وصلابتهما لطول الحفا ، فذكر أنه يطأ على الحيات والعقارب فيقتلها ، فقد سالمت قدميه كذلك » .

(٣) ديوانه ص ٢٤ « منه ولدت . . حسبى ليا » والضمير فى منه يرجع إلى جده جحاش الذى ذكره فى البيت قبله . وقال فى شرحه : « نجلت : ولدت ، ووشب : يعب ، واللى : الطى ، وعصب : جعل عليه العصب ، وهذا على القلب ، أى كما عصب العود بالعلباء ، وهو عصب تشد به الرماح » والبيت ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١/٥٥٣ وقال فى شرحه : نسب نفسه إلى جده جحاش . . لما : جمعا ، كما يعصب العود إذا انكسر بالعلباء . وهو فى الوساطه ص ٤٨٢ .

وقال « ذو الرمّة » :

وتـكسو المِجنَّ الرِّخْوَ خَصراً كأنه   إهانُ ذَوَى عن صُفرةٍ فهو أَخْلَقُ (١)

وكان الوجه أن يقول : « وتـكسو الخصر مجنا » فقلب ؛ لأنّ كسوتُ يقع على الثوب ، وعلى الخصر ، وعلى القميص ولابسِهِ ؛ تقول: كسوتُ الثوبَ

٥ عبْدَ الله ، وكسوتُ عبدَ الله الثوبَ .

وقال « أبو النَّجْم » :

* قبل دُنوِّ الأُفْقِ من جَوْزَائه (٢) *

وكان الوجه أن يقول : « قبل دُنُوِّ الجوزاء من الأفق » فقلب ؛ لأن كل شيء دنا منك فقد دنوت منه .

١٠ وقال « الرّاعِى » يصف ثوراً :

فَصَبَّحَتْهُ كلابُ الغَوْثِ يُوسِدُها   مُستوضِحون يَرَوْنَ العَينَ كالأَثرِ (٣)

وكان الوجه أن يقول : « يرون الأثر كالعين » لعلمهم بالصيد وآثاره فقلبَ ؛ لأنهم إذا رَأَوْا الأثر كالعين ، فقد رأوا العين كالأثر .

وقال « النابغة » :

---

(١) ديوانه ص ٣٩٢ « المجن : ما أجنها أى سترها من الثياب ، الرخو لأنها ضامرة . والإهان: عود العذق ، وهو الكباسة والعرجون ، شبهها به لملاسته ، يقول : خصرها دقيق أملس ، مثل هذا العرجون » والمعنى : تـكسو الخصر مجنا ، فقلب . أخلق : أملس .

(٢) أمالى المرتضى ١/١٥٦ ، وسر الفصاحة ص ١٠٨ ، ومقاييس اللغة ١/١١٥ غير منسوب .

(٣) ذكره ابن قتيبة مع بيتين قبله فى المعانى الكبير ٢/٧٤٢ . وقال فى شرحه: « يؤسدها: يغريها، مستوضحون : ينظرون هل يرون شيئاً ، وأراد يرون الأثر كالعين ، فقلب . وهو له فى أمالى المرتضى ١/١٥٦ وفيه : « كلام الغوث .. مستوضحون » .

وقد خِفتُ حتى ماتَزِيدُ مخافتى　　على وَعِلٍ فى ذى المَطارةِ عاقِلِ (١)

وكان الوجه أن يقول : « حتى ماتزيد مخافةُ وَعِلٍ على مخافتى » فقلب ، لأن المخافتين استوتا .

وقال « رُؤْبَةُ بن العَجَّاج » :

ومَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُه　　كأنَّ لونَ أَرْضِهِ سماؤُه (٢)　　٥

وكان الوجه أن يقول : « كأن لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه » / [٩٠] فقلب ؛ لأن اللونين استويا .

وقال « الآخر » :

* وصار الجمرُ مِثْلَ ترابِها (٣) *

أى صار ترابُها مثل الجمر .　　١٠

وقال عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ ﴾ (٤) أى خُلِق العجل من

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ / ١٩١ ، وأمالى المرتضى ١/١٤٤ ، ١٥٥ ، ومجمع البيان ١/٢٦٢ ، ٢٥٥ ، ومجاز القرآن ١/٦٥ » وما اتفق لفظه للمبرد ص ٣٢ وهو غير منسوب فى معانى القرآن للفراء ١/٩٩ ، وفى الأضداد ص ٣٢٨ و « ذى المطارة »: جبل .

(٢) ديوانه ص ١ وأمالى المرتضى ١/١٥٥ وأمالى ابن الشجرى ١/٢٢٩ ــ ٣٣٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٨ والصاحبى ١٧٢ وأبواب مختارة ص ٣٤ .

(٣) فى أبواب مختارة من كتاب أبى يوسف: يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص٣٤ « كقول الأعشى » :

حتى إذا احتدمت وصا　　ر الجمر مثل ترابها

يريد : « صار ترابها مثل الجمر من الحر » وفى ديوان الأعشى ص ١٧٨ :

حتى إذا ما أوقدت　　فالجمر مثل ترابها

وفى الأضداد للسجستانى ص ١٥٢ « حتى يصير الجمر مثل ترابها » .

(٤) سورة الأنبياء ٣٧ .

الإنسان ، يعنى العجلة . كذلك قال « أبو عبيدة[١] » .

* * *

● ومن المقلوب ماقُلِب على الغَلَط :

كقول « خِدَاش بن زُهَير » .

٥ وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوَادَةَ بينها   وتَعْصى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ[٢]

أى « تَعْصى الضياطرةُ بالرِّمَاح » وهـذا ما لا يقع فيـه التأويلُ ؛ لأن الرماح لاتعصى بالضَّياطرة وإنما يعصى الرجالُ بها ، أى يطعنون .

ومنه قول« الآخر» .

أَسْلَمَتْهُ فى دِمَشْقَ كما   أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقَا[٣]

---

(١) مجاز القرآن ١/٣٨–٣٩ وفى أمالى المرتضى ٢/١١٥ « وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما ، من أن فى الكلام قلبا ، والمعنى خلق العجل من الإنسان ... » .

(٢) البيت له فى اللسان ٦/١٦٠ وروايته « وتشقى الرماح » وبعده : « قال بن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ، أى أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها . ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، يعنى أنهم يقتلون بها . والهـوادة : المصالحة والموادعة » وهو من قصيدة لخـداش فى جمهرة أشعار العرب ص ١٠٨ وروايته « ونركب خيلا .. ونعصى » والضيطر : اللئيم الضخم ، ونعصى بالرمح ، أى نضرب به ونطعن ، وقبله :

كذبتم وبيت الله حتى تعالجوا   قوادم حرب لا تلين ولا تمرى

وأمالى المرتضى ٢/١١٦ والكامل ١/٢٧٤ « وتركب خيل » وسر الفصاحة ص ١٠٦ ومجاز القرآن ٢/١١٠ والأضداد للسجستانى ص ١٥٣ وهو غير منسوب فى تفسير الطـبرى ١٧–٢٠ ، ٢٠/٦٩ والأضداد لابن الأنبارى ص ٨٥ والصاحبى ١٧٢ .

(٣) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات ، كما فى ديوانه ص ١٢٨ وبعده :

لم تدع أم البنين له   معه من عقله رمقا

أسلموها : تركوها . قوله : « أسلمت وحشية وهقا » هذا من المقلوب ، أراد أسلم الوهق الوحشية ، فقلب . وقال الأصمعى : ليس هذا من المقلوب ، إذ هو قطعت وهقا فتركته مقطوعا ومضت . وروى قوم آخرون : كما أسلمت – بضم الهمزة – وحشية وهقا ، فعلى من الوهق « أى أسلمها صواحبها ومضوا» والبيت له فى الأضداد لابن الأنبارى ص ٨٦ « قال أبو عبيد : =

أراد : « كما أسلم وحشيةً وهقُ » فقلب على الغلط .

وقال « آخر » :

كانَت فريضةَ ما تَقُولُ كما ... كانَ الزِّناءِ فريضَةَ الرجْمِ [(١)]

أراد « كما كان الرجم فريضة الزنا » .

* * *

● وكان « بعضُ أصحاب اللغة » يذهبُ في قول الله تعالى: ﴿ومثلُ الذينَ كَفرُوا كَمَثَلِ الذى يَنعِقُ بما لايسمعُ إلا دُعَاءً ونِدَاءً﴾ [(٢)] إلى مثل هذا في القلب ، ويقولُ : وقع التشبيه بالراعى فى ظاهر الـكلام ، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ماإنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ﴾ [(٣)] أى : تنهض بها وهى مُثْقَلَة [(٤)] .

= معناه كما أسلم وهق وحشية. وقال الأصمعى: معناه كما أسلمت وحشية وهقا فنجت منه ولم تقع فيه » وهو فى الوساطة ص٤٨٢ . والوهق : حبل فى طرفيه أنشوطه تصاد به الدابة .

(١) البيت غير منسوب فى معانى القرآن للفراء ١/٩٩ ، ٣١١ ، وأمالى المرتضى ١/١٥٥ وسر الفصاحة ١٠٦ والصاحبى ١٧٢ ومجاز القرآن ١/٣٧٨ ، وخزانة الأدب ٤/٣٢ . ونسبه فى اللسان ١٩/٧٩ للنابغة الجعدى .

(٢) سورة البقرة ١٧١ .

(٣) سورة القصص ٧٦ .

(٤) يلوح لى أن « ابن قتيبة » يقصد بقوله هـذا « أبا عبيدة » . وآية ذلك أنى ألفيت « أبا عبيدة » يقول فى مجاز القرآن ١/٦٣: « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع، وإنما الذى ينعق الراعى، ووقع المعنى على المنعوق به، وهى الغنم ، يقول: كالغنم التى لا تسمع ، أى ينعق بها راعيها ، والعرب تريد الشىء فتحول إلى الشىء من سببه، تقول : اعرض الحوض على الناقة، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وتقول: هذا القميص لا يقطعنى ، وتقول : أدخلت القلنسوة فى رأسى ، وإنما أدخلت رأسك فى القلنسوة ، وكذلك الخف . ومن هذا الجنس فى القرآن: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾ ما إن العصبة لتنوء بالمفاتيح ، أى تثقلها . والنعيق : الصياح ، قال الأخطل يهجو جريراً :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما ... منتك نفسك فى الخلاء ضلالا =

وقال « آخر » فى قولِه سبحانه : ﴿ وإنّه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ ﴾[١] أى : وإن حُبَّهُ للخير لشديدٌ .

وفى قوله سبحانه: ﴿ واجْعَلْنا للمتقينَ إماماً ﴾[٢] أى : اجعل المُتّقين لنا إماماً فى الخير .

٥ وهذا ما لايجوزُ لأحدٍ أن يحكم به على كتابِ الله عزّ وجلّ لولم يَجِدْ له مذهبا ؛ لأنّ الشعراء تقلب اللفظ ، وتزيل الكلام على الغَلَط ، أو على طريق الضرورة للقافية ، أو لاستقامة وزن البيت .

فمن ذلك قول « لبيدٍ » :

* نحن بَنُو أُمِّ البنينَ الأربعة[٣] *

[٩١] قال ابن الكلبى: هم خمسة ، فجعلهم للقافية أربعة[٤] /.

= وهذا النص من « مجاز القرآن » يدلنا أيضا على أن « أبا عبيدة » هو « الرجل » الذى عناه « الفراء » بقوله الموجود فى فى اللسان ١/١٦٩ وهو « قال الفراء : وقد قال « رجل من أهل العربية : ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه فحول الفعل إلى المفاتح كما قال الراجز:

إن سراجا لكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين . فإن كان سمع آتوا بهذا فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى» .

(١) سورة العاديات ٨ وانظر اللسان ٤/٢١٩ وتفسير الطبرى ٣٠/١٨٠ . والبحر المحيط ٨/٥٠٥ .

(٢) سورة الفرقان ٧٤ والبحر المحيط ٦/٥١٧ وتفسير الطبرى ١٩/٣٤ .

(٣) ديوانه ص٧ وعجزه : * ونحن خير عامر بن صعصعة * وانظر أمالى المرتضى ١/١٣٦ والأغانى ١٤/٩٥ والعمدة ١/٢٧ والخزانة ٤/١٧١ والحيوان ٥/١٧٣ واللسان ٥/١٧٣، ٩/٤٢٧ ومجالس ثعلب ٢/٤٤٩ وسيبويه ١/٣٢٧ .

(٤) قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٤٠ « وأما مالك بن جعفر فولده : عامر ، وطفيل ، وربيعة ، ومعاوية . أمهم أم البنين ، قال لبيد * نحن بنو أم البنين الأربعة * جعلهم أربعة وهم خمسة للقافية » .

وقال « آخر » يصف إبلًا :

صَبَّحْنَ مِنْ كَاظِمَةَ الْحِصَّ الْخَرِبْ يَحْمِلْنَ عَبَّاسَ بن عَبدِ الْمُطَّلِبْ[(١)]

أراد : «عبد الله بن عباس» فذكر أباه مكانه .

وقال « الصَّلَتَانُ » :

أرى الْخَطَفَى بَذَّ الْفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ ولكنَّ خيراً مِنْ كُلَيْبٍ مُجَاشِعُ[(٢)] ٥

أراد : « أرى جريراً بَذَّ الفرزدق شعره » فلم يمكنه فذكر جَدَّه .

وقال « ذو الرّمة » :

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثِيُّونَ بعدَما قضى نَحْبَهُ في ملتقى القومِ هَوْبَرُ[(٣)]

قال ابن الكلبي : هو «يزيد بن هَوْبَر» فاضطرّ .

وقال « أوسٌ » : ١٠

فهل لكمُ فيها إلىَّ فإنّنى طَبيبٌ بما أعْيَا النِّطَاسِيَّ حِذْيَمَا[(٤)]

أراد : « ابن حِذْيَم » وهو طبيب كان فى الجاهلية .

وقال «ابن مَيَّادةَ » وذكر بعيراً :

كأَنَّ حَيْثُ تَلْتَقِى منه الْمُحَالْ مِنْ جَانِبَيْهِ وَعِلَيْنِ وَوَعِلْ[(٥)]

---

(١) البيت فى جمهرة اللغة لابن دريد ٣/٥٠٣ غيرمنسوب ، ونقله عنها السيوطى فى المزهر ٢/٥٠١ والشطر الثانى غير منسوب فى اللسان ٨/١١٧ .

(٢) البيت من قصيدة للصلتان العبدى فى الشعر والشعراء ١/٤٧٧ والأمالى ٢/١٤١ .

(٣) ديوانه ص ٢٣٥ أراد يزيد بن هوبر ، وهو رجل من بنى الحارث بن كعب. ويروى: «وهى فوق أطراف الأسنة » وفى مجازالقرآن ٢/١٣٦ «ملتقى الخيل» واللسان ٧/١٠٨وجمهرة ابن دريد ٣/٥٠٣ والشطر الثانى والمزهر ٢/٥٠١ .

(٤) البيت لأوس بن حجر ، كما فى اللسان ٨/١١٧ وهو غير منسوب فى المزهر ٢/٥٠٣.

(٥) فى اللسان ١٤/١٤٢ « ابن سيده : والمحالة : الفقرة من فقار البعير ، وجمعه محال ، وجمع المحال محل . أنشدنى الأعرابى : =

أراد : وعاين من كل جانب ؛ فلم يمكنه فقال : وَوَعِلٍ .

وقال « أبو النجم » :

ظَلَّت وَوِرْدٌ صادقٌ مِنْ بَالِهَا   وَظَـلَّ يُوفى الأَكَمَ ابنُ خالِها

أراد : فجلَهَا : فجعله ابنَ خالها .

٥ وقال « آخر » :

* مثل النصارى قتلوا المسيحا [1] *

أراد : اليهودَ :

وقال « آخر » :

* وَمِحْورٍ أُخْلِصَ مِنْ مَاءِ اليَلَبْ [2] *

١٠ واليَلَب : سُيورٌ تُجْعَلُ تحت البيض ؛ فتوهّمه حديدا .

وقال « رؤبة »:

* أو فضَّـةٌ أو ذَهَبٌ كِبْرِيتُ [3] *

وقال « أبو النجم » :

* كَلَمْعَةِ الـبَرْقِ بِبَرْقٍ خُلَّبُهْ *

= كأن حيث تلتقى منه المحل   من قطريه وعلان ووعل

« يعنى قرون وعلين ووعل . شبه ضلوعها فى اشتباكها بقرون الأوعال » .

(١) ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٨٧٩ غير منسوب كما هنا وعلق عليه بقوله : « سمع بالنصارى ، والمسيح ، ولم يدر كيف كان الأمر ، فقال على ما توهم » وهو فى الوساطة كذلك ص ٤٨٦ .

(٢) جمهرة ابن دريد ٣/٥٠٤ غير منسوب وكذلك فى اللسان ٢/٣٠٦ والوساطة ١٤ والمزهر ٢/٥٠١ . .

(٣) اللسان ٢/٣٨١ وصدره: * هل يعصمنى حلف سختيت * قال ابن الأعرابى: ظن رؤبة أن الكبريت ذهب .

أراد : بخلّبٍ برقه ؛ فقلب .

وقال « آخر » :

إنَّ الكريمَ وأَبيكَ يَعْتَمِلْ إنْ لَمْ يَجِدْ يَوْماً عَلَى مَنْ يَتَّكِلْ[1]

أراد : إن لم يجد يوما من يتكل عليه .

فى أشباهٍ لهذا كثيرة يطول باستقصائها الكتاب . ٥

* * *

● والله تعالى لايغاط ولا يُضْطَرُّ ، وإنما أراد: ومَثَلُ الذين كفروا ومثَلُنا فى وعظهم كمثل الناعق بما لايسمع ، فاقتصر على قوله : ﴿ ومثل الذين كفروا ﴾ ؛ وحذف ومثَلُنا ؛ لأنَّ الكلام يدل عليه[2] . ومِثْلُ هذا كثير فى الاختصار . ١٠

وقال « الفراء » :

أراد : ومثل واعظ الذين كفروا ؛ فحذف، كما قال: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾[3] ، أى : أهلها .

* * *

● وأراد بقوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾[4] ، أى : تُميلُها من ثِقَلها . ١٥

---

(١) فى اللسان ١٣/٥٠٢ وبعده فيه : * فيكتسى من بعدها ويكتحل * أراد من يتكل عليه فحذف عليه هذه ، وزاد على متقدمه ، ألا ترى أنه يعتمل إن لم يجد من يتكل عليه . والبيت فى شواهد المغنى ١٤٣ وأساس البلاغة ٢/١٤٢ ، ٤٩٢ وسيبويه ١/٤٤٣ .

(٢) فى البحر المحيط ١/٤٨١ تسعة أقوال فى تفسير هذه الآية . وقد ذكر المرتضى فى أماليه ١/١٥٤ — ١٥٧ خمسة أجوبة فيها .

(٣) سورة يوسف ٨٢ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

[٩٢] قال « الفراء » / أنشدنى بعض العرب[١] :

حتى إذا ما التأمَتْ مَفاصِلُهْ ونَاءَ فى شِقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ[٢]

يُريد : أنه[٣] لما أخذ القوس ونزع ، مال عليها .

قال: ونَرَى قولَهم: «ماساءَكَ ونَاءَكَ»، من هذا . وكان الأصلُ «أناءَكَ»

٥ فألقِىَ الألِفُ لما اتبعَه « ساءكَ » كما قالوا : « هَنَأَنِى ومَرَأَنِى »، فاتبع مَرَأَنِى هَنَأَنِى . ولو أفرد لقال : أمْرَأَنِى .

* * *

• وأراد بقوله : ﴿ وإنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[٤] ، أى : وإنه لحبِّ المالِ لبخيل ، والشدة: البخلُ ههنا ؛ يقال : رَجُلٌ شديدٌ ومتشدِّدٌ[٥] .

١٠ * * *

(١) فى اللسان ١٦٩/١ « قال الأزهرى : وأنشدنى بعض العرب — إلى آخر النص » وظاهر أن فيه سقطا صوابه : « قال الأزهرى ، قال الفراء : وأنشدنى بعض العرب الخ » .

(٢) فى اللسان « ما التأمت مواصله » .

(٣) فى اللسان « يعنى الرامى » .

(٤) سورة العاديات ٨ وفى البحر المحيط ٥٠٥/٨ « وقال الفراء : نظم الآية أن يقال : وإنه لشديد الحب للخير ، فلما تقدم الحب قال : لشديد ، وحذف من آخره ذكر الحب ؛ لأنه قد جرى ذكره ، ولرؤوس الآى، كقوله: « فى يوم عاصف» والعصوف للريح لا للأيام ، كأنه قال: فى يوم عاصف الريح » ومن هذا النص يتضح لنا أن الفراء هو الذى عناه الطبرى بقوله ١٨٠/٣٠ « وقال بعض نحويى الكوفة : كان موضع لحب أن يكون بعد شديد .... الخ ».

(٥) قال الطبرى ١٨٠/٣٠ « يقول تعالى ذكره : وإن الإنسان لحب المال لشديد. واختلف أهل العربية فى وجه وصفه بالشدة لحب المال ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك: وإنه من أجل حب الخير لشديد، أى لبخيل . قال: ويقال للبخيل : شديد ومتشدد ، واستشهدوا لقوله ذلك ببيت طرفة بن العبد اليشكرى :

أرى الموت يعتام النفوس ويصطفى عقيلة مال الباخل المتشدد

وقال آخرون : وإنه لحب الخير لقوى ... » .

● وقوله سبحانه : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [١]، يريد : اجعلنا أئمةً فى الخير يقتدى بنا المؤمنون ، كما قال فى موضع آخر : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [٢] ، أى : قادَةً ، كذلك قال المفسّرون [٣] .

ورُوى عن « بعض خيار السلف » : أنه كان يدعو الله أن يُحمَل عنه الحديث ؛ فحُمِلَ عنه .

٥

وقال « بعض المفسرين » فى قوله : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ ، أى : اجعلنا نَقْتَدِى بمن قبلنا حتى يَقْتَدِىَ بنا من بعدَنا [٤] . فهم على هذا التأويل مُتَّبِعُونَ ومُتَّبَعُون .

* * *

١٠

● ومن المُقدّم والمؤخّر قولُه تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى

---

(١) سورة الفرقان ٧٤ .

(٢) سورة السجدة ٢٤ .

(٣) وهو تفسير ابن عباس ، كما فى الطبرى ١٩ / ٣٤ .

(٤) قال بذلك مجاهد، كما فى الطبرى ٣٩ / ٣٤ وقال أبو جعفر : « وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك — إماما يأتمون بنا فى الخيرات ؛ لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة، ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما . وقال :« واجعلنا للمتقين إماما » ولم يقل: أئمة وقد قالوا :« واجعلنا » وهم جماعة — لأن الإمام مصدر من قول القائل : أم فلان فلاناً إماماً ، كما يقال : قام قياماً ، وصام يوم كذا صياماً . ومن جمع الإمام : أئمة ، جعل الإمام اسماً ، كما يقال : أصحاب محمد إمام وأئمة للناس ، فمن وحد قال : يأتم بهم الناس. وهذا القول الذى قلناه فى ذلك قول بعض نحويى أهل الكوفة. وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام فى قوله : للمتقين إماما — جماعة ، كما تقول : كلهم عدول . قال : ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل إذا قيل له : من أميركم ؟ : هؤلاء أميرنا . واستشهد لذلك بقول الشاعر :

يا عاذلاتى لا تردن ملامتى إن العواذل لسن لى بأمير

عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً ﴾[١] ، أراد : أنزل الكتاب قيِّماً ولم يجعل له عِوَجاً .

● وقوله : ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾[٢] ، أى : بشرناها بإسحاق فضحكت[٣] .

● وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾[٤] ، أى : فعقروها فكذّبوه بالعقر .

وقد يجوز أن يكون أراد : فكذّبوا قوله : إنها ناقة الله ؛ فعقروها[٥] .

---

(١) سورة الكهف ١ ، ٢ وقال أبو جعفر الطبرى فى تفسيره ١٥/١٢٦ : « يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذى خص برسالته محمداً ، وانتخبه لبلاغها عنه ، فابتعثه إلى خلقه نبياً مرسلا ، وأنزل عليه كتابه قيما ولم يجعل له عوجا ، وعنى بقوله عز ذكره : قيما : معتدلا مستقيما ... عن ابن عباس : أنزل الكتاب عدلا قيما ، ولم يجعل له عوجا . فأخبر ابن عباس بقوله هذا — مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله : ولم يجعل له عوجا ، ومعناه التقديم ، يعنى : أنزل الكتاب على عبده قيما .. مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضه يصدق بعضاً ، وبعضه يشهد لبعض لا عوج فيه ولا ميل عن الحق » .

(٢) سورة هود ٧١ .

(٣) فى اللسان ١٢/٣٤٦ « روى الأزهرى عن الفراء فى تفسير هذه الآية لما قال رسل الله ، عز وجل ، لعبده وخليله إبراهيم : لا تخف ، ضحكت عند ذلك امرأته ، وكانت قائمة عليهم ، وهو قاعد ، فضحكت ، فبشرت بعد الضحك بإسحاق ، وإنما ضحكت سروراً بالأمن ؛ لأنها خافت كما خاف إبراهيم . وقال بعضهم : هذا مقدم ومؤخر ، المعنى فيه عندهم : فبشرناها بإسحاق ، فضحكت بالبشارة . . . قال الفراء : وأما قولهم . فضحكت : حاضت ، فلم أسمعه من ثقة » .

(٤) سورة الشمس ١٤ ، وفى اللسان ٦/٢٧٠ « عقره : إذا قطع قائمة من قوائمه ... قال الأزهرى : العقر عند العرب : كشف عرقوب البعير ، ثم يجعل النحر عقراً ؛ لأن ناحر الإبل يعقرها ثم ينحرها » .

(٥) قال الطبرى ٣٠/١٣٧ « يقول : فكذبوا صالحاً فى خبره الذى أخبرهم به ، من أن الله الذى جعل شرب الناقة يوما ، ولهم شرب يوم معلوم ، وأن الله يحل بهم نقمته إن هم

قال « الأعشى » :

لقد كان فى حَولٍ ثواءٍ ثَوَيْتُهُ   تَقَضّى لُبَاناتٍ ويَسأَمُ سائمُ (١)

أراد : لقد كان فى ثواء حَولٍ ثَوَيْتُه .

وقال « ذو الرُّمَّة » يصف الدَّارَ :

فأضحت مَبادِيها قِفاراً رُسُومُها   ٥

كأَنْ لَمْ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الوَحْشِ تُوهَلِ (٢)

أراد : كأن لم تُوهَل سوى أهلٍ من الوحش .

* * *

● وقد كان « بعضُ القَرَأَة » / يقرأ : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ [٩٣]

عقروها ... وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقر . وإذا كان ذلك كذلك جاز تقديم التكذيب قبل العقر ، والعقر قبل التكذيب ، وذلك أن كل فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده ، كقول القائل : أعطيت فأحسنت ، وأحسنت فأعطيت ؛ لأن الإعطاء هو الإحسان ، ومن الإحسان الإعطاء ، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب جاز تقديم أى ذلك شاء المتكلم » .

(١) ديوانه ص ٥٦ « ثواء : يرفع وينصب ، وأبو عبيدة يخفضه ، والنصب أجود ، ومن روى تقضى — بضم التاء — فإنه ينبغى أن يرفع ثواء » وقال سيبويه ١/٤٢٣ سألت الخليل عن قول الأعشى : لقد كان — البيت — فرفعه وقال : لا أعرف فيه غيره ؛ لأن أول الكلام خبر ، وهو واجب ، كأنه قال : فى حول تقضى لبانات ويسأم سائم ، هذا معناه » وقال الأعلم فى شرحه : « يخاطب بهذا نفسه ، والثواء: الإقامة ، وهو بدل من الحول ، ويجوز نصبه على تقدير ثويته ثواء » .

(٢) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٣٣ « مباديها » أى حيث تبدو . ويروى : « مغانيها » جمع مغنى ، وهو المنزل ، والقفار : جمع قفر وهى الأرض الخالية ، ويؤهل: من أهل الدار: نزلها ، من باب ضرب يضرب » .

لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [١] ، أى : قَتْلُ شُرَكَائِهِمْ أَوْلَادَهُمْ .

* * *

• ومن المقدّم والمؤخّر قوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [٢] .

وقال « ابن عباس » فى رواية الكلبى : أراد : ولا تعجبك أموالهم وأولادهم فى الدنيا ؛ إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الآخرة .

* * *

• ومنه قوله سبحانه : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ

---

(١) سورة الأنعام ١٣٧ ؛ وقرأ الجمهور « زين » مبنياً للفاعل ؛ ونصب « قتل » مضافاً إلى « أولادهم » ورفع « شركاؤهم » بزين . وإعراب هذه القراءة واضح . ويقصد ابن قتيبة ببعض القرأة : ابن عامر . فهو الذى قرأ : « زين » مبنياً للمفعول ، و « قتل » مرفوعا ونصب « أولادهم » وجر « شركائهم » ففصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول . وهى مسألة مختلف فى جوازها : فجمهور البصريين يمنعونها ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر . وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ؛ لوجودها فى هذه القراءة المتواترة ، المنسوبة إلى العربى الصريح المحض : ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان ، قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضاً فى لسان العرب ، فى عدة أبيات . وقد رد قراءة ابن عامر هذه بعض النحويين كالفارسى والزمخشرى . وقد علق « أبو حيان » على رد « الزمخشرى » فى البحر المحيط ٤/ ٢٣٠ فقال : « واعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجودة فى لسان العرب فى غير ما بيت ! واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم » راجع تفصيل ذلك كله فى البحر المحيط ٤/٢٢٩ — ٢٣٠ والكشاف ٢/ ٤١ — ٤٢ والطبرى ٨/ ٣٢ — ٣٣ .

(٢) سورة التوبة ٥٥ .

لِزَاماً وأَجـلٌ مُسَمًّى ﴾[١] ، أى : ولولا كلمة سبقت وأجلٌ مسمّى ، لـكان العذابُ لِزاماً .

* * *

● ومنه قوله سبحانه : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] ، أراد : لَعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، لاتبعتم الشيطان[٣] .

قال « الشاعر » :

فَأَوْرَدْتُهَا مَاءً كَأَنَّ جِمَـامَهُ ... مِنَ الْأَجْنِ حِنَّاءٌ مَعاً وَصَبِيبُ[٤]

أى : فأَوْرَدْتُها ماءً كأنَّ جِمَامَه حِنَّاءٌ وصَبيبٌ معاً .

---

(١) سورة طه ١٢٩ وقال الطبرى ١٦/١٦٧ « يقول تعالى ذكره: ولولا كلمت سبقت من ربك يامحمد،أن كل من قضى له أجلا، فإنه لا يخترمه قبل بلوغ أجله، وأجل مسمى، يقول: ووقت مسمى عند ربك، سماه لهم فى أم الكتاب ، وخطه فيه ، هم بالغوه ومستوفوه لـكان لزاما الهلاك عاجلا ... وقدم قوله : لـكان لزاماً ، قبل قوله : وأجل مسمى ، ومعنى الكلام : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ، لـكان لزاماً، فاصبر على ما يقولون».

(٢) سورة النساء ٨٣ .

(٣) راجع البحر المحيط ٣/٣٠٦ ـ ٣٠٨ .

(٤) هو علقمة الفحل ، كما فى ديوانه ص١٤ « أوردتها : يعنى الناقة ، جمام الماء : ما اجتمع منه. وكثرة الأجن: تغير الماء ، الصبيب : شجر حجازى يختضب به كالحناء . يصف الماء بالتغير لبعد عهده بالواردة ، إذا كان فى فلاة نائية ليس بها إنسان » والبيت له فى المفضليات ص ٣٩٣ واللسان ٢/٦ .

بابُ الحذفِ والاختصار

من ذلك : أن تحذفَ المضاف وتقيمَ المضافَ إليه مقامه وتجعلَ الفعلَ له .

كقوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ (١) أى سل أهلها .

﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ (٢) أى حُبَّه .

و ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ (٣) أى وقتُ الحج .

٥ وكقوله : ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ (٤) أى ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

وقوله سبحانه : ﴿ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ (٥) فالصلوات لا تُهدَّم ، وإنما أراد بيوتَ الصلوات .

قال «المفسرون» : الصوامعُ للصَّابئين ، والبِيَعُ للنّصارى ، والصلوات :

١٠ كنائس اليهود ، والمساجد للمسلمين .

وقوله : ﴿ مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ (٦) أى أخرجكَ أهلُها .

[٩٤] وقوله: ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (٧) أى مكركم فى الليل / والنهار .

---

(١) سورة يوسف ٨٢ والصناعتين ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة ٩٣ والصناعتين ١٣٥ .

(٣) سورة البقرة ١٩٧ والصناعتين ١٣٦ .

(٤) سورة الإسراء ٧٥ .

(٥) سورة الحج ٤٠ .

(٦) سورة محمد ١٣ .

(٧) سورة سبأ ٣٣ .

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ [1]؟ أى : أجعلتم صاحب سِقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن ؟! ويكون يريد : أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله وجهاده ؟ كما قال : ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ [2] .

قال « الهذلى » : ٥

يُمَشِّى بَيْنَنا حَانوتُ خَمْرٍ ... من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ [3]

أراد صاحبَ حانُوت خمر ، فأقام الحانوت مُقامه .

وكذلك قول « أبى ذُؤَيْب » فى صفة الخمر :

تَوَصَّلُ بالرُّكْبانِ حِيناً وتُؤلِفُ الـ ... ـجِوارَ وَيُغْشِيها الأَمَانَ رِبابُها [4]

اللفظ للخمر والمعنى للخَمَّار ، أى يتوَصَّلُ الخمار بالركب ليسير معهم ويأمن بهم . وكذلك « قوله » : ١٠

أَتَوْهَا بِرِبْحٍ حَاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ ... تُكَفَّتُ قَدْ حَلَّتْ وَسَاغَ شَرَابُهَا [5]

---

(١) سورة التوبة ١٩ .

(٢) سورة البقرة ١٧٧ .

(٣) البيت للمتنخل الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ص٢١ « يقول: يمشى بيننا صاحب حانوت من خمر ، وقوله : من الخرس الصراصرة ، يريد أعجم من نبط الشأم يقال لهم : الصراصرة . والقطاط : الجعاد . والواحد قطط ، وهو أشد الجعود » والبيت فى اللسان ٢٥٦/٩ والصناعتين ص ١٣٦ ، والمخصص ٦٦/١ ، ٩٠/١٠ .

(٤) ديوانه ص٧٣ « توصل : تتوصل ، بالركبان ، يعنى أهل الخمر ، وإن كان اللفظ للخمر فإن المعنى لأربابها . يقول : إذا أقبل الركبان سار أصحاب الخمر معهم ليأمنوا . وقوله : تؤلف الجوار ، يقول : تأخذ الجوار عقدين ، وإنما يعنى أصحاب الخمر . يقال : آلف وأولف إذا جمع بين شيئين . ويغشيها الأمان ربابها . والرباب : عقد وجوار تأخذه يكون الرباب أمانا لها ، والمعنى لأصحابها ، وإذا استجاروا من مكانين فقد آلفوا » والبيت فى اللسان ٣٥٣/١٠ « الأمان ذمامها » وهو على الصواب مع شرحه فيه ٣٩١/١ .

(٥) ديوان أبى ذؤيب ص ٧٤ « تكفت : تقبض ، ومنه يقال : اللهم اكفته إليك ، أى اقبضه إليك . وساغ شرابها ، أى سهل لما أتوها بربح » والبيت له فى اللسان ٣٨٤/٢ .

يريد : أتَوْا صاحبها برِبح ، فأقامها مُقامه .

وقال « كُثَيِّر » يذكر الأظْعان :

خُزِيَتْ لى بحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى ⁂ كاليَهُودِىّ مِنْ نَطاة الرِّقَال[1]

أراد كنخل اليهودىّ من خَيْبر ، فأقامه مُقامها .

٥ ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ﴾[2] أى : أهله .

وقال « الشاعر » :

لهم مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ ⁂ سَوَاسِيَةٌ أَحرَارُها وَعَبِيدُها[3]

* * *

• ومن ذلك أن تُوقِعَ الفعل على شيئين وهو لأحدهما ، وتضمر

١٠ للآخر فعله .

كقوله سبحانه : ﴿ يَطوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِين ﴾[4] .

---

(١) ديوان كثير ١/١٤٥ « جزيت » وصفة جزيرة العرب للهمدانى ١/٢٢٦ « فيدة تخدى » ومعجم البلدان ٦/٤٠٩ وتاج العروس ١٠/٣٧٢ واللسان ١٣/٣١٢ « أراد كنخل اليهودى ، ونطاة خيبر . التهذيب : الرقال من نخيل نطاة وهى عين بخيبر . والرقال : جمع رقلة ، وهى النخلة الطويلة . وفى ٢٠/٢٠٦ « حزبت : رفعت ، حزاها الآل : رفعها ، وأراد كنخل اليهودى الرقال ، ونطاة : قصبة خيبر » .

(٢) سورة العلق ١٧ .

(٣) البيت فى الصناعتين ص ١٣٦ غير منسوب كما هنا . وهو لذى الرمة ، كما فى ديوانه ص ١٦٧ « صهب : حمر . والسبال : الشعر الذى عن يمين الشفة العليا وشمالها ، ويقال للسبال : شوارب . يقول : هم عجم لأن شواربهم حمر . سواسية فى الشر خاصة » والشطر الأول فى الكشاف ٤/٢٢٥ والبحر المحيط ٨/٤٩٥ لجرير فيهما .

(٤) سورة الواقعة ١٨ .

ثم قال : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . ﴾ (١) والفاكهة واللحمُ والحورُ العين لا يُطاف بها ، وإنما أراد : ويُؤْتَوْن بلحم طير .

● ومثـــله قوله · ﴿ فأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (٢) أى : وادعوا شركاءكم ، وكذلك هو فى مصحف عبد الله (٣) . ٥

قال « الشاعر » :

تَرَاهُ كأَنَّ اللهَ يَجْـدَعُ أَنْفَهُ ... وَعَيْنَيْه إنْ مَوْلاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ (٤)

أى يجدع أنفه ، ويفقأ عينيه .

وأنشد « الفراء » :

عَلَفْتُهـا تبنـاً وماءً بارداً ... حتى شَدَتْ هَمَّالةً عَيْنَاها / (٥) [٩٥]

أى علفتُها تبنا ، وسقَيْتُها ماء باردا .

وقال « آخر » :

إذا ما الغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يوماً ... وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا (٦)

---

(١) سورة الواقعة ٢٠ ـ ٢٢ .

(٢) سورة يونس ٧١ والصناعتين ١٣٦ .

(٣) يقصد عبد الله بن مسعود .

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ٩/٣٩١ وأمالى المرتضى ٤/١٦٩ والصناعتين ١٣٦ ومجمع البيان ١/١١١ وللزبرقان بن بدر فى أبواب مختارة من كتاب يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص١٥ وهو فى الحيوان ٦/٤٠ من أبيات لخالد بن الطيفان ، وفيه : « أذنيه إن » وهو لخالد كما هنا فى المؤتلف والمختلف ص ١٤٩ ، ومعنى يجدع : يقطع . وثاب : رجع ، والوفر : الغنى .

(٥) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٤/١٧٠ واللسان ٣/١١١ والخزانة ١/٤٩٩ والإنصاف ٢٥٣ وأبواب مختارة ص ١٣ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٣١٤ .

(٦) البيت غير منسوب كما هنا فى الصناعتين ص ١٣٦ وأساس البلاغة ١/٣٩٤ وأبواب

والعُيون لا تُزَجَّجُ ، وإنما أراد : وزجَّجْنَ الحواجب ، وكَحَّلْنَ العيون .

وقال « الآخر » :

ورأيتُ زَوْجَكِ فى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا[1]

أى متقلدا سيفا ، وحاملا رمحا[2].

* * *

● ومن[3] ذلك : أن يأتى بالكلام مَبْنِيًّا على أنّ له جوابا ، فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به .

كقوله سبحانه : ﴿ ولو أنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَلْ لِلّهِ الأَمْرُ جَمِيعا ﴾[4] أراد : لكان هذا القرآن ، فحذف .

وكذلك قوله : ﴿ ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورَحْمَتُه وأنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[5] أراد : لعذّبكم ، فحذف .

= مختارة ص ١٥ وهو للراعى ، كما فى اللسان ١/٤٠٦ ، ٣/١١١ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٦٣ .

(١) البيت غير منسوب فى معانى القرآن للفراء ١/١٢١ ومجاز القرآن ٢/٦٨ ومجمع البيان ١/١١١ والبحر المحيط ٢/٤٦٤ ، ٦/٤٨٥ وتفسير الطبرى ١/٤٧ وأمالى المرتضى ١/٤١ ، ٤/١٧٠ واللسان ٣/١١١ ، ٤٣٠ « يا ليت زوجك قد غدا » ، ٩/٣٩١ ، ٤٠٨ ، ١/٤٠٦ والكامل ١/٢١٨ ، ٤٠٣ ونسبه الأخفش فى تعليقه على الكامل ١/١٩٦ لعبد الله ابن الزبعرى .

(٢) راجع أمالى المرتضى ٤/١٧٠ ـ ١٧٢ .

(٣) نقل هذا أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ص ١٣٦ ولم يشر إلى ابن قتيبة ولا إلى كتابه بأية إشارة !

(٤) سورة الرعد ٣١ .

(٥) سورة النور ٢٠ .

قال « الشاعر » :

فأُقْسِم لو شَيْءٌ أتانا رســـولُه   سِواكَ ؛ ولـكنْ لم نَجِدْ لك مَدْفعَا[١]

أى لرددْناه[٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ليسوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الـكتاب أُمَّةٌ قائمةٌ يَتلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ الليلِ وهُمْ يَسْجُدونَ ﴾[٣]. فذكر أُمَّةً واحدةً ولم يذكر بعدها أخرى. وسواء تأتى للمُعادلة بين اثنين فما زاد[٤].

وقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجِداً وقائماً[٥] ﴾ ولم يذكر ضِدَّ هذا ؛ لأن فى قوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ والذين لا يَعْلَمُونَ ﴾ دليلا على ما أراد .

وقال « الشاعر » :

أراكَ فمـــا أَدْرِى أَهَمٌّ هَمَمْتَـهُ   وذُو الهَمِّ قِدْماً خاشِعٌ مُتَضائلُ[٦]

ولم يأت بالأمر الآخر .

وقال « أبو ذُؤَيب » :

عَصَيْتُ إليها القَلْبَ إنّى لِأَمْرِهِ   سَمِيعٌ، فما أدرى أرُشْدٌ طِلَابُها ؟[٧]

(١) البيت فى فقه اللغة للثعالبى ٣٤٤ وهو لامرىء القيس كما فى ديوانه ص ٨٥ وروايته : « وجدك لو شىء » .

(٢) منقول بنصه فى الصناعتين أيضاً ص ١٣٦ .

(٣) سورة آل عمران ١١٣ .

(٤) منقول فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٥) سورة الزمر ٩ وبعد ذلك: ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى ﴾ ..

(٦) فى الصناعتين ص ١٣٧ « أراد فما » وهو تحريف .

(٧) ديوانه ص ٧١ وروايته « عصانى إليها » أى جعل لا يقبل منى ، أى ذهب إليها قلبى سفهاً . ويروى : « دعانى » فما أدرى أرشد الذى وقعت فيه أم غى ؟ وهو غير منسوب فى معانى القرآن للفراء ١ / ٢٣٠ .

أراد : أرشدٌ هو أم غيٌّ ؟ فحذف .

* * *

ومن ذلك : حذف الكلمة والكلمتين .

كقوله : ﴿ فأمَّا الذين اسْوَدَّتْ وُجُوهُهم أكَفَرْتُم . ﴾ [(١)] والمعنى فيقال لهم : أكفرتم ؟ وقوله : ﴿ ولو تَرَى إذِ الْمجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهم ربَّنَا أبْصَرْنا وَسَمِعْنا . ﴾ [(٢)] والمعنى يقولون : ربنا أبصرنا .

وقوله : ﴿ وَإذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ [(٣)] . والمعنى يقولان : ربنا تقبّل منا .

وقال « ذو الرُّمة » يصف حميرا :

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيلَ أو حينَ نَصَّبَتْ ... له من خَذَا آذَانِها وهو جانحُ [(٤)]

أراد أو حين أقبل الليل نَصَّبَتْ . و « قال » :

وقد بدا ... لِذِي نُهْيَةٍ أن لا إلى أمِّ سَالِمِ [(٥)]

---

(١) سورة آل عمران ١٠٦ .

(٢) سورة السجدة ١٢ .

(٣) سورة البقرة ١٢٧ .

(٤) ديوانه ص ١٠٨ وقد ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٢٢٧ وعلق عليه بقوله : « خبرت عن الأصمعى أنه قال : أراد : أو حين أقبل الليل نصبت آذانها ، وكانت مسترخية والليل مائل على النهار فحذف » وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٦٢ « ومعنى لباسها الليل : دخولها فيه ، والتقدير : فلما لبست الحمير الليل ، أو حين أقبل الليل قبل أن تلبسه — نصبت آذانها ، وتشوفت للنهوض إلى الماء ؛ لأنها لا تنهض لورود الماء إلا ليلا . والخذا : استرخاء الأذنين ، يريد أن آذانها كانت مسترخية من الحر ، فلما أقبل الليل وضعف الحر ، نصبت آذانها . وهذا كله على مذهب الأصمعى .. والهاء فى قوله : «له» عائدة على الليل ... » وانظر الجواليقى ص ٢٥٨ والصاحبي ١٧٥ والجمهرة ٢/٢٠٤ والأزمنة والأمكنة ١/٣٠٦ « نصفن الليل » .

(٥) ديوان ذى الرمة ص ٦١٤ وصدره : * لعرفانها والعهدناء وقد بدا * ناء : بعيد ، والنهية : العقل ، « أراد أنه لا سبيل إلى أم سالم » والبيت فى الصناعتين ص ١٣٧ .

أراد : أن لاسبيل إلى أم سالم .

* * *

وقال الله عز وجل : ﴿ وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وبالوالِدَيْنِ إحْسَانًا ﴾ [١] . أى ووصّى بالوالدين .

وقال « النَّمِرُ بن تَوْلَب » :

فإنَّ المَنِيَّــةَ مَنْ يَخْشَها فَسَوفَ تُصادِفُه أينَما [٢]

أراد أينما ذهب [٣] .

٥

وقال الله عز وجل : ﴿ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فى يومٍ عاصِفٍ ﴾ [٤]

أراد : فى يوم عاصفٍ الرّيح ، فحذف ؛ لأنَّ ذكر الرّيح قد تقدَّمَ ، فكانَ فيه دليل .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فى الْأَرضِ ولا فى السَّماء ﴾ [٥] .

أراد : ولا مَنْ فى السماء بِمُعْجِزٍ [٦] .

١٠

* * *

وقال تعالى : ﴿ وأَدْخِلْ يَدَكَ فى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فى تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ﴾ [٧] . أراد فى تسع آيات إلى هذه الآية ، أى معها . ثم قال : ﴿ إلى فرعون ﴾ . ولم يقل مُرْسَلًا ولا مبعوثا ؛ لأن ذلك معروف .

١٥

(١) سورة الإسراء ٢٣ .

(٢) البيت من قصيدة له فى مختارات ابن الشجرى ١/١٦ وهو فى أدب الكاتب ص ٢٢٨ والاقتضاب ٣٦٣ والمعانى الكبير ٢/١٢٦٤ .

(٣) منقول بنصه فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٤) سورة إبراهيم ١٨ .

(٥) سورة العنكبوت ٢٢ .

(٦) نقله أبو هلال فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٧) سورة النمل ١٢ .

ومثله : ﴿ وإلى ثَمُودَ أخاهُمْ صالحاً ﴾[1] . أى : أرسلنا .

قال « الشاعر » :

رَأَتْنى بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخَافَةً ... وفى الحبلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ[2]

أراد مقْبلًا بحبليها .

٥ وقال عز وجل : ﴿ فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾[3] .

أراد : بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ، فحذفها ؛ لأنه قال قبلُ : ﴿ فإذا جاءَ وَعْدُ أُولَاهُما بَعَثْنَا عَلَيْكُم عِبَاداً لنا ﴾[4] . فاكتفى بالأول من الثانى ؛ إذ كان يدل عليه .

وكذلك قوله : ﴿ عنِ اليَمِينِ وعن الشِّمالِ قَعِيدٌ ﴾[5] . فاكتفى بذكر

١٠ الثانى من الأول .

* * *

• وقد يُشْكِلُ الكلامُ ويَغْمُضُ بالاختصار والإضمار .

---

(١) سورة الأعراف ٧٣ .

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان ١٣/١٤٥ برواية الفراء كما هنا وقال : أراد : رأتنى أقبلت بحبليها. فأضمر أقبلت . وقال ثعلب: رأتنى بحبليها ، فاكتفى بالرؤية من التمسك . ولكن جاء فى اللسان ١٢/١٨٠ عن ابن برى قال « يقال للمؤنث فروق أيضاً ، شاهده قول حميد ابن ثور :

رأتنى مجليها فصدت مخافة ... وفى الخيل روعاء الفؤاد فروق»

وجاء البيت فى تفسير الطبرى ١٩/٨٦ كما هنا ، وعلق عليه بقوله : « ومعنى الكلام : رأتنى مقبلا بحبليها ، فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه فى ذلك ، إذ قال : رأتنى بحبليها. ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة » .

(٣) سورة الإسراء ٧ .

(٤) سورة الإسراء ٥ .

(٥) سورة ق ١٧ .

كقوله : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ له سُوءُ عمله فَرَآهُ حَسَناً فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فلا تَذْهَبْ نفسُكَ عليهم حسراتٍ ﴾[1] . والمعنى : أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسنا ، ذهبت نفسُك حسرةً عليه ؟! فلا تذهبْ نفسك عليهم حسرات / فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء . [٩٧]

وكقوله سبحانه : ﴿ إنِّى لايخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُون إلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فإنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2] لم يقع الاستثناء من المرسلين ؛ وإنما وقع من معنًى مُضمرٍ فى الكلام ، كأنّه قال : لايخاف لديَّ المرسلون ، بل غيرُهم الخائف ؛ إلا من ظلم ثم تاب فإنه لايخاف .

وهذا قول « الفراء »[3] ، وهو يَبعدُ : لأن العرب إنما تحذف من الكلام مايدل عليه مايظهر ؛ وليس فى ظاهر هذا الكلام ـ على هذا التأويل ـ دليلٌ على باطنه .

قال أبو محمد :

والذى عندى فيه ، والله أعلم ، أنَّ « موسى » عليه السلام ، لما خاف الثعبان وولّى ولم يُعَقِّب ، قال الله عز وجل : ﴿ ياموسى لا تخَفْ إنى لايخاف

---

(١) سورة فاطر ٨ .

(٢) سورة النمل ١٠ ، ١١ .

(٣) هذا يوضح لنا أن « الفراء » هوالذى يعنيه الطبرى بقوله: ٨٤/١٩ » وقال «بعض نحويى الكوفة » : يقول القائل : كيف صير خائفاً من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول له : فى هذه الآية وجهان : أحدهما : أن يقول : إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه ، والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا فى الكلمة ؛ لأن المعنى لا يخاف لدى المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ، ثم استثنى فقال : إلا من ظلم ثم بدل حسنا ، يقول : كان مشركا فتاب من الشرك ، وعمل حسناً فذلك مغفور له وليس يخاف »

لدىَّ المرسلونَ ﴾ وعَلِم أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خِيفةً أخرى من ذنبه فى الرّجل الذى وَكَزَه فقضى عليه؛ فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ﴾ أى توبةً وندما؛ فإنه يخاف، وإنى غفور رحيم.

و «بعض النحويين[1]» يحمل «إلّا من ظلم» بمعنى: ولا من ظلم، ٥ كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حجَّةٌ إلّا الَّذِين ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[2].

على مذهب من تأول هذا فى «إلّا»: كقوله فى سورة الأنفال، بعد وصف المؤمنين: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ من بَيْتِكَ بالحقِّ﴾[3]. ولم يُشَبِّهْ قصة المؤمنين بإخراج الله إياه، ولكن الكلام مردودٌ إلى معنى فى أول السورة ومحمولٌ عليه، وذلك: أن النبى صلى الله عليه، رأى يوم بدرٍ قِلَّة المسلمين ١٠ وكراهة كثير منهم للقتال، فَنَفَّل كلَّ امرىءٍ منهم ماأصاب، وجعل لكل من قتل قتيلا كذا، ولمن أتى بأسير كذا: فكره ذلك قومٌ فتنازعوا واختلفوا وحاجّوا النبى، صلى الله عليه، وجادلوه، فأنزل الله سبحانه: ﴿يسألونَكَ عنِ الأَنْفَالِ قل: الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ﴾: يجعلها لمن يشاء ﴿فاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. أى فرِّقُوها بينكم على السواء ﴿وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما بعد ﴿إنْ كنتُمْ مؤمنين[4]﴾؛ ووصف/المؤمنين ثم قال: [٩٨]

---

(١) فى الطبرى ١٩/٨٥ «وقال بعض النحويين: إن إلا فى اللغة بمنزلة الواو، وإنما معنى هذه الآية: لا يخاف لدى المرسلون، ولا من ظلم ثم بدل حسناً. وجعلوا مثله كقول الله: «لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ...» والصواب من القول هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جريج ومن قال قولهما، وهو أن قوله: «إلا من ظلم» استثناء صحيح من قوله: «لا يخاف لدى المرسلون، إلا من ظلم منهم فأتى ذنباً فإنه خائف لديه من عقوبته، وقد بين الحسن معنى قيل الله لموسى ذلك، وهو قوله: قال: إنى إنما أخفتك لقتلك النفس ...».

(٢) سورة البقرة ١٥٠.

(٣) سورة الأنفال ٥.

(٤) سورة الأنفال ١ وتفسير الطبرى ٩/١١٩ ـ ١٢٠.

﴿ كما أَخْرَجَكَ ربُّكَ مِن بَيْتِكَ بالحقِّ وإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ ﴾ يريد : أن كراهتهم لِمَا فعلته فى الغنائم ككراهتهم للخروج معك ، كأنه قال : هـذا من كراهيتهم كما أخرجَك وإيَّاهم ربُّك وهم كارهون .

٥

* * *

ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارِها وجده كثيراً :

قال « الشاعر » :

فلا تَدْفِنُونِى إنَّ دَفْنِى مُحَرَّمٌ عليكم ، ولكنْ خامِرِى أُمَّ عامر[(1)]

يريد : لا تدفنونى ولكن دعونى للتى يقال لها إذا صِيدَت : خامِرِى أُمَّ عامر ، يعنى الضَّبُع ، لتأكلنى .

١٠

وقال « عَنْتَرةُ » :

هل تُبْلِغَنِّى دارَها شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ[(2)]

يريد: دُعِىَ عليها بأن يحرم ضرعُها أن يَدِرَّ فيه لبن، فاستجيب للداعى، فلم تحمل ولم تُرضع .

ومثله قول « الآخر » :

١٥

---

(١) البيت للشنفرى ، كما فى الأغانى ٢١/١٣٦ والشعر والشعراء ١/٢٦ والحماسة بشرح التبريزى ٢/٦٣ وذيل الأمالى ٣٦ والصناعتين ص ١٣٨ والبحر المحيط ٢/٣٧٧ ومجمع البيان ١/٧٤ وفى أمالى المرتضى ٢/٧٢ « لتأبط شراً ويروى للشنفرى » وفى الحيوان ٦/٤٥٠ ، وديوانه فى الطرائف الأدبية ٣٦ .

(٢) البيت له من معلقته، كما فى ديوانه ص ١٢٤ وشرح القصائد العشر ص ١٨٣ وأمالى المرتضى٣/١٥٨ واللسان ١٧/٢٧٤ شدنية : ناقة منسوبة إلى موضع أو فحل باليمن . قال التبريزى : « قوله لعنت ، يدعو عليها بانقطاع لبنها ، أى بأن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها . وقوله : بمحروم الشراب أى بممنوع شرابه، والمصرم : الذى أصاب أخلافه شىء فقطعه من صرار أو غيره » .

* مَلْعُونَةٌ بِعُقْرٍ أَوْ خَادِجٍ[1] *

أي : دُعِيَ عليها أن لا تحملَ ، وإن حملت : أن تُلْقِيَ ولدَها لغير تمام ؛ فإذا لم تحمل الناقة ولم ترضع كان أقوى لها .

* * *

ومن أمثال العرب : « عسى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً[2] » أي : أنْ يأتينا من قِبَلِ الغويرِ بأسٌ ومكروه . والغُوير : ماء ، ويقال : هو تصغير غار .

* * *

ومثله قوله سبحانه : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[3] .

أي هي للذين آمنوا ـ يعني في الدنيا ـ مشتركة ، وفي الآخرة خالصة .

ومنه قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾[4] . أي يخوفكم بأوليائه ؛ كما قال سبحانه : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ ﴾[5] أي لينذركم ببأس شديد .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾[6] أي لا عوج لهم عنه .

---

(١) صدره : * تخدى بنا كل خنوف فاسج * ، كما في اللسان ٣/١٦٩ .

(٢) سبق شرحه ص ٨٩ .

(٣) سورة الأعراف ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران ١٧٥ .

(٥) سورة الكهف ٢ .

(٦) سورة طه ١٠٨ .

وقوله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ [(١)] . أى يعلم أنّ العزّة لمن هى .

وقوله : ﴿ ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾ [(٢)] أى ما أريد أن يرزقُوا أنفسهم . ﴿ وما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ [(٢)] أى ما أريد أن يطعموا أحداً من خلقى .

٥

وأصل هذا : أن البشر عباد الله وعياله / فمن أطعم عيال رَجُلٍ ورزقَهم، [٩٩] فقد رزقَه وأطعَمه، إذ كان رزقهم عليه .

ومنه قوله سبحانه: ﴿ أَلّا يَسْجُدُوا لِلّهِ الذى يُخْرِجُ الخَبْءَ ﴾ [(٣)] أراد : أَلَا يا هؤلاء اسجدوا لله .

وقال « الشاعر » :

١٠

* يادارَ سَلْمَى يا اسْلَمِى ثم اسْلَمِى [(٤)] *

* * *

ومن الاختصار : القَسَمُ بلا جواب إذا كان فى الكلام بعده مايدلُّ على الجواب :

كقوله : ﴿ قٓ وَالقُرْآنِ المَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنَّ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ

١٥

---

(١) سورة فاطر ١٠ .

(٢) سورة الذاريات ٥٧ .

(٣) سورة النمل ٢٥ . ومجاز القرآن ٢/٩٣ .

(٤) للعجاج ، كما فى ديوانه ص ٥٨ وعجزه : * بسمسم أو عن يمين سمسم * وهو له فى الموشح ص ١٥ ، ٢١٧ وشرح شواهد الشافية ٤٢٨ ومجاز القرآن ٢/٩٤ .

الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا ﴾ نبعث . ثم قالوا : ﴿ ذلك رجع بعيد ﴾ (١) أى : لا يكون .

وكذا قوله عز وجل : ﴿ والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا ﴾ . ثم قال : ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ (٢) . ولم يأت الجواب لعلم السامع به ؛ إذ كان فيما تأخر من قوله دليل عليه ؛ كأنه قال : والنازعات وكذا وكذا ، لتبعثن ؛ فقالوا : ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ﴾ (٣) نبعث ؟! .

* * *

ومن الاختصار قوله : ﴿ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ﴾ (٤)

أراد : كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فيبلغه فاه .

قال « ضابئ » :

فإنى وإياكم وشوقا إليكم   كقابض ماء لم تسقه أنامله (٥)

و « العرب » تقول لمن تعاطى ما لا يجد منه شيئا : هو كالقابض على الماء (٦) .

* * *

(١) سورة ق ١ — ٣ والصناعتين ص ١٣٨ .

(٢) سورة النازعات ١ — ٦ .

(٣) سورة النازعات ١١ .

(٤) سورة الرعد ١٤ والصناعتين ص ١٣٨ .

(٥) فى اللسان ١٢/٢٥٩ « وسقت الشيء أسقه وسقا : إذا حملته ، قال ضابئ بن الحارث البرجمى : فإنى — البيت — أى لم تحمله ، يقول : ليس فى يدى شيء من ذلك ، كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شيء » وكذلك هو فى مجاز القرآن ١/٣٢٧ .

(٦) وشاهده قول الشاعر :

فأصبحت مما كان بينى وبينها   من الود مثل القابض الماء باليد

ومنه : أن تُحذف «لا» من الكلام والمعنى إثباتها .

كقوله سبحانه : ﴿ تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ (١) أى لا تزال تذكر يوسف .

وهى تحذف مع اليمين كثيراً .

قال « الشاعر » (٢) : ٥

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ ضَرَبُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالِى

وقال « آخر » :

فَلَا وَأَبِى دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً على قومِهَا ما فَتَّلَ الزَّنْدَ قَادِحُ (٣)

ومنه قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لكم أَنْ تَضِلُّوا ﴾ (٤) ، أى : لئلا تضلوا .

و ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّموات والأرضَ أَنْ تَزُولا ﴾ (٥) ، أى : لئلا تزولا . ١٠

وقوله : ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ (٦) ، أى : لا تحبط أعمالكم .

* * *

(١) سورة يوسف ٨٥ .

(٢) هو امرؤ القيس ، ديوانه ص ١٠٨ والصناعتين ص ١٣٨ واللسان ٣٥٥/١٧ وتفسير الطبرى ٢٨/١٣ . وروايتهم : « ولو قطعوا » .

(٣) شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٧٨ وتفسير الطبرى ٢٨/١٣ «ما قبل» «ماقيل للزند» الصناعتين ص ١٣٨ « وأبى دهمان » الخزانة ٤٦/٤ « دهماء اسم امرأة . وقد أقسم الشاعر بوالدها . وانظر قول أبى حنيفة الدينورى فى صفة الزند والزندة وكيفية الفتل فى هذه الصفحة وما بعدها .

(٤) سورة النساء ١٧٦ .

(٥) سورة فاطر ٤١ .

(٦) سورة الحجرات ٢ .

١٠٠] ● ومن الاختصار / أن تضمر لغير مذكور .

كقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بالحِجَابِ ﴾ [١] يعنى : الشمس ، ولم يذكرها قبل ذلك .

وقوله : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَاتَرَكَ عَلَى ظَهْرِها من ٥ دَابَّةٍ ﴾ [٢] ، يريد : على الأرض .

وقال : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ [٣] ، يعنى : بالوادى .

وقال : ﴿ إِنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ ﴾ [٤] ، أى بموسى : أنه ابنها .

وقال : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذا جَلَّاها ﴾ [٥] ، يعنى : الدنيا أو الأرض .

وكذلك قوله : ﴿ وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [٦] ، أى : عُقْبَى هذه الفَعْلَة .

١٠ وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى ليلةِ القَدْرِ ﴾ [٧] ، يعنى : القرآن . فكنَى فى أوّل السّورة .

قال « حُمَيْدُ بن ثَوْر » فى أوّل قصيدة :

وصَهْبَاءَ مِنْهَا كالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... به الحَمْلَ حتَّى زادَ شَهْراً عَدِيدُها [٨]

أراد : وصهباء من الإبل .

---

(١) سورة ص ٣٢ .
(٢) سورة فاطر ٤٥ .
(٣) سورة العاديات ٤ .
(٤) سوزة القصص ١٠ .
(٥) سورة الشمس ٣ .
(٦) سورة الشمس ١٥ .
(٧) سورة القـدر ١ .
(٨) البيت فى اللسان له ٣/٣٠٢ « الأصمعى : إذ حملت الناقة فجازت السنة من يوم لقحت قيل : أدرجت ، ونضجت ، وقد جازت الحق ، وحقها : الوقت الذى ضربت فيه » .

وقال « حاتم » :

أَمَاوِيَّ مايُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتَى
إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بها الصَّدْرُ[١]

يعنى النفس .

وقال « لبيد » : ٥

حتى إذا أَلْقَتْ يَداً فى كافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُهَا[٢]

يعنى الشمس بدأتْ فى المغيب .

وقال « طَرَفة » :

* ألا لَيْتَنى أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِى[٣] *

يعنى : من الفلاة . ١٠

و « أنشد الفَرّاء » :

إذا نُهِىَ السَّفِيهُ جَرَى إليه وخالَفَ ، والسَّفِيهُ إلى خِلافِ[٤]

---

(١) ديوانه ص ٣٩ « حشرجت نفس » وتفسير الطبرى ٢١/١٣ واللسان ٢١٠/١٧ وأمالى المرتضى ٦٣/٤ والعمدة ٢٦٣/٢ ومجموعة المعانى ٣١ والعقد ٣٣٦/١ وأمالى ابن الشجرى ٥٠/١ والبحر المحيط ٣٨٩/٨ ومجمع البيان ٨٧/١ .

(٢) شرح القصائد العشر ص ١٦٠ « ألقت : يعنى الشمس ، أضمرها ولم يجر لها ذكر . ومعنى قوله : ألقت يدا : أى بدأت فى المغيب ، وعنى بالكافر : الليل ؛ لأنه يستر بظلمته، وأجن : ستر ، وعورات الثغور : المواضع التى تؤتى منها المخافة ، وكل مكان يتخوف منه فهو ثغر » وهو فى الصناعتين ص ١٣٨ وإصلاح المنطق ١٤٣ .

(٣) من معلقته ، وصدره : * على مثلها أمضى إذا قال صاحبى * قال التبريزى فى شرح القصائد العشر ص ٧٤ « أى على مثل هذه الناقة أسير وأمضى إذا قال صاحبى : إنا هالكون من خوف الفلاة . وقوله : ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى ، معناه : من الفلاة ، فجاء بمكنيها ولم يجر لها ذكر ؛ لدلالة المعنى عليها ، كقوله تعالى : « حتى توارت بالحجاب .. »

(٤) أنشده فى معانى القرآن ١٠٤/١ ، وهو فى أمالى ابن الشجرى ٢٧٣/١ وأمالى المرتضى ١٤٥/١ والخزانة ٣٨٣/٢ والعمدة ٢٦٣/٢ ومجمع البيان ١٠٠/١ وتفسير الطبرى ٣٢٣/٢ ، ١٢٨/٣ ، ١٥٢/٤ ومجالس ثعلب ٧٥/١ .

أراد : جرى إلى السَّفَه .

* * *

وقال الله عز وجل فى أول سورة الرحمن : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [١] ، ولم يذكر قبل ذلك إلا الإنسان ، ثم خاطب الجانّ معه
٥ لأنَّه ذكرهم بعد ، وقال : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ [٢] .

قال « الفرّاء » : ومثله قول « المُثَقِّب العَبْدِى » :

فما أَدْرِى إذا يَمَّمْتُ أَرْضاً أُريد الخيرَ : أَيُّهُمَا يَلِينِى ؟ [٣]

أَأَلْخَيْرُ الذى أنا أَبْتَغِيه ؟ أَم الشرُّ الذى هو يَبْتَغِينِى ؟

فكنى عن الشر وقَرَنه فى الكناية بالخير قبل أن يذكره ، ثم أتى به
١٠ بعدَ ذلك .

* * *

● ومن ذلك حذف الصفات .

كقول الله سبحانه : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [٤] .

أى : كالوا لهم أو وزنوا لهم .

---

(١) سورة الرحمن ١٣ .

(٢) سورة الرحمن ١٥ .

(٣) من قصيدة له فى المفضليات ص ٢٩٢ وفى الشعر والشعراء ١/٣٥٧ والخزانة ٤/٤٩ وشرح شواهد الشافية ص ١٨٨ وحماسة البحترى ١٢٥ والصناعتين ١٣٩ وشرح شواهد المغنى ص ٦٩ وأمالى اليزيدى ص ١١٦ « إذا وجهت وجهاً » ومعجم الشعراء ص٤٠٣ والعمدة ٢/٢٦٢ وتفسير الطبرى ٢٢/٩٨ من غير نسبة . وكذلك فى معانى القرآن للفراء ١/٢٣١ .

(٤) سورة المطففين ٣ .

وقوله : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [1] . أى اختار منهم . [2] / [١٠١

وقال « العَجَّاج » :

* تحتَ الذى اخْتارَ له اللهُ الشَّجَرْ [3] *

أى اختار له من الشجر . ٥

وكقوله : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فى الأَرْضِ [4]﴾ أى : مكنا لهم .
والعرب تقول : عَدَدْتُكَ مائةً ، أى عددت لك ، وأستغفِرُ اللهَ ذنبى .

قال « الشاعر » :

أستغفِرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ   رَبَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ [5]

وشبعت خُبزًا ولَحْمًا ، وشربتُ ورَوِيتُ ماءً ولبناً وتَعَرَّضْتُ ١٠ معروفك ، ونَزَلْتُكَ ونأَيْتُكَ ، وبتُّ القوم ، وغَالَيْتُ السلعة ، وثَوَيتَ البَصْرَةَ وسرقْتُكَ مالًا ، وسعيت القوم ، واسْتَجَبْتُكَ .

قال « الشاعر » :

---

(١) سورة الأعراف ١٥٥ .

(٢) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/٢٢٩ « مجازه : اختار موسى من قومه ، ولكن بعض العرب يختارون فيحذفون من . قال العجاج : * تحت الذى اختار له الله الشجر * أى تحت الشجرة التى اختار الله من الشجر » .

(٣) ديوانه ص ١٥ وقبله : *وعصبة النبى إذ خافو الحصر * شدوا له سلطانه حتى اقتسر* بالقتل أكواما وأقواما أسر * تحت الذى اختار له الله الشجر * وانظر اللسان ٥ / ٣٥٠ والصناعتين ص ١٣٩ .

(٤) سورة الحج ٤١ .

(٥) سيبويه ١/١٧ ، والخزانة ١/٤٨٦ ، والصاحبى ١٥١ ، وأمالى المرتضى ٣ / ٤٧ ، والاقتضاب ٤٦٠ ، ومعانى القرآن للفراء ١/٢٣٣ وتفسير الطبرى ١/٥٦ ، ٨٢/٢٠ والبحر المحيط ١/٣٦١ واللسان ٦/٣٣٠ غير منسوب فى الجميع .

وداعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ [١]

وقوله جل وعزّ : ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [٢] . أى : مسئولًا عنه .

قال أبو عبيدة : يقال : «لَتُسْئَلُنَّ عهدى» أى عن عهدى .

* * *

٥ ومن الاختصار قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ [٣]﴾ . أراد : يشترون الضلالة بالهدى ، فحذف « الهدى » أى يستبدلون هذا بهذا .

ومثله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [٤] .

* * *

• ومن الاختصار قوله : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ﴾ [٥] . أى : أبقينا

١٠ له ذكراً حسنا فى الآخرين ، كأنه قال : تركنا عليه ثناء حسناً ، فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد .

* * *

ومن الاختصار قوله : ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ [٦]﴾ . لأنه لما أنزل عليه : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى

---

(١) هو كعب بن سعد الغنوى ، كما فى الأمالى ٢/١٥١ والأصمعيات ص ١٤ ومجاز القرآن ١/٢٧ ، ٢/١٠٧ ، والاقتضاب ص ٤٥٩ وشواهد المغنى ص ٢٣٦ والبيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٣/٦٠ وتفسير الطبرى ١/١٠٩ والبحر المحيط ٢/٤٧ ومجمع البيان ١/٢٧٨ .

(٢) سورة الإسراء ٣٤ .

(٣) سورة النساء ٤٤ والصناعتين ص ١٣٩ .

(٤) سورة البقرة ١٦ .

(٥) سورة الصافات ١٠٨ والصناعتين ص ١٣٩ .

(٦) سورة النساء ١٦٦ .

نُوحٍ والنَّبِيِّين مِنْ بَعْدِهِ﴾[1] قال المشركون : ما نشهد لك بهذا ، فمن يشهد لك به ؟ فترك ذكر قولهم وأنزل : ﴿لَـكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ . يدلك على هذا أن «لـكن» إنما تجىء بعد نفى لشىء فيُوجَبَ ذلك الشىء بها .

● ومن الاختصار قوله : ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فى الأَرْضِ﴾[2] . ٥

أراد : فبعث الله غراباً يبحث التراب على غرابٍ مَيِّتٍ لِيُوَارِيَه ، ﴿لِـيُرِيَهُ كيف يُوَارِى سَوْءَةَ أخيه﴾[3] .

* * *

● ومنه قوله : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾[4]

أى فى مرضاتهم[5] . ١٠

---

(١) سورة النساء ١٦٣ .
(٢) سورة المائدة ٣١ .
(٣) نقله بنصه أبو هلال فى الصناعتين ص ١٣٩ .
(٤) سورة المائدة ٥٢ .
(٥) نقله أبو هلال أيضاً فى الصناعتين ١٣٩ .

باب تكرار الكلام والزّيادة فيه

[١٠٣] / وأما تكرار الأنْباء والقصص ، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة[1] ، بفرضٍ بعد فرض : تَيسيراً منه على العباد ، وتدريجاً لهم إلى كمال دينه ، ووَعْظٍ بعد وعظ : تنبيهاً لهم من سِنَة الغَفْلَة ، وشَحْذاً لقلوبهم بِمُتَجَدِّدِ الموعظة ، وناسخٍ بعد منْسُوحٍ : استِعْبَاداً لهم واختباراً لبصائرهم . يقول الله عز وجل : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[2] .

الخطاب للنبي ، صلى الله عليه ، والمراد بالتثبيت هو والمؤمنون .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه ، يتخوّل أصحابَهُ بالموعظة مخافة السآمة عليهم ، أى يتعهّدُهم بها عند الغفلة ودُثُور القلوب .

١٠ ولو أتاهم القرآن نجماً واحداً لسبَق حدوث الأسباب التى أنزله الله بها ، ولثقُلَت جُمْلةُ الفرائض على المسلمين ، وعلى من أراد الدخول فى الدين ، ولبطل معنى التنبيه ، وفسد معنى النسخ ؛ لأن المنسوخ يُعْمَلُ به مدة ثم يُعمل بناسخه بعده .

---

(١) فى الطبرى ١٩/٨ عن ابن جريج : أنزل عليه لأربعين ، ومات النبى صلى الله عليه وسلم لسنتين أو لثلاث وستين » .

(٢) سورة الفرقان ٣٢ وقال الطبرى ١٩ / ٨ « يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا ، لولا نزل عليه القرآن ، يقول : هلا نزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن جملة واحدة ، كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة ؟ قال الله : كذلك لنثبت به فؤادك ، تنزيله عليك الآية بعد الآية ، والشىء بعد الشىء ، لنثبت به فؤادك نزلناه . . »

وكيف يجوز أن يَنزل القرآن فى وقت واحـــد : افعـلوا كذا ولا تفعلوه ؟ .

ولم يفرض الله على عباده أن يحفظوا القرآن كلّه ، ولا أن يختموه فى التعلم ، وإنما أنزله ليعملوا بمُحْكَمِه ، ويؤمنوا بمتشابِهه ، ويأْتَمِروا بأمره ، وينتهوا بزجره : ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة ، ويقرءوا فيها الميسور .　٥

قال « الحسن » : نزل القرآن ليُعْمَلَ به ، فاتخذ الناس تِلاوتَه عَمَلًا .

وكان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه ، ورضى عنهم — وهم مصابيح الأرض وقادةُ الأنَام ومُنْتَهى العلم — إنما يقرأ الرَّجلُ منهم السورتين ، والثلاث ، والأربع ، والبعضَ والشّطر من القرآن ، إلا نفراً منهم وفقهم الله/ [١٠٣ لجمعِه ، وسهّل عليهم حفظه [١] .　١٠

قال « أنس بن مالك » : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا . أى جلّ فى عيوننا ، وعظُم فى صدورنا .

قال « الشَّعْبى » : توفى أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، رحمهم الله ، ولم يجمعوا القرآن [٢] .

وقال : لم يختمة أحد من الخلفاء غير « عثمان » .　١٥

وروى عن شَرِيك ، عن إسماعيل بن أبى خالد [٣] أنه قال :

---

(١) فى تفسير القرطبى ١/ ٤٠ عن ابن عمر قال : كان الفاضل من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى صدر هذه الأمة ، لايحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ، ورزقوا العمل بالقرآن ؛ وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن ، منهم الصبى والأعمى ، ولايرزقون العمل به».

(٢) راجع الإتقان ١/١٢٢ ــ ١٢٥ وتفسير القرطبى ١/٥٦ ــ ٥٨ .

(٣) إسماعيل بن أبى خالد البجلى الأحمسى ، أبوعبدالله ، الكوفى ، أحد الأعلام ، روى عن الشعبى ، وكان أعلم الناس به . وهو ثقة ، قال أبو نعيم : مات سنة ست وأربعين ومائة ، راجع تهذيب التهذيب ١/٢٩١ ــ ٢٩٢ .

سمعت « الشَّعْبى » يحلف بالله ، عز وجل ، لقد دخل « عَلِىٌّ » حُفْرَتَهُ وما حفظ القرآن [1] .

* * *

● وكانت وفودُ العرب تَرِدُ على رسول الله ، صلى الله عليه للإسلام ، فيُقْرِئُهم المسلمون شيئاً من القرآن ، فيكون ذلك كافيا لهم .

وكان يبعث إلى القبائل المتفرِّقة بالسُّور المختلفة ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مُثَنَّاةً ومكرّرة لَوَقَعَتْ قصّة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم .

فأراد الله ، بلطفه ورحمته ، أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض ويُلْقِيَها فى كل سمعٍ ، ويثبتها فى كل قلب ، ويزيد الحاضرين فى الإفهام والتحذير .

● وليست القصص كالفروض ؛ لأنَّ كُتبَ رسول الله ، صلى الله عليه

---

(١) فى تفسير القرطبى ١/٥٨ « قال أبو بكر الأنبارى : والحديث الذى حدثناه إبراهيم بن موسى ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عمر بن هارون الخراسانى ، عن ربيعة بن عثمان ، عن محمد ابن كعب القرظى ، قال : كان ممن ختم القرآن ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حى : عثمان ابن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود — حديث ليس بصحيح عند أهل العلم ، إنما هو مقصور على محمد بن كعب ، فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعول عليه » . وقوله عليه السلام « خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد . . » يدل على صحته . ومما يبين ذلك : أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق ، كل منهم عزا قراءته التى اختارها ، إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يستثن من جملة القرآن شيئاً : فأسند « عاصم » قراءته إلى « على وابن مسعود » وأسند « ابن كثير » قراءته إلى « أبى » وكذلك « أبو عمرو بن العلاء » أسند قراءته إلى « أبى » وأما عبد الله بن عامر ، فإنه أسند قراءته إلى « عثمان » وهؤلاء كلهم يقولون : قرأنا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وأسانيد هذه القراءات متصلة ، ورجالها ثقات . قاله الخطابى » .

كانت تُنْفَذُ إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة ، وعددها وأوقاتها ، والزكاة وسنتها ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت . وهذا ما لا تُعرف كيفيته من الكتاب ، ولم تكن تنفذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء . وكان هذا فى صدر الإسلام قبل إكمال الله الدين ، فلما نشره الله عز وجل فى كل قطر ، وبثّه فى آفاق الأرض ، وعلم الأكابر الأصاغر ، وجُمِع القرآن بين الدَّفَّتَيْن — : زال هذا المعنى ، واجتمعت الأنباء فى كل مصر وعند كل قوم . ٥

* * *

● وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضُه يجزئ عن بعض ، كتكراره فى : ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ﴾ وفى سورة الرحمن بقوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فقد أعلَمْتُك أَنَّ القرآن نزل بلسان القوم ، وعلى / مذاهبهم . ومن مذاهبهم التكرار : إرادةَ التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار : إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب فى الفنون ، وخروجه عن شىء إلى شىء — أحسن من اقتصاره فى المقام على فنّ واحد . ١٠ [١٠٤

وقد يقول القائل فى كلامه : والله لا أفعله ، ثم والله لا أفعله . إذا أراد التوكيد وحَسْمَ الأطماع مِنْ أَنْ يَفعله . كما يقول : والله أفعله ، بإضمار « لا » إذا أراد الاختصار . ١٥

قال الله عز وجل : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] .

---

(١) سوره التكاثر ٣ ـ ٤ .

وقال : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(١) ﴾ .

وقال : ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾(٣)

كلُّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذى كُرِّر به اللفظ .

٥ وقد يقول القائل للرجل : اعْجَل اعجل ، وللرامى : ارمِ ارم .

وقال « الشاعر » :

* كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لكم كَمْ كَمْ وَكَمْ(٤) * .

وقال « الآخر » :

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوا أَيْنَ أَيْنَا(٥)

١٠ وقال « عَوْفُ بن الخرِع » :

وكَادَتْ فَزَارَةُ تَصْلَى بِنَا فَأَوْلَى فَزَارَةَ أَوْلَى فَزَارَ(٦)

* * *

● وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها ، واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنها كلمة واحدة ، فغيَّروا منها حرفاً ، ثم أتبعوها الأولى .

---

(١) سورة الانشرح ٥ ـ ٦ .

(٢) سورة القيامة ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) سورة الانفطار ١٧ ، ١٨ .

(٤) أمالى المرتضى ١/٨٤ ، الصناعتين ص ١٩٣ والصاحبى ١٧٧ غير منسوب فى الجميع .

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص ، كما سبق ص ١٨٦ .

(٦) البيت من قصيدة فى المفضليات ص ٤١٦ ومعجم البلدان ٣/٣٠٥ وسيبويه ١/٣٣١ والصاحبى ١٩٤ غير منسوب ، وروايتهما « تشق بنا » وإعجاز القرآن ص ٩٤ وفيه : « وكانت فأولى فزارة أولى لها » وهو خطأ .

كقولهم : «عَطْشَانُ نَطْشَان» كرهُوا أن يقولوا : عَطْشان عطشان ، فأبدلو من العين نوناً .

وكذلك قولهم : «حَسَنٌ بَسَنٌ» كرهوا أن يقولوا : حسنٌ حسنٌ ، فأبدلوا من الحاء باء . و « شيطن لَيطان » فى أشباه له كثيرة [1] .

٥

* * *

● ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذى أنزلت فيه : ﴿ قُلْ يا أيُّهَا الكافِرونَ ﴾ لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون ، ليعبدوا ما يعبد ، وأبدوًا فى ذلك وأعادوا ، فأراد الله ، عزّ وجلّ ، حَسْمَ أطماعهم وإكْذَابَ ظُنُونِهم ، فأَبْدَأَ وَأَعَادَ فى الجواب . وهو معنى قوله : ﴿ وَدُّوا [١٠٥] لو تُدهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [2] أى تاين لهم فى دينك فيلينون فى أديانهم .

١٠

● وفيه وجه آخر ، وهو : أن القرآن كان ينزل شيئاً بَعْدَ شىء وآيةً بعد آية ، حتى لربما نزل الحرفان والثلاثة .

قال « زيد بن ثابت » [3] : كنت أكتب لرسول ، الله صلى الله عليه: ﴿ لَا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُون فِى سَبِيلِ اللهِ ﴾ . فجاء « عبد الله بن أُمِّ مَكْتُوم » [4] فقال : يارسول الله إنى أحب الجهاد فى سبيل الله ، ولكن بى من الضرر ماترى . قال زيد : فَثَقُلَتْ فَخِذُ رسول الله ، صلى الله عليه ، على فخذى حتى خشيت أن تَرُضَّها ، ثم قال : ا كتُبْ :

١٥

---

(١) نقل ذلك أبو هلال فى الصناعتين ص ١٤٤ .

(٢) سورة القلم ٩ .

(٣) راجع صحيح البخارى ٦/٤٧ ـ ٤٨ وأسباب نزول القرآن للواحدى ١٦٨ .

(٤) كان عبد الله بن أم مكتوم أعمى .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١).

وروى عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة، عن « الحسن » أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٢) قال: كان ينزل آيةً وآيتين وآياتٍ، جواباً لهم عما يسألون وردًّا على النبي صلى الله عليه (٣).

٥ وكذلك معنى قوله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٤) شيئاً بعد شيء.

فكأن المشركين قالوا له: أَسْلِمْ ببعض آلهتنا حتى نؤمن بإلهك، فأنزل الله: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (٥). يريد إن لم تؤمنوا حتى أفعل ذلك. ثم غَبَرُوا مُدَّةً من المدد وقالوا: تعبد آلهتنا يوماً أو شهراً أو حولا، ونعبد إلهك يوماً أو شهراً أو حولا، فأنزل الله تعالى:

١٠ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (٦). على شريطة أن تؤمنوا به في وقت وتشركوا به في وقت (٧).

---

(١) سورة النساء ٩٥.

(٢) سورة الفرقان ٣٢.

(٣) في تفسير الطبري ١٩/٨.

(٤) سورة الإسراء ١٠٦.

(٥) سورة الكافرون ٢، ٣.

(٦) سورة الكافرون ٤، ٥ وانظر الطبري ٣٠/٢١٣ ـ ٢١٤.

(٧) نقل المرتضى ذلك في أماليه ١/٨٣ ـ ٨٤ ثم قال: « وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال: إنه يقتضي شرطاً وحذفاً لايدل عليه ظاهر الكلام، وهو ماشرطه في قوله: « ولا أنتم عابدون ما أعبد » قال: وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقاً غير مشروط. فكذلك ما عطف عليه. وهذا الطعن غير صحيح» لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل وإن لم يكن في ظاهر الكلام، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة. وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة، كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة. أولها: ما حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حسن التكرار؛ لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام: (قل ياأيها الكافرون، لاأعبدماتعبدون) الساعة وفي هذه الحال، (ولا =

قال أبو محمد :

وهذا تمثيل أدرت أن أريَك به موضع الإمكان .

* * *

● وأما تكرار ﴿ فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فإنه عدّد فى هذه السورة نَعْماءَه ، وأذْكَرَ عبادهُ آلاءَه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذِكْرَ كل خَلَّة وصَفَها بهذه الآية ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ؛ ليُفَهِّمَهم النِّعَمَ ويُقَرِّرهم بها[1] . ٥

وهذا كقولك / للرجل أجل أحسنتَ إليه دهرك وتابعت عنده الأيادى، [١٠٦
وهو فى ذلك يُنكرك ويَكفرك: ألم أُبَوِّئْكَ مَنزِلًا وأنت طريد ؟ أفتُنكِرُ

═أنتم عابدون ماأعبد﴾ فى هذه الحال أيضاً ، واختص الفعلان منه ومنهم بالحال . وقال من بعد : ﴿ولاأنا عابد ماعبدتم﴾ فى المستقبل ، ﴿ولاأنتم عابدون ماأعبد﴾ فيما تستقبلون ، فاختلفت المعانى ، وحسن التكرار فى اختلافها . ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره : أنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد ، والمستهزئون هم : العاصى بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، وعدى بن قيس . والجواب الثانى، وهو جواب الفراء : أن يكون التكرار للتأكيد ، كقول المجيب مؤكداً : بلى بلى ، والممتنع مؤكداً : لا لا . ومثله قول الله تعالى : ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ راجع بقية الكلام فى ص ٨٤ ــ ٨٦ .

(١) نقل هذا أبو هلال فى الصناعتين ص ١٤٤ وانظر أمالى المرتضى ١/٨٦ وقد قال المرتضى فى ص ٨٨ « فإن قيل : إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه ، فقد عدد فى جملة ذلك ماليس بنعمة . وهو قوله : ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ وقوله : ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا : ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؟ وليس هذا من الآلاء والنعم ؟ قلنا : الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة ، فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ؛ لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العقاب ، وبعثا على ما يستحق به الثواب ، فإنما أشار تعالى ، بقوله : ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ بعد ذكر جهنم والعذاب فيها ــ إلى نعمه بوصفها ، والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة فى كونه نعمة » .

هذا ؟ و: ألم أحملك وأنت راجــــل ؟ ألم أحج بك وأنت صَرُورَةٌ [1] ؟ أَفَتُنْكِرُ هذا ؟ .

ومثل ذلك تكرارُ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟﴾ [2] فى سورة « اقتربت الساعة » أى : هل من مُعْتَبِرٍ ومتّعظ ؟.

* * *

● وأما تكرار المعنى بلفظين مختلفين ؛ فلإشْبَاعِ المعنى والاتساع فى الألفاظ .

وذلك كقول القائل : آمُرُكَ بالوفاء ، وأنْهَاكَ عن الغــدر . والأَمْرُ بالوفاءِ هو النّهيُ عن الغدر . و : آمركم بالتَّوَاصُل ، وأنهاكم عن التّقاطع . والأمر بالتواصل هو النهى عن التقَاطع .

وكقوله سبحانه : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [3] . والنخل والرُّمّان من الفاكهة،فأفردهما عن الجملة التى أدخلهما فيها ؛ لفضلهما وحسن موقعهما .

وقوله سبحانه :﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[4] وهى منها ، فَأَفْرَدَها بالذِّكر ترغيباً فيها ، وتشديداً لأمْرها ، كما تقول : إيتنى كل يوم ، ويومَ الجمعة خاصَّة .

وقال سبحانه : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾[5] والنَّجْوى

---

(١) فى اللسان ٦/١٢٣ « رجل صرور وصرورة : لم يحج قط » .

(٢) سورة القمر ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .

(٣) سورة الرحمن ٦٨ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٨ .

(٥) سورة الزخرف ٨٠ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٥/٦٠ « يقــول : أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم ، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم =

هوالسر. وقديجوز أن يكون أراد بالسرّ: ما أسرُّوه فى أنفسهم، وبالنَّجْوى: ما تسارُّوا به .

وقال «ذو الرّمة» :

لَمْيَاءُ فى شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وفى اللِّثَاتِ وفى أَنْيَابِها شَنَبُ (١)

واللَّعس هو : حُوَّةٌ ، فكرّر لما اختلف اللفظان . ٥

ويمكن أن يكون لما ذكر الُحوَّة ، خشى أن يتوهَّم السامع سَواداً قبيحاً ، فَبَيّن أنه لَعَسٌ ، واللعسُ يُستحسن فى الشِّفاه .

* * *

● وأما الزيادة فى التوكيد / فكقوله سبحانه : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (٢) لأن الرجل قد يقول بالمجاز : كلمت فلاناً ، وإنما كان ذلك كِتاباً أو إشارة على لسان غيره ، فأَعْلَمَنا أنهم يقولون بألسنتهم . [١٠٧ ١٠

وكذلك قوله : ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (٣) لأن الرجل قد يكتب بالمجاز ، وغيرُه الكاتب عنه .

فلا نعاقبهم عليه لخفائها علينا ؟ ... عن محمد بن كعب القرظى ، قال : بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفى، أو ثقفيان وقرشى، فقال واحدمن الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول : إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع ، قال الثانى: إن كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم ، قال : فنزلت « أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون » .

(١) ديوانه ص ٥ « اللمى : السمرة فى الشفة تضرب إلى الخضرة ، والحوة : حمرة فى الشفة تضرب إلى السواد ، والشنب : برودة عذوبة الفم ورقة فى الأسنان » والبيت له فى اللسان ١/٤٨٨ ، ٨/٩١ ، ١٨/٢٢٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٦٧ .

(٣) سورة البقرة ٧٩ .

ويقولُ الأمّى : كتبتُ إليك ، وهذا كتابى إليك . وكلُّ فعلٍ أَمَرْتَ به فأنتَ الفاعلُ له، وإنْ وَلِيَهُ غيرُك . قال الله عز وجل : فى التابوتِ :﴿ تَحْمِلُهُ المَلَائِكَةُ ﴾[١] .

قال « ابن عباس » رضى الله عنه فى رواية أبى صالح عنه : هذا كما تقول : ٥ حَمَلْتُ إلى بلد كذا وكذا بُرًّا وقمحاً ، وإنما تريد أمَرْتُ بحمله .

فأعلمنا أنهم يكتبونه بأيديهم ويقولون : هو من عند الله . وقد علموا يقيناً ـ إذ كتبوه بأيديهم ـ أنه ليس من عند الله .

وقال تعالى : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ﴾[٢] لأن فى اليمين القُوّةَ وشدّةَ البطش ، فأخبرنا عن شدة ضَرْبه بها .

١٠ وقال « الشَّمَّاخ » :

إذا مَارَايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ[٣]

---

(١) سورة البقرة ٢٤٨ وقال الطبرى فى تفسيره ٢/٣٨٨ : « اختلف أهل التأويل فى صفة حمل الملائكة ذلك التابوت : فقال بعضهم : معنى ذلك : تحمله بين السماء والأرض حتى تضعه بين أظهرهم ... وقال آخرون معنى ذلك : تسوق الملائكة الدواب التى تحمله ... وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : حملت التابوت الملائكة ، حتى وضعته فى دار طالوت ، بين أظهر بنى إسرائيل ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، قال : « تحمله الملائكة » ولم يقل : تأتى به الملائكة ، وماجرته البقر على عجل ، وإن كانت الملائكة هى سائقتها ، فهى غير حاملته ؛ لأن الحمل المعروف هو مباشرة الحامل بنفسه حمل ماحمل ، فأما ماحمله على غيره وإن كان جائزاً فى اللغة أن يقال : فى حمله بمعنى معونته الحامل ، أو بأن حمله كان عن سببه ـ فليس سبيله سبيل ما باشر حمله بنفسه ، فى تعارف الناس إياه بينهم ، وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات أولى من توجيهه إلى ألا يكون الأشهر ، ما وجد إلى ذلك سبيل » .

(٢) سورة الصافات ٩٣ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٣/٤٦ « يقول تعالى ذكره : فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين ، بفأس فى يده ، يكسرهن » .

(٣) ديوانه ص ٩٧ من قصيدة يمدح بها عرابة الأوسى ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والبيت له فى الجمهرة ١/٢٦٧ والشعر والشعراء ١/٢٧٨ والإصابة ٤/٢٣٤ والخزانة

أى أخذها بقوة ونشاط .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ[1]﴾ كما تقول : رأىُ عينى وسمعُ أذنى .

وقوله : ﴿وَلَـٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] . كما تقول : نفسى التى بين جنْبَىَّ .

وقال : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فى الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[3] .

أراد توكيد ما أوجبه عليه من الصيام بجمع العددين وذِكرِه مُجْمَلًا ، كما قال « الشاعر » :

ثَلَاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهُنَّ خَمْسٌ ۝ وسَادِسَةٌ تَمِيلُ إلى شَمَامِ[4]

* * *

● وقد تزاد « لا » فى الكلام والمعنى : طَرْحُهَا لإباءٍ فى الكلام أو جَحْدٍ .

١/٤٥٣ ، ٢/٢٢٣ والبحر المحيط ١/١٦٠ والعمدة ٢/١٣١ وأمالى القالى ١/٢٧٤ ونقد الشعر ص ٢٥ وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى ٢٣/٣٢

(١) سورة الأنعام ٣٨ .

(٢) سورة الحج ٤٦ .

(٣) سورة البقرة ١٩٦ .

(٤) البيت للفرزدق ، كما فى ديوانه ٨٣٥ وقبله :

فقلن له : نواعدك الثريا ۝ وذاك إليه مجتمع الزحام

وبعده :

فبتن بجانبى مصرعات ۝ وبت أفض أغلاق الختام

وهو من شعره الذى تعهر فيه ، وهو له فى الموشح ص ١١٤ والبحر المحيط ٢/٧٩ ومجمع البيان ١/٢٩١ واللسان ٦/٢٤٥ وفيه « وثالثة تميل إلى السهام » وهو تحريف . والشمام : المشامة ، كما قال ابن سلام فى طبقات الشعراء ص ٣٨ .

كقول الله عز وجل : ﴿ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[1] . أى مامنعك أن تسجد . فزاد فى الكلام « لا » لأنه لم يسجد .

[١٨] وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] يريد وما يشعركم أنها إذا جاءتْ يؤمنون ، فزاد « لا » لأنهم لا يؤمنون

٥ إذا جاءت[3] .

ومن قرأها بكسر إنَّ ، فإنه يجعل الكلام تاماً عند قوله : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم يبتدئ فيقول : ﴿ إنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾[4] .

---

(١) سورة الأعراف ١٢ وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : « مجازه : مامنعك أن تسجد ؛ والعرب تضع لا فى موضع الإيجاب، وهى من حروف الزيادة قال: * فما ألوم البيض ألا تسخرا * وقال الطبرى فى تفسيره ٨/٩٦ « قال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : مامنعك أن تسجد ، ولا ، ههنا زائدة ... وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين ، فى معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة فى دخول « لا » فى قوله : « ألا تسجد » أن فى أول الكلام جحدا . يعنى بذلك قوله : «لم يكن من الساجدين » فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد ـ الجحد كالإستيثاق والتوكيد له ... » يقصد الطبرى بالأول أبا عبيدة ، وبالثانى الفراء . ثم قال الطبرى بعد أن سرد من رأى غيرهما : « والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال : إن فى الكلام محذوفا ، قد كفى دليل الظاهر منه ، وهو أن معناه : مامنعك من السجود فأحوجك ألا تسجد ، فترك ذكر « أحوجك » استغناء بمعرفة السامعين » .

(٢) سورة الأنعام ١٠٩ .

(٣) فى الطبرى ٧/٢١٢ « ... وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله — أنهم لا يؤمنون به ، ففتحوا الألف من « أن » وممن قرأ كذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة . وقالوا : أدخلت لا فى قوله: « لا يؤمنون » صلة — كما أدخلت فى قوله: ما منعك ألا تسجد » وفى قوله : « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » وإنما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا ، وما منعك أن تسجد . وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف ،من أنها بمعنى لعلها ، وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب » .

(٤) فى الطبرى ٧/٢١١ عن مجاهد « وما يشعركم وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ، ثم استقبل يخبر عنهم فقال : إذا جاءت لا يؤمنون . وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف « أنها » على أن قوله : « إنها إذا جاءت لا يؤمنون » خبر مبتدأ منقطع عن الأول . وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين».

وقوله سبحانه : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾(١) .
يريد أنهم يَرْجِعُون ، فزاد « لا » : لأنهم لا يرجعون .

وقوله سبحانه : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ (٢) . يريد ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون ، فزاد « لا » في أول الكلام ؛ لأن في آخر الكلام جَحْداً (٣) .

وكذلك قول « أبي النجم » :

* فمَا أَلُومُ البِيضَ أَلَّا تَسْخَرَا(٤) *

---

(١) سورة الأنبياء ٩٥ . وفى تفسير القرطبى ١١/٣٤٠ : « قال النحاس: والآية مشكلة ، ومن أحسن ما قيل فيها وأجله : ما رواه ابن عيينة ، وابن علية ، وهشيم . وابن إدريس ، ومحمد بن فضيل ، وسليمان بن حيان ، ومعلى » عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن « ابن عباس » فى قول الله : ﴿ وحرام على قريه أهلكناها ﴾ قال : ﴿وجب أنهم لا يرجعون﴾. قال : لا يتوبون .

قال أبو جعفر : واشتقاق هذا بين فى اللغة . وشرحه : أن معنى « حرم الشيء » : حظر ومنع منه . كما أن معنى « أحل » : أبيح ولم يمنع منه . فإذا كان « حرام » و « حرم » بمعنى : واجب ، فمعناه : أنه قد ضيق الخروج منه ومنع . فقد دخل فى باب المحظور بهذا .

فأما قول : أبى عبيد » : إن « لا » زائدة — فقد رده عليه جماعة » لأنها لا تزاد فى مثل هذا الموضع ، ولا فيما يقع فيه إشكال. ولو كانت زائدة لكان التأويل بعيداً أيضاً؛ لأنه إن أراد : وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا إلى الدنيا — فهذا مالا فائدة فيه . وإن أراد التوبة، فالتوبة لا تحرم . وقيل: فى الكلام إضمار . أى : وحرام على قَرية حكمنا باستئصالها ، أو بالختم على قلوبها — أن يتقبل منهم عمل ؛ لأنهم لا يرجعون ، أى لا يتوبون . قاله الزجاج وأبو على . و « لا » غير زائدة . وهذا معنى قول ابن عباس » .

(٢) سورة الحديد ٢٩ .

(٣) فى الطبرى ٢٧/١٤٣ « وقيل : لئلا يعلم ، وإنما هو ليعلم ، وذكر أن ذلك قراءة عبد الله : لكى يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون ؛ لأن العرب تجعل « لا » صلة فى كل كلام دخل فى أوله وآخره جحد غير مصرح ، كقوله فى الجحد السابق الذى لم يصرح به : « مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك ... » .

(٤) الصاحبى ١٣٨ ومجاز القرآن ١/٢٦ والخصائص ٢/٢٨٣ والجمهرة ٣/٣٣٤، ٣٧٠ وتفسير الطبرى ١/٦٢ والأضداد لابن الأنبارى وبعده : « لما رأين الشمط القفندرا * والشمط

أى أن تسخرا ، فزاد «لا» فى آخر الكلام ؛ للجحد فى أوله .

وقول « العَجَّاج » :

* فى بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى ومَا شَعَرْ[1] *

فزاد « لا » فى أول الكلام ؛ لأن فى آخره جَحْداً .

* * *

● وأما زيادة « لا » فى قوله : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[2] .

وقوله : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ والَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[3] . و : ﴿لَا أُقْسِمُ

= بياض شعر الرأس يخالط سواده . والقفندر : القبيح المنظر . وهو فى اللسان ٦/٤٢٥ غير منسوب . وفى العمدة ٢/٢٦٣ نقلا عن ابن قتيبة : فما ألوم النجم ألا تسهرا « يريد أن تسهرا » وهو خطأ .

(١) فى ديوان العجاج ص ١٦ وقبله « * وغبراً قما فيجتاب الغبر * » والصاحبى ١٣٨ والجمهرة ٢/١٤٦ ، ٣/٣٧٠ ، ومجاز القرآن ١/٢٥ والأضداد لابن الأنبارى ١٨٦ وفى اللسان ٥/٢٩٦ « الحور : الرجوع عن الشىء وإلى الشىء ، حار إلى الشىء وعنه حورا ومحارا ومحارة وحؤراً » رجع عنه وإليه ، وقول العجاج : * فى بئر لا حور سرى وماشعر * أراد : فى بئر لاحؤور . فأسكن الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية بعدها . قال الأزهرى : و « لا » صلة فى قوله . قال الفراء : « لا » قائمة فى هذا البيت صحيحة ، أراد : « فى بئر ماء لا يحير عليه شيئاً » وفى تفسير الطبرى ١/٦٢ « وكان بعض أهل البصرة يتأوله بمعنى : فى بئر حور سرى ، أى فى بئر هالكة ، وأن «لا» بمعنى الإلغاء والصلة ... وكان بعض نحويى الكوفيين يستنكر ذلك من قوله ... وكان يتأول فى « لا » بقوله : إنها جحد صحيح ، وأن معنى البيت : سرى فى بئر لا تحير عليه خيراً ، ولا يتبين له فيها أثر عمل ، وهو لا يشعر بذلك ، ولا يدرى به . من قولهم : طحنت الطاحنة فما أحرت شيئاً ، أى لم يتبين لها أثر عمل » ويقصد الطبرى ببعض أهل البصرة أبا عبيدة ، وببعض نحويى الكوفيين الفراء . وانظر كلاماً حول هذا البيت فى اللسان ٢٠/٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٢) سورة القيامة ١ ، ٢ وانظر تفسير الطبرى ٢٩/١٠٨ — ١٠٩ .

(٣) سورة الانشقاق ١٦ وقال الطبرى فى تفسيره ٣٠/٧٦ « أقسم ربنا بالشفق ، والشفق : الحمرة .... والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله أقسم بالنهار

بِهَذَا البَلَدِ﴾[١] ـ : فإنها زيدت فى الكلام على نية الرَّدّ على المكذبين ، كما تقول فى الكلام : لاوالله ماذاك كما تقول . ولو قلتَ : والله ماذاك كما تقول ، لكان جائزا ، غير أن إدخالَكَ « لا » فى الكلام أوّلا ، أبْلَغُ فى الرَّدّ .

وكان « بعض النحويين[٢] » يجعلها صلة . ولو جاز هذا لم يكن بين خبرٍ فيه الجحْد ، وخبرٍ فيه الإقرار ـ فَرْقٌ .

* * *

● و « أَلَا » تُزَادُ فى الكلام للتنبيه .

كقوله : ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾[٣] و : ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾[٤] .

مدبراً والليل مقبلا . وقوله : « والليل وما وسق » يقول : والليل وما جمع ، مما سكن وهدأ فيه من ذى روح ، كان يطير أو يدب نهاراً . يقال : وسقته أسقه وسقا ، ومنه طعام موسوق ، وهو : المجموع فى غرائر أو وعاء » .

(١) سورة البلد ١ وفى الطبرى ١٢٣/٣٠ « يقول تعالى ذكره : أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام ، وهو مكة ... » .

(٢) فى الأضداد لابن الأنبارى ص ١٨٦ « وقال الكسائى وغيره ... معناه : أقسم ، و«لا» زائدة، وقال الفراء «لا» لاتكون فى أول الكلام زائدة، ولكنها رد على الكفرة، إذ جعلوا لله عز وجل ولداً وشريكا وصاحبة ، فرد الله عليهم قوله فقال: « لا » وابتدأ بأقسم » وفى اللسان ٣٥٣/٢٠ « قال الفراء : وكان كثير من النحويين يقولون : لا صلة . قال : ولا يبتدأ بجحد ، ثم يجعل صلة يراد به الطرح : لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد ، من خبر لا جحد فيه ، ولكن القرآن العزيز نزل بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار ، فجاء الإقسام بالرد عليهم فى كثير من الكلام ، المبتدأ منه وغير المبتدأ ، كقولك فى الكلام : لا والله لا أفعل ذلك، جعلوا «لا» وإن رأيتها مبتدأة، رداً لكلام قد مضى ، فلو ألغيت «لا» مماينوى به الجواب، لم يكن بين اليمين التى تكون جواباً ، واليمين التى تستأنف ـ فرق » وهذا النص يبين لنا أن الفراء هو المقصود بقول الطبرى ١٠٨/٢٩ « وقال بعض نحويى الكوفة : «لا» رد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ... الخ .

(٣) سورة هود ٥ .

(٤) سورة هود ٨ .

وقال « الشاعر :

أَلَا أَيُّهَـــذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الوَغَى
وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ : هَل أَنْتَ مُخْلِدِى[1]

أراد أيُّها الزاجرى أن أحضر الوغى فزاد « ألا » وحذف « أنْ » .

٥ * * *

• والباء تُزاد فى الكلام ، والمعنى إلقاؤها .

كقوله سبحانه : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[3] أى اسم ربك .

و ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾[4] أى يَشْرَبُهَا .

١٠ ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[5] أى هُزِّى جِذْعَ .

[١٠٩ وقال ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[6] أى أيكم المفتون .

---

(١) البيت لطرفة من معلقته ، فى شرح القصائد العشر ص ٨٠ « ألا أيهذا اللائمى » وفى ديوانه ص ٢٩ :
«ألا أيها اللاحى أن أشهد الوغى وأن أحضر اللذات »
والبيت له فى سيبويه ١/٤٥٢ ومجمع البيان ١/١٤٩ والشطر الأول غير منسوب فى الصاحبى ١٠٤ ، ١٩٧ وقال التبريزى فى شرحه: « ومعنى البيت : ألا أيهذا اللائمى فى حضور الحرب لئلا أقتل ، وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ، ما أنت مخلدى إن قبلت منك ، فدعنى أنفق مالى ولا أخلفه » .

(٢) سورة المؤمنون ٢٠ واللسان ٢٠/٣٢٧ .

(٣) سورة العلق ١ .

(٤) سورة الإنسان ٦ واللسان ٢٠/٣٢٧ .

(٥) سورة مريم ٢٥ .

(٦) سورة القلم ٦ .

وقال « الأَعْشَى » :

* ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا[١] *

وقال « الآخر » :

* نَضْربُ بالسَّيْفِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ[٢] *

وقال «امرؤ القيس» :

* هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِى شَمَارِيخَ مَيَّالِ[٣] *

أى : غُصْنا .

وقال « أمية بن أبى الصَّلْت » :

إذ يسفُّونَ بالدقيق وكانُوا ‏ ‏ ‏ ‏ قبلُ لا يأْكُلُون شيئاً فَطِيراً[٤]

---

(١) أنشده ابن قتيبة فى أدب الكاتب ، وعلق عليه ابن السيد فى الاقتضاب بقوله : هذا البيت لأعشى بكر ، ولم يقع فى شعر الأعشى رواية أبى على البغدادى هكذا ، إنما وقع فى روايته :

ضمنت لنا أعجازهن قدورنا ‏ ‏ ‏ ‏ وضروعهن لنا الصريح الأجردا

وقبله فى صفة إبل :

مثل الهضاب جزارة لسيوفنا ‏ ‏ ‏ ‏ فإذا تراع فإنها لن تطردا

قال أبو على : ويروى : * ضمنت لنا أعجازها أرماحنا * أى ضمنت أرماحنا أعجاز إبلنا أن يغار عليها ، فنحن ننحرها ونشرب ألبانها . والصريح من اللبن : ماذهبت رغوته . والأجرد: الذى لارغوة له. ولعل الذى ذكرابن قتيبة رواية ثانية، أو من قصيدة أخرى وقعت فى غير روايتنا » وانظر ديوان الأعشى ص ٥٤ واللسان ٤/٩٢ .

(٢) صدره : « * نحن بنو جعدة أصحاب الفلج * وهو للنابغة الجعدى ، كما فى الخزانة ٤/٥٩ ومعجم البلدان ٦/٣٩٢ وهو فى الاقتضاب ص ٤٥٨ والجواليقى ٣٨١ واللسان ٢٠ / ٣٢٩ وشواهد المغنى ص ١١٤ ومجاز القرآن ١ / ١٩٤ ، ٢ / ٥٦ ، ٢٦٤ ، وتفسير الطبرى ١٢/١٨ غير منسوب ، وفيهما « نضرب بالبيض » .

(٣) ديوانه ص ١٠٨ وصدره : * فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * وهو فى أدب الكاتب والاقتضاب ص ٤٥٧ — ٤٥٨ .

(٤) صدره فى أدب الكاتب وهو فى الاقتضاب ص ٤٥٦ « أراد يسفون الدقيق ، فزاد الباء ، وأظنه يصف بنى إسرائيل » .

وقال : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمودَّةِ ﴾[١] .

وقوله : ﴿ومن يُرِدْ فيه بإلْحادٍ بظُلْمٍ ﴾[٢] .

* * *

● و« مِنْ » قد تزاد فى الكلام أيضا ، كقوله: ﴿ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾[٣]

٥ أى : ما أريد منهم رزقًا .

وتقول : ما أتانى من أحد ، أى أحد .

* * *

● و« اللام » قد تزاد ، كقوله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[٤] .

* * *

١٠ ● و« الكاف» قد تزاد ، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾[٥] .

* * *

● و« على» قد تُزَاد . قال « حُمَيد بن ثَوْر » :

أَبَى اللهُ إلا أَنَّ سَرْحَةَ مالكٍ   على كلِّ أفْنانِ العِضَاهِ تَرُوقُ[٦]

(١) سورة الممتحنة ١ .
(٢) سورة الحج ٢٥ .
(٣) سورة الذاريات ٥٧ .
(٤) سورة الأعراف ١٥٤ .
(٥) سورة الشورى ١١ .
(٦) أدب الكاتب وشرح شواهد المغنى ٤٣ واللسان ٣/٣٠٩ والعمدة ١/٢٨٠ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٥٨ « السرحة : شجرة من العضاه يستظل بها من الحر ، وهى فى هذا البيت كناية عن امرأة ، وكان عمر بن الخطاب عهد إلى الشعراء ألا يشبب رجل منهم بامرأة ، وتوعدهم على ذلك ، فكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجرة وغيرها . والأفنان : الأنواع ، واحدها : فن . ومعنى تروق : تعجب ، وإنما جعل « على » فى هذا البيت زائدة ؛ لأن راق يروق لا يحتاج فى تعديه إلى حرف جر ، إنما يقال : راقنى الشىء يروقنى . فالمعنى : يروق كل أفنان » .

أراد : تروق كلَّ أفنان .

• و«عن» تُزادُ . قال تعالى:﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[١] .

* * *

و«إنَّ الثقيلة» تزاد كقوله سبحانه:﴿إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٢] .

وكذلك قوله : ﴿ قُلْ : إِنَّ المَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[٣] .

وقال « الشاعر » :

إِنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ به تُرْجَى الخَوَاتِيمُ[٤]

* * *

و«إن الخفيفة» تُزاد ، كقول« الشاعر»:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بِهِ ... كاليومِ هانِى أينُقٍ جُرْبِ[٥]

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[٦] .

وقال « بعضهم » : أراد فيما مكّنّاكُمْ فيه ، و«إن» زائدة .

---

(١) سورة النور ٦٣ .

(٢) سورة الكهف ٣٠ .

(٣) سورة الجمعة ٨ .

(٤) البيت لجرير ، كما فى الخزانة ٣٤٦/٤ والبيت غير منسوب فى اللسان ٥٤/١٥ وأمالى الزجاج ص ٤٢ .

(٥) البيت لدريد بن الصمة كما فى الشعر والشعراء ٣٠٢/١ والأغانى ١١/٩ ، ١٣٦/١٣ والبيان والتبيين ١٠٧/١ وأمالى القالى ٦١/١ وفيها وفى الأغانى : « طالى أينق » .

(٦) سورة الأحقاف ٢٦ .

وقال « بعضهم » : هى بمعنى مكَّنَّاهم فيما لم نُمكنكم فيه[1] .

* * *

● و«إذ» قد تزاد ، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾[2] ، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾[3] . أى : وقال .

٥ وقال « ابن مَيَّادَة » :

* إذْ لا يزال قائل: أبِنْ أبِنْ[4] *

● و«ما» قد تزاد ، كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[5] و﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[6] .

* * *

١٠ ● و«واو النَّسَق» قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له ، كقوله :

---

(١) قال الطبرى ٢٦/١٨ « يقول تعالى ذكره للكفار: ولقد مكنا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم ، فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا ، وأعطيناهم منها الذى لم نعطكم منها من كثرة الأموال ، وبسطة الأجسام وشدة الأبدان » .

(٢) سورة البقرة ٣٠ ، والحجر ٢٨ . وانظر مجاز القرآن ٣٦/١ .

(٣) سورة لقمان ١٣ .

(٤) فى الجمهرة ٣٥٩/٣ وفى اللسان ٢٥٨/١٧ وبعده : * هو ذلة المشآة عن ضرس اللبن * وقوله : أبن أبن ، أى نحها .
والمشآة : زبيل يخرج به الطين والحمأة من البئر ، وربما كان من أدم . والضرس : تضريس طى البئر بالحجارة . وإنما أراد الحجارة ، فاضطر وسماها لبناً احتياجاً إلى الروى . والذى أنشده الجوهرى :

إما يزال قائل أبن أبن   دلوك عن حد الضروس واللبن

قال ابن برى: « هو لسالم بن دارة ، وقيل: لابن ميادة ، قاله ابن دريد ، والبيت برواية الجوهرى أيضاً فى اللسان ٤٢٥/٧ وهو غير منسوب فى إصلاح المنطق ١٩٠ .

(٥) سورة المؤمنون ٤٠ .

(٦) سورة الإسراء ١١٠ .

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾(١) . والمعنى : قال لهم خزنتها .

● وقوله : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾(٢) . [١١٠

٥ وقوله سبحانه : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ﴾(٣) .

وكقوله : ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(٤) .

وقوله : ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾(٥) أى : لنحمل خطاياكم عنكم .

١٠ قال « امرؤ القيس » :

فلما أجزنا ساحة الحيِّ وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذى قِفافٍ عَقَنْقَلِ(٦)

---

(١) سورة الزمر ٧٣ .

(٢) سورة يوسف ١٥ .

(٣) سورة الصافات ١٠٣ وقال الطبرى ٢٣ / ٥٠ « فلما أسلما — يعنى إبراهيم وإسحاق — أمرهما لله وفوضاه إليه ، واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه ... وقوله : « وتله للجبين » يقول : وصرعه للجبين ، والجبينان : ما عن يمين الجبهة وعن شمالها ، وللوجه جبينان ، والجبهة بينهما » وقال فى ١٧ / ٧٣ « وناديناه » معناه : نادينا بغير واو » .

(٤) سورة الأنبياء ٩٦ ، ٩٧ وتفسير الطبرى ١٧ / ٧٣ « الحدب : الشيء المشرف ، ينسلون : يعنى أنهم يخرجون مشاة مسرعين فى مشيهم ، كنسلان الذئب ... والواو فى قوله : « واقترب الوعد الحق » مقحمة ، ومعنى الكلام : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق . وذلك الوعد الذى وعد الله عباده أنه يبعثهم فيه من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب » .

(٥) سورة العنكبوت ١٢ .

(٦) البيت من معلقته ، ديوانه ص ٩٨ واللسان ٧ / ٩١ وشرح القصائد العشر ص ٢٧ أجزنا : قطعنا . انتحى : اعترض . والخبت : بطن من الأرض غامض : والقف : ماارتفع من =

أراد انتحى .

وقال « آخر » :

حـتَّى إذا قَمِلَتْ بُطُونُـكُمُ ... وَرَأَيْتُمُ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا[1]

وقلبتمُ ظهـرَ المِجَنِّ لَنَا ... إن اللئيمَ العـاجزُ الْخَبُّ

٥ أراد : قلبتم .

* * *

● ومما يُزاد فى الـكلام : « الوَجْهُ » ، يقول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَـدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَـهُ﴾[2] . أى : يريدونه بالدعاء .

١٠ و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] . أى : إلا هو .

و ﴿فَأَيْـنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[4] . أى : فثمَّ الله .

و ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُـكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾[5] . أى : لله .

* * *

= الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلا . والعقنقل : المتعقد الداخـل بعضه فى بعض . وجواب « فلمـا أجزنا » قوله : « هصرت بفودى رأسها فتمايلت » وقال الطبرى ١٧/٧٣ : يريد فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا .

(١) الرجز أنشده ابن قتيبة فى المعانى الـكبير ١/٥٣٣ وقال فى شرحه : « قملت : كثرت . البطون : القبائل ، وأراد : قلبتم ظهر المجن لنا ، ثم أدخل الواو ... » وهو أيضاً غير منسوب فى اللسان ٢٠/٣٨١ من إنشاد الفراء ، وهو مع آخر من غير نسبة فى معانى القرآن للفراء ١/١٠٧ ، ٢٣٨ وفى اللسان ١٤/٨٦ ومجالس ثعلب ١/٧٤ وتفسير الطبرى ٤/٨٥ .

(٢) سورة الأنعام ٥٢ .

(٣) سورة القصص ٨٨ .

(٤) سورة البقرة ١١٥ .

(٥) سورة الإنسان ٩ .

● و «الاسم» يَزاد ، قال «أبو عبيدة» : ﴿ بِاسْمِ اللهِ ﴾ إنما هو بالله[1] ،
وأنشد « لابيد » :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السلام عليكما
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كامِلًا فَقَد اعْتَذَرْ[2]

أى : السلام عليكما .

و ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾[3] ، أى : تبارك ربُّكَ .

٥

(١) قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١٦/١ ، ويرى الطبرى فساد هذا الرأى ، وقد دلل على فساده بأدلة واضحة ، راجع ٤٠/١ .

(٢) البيت للبيد ، كما فى الأغانى ١٠١/١٤ وهو غير منسوب فى أمالى الزجاج ص ٤٢ .

(٣) سورة الرحمن ٧٨ وقال الطبرى فى تفسيره ٩٥/٢٧ « يقول تعالى ذكره : تبارك ذكر ربك يامحمد ، ذى الجلال ، يعنى ذى العظمة » .

باب الكناية والتعريض

الكناية أنواع، ولها مواضع :

فمنها أن تَكْنِىَ عن اسم الرجل بالأُبُوَّة؛ لتزيد فى الدّلالة عليه إذا أنت رَاسَلته أو كتبت إليه؛ إذْ كانت الأسماء قد تتّفق.

أو لتعظّمه فى المخاطبة بالكُنية؛ لأنها تدلّ على الحُنْكة[1] وتُخبِر عن الاكْتِهَال.

* * *

وقد ذهب هؤلاء إلى أنّ الكنية كَذِب مالم يكن الولَدُ مُسَمًّى بالاسم الذى كُنِىَ به عن الأب، وتقع للرجل بعد الولادة.

[111] وقالوا: إن كانت الكناية للتعظيم فما بَاله كَنَى أبا لهب[2] / وهو عدوّه، وسمّى محمداً، صلى الله عليه، وهو وَليُّه ونَبيُّه؟

والجواب عن هذا: أن العرب كانت ربّما جعلت اسم الرجل كُنْيَتَه، فكانت الكُنية هى الاسم.

قال « أبو محمد » :

---

(1) فى اللسان ١٢/٢٩٩ « والحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور ».

(2) فى اللسان ٢٠/٩٨ « واسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها » وانظر المعارف ٥٢.

خبّرنى غير واحد عن الأصمعى: أن أباعمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما[١].

● وربما كان للرجل الاسم والكنية، فغلبت الكنية على الاسم؛ فلم يعرف إلا بها، كأبى سفيان[٢]، وأبى طالب[٣]، وأبى ذَرّ[٤]، وأبى هريرة[٥].

ولذلك كانوا يكتبون: «على بن أبو طالب» و «معاوية بن أبو سفيان»؛ لأن الكنية بكمالها صارت اسما، وحظُّ كلِّ حرف الرفعُ مالم ينصبه أو يجرّه حرف من الأدوات أو الأفعال. فكأنه حين كُنِّى قيل: أبو طالب، ثم تُرِك ذلك كهيئته، وجُعل الاسمان واحداً[٦].

وقد رُوى فى «الحديث» أن اسم أبى لهب عبد العزّى، فإن كان هذا

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٣٥.
(٢) اسمه صخر بن حرب، المعارف ١٥٠.
(٣) اسمه عبد مناف، المعارف ٥٢.
(٤) اسمه جندب بن السكن، أو برير بن جنادة، أو جندب بن جنادة، المعارف ١١٠.
(٥) اختلفوا فى اسمه وأكثروا، فقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: عبد عمرو، وقيل: عبد شمس، وقيل: أكثر من ذلك، راجع المعارف ١٢٠.
(٦) قال الزمخشرى فى الكشاف ٤/ ٢٤٠: «فإن قلت: لم كناه، والكنية تكرمة؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفاً بأحدهما، ولذلك تجرى الكنية على الاسم، والاسم على الكنية عطف بيان. فلما أريد تشهيره بدعوة السوء، وأن تبقى سمة له — ذكر الأشهر من علميه. ويؤيد ذلك قراءة من قرأ «يدا أبو لهب» كما قيل: على بن أبو طالب، ومعاوية بن أبو سفيان، لئلا يغير منه شىء فيشكل على السامع ...».
والثانى: أنه كان اسمه «عبد العزى» فعدل عنه إلى كنيته.
والثالث: أنه لما كان من أهل النار، ومآله إلى نار ذات لهب — وافقت حاله كنيته، فكان جديراً بأن يذكر بها ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر، للشرير».

صحيحاً [1] فكيف يذكره رسول الله بهذا الاسم ، وفيه معنى الشرك والكذب ؛ لأن الناس جميعاً عَبيدُ الله ؟

* * *

وقال « المفسرون » فى قول الله عز وجل : ﴿ هُوَ الذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [2] ـ : إن « حوّاء » لما أثقلَتْ أتاها « إبليس » فى صورة

(١) يشير ابن قتيبة إلى الحديث الذى روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت وَلى أربع عمومة : فأما أبو العباس ، فيكنى بأبى الفضل ، إلى يوم القيامة . وأما حمزة ، فيكنى بأبى يعلى ، فأعلى الله قدره فى الدنيا والآخرة . وأما « عبد العزى » فيكنى « بأبى لهب » فأدخله الله النار وألهبها عليه . وأماعبد مناف ، فيكنى بأبى طالب ، فله ولولده المطاولة والرفعة ، إلى يوم القيامة » .

وهو حديث لا يصح ، ففى سنده : « أبوالعباس: محمد بن يونس البصرى الكديمى (١٨٥ — ٢٨٦ هـ) وهو وضاع معروف . قال ابن حبان عنه فى كتاب المجروحين ل ٤٣٢ :« كان يضع على الثقات الحديث وضعا ، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث » .

(٢) سورة الأعراف ١٨٩ وفى تفسير الطبرى ٩/ ٧٩ « يعنى بالنفس الواحدة آدم. ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ : حواء ، جُعلت من ضلع من أضلاعه . ليسكن إليها . ويعنى بقوله :﴿ ليسكن إليها ﴾: ليأوى إليها لقضاء حاجته ولذته . ويعنى بقوله:﴿ فلما تغشاها ﴾: فلما تدثرها لقضاء حاجته منها ، فقضى حاجته منها حملت حملا خفيفاً ، وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف ، وذلك قوله : ﴿ فلما تغشاها حملت ﴾ وإنما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت . وقوله: ﴿ حملت حملا خفيفاً ﴾: يعنى بخفة الحمل : الماء الذى حملته حواء فى رحمها من آدم ، إنه كان خفيفاً ، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها ، وأما قوله : ﴿ فمرت به ﴾ فإنه يعنى : استمرت بالماء ، قامت به وقعدت وأتمت الحمل ... قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء ، أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما: لئن أعطاهما ما فى بطن حواء صالحاً ليكونا من الشاكرين . والصلاح قد يشمل معانى كثيرة : كانها الصلاح فى استواء الخلق ، ومنها الصلاح فى الدين ، والصلاح فى العقل والتدبير . وإذا من ذلك كذلك ، ولاخبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى الصلاح دون =

رجل فقال لها : ماهذا الذى فى بطنك ؟ وذلك أول حملها ، فقالت : ماأدرى ، فقال لها : أرأيتِ إن دعوت ربى فولدتِه إنساناً أتُسَمِّينه بى ؟ فقالت : نعم . وقالت « هى » و « آدم » : ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أى : لئن خلقتَه بشراً مثلَنا ولم تجعله بهيمةً . فلما ولدته أتاها « إبليس » ليسألها الوفاء؛ فقالت : ماسمك ؟ قال : « الحارث » ، فتسمى بغير اسمه ، ولو ٥ تسمى باسمه لعرفته ، فسمته « عبد الحارث » ، فعاش أياما ثم مات ، فقال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [1] ، وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعَقْد[2] ، وانتهى الكلام فى قصة آدم وحواء ، ثم ذكر مَنْ أشرك به بالعَقْدِ والنّية من ذرّيتهما ، فقال : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولو كان/أراد « آدم » و «حواء» لقال : عما يشركان . فهذا [١١٢ يدلُّك على العموم .

* * *

بعض ، ولا فيه من العقل دليل — وجب أن يعم كما عمه الله ، فيقال : إنهما قالا : لئن آتينا صالحاً بجميع معانى الصلاح. وأما قوله: ﴿ لنكونن من الشاكرين﴾ فإنه : لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت لنا من الولد صالحاً .

(١) سورة الأعراف ١٩٠ .

(٢) قال الطبرى ٩/ ١٠١: « وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله :﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء﴾ فى الاسم لا فى العبادة ، وإن المعنى فى ذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . فإن قال قائل: فماأنت قائل إذا كان الأمر على ماوصفت فى تأويل هذه الآية، وأن المعنى بها آدم وحواء — فى قوله:﴿ فتعالى الله عما يشركون﴾ أهواستنكاف من الله أن يكون له فى الأسماء شريك ؟ أو فى العبادة ؟ فإن قلت : فى الأسماء ، دل على فساده قوله :﴿ أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون ؟ ﴾ وإن قلت: فى العبادة قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره ؟ قيل له : إن القول فى تأويله قوله : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ ليس بالذى ظننت ، وإنما القول فيه : فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء ، فقد انقضى عند قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ثم استأنف قوله : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾.

وإن كان اسم أبى لهب كنيته فإنما ذكره بما لا يُعرَف إلا به ، والاسم والكنية عَلَمَان يُمَيِّزان بين الأعيان والأشخاص ، ولا يقعان لعلة فى المسمى كما تقع الأوصاف ، فبأىِّ شىء عُرِف الرجل، جاز أن تَذْكُره به غير أن تَكذِب فى ذلك .

٥ ولو كان من دعا أبا القاسم بأبى القاسم ولا قاسم له ، كان كاذباً ـ لكان من دعا المُسمى بكلب وقردٍ وغُراب وذُباب ـ كاذباً ؛ لأنه ليس كما ذكر .

* * *

● وقد طعنت « الشّعُوبية » على العرب بأمثال هذه الأسماء ، ونسبوهم إلى سوء الاختيار ، وجهلوا معانِيَهم فيها .

١٠ وكان القوم يتفاءلون ويتطيّرون ، فمن تسمى منهم بالأسماء الْحُسْنى أراد أن يَكثر له الفأل بالحسن ، ومن تسمَّى بقبيح الأسماء أراد صرفَ الشرّ عن نفسه .

وذلك أن العرب كانت إذا خرجت لِلمُغَار قالوا : إلى من نقصد ؟ فتطيروا من كلب وجُعَل وقرد ونمِر وأسد ، وقالوا : ميلوا بنا إلى بنى سعد و [إلى] غَنْمٍ [1] وما أشبه ذلك .

١٥ * * *

● ومن الكناية قول الله عز وجل : ﴿ يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا ﴾ [2] .

ذهب « هؤلاء وفريق من المُتَسَمِّين بالمسلمين » إلى أنه رجل بعينه ،

---

(١) فى اللسان ١٥/٣٤٢ « بنو غنم : قبيلة من تغلب ، وهو غنم بن تغلب وائل » .

(٢) سورة الفرقان ٢٨ وانظر البحر المحيط ٦/٤٩٥ واللسان ١٧/١٠٢ والطبرى ١٩/٦ وتفسير ابن كثير ٣/٣١٧ والكشاف ٣/٩٥ .

وقالوا : لم كُنى عنه ؟ وإنما يَـكـنِى هذه الـكناية من يخافُ المُبادَاة ، ويحتاج إلى المُدَاجاة .

● وقال آخرون : بل كان هذا الرجل مُسَمًّى فى هذا الموضع ؛ فغيِّرَ وكُنى عنه . وذهبوا إلى أنه « عمر » ، وتأوَّلوا الآية فقالوا : ﴿ ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيهِ ﴾ . يعنى « أبا بكر » رضى الله عنه . ٥

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ . يعنى « محمداً » صلى الله عليه .

﴿ياوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا﴾ يعنى « عمر » رضى الله عنه .

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ يعنى « علياً » .

● قال « أبو محمد » : ١٠

ونقول فى الرد على « أولئك » إذ كان غلطهم من وجهة قد يَغلُط فى مثلها من رَقّ علمه . فأما « هؤلاء » ففى قولهم ما أنبأ عن نفسه ، ودلّ على / جهل مُتأوِّله . [١١٣

كيف يكون « علىّ » رحمة الله عليه ، ذِكْراً ؟

وهل قال أحد : إن « أبا بكر » لم يسلم ، ولم يتخذ بإسلامه مع الرسول سبيلا ؟ . ١٥

وليس هذا التفسير بنكر من تفسيرهم وما يَدَّعُونه من « علم الباطن » كادّعائهم فى « الجِبْتِ » و « الطَّاغُوت[١] » أنهما رجلان .

---

(٣) قال تعالى فى سورة النساء ٥١ : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » وانظر اختلاف العلماء فى تفسيرها فى الطبرى ٢٥/٨٣ — ٨٤ .

وأن « الخمر والميسر » رجلان آخران .

وأن «العنكبوت » غير العنكبوت « والنحل» غير النحل . فى أشباه كثيرة من سخفهم وجهالاتهم .

● وقال « ابن عباس » فى تفسير هذه الآية : إنّ «عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط» صنع طعاماً ودعا أشراف أهل مكة ، فكان رسول الله ، صلى الله عليه فيهم ، فامتنع من أن يطعم أو يَشْهَدَ « عُقْبَةُ » بشَهَادَة الحقِّ ، ففعل ذلك ، فأتاه « أُبَىُّ بن خَلَف » ، وكان خليله ، فقال : صَبَأْتَ ؟ فقال : لا ولكن دخل علىّ رجلٌ من قريش فاستحييت من أن يخرج من منزلى ولم يَطْعَم .

فقال : ما كنت لِأَرضَى حتى تبصق فى وجهه وتفعل به وتفعل ، ففعل ذلك ، فأنزل الله هذه الآية عامة ، وهذان الرجلان سبب نزولها .

كما أنه قد كانت الآية ، والآى ، تنزل فى القصة تقع : وهى لجماعة الناس .

و «المفسرون» على أن هذه الآية نزلت فى هذين الرجلين ، وإنما يختلفون فى ألفاظ القصة[1] .

فأراد الله سبحانه بـ « الظالم » كل ظالم فى العالم ، وأراد بـ « فلان » كل من أُطِيعَ بمعصية الله وأُرْضِىَ بإسخاطِ الله .

ولو نزلت هذه الآية على تقديرهم فقال : ويَوْمَ يَعَضُّ الظالم ـ قارون وهامان ، وعقْبَةُ بن أبى مُعَيْط ، وأُبَىُّ بن خَلَف ، وعُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَة ابن ربيعه ، والمغيرة ، وفلان وفلان ، بالأسماء ـ على أيديهم يقولون : ياليتنا لم نتخذ فرعون ، ونُمْرُود ، وعقبة بن أبى مُعَيْط ، وأبا جهل ، والأسود ،

---

(١) راجع الدر المنثور ٥/٦٧ — ٦٩ وأسباب نزول القرآن للواحدى ٣٤٧ .

وفلانا ، وفلانا بالأسماء ـ لطال هذا وكثر وثقل ، ولم يدخل فيه من تأخّر بعد نزول القرآن من هذا الصِّنف ، وخرج عن مذاهب العرب ، بل عن مذاهب الناس جميعا فى كلامهم .

فكان « فلان » كناية عن جماعة هذه الأسماء .

وقد يقول القائل : ما جاءك إلا فلان بن فلان ، يريد أشراف الناس ٥ المعروفين / ، و « الشاعر » يقول : [١١٤

* فى لُجَّةٍ أَمْسِكْ فُلانًا عنْ فُلِ[1] *

يريد : أمسك فلانا عن فلان ، ولم يرد رجلين بأعيانهما ، وإنما أراد أنهم فى غمرة الشّر وضجّته ، فالحَجَزَةُ تقولُ لهذا : أمسكْ ، ولهذا : كُفّ .

و « الظالم » دليل على جماعة الظالمين كقوله : ﴿ وَيَقُولُ الكَافِرُ ١٠ يَا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابًا ﴾ يريد جماعة الكافرين .

* * *

● ومن هذا الباب « التعريض » .

والعرب[2] تستعمله فى كلامها كثيرا ، فتبلُغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ، ويعيبون الرجل إذا كان يُكاشف ١٥ فى كل شىء ويقولون :

* لَا يُحْسِنُ التَّعرِيضَ إِلَّا ثَلْبًا[3] *

(١) هو أبو النجم ، كما فى سيبويه ١/٣٣٣ واللسان ١٤/٤٩، ١٧/٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣ والصاحبى ١٩٤ ومقاييس اللغة ٤/٤٤٧ . واللجة : كثرة الأصوات .

(٢) من هنا إلى قوله : « لم أر عكما سارقا قبل اليوم » نقله الثعالبى فى كتاب الكنايات ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٣) الرجز فى اللسان ١/٢٣٤ غير منسوب .

وقد جعله الله فى خِطبةِ النساء فى عِدّتِهِنّ جائزاً فقال : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [1] ولم يجز التصريح .

والتعريض فى الخِطْبة : أن يقول الرجل المرأة : والله إنك لجميلة ، ٥ ولعل الله أن يرزقك بَعْلًا صالحا ، وإن النساء لَمِنْ حاجتى ، هذا وأشباهه من الكلام .

ورَوَى بعض أصحاب اللغة أن قوما من الأعراب خرجوا يَمْتَارُونَ فلما صدرُوا خالف رجل فى بعض الليل إلى عِكْمِ [2] صاحبه فأخذ منه بُرًّا وجعله فى عِكْمِهِ ، فلما أراد الرحلة قاما يَتعَاكَمان فرأى عكْمَه يَشُولُ ١٠ وعكمَ صاحبه يثقل ، فأنشأ يقول :

عِكْمٌ تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ القَوْمْ ... لَمْ أَرَ عِكْمًا سَارِقًا قبل اليَوْمْ [3]

فخوّن صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح .

ورُوِى فى بعض الحديث : أن رجلا [4] كتب إلى عمر بن الخطاب

---

(١) سورة البقرة ٢٣٥ ، واللسان ٩/٤٦ .

(٢) فى اللسان ١٥/٣٠٩ « والعِكم : العدل ما دام فيه المتاع ، والعِكمان : عدلان يشدان على جانبى الهودج ... ومن أمثالهم قولهم : كعكمى العير ، يقال للرجلين يتساويان فى الشرف » .

(٣) فى الكنايات للثعالبى : « عكم تعشى » وهو تحريف .

(٤) هذا الرجل هو : أبو المنهال : بقيلة الأكبر الأشجعى ، وسبب كتابته بهذا الشعر إلى عمر أنه بلغه وهو فى غزاة له أن جعدة بن عبد الله السلمى والى مدينتهم ، كان يخرج النساء إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو ، فيعقلهن ، ويأمرهن بالمشى ويقول : لا يمشى فى العقال إلى الحصان ، فربما وقعت فتكشف فيبتهج بذلك جعدة ؛ لأنه كان غزلا صاحب نساء . وأبيات بقيلة فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٦٣ واللسان ٥/٧٥ ، ٨/٣٦٠ .

رضى الله عنه، من مَغْزًى كان فيه :

ألا أبلغ أبا حَفصٍ رَسُولًا فِدًى لك - من أخى ثقةٍ - إزَارِى(١)

قلائصَنا هَداكَ اللهُ إنا شُغِلْنَا عنكمُ زَمَنَ الحِصارِ(٢)

فما قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعَقَّلاتٍ قفَا سَلْعٍ بمُخْتَلَفِ التِّجَارِ/(٣) [١١٥

يُعَقِّلُهنَّ جَعْدَةُ شَيْظَمِىٌّ وبئس مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤَارِ(٤) ٥

قال «أبو محمد» :

وقد ذكرتُ الحديث والتفسير وطريقَه فى كتاب «غريب الحديث» .

وإنما كَنى بالقُلُص - وهى: النُّوق الشَّوابُّ - عن النساء، وعرَّضَ برجل يقال له: جَعْدَة كان يخالِفُ إلى المُغَيَّبات من النساء، ففهم عمر، رضى الله عنه ما أراد، وجلد جَعْدَة ونفاه(٥) . ١٠

(١) أبو حفص كنية عمر بن الخطاب . والإزار هنا كناية عن النفس والأهل .

(٢) كنى بالقلائص عن النساء، ونصبها على الإغراء، وهى فى الأصل جمع قلوص، وهى الناقة الشابة .

(٣) المعقلة : المشدودة بالعقال، والتشديد فيه للتكثير . ورواية الآمدى فى المؤتلف والمختلف «لمن قلص تركن معقلات» وفى اللسان ٤٨٦/١٣ «يعنى نساء معقلات لأزواجهن، كما تعقل النوق عند الضراب، وفى اللسان ٧٥/٥ بعد هذا البيت :

قلائص من بنى كعب بن عمرو وأسلم أو جهينة أو غفار

يعقلهن جعدة من سليم غوى يبتغى سقط العذارى

(٤) رواية صدر البيت هنا كروايته فى اللسان ١٨٨/٦ ، ٣٥٠/٨ ، ٤٨٦/١٣ ، ٢١٥/١٥ وفى المؤتلف والمختلف ص ٦٣ واللسان ٧٥/٥ «أبيض شيظمى» ورواية العجز فيهما فى الموضعين الأخيرين : «معقل الذود الخيار» والشيظمى : الطويل الجسم الفتى . والذود : القطيع من الإبل وقد اختلف فى تحديد عدده . والظؤار كفعال — بالضم جمع ظئر، وهو من الجموع العزيزة، والظئر: العاطفة على غير ولدها، المرضعة له من الناس والإبل، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . وجاء فى اللسان ٤٨٦/١٣ «وأراد أنه يتعرض لهن، فكنى بالعقل عن الجماع، أى أن أزواجهن يعقلونهن، وهو يعقلهن أيضاً، كأن البدء للأزواج، والإعادة له» .

(٥) نقل هذه النصة ابن رشيق فى العمدة ٢٨١/١ - ٢٨٢ وصدرها بقوله : وروى

وقال « عنترة » :

يا شَاةَ ماقَنَصٍ لمن حَلَّتْ لهُ   حَرُمَتْ عليَّ وليتَهَا لم تَحْرُمِ (١)

يُعَرِّض بجارية ، يقول: أيُّ صَيْدٍ أنت لمن حَلَّ له أن يَصِيدَكِ ، فأمَّا أنا فإنَّ حُرْمَةَ الجِوَار قد حَرَّمَتْك عليَّ .

٥

* * *

● وقد جاء في القرآن التعريض :

فمن ذلك ماخبّر الله سبحانه من نبإ الخصم ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ، قَالُوا : لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ ﴾ (٢) . ثم قال : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ : أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ ﴾ (٣) .

١٠

إنما هو مثل ضربه الله سبحانه له ، ونبهه على خطيئته به .

ابن قتيبة . وفي اللسان ٥/٧٥ « فلما وقف عمر على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له في دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فكان إذا رآه عمر توعده ، فقال :

أكل الدهر جعدة مستحق   أبا حفص لشتم أو وعيد

فما أنا بالبرىء براة عذر   ولا بالخالع الرسن الشرود

(١) البيت من معلقته ، في شرح القصائد العشر ص ٢٠٠ قال التبريزي : قوله : « ياشاة » كناية عن المرأة ، وأراد ياشاة قنص ، أي صيد . وقوله : لمن حلت له ، أي لمن قدر عليها . وقوله : حرمت على ، معناه هي من قوم أعداء ، واحتج من قال ذلك بقوله : « علقتها عرضاً وأقتل قومها » والمعنى على هذ أنها لما كانت في أعدائي لم أصل إليها ، وامتنعت مني ، وأصل الحرام : الممنوع : وقال الأخفش : معنى « حرمت على » أي هي جارتي وليتها لم تحرم ، أي ليتها لم تكن لي جارة حتى لا تكون لها حرمة ، وقيل: إنما كانت امرأة أبيه » والبيت له في شرح شواهد المغني ص ٢٥٢ ومجمع البيان ١/٥٢٦ والعمدة ١/٢٨١ .

(٢) سورة ص ٢٢ .

(٣) سورة ص ٢٣ .

ووَرَّى عن النساء بذكر النِّعاج ، كما كنى الشاعر عن جارية بشاةٍ ، وكنى الآخر عن النساء بالقُلُص .

وروَى المِنْهَال ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن « ابن عباس » فى قول الله سبحانه ، حكاية عن موسى صلى الله عليه : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾[١] : لم ينس ولكنها من مَعاريض الكلام[٢] .

أراد ابن عباس أنه لم يقل : إنى نسيت فيكون كاذباً ، ولكنه قال : لاتؤاخذنى بما نسيت ، فأوهمه النسيان[٣] ، ولم ينس ولم يكذب .

ولهذا قيل : إن فى المعاريض عن الكذب لَمَنْدُوحة[٤] .

ومنه قول إبراهيم صلى الله عليه: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾[٥] أى سأسقم ؛ لأن من كُتِب عليه الموتُ ، فلا بد من أن يَسْقَم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[٦] أى : ستموت ويموتون .

---

(١) سورة الكهف ٧٣ .

(٢) فى الطبرى ١٥/١٨٤ « عن سعيد بن جبير ، عن أبى بن كعب الأنصارى فى قوله : ﴿لا تؤاخذنى بما نسيت﴾ قال : لم ينس ، ولكنها من معاريض الكلام ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ﴿ لاتؤاخذنى بما نسيت﴾ أى « بما تركت من عهدك » .

(٣) نقل هذا الثعالبى فى الكنايات، ولم ينسبه للمؤلف !.

(٤) فى اللسان ٩/٤٥ « والتعريض : خلاف التصريح ، والمعاريض التورية بالشيء عن الشيء . وفى المثل ، وهو حديث مخرج عن عمران بن حصين ، مرفوع : إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ، أى سعة . المعاريض : جمع معراض من التعريض . وفى حديث عمر : «أما فى المعاريض ما يغنى المسلم عن الكذب؟ » وفى حديث ابن عباس: «ما أحب بمعاريض الكلام حمر النعم » .

(٥) سورة الصافات ٨٩ .

(٦) سورة الزمر ٣٠ .

فأوهمهم إبراهيم بمعاريض الكلام أنه سقيم عليل، ولم يكن عليلا سقيما، ولا كاذباً .

وكذلك ماروِى فى الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته : «إنها أختى[١]»لأن بنى آدم يرجعون إلى أبوين؛ فهم إخوة ، ولأن المؤمنين إخوة ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]. ١١٦] ٥

وكذلك قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[٣]. أراد : بل فعله الكبير،إن كانوا ينطقون فسلوهم ؛ فجعل النطق شرطا للفعل ، أى إن كانوا ينطقون فقد فعله ، وهو لا يعقل ولا ينطق .

وقد رُوِىَ عن النبى ، صلى الله عليه وسلم :

١٠ « إنَّ إبراهيم كَذَبَ ثلاث كَذَبَات مامنها واحدة إلا وهو يُمَاحِل بها عن الإسلام[٤] » .

---

(١) روى البخارى فى صحيحه ٦/٢٧٧ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتين منهن فى ذات الله ، قوله : ﴿ إنى سقيم ﴾ وقوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقال : بينا هو ذات يوم وسارة ، إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس . فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال أختى .... » .

والحديث فى مسلم ٤/١٨٤٠-١٨٤١ والترمذى ٢/١٩٩ وسنن أبى داود ٢/٣٥٥-٣٥٦ ومسند أحمد ٢/٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٢) سورة الحجرات ١٠

(٣) سورة الأنبياء ٦٣ .

(٤) الفائق ٣/١٠ وفى اللسان ١٤/١٤١ « وفى حديث الشفاعة : إن إبراهيم يقول ، لست هناكم أنا الذى كذبت ثلاث كذبات . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « والله ما فيها كذبة إلا وهو يماحل بها عن الإسلام » أى يدافع ويجاول ، من المحال - بالكسر - وهو الكيد وقيل المكر» . وانظر الدر المنثور ٤/٣٢١ .

فسمّاها كَذَبَات؛ لأنها شَاكَهَتْ[1] الكذب وضَارَعَتْه.

ولذلك قال « بعض أهل السلف » لابنه: « يابنى لاتكذبن ولا تشبّهن بالكذب ». فنهاه عن المعاريض؛ لئلا يجرى على اعتيادها، فيتجاوزَها إلى الكذب، وأحبَّ أن يكون حاجزاً من الحلال بينه وبين الحرام.

* * *

ومن هذا الباب قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[2]. والمعنى: إنّا لضالّون أو مهتدون، وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون، وهو جل وعز يعلم أن رسولَهُ المُهْتَدِى وأن مُخَالِفَهُ الضالّ، وهذا كما تقول للرّجل يُكذبك ويخالفك: إنّ أحدنا لكاذب. وأنت تَعنيه، فكذَّبْته من وجهٍ هو أحسن من التصريح، كذلك قال الفرّاء[3].

* * *

وأما قوله سبحانه: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[4] ففيه تأويلان:

---

(١) فى اللسان ١٧/٤٠٢ « شاكهه الشىء مشاكهة وشكاها. شابهه وشاكله ووافقه وقاربه ».

(٢) سورة سبأ ٢٤.

(٣) راجع اختلاف أهل العربية فى وجه دخول أو فى هذا الموضع فى تفسير الطبرى ٢٢ / ٦٥.

(٤) سورة يونس ٩٤ وقال الطبرى ١١/١١٥: « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، صلى الله عليه: فإن كنت يامحمد فى شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا فى نبوتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه؛ لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً، ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والإنجيل – فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك

• أحدهما : أن تكون المخاطبة لرسول الله ، صلى الله عليه ، والمُراد غيره من الشُّكَّاك ؛ لأنَّ القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلهم ، وهم قد يُخاطِبون الرَّجل بالشيء ويريدون غيره ، ولذلك يقول مُتَمَثِّلُهُمْ : « إيَّاكِ أعنى واسمعى ياجارة[(١)] » .

٥ ومثله قوله : ﴿يا أيُّهَا النَّبيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[(٢)] .

الخطاب للنبى ، صلى الله عليه ، والمراد بالوصية والعظة المؤمنون ، يدلك على ذلك أنه قال : ﴿وَاتَّبِعْ مَايُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[(٣)] . ولم يقل بما تعمل خبيراً .

[١١٧] ومثل هذه الآية / قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُون ؟﴾[(٤)] ، أى سل من أرسلنا إليه من قبلك رُسلا من رسلنا ، يعنى أهل الكتاب ، فالخطاب للنبى صلى الله عليه والمراد المشركون .

من أهل التوراة والإنجيل ، كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم ، دون أهل الكذب والكفر بك منهم » وقال فى ص ١١٦ : « لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا فى حقيقة خبر الله وصحته ، والله بذلك من أمره كان عالما ، ولكنه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً ؛ إذ كان القرآن بلسانهم نزل » .

(١) مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويقصد به شيئاً غيره ؛ وهو فى مجمع الأمثال ١/ ٥٠ — ٥١ وجمهرة الأمثال ص ٧ .

(٢) سورة الأحزاب ١ .

(٣) سورة الأحزاب ٢ .

(٤) سورة الزخرف ٤٥ وتفسير الطبرى ٢٥/ ٤٦ — ٤٧ وانظر أمالى المرتضى ٣/ ١٦٥ — ١٦٨ فقد أدار المجلس السادس والخمسين منها على تأويل هذه الآية بعد أن تملأ من كلام ابن قتيبة هنا ، ثم انتقده .

ومثل هذا قول « الكُمَيْت » فى مدح رسول الله ، صلى الله عليه :

إلى السّراج المُنيرِ أحمدَ لا ... يَعْدِلُنى رَغْبةٌ ولا رَهَبُ[1]

عنه إلى غيرِه ولو رفعَ النّـ ... ـاسُ إلىَّ العُيونَ وارْتَقَبُوا

وقيل : أفرطتَ ، بل قصدتُ ولو ... عَنّفنى القائلون أوْ ثَلَبُوا[2]

لَجَّ بتَفْضيلِكَ اللِّسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيكَ الّلجاجُ والّلَجبُ

أنتَ المُصفَّى المَحْضُ المُهذَّبُ فى النِّسْـ ... ـبةِ إن نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[3]

فالخطاب للنبى صلى الله عليه ، والمراد أهل بيته ؛ فورّى عن ذكرهم به ؛ وأراد بالعائبين واللائمين بنى أميه .

وليس يجوز أن يكون هذا للنبى، صلى الله عليه؛ لأنه ليس أحد من المسلمين يَسوءه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يُعَنِّفُ قائلا عليه ، ومن

(١) قال المرتضى ٣/١٦٧ « وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب ، وقيل : إنه أخطأ فى الإعراب ؛ لأن لفظة « إليه » لا يصح إضمارها فى مثل هذا الموضع ، لأنهم لا يجوزون : « الذى جلست عبد الله » على معنى : الذى جلست إليه عبد الله ؛ لأن « إليه » حرف منفصل عن الفعل ، والمنفصل لا يضمر ، فلما كان القائل إذا قال : « الذى أكرمت إياه عبد الله » ولم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل — كانت لفظة إليه بمنزلته . وكذلك لا يجوز : « الذى رغبت محمد » بمعنى الذى رغبت فيه محمد ؛ لأن الإضمار إنما يحسن فى الهاء المتعلقة بالفعل ، كقولهم : « الذى أكلت طعامك ، والذى صديقك » معناها : الذى أكلته ولقيته . وقال الفراء : إنما حذفت الهاء لدلالة الذى عليها . وقال غيره فى حذفها غير ذلك . وكل هذا ليس مما تقدم فى شىء ، فصح أن جواب ابن قتيبة مستضعف ، والمعتمد ما تقدم » .

(٢) الهاشميات ص ٥٨ — ٥٩ وأمالى المرتضى ٣/١٦٦ وشرح شواهد الشافية ص ٣١١ وتفسير الطبرى ١/٣٨٣ ـ ٣٨٤ والعمدة ٢/١٣٥ ـ ١٣٦ ومجمع البيان ١/١٨٢ والموازنة ص ٤٠ .

(٣) بعد هذا البيت فى الهاشميات والعمدة :

إليك ياخيرَ من تضمنت الـ ... أرض وإن عاب قولى العيب

وهذا البيت فى الموشح ص ١٩٨ مما أنكر على الكميت « فلا يعيب قوله فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم إلا كافر بالله أو مشرك » .

ذا يُساوَى به ، ويُفضَّل عليه ؛ حتى يكثر فى مدحه الضّجاج واللّجَب[1] ؟

وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس فيُفْرِطون ويفرِّطون. فيغلون وما يرفع الناسُ إليهم العيُون ولا يرتقبون ، فكيف يُلامُ هذا على الاقتصاد فى مدح مَنِ الإفراطُ فى مدحه غير تفريط ، ولكنه أراد

٥ أهل بيته .

* * *

● والتأويل الآخر : أنّ النـاس كانوا فى عصر النبى ، صلى الله عليه أصنافاً :

منهم « كافرٌ به » مُكذِّب ، لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل .

١٠ وآخر : « مؤمن به » مُصَدِّقٌ يعلم أن ما جاء به الحق .

و« شاك فى الأمر » لا يدرى كيف هو ، فهو يقدِّم رجلا ويؤخّر أخرى .

فخاطَبَ الله سبحانه « هذا الصِّنْف من الناس » فقال : فإن كنت أيها [١١٦] الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه /

١٥ فسل الأكابر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرءون الكتاب من قَبْلك ، مثل : عبد الله بن سلام ، وسَلْمانَ الفارسى ، وتميم الدّارِى وأشباههم[2] ، ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه ، ويُخبرونَكَ بنبوّته ، وما قدّمه الله

---

(١) قارن تعليق المؤلف على الأبيات بتعليق المرتضى عليها ١٦٦/٣ .

(٢) انظر أمالى المرتضى ١٦٦/٣ .

فى الكتب من ذكره فقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، وهو يريد غير النبي ، صلى الله عليه .

كما قال فى موضع آخر : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[١] .

وَحَّد وهو يريد الجمع ، كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ﴾[٢] . ٥

و ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾[٣] .

وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ ﴾[٤] .

ولم يُرِد فى جميع هذا إنساناً بعينه ، إنما هو لجماعة الناس .

ومثلُه قول « الشاعر » : ١٠

إذا كنتَ مُتَّخِذاً صَاحِباً فلا تصْحَبنَّ فتًى دَارِمِيًّا

لم يرد بالخطاب رجلا بعينه ؛ إنما أراد: من كان مُتَّخِذاً صاحباً فلا يجعله من دارم .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠ .

(٢) سورة الانفطار ٦ وتفسير الطبرى ٣٠/٥٥ .

(٣) سورة الانشقاق ٦ وتفسير الطبرى ٣٠/٧٣ .

(٤) سورة الزمر ٨ وتفسير الطبرى ٢٣/١٢٧ .

وهذا ، وإن كان جائزاً حسناً، فإنّ المذهب الأول أعجب إلىّ ؛ لأنّ الكلام اتصل حتى قال : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وهذا لايجوز أن يكون إلا لرسول الله، صلى الله عليه.

(١) سورة يونس ٩٩ وقال الطبرى فى تفسيره ١١/١١٦ : « يقول : فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته . ولو قال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبى، صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته ، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه ، تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذى يزيل اللبس عن قلبه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما ﴾ — كان قولا غير مدفوعة صحته » .

باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه

• من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع :

كقول الله عزوجل : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾[1] ، و ﴿ قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[2] ، و ﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[3] وأشباه ذلك[4] .

---

(١) سورة الذاريات ١٠ وفى الطبرى ٢٦/١١٩ « وقال ابن زيد فى قوله : ﴿ قتل الخراصون﴾ قال : القوم الذين كانوا يتخرصون الكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، قالت طائفة : إنما هو ساحر والذى جاء به السحر . وقالت طائفة : إنما هو شاعر والذى جاء به شعر. وقالت طائفة : إنما هو كاهن والذى جاء به كهانة . وقالت طائفة : أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ؛ يتخرصون على رسول الله » .

(٢) سورة عبس ١٧ وفى الطبرى ٣٠/٣٥ « وفى قوله : « أكفره » وجهان : أحدهما : التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده . والآخر ما الذى أكفره ؟ أى أى شىء أكفره ؟ » .

(٣) سورة التوبة ٣٠ وفى الطبرى ١٠ /٨٠ « عن ابن عباس : يقول : لعنهم الله . وكل شىء قتل فى القرآن فهو لعن ، وقال ابن جريج : قاتلهم الله ، يعنى النصارى . كلمة من كلام العرب . وأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون : معناه : قتلهم الله ... قالوا : ومعنى قوله: قاتلهم الله ، كقوله : قتل الخراصون ، وقتل أصحاب الأخدود — واحد ، وهو بمعنى التعجب . فإن كان الذى قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس ... » .

(٤) نقل هذا الكلام أحمد بن فارس فى كتاب الصاحبى ص ١٦٩ ثم قال : « لا يجوز لأحد أن يطلق فيما ذكره الله ، أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد ؛ لأنهم قتلوا وأهلكوا وقوتلوا ولعنوا ، وما كان الله ليدعو على أحد فتحيد الدعوة عنه . قال : « تبت يد أبى لهب » فدعا عليه ثم قال : « وتب » أى وقد تب وحاق به التباب . وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة ،ويروى أشياء شنعة ، كالذى رواه عن الشعبى : أن أبا بكر وعمر وعليا توفوا ولم يجمعوا القرآن. قال: وروى شريك عن إسماعيل بن أبى خالد قال : سمعت الشعبى يقول ويحلف بالله : لقد دخل « على » حفرته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جداً فيمن يقول : سلونى قبل أن تفقدونى ، سلونى فما من آية إلا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل؟ » وروى «السدى » عن عبد خير، عن « على » رضى الله تعالى

ومنه «قول رسول الله » صلى الله عليه ، للمرأة : « عَقْرَى حَلْقَى »(١) ،
أى عقرها الله ، وأصابها بوجع فى حلقها .

● وقد يراد بهذا أيضا التعجب من إصابة الرجل فى منطقه ، أو فى

١١٩] شعره ، أو رميه ، فيقال : قاتله الله ماأحسن ماقال / ، وأخزاه الله ما أشعره ،

٥ ولله درّه ماأحسن مااحتج به .

ومن هذا قول « امرئ القيس » فى وصف رامٍ أصاب :

فهو لا تَنْمِى رَمِيَّتُهُ ... مَالَهُ لاعُدَّ مِنْ نَفَرِهْ(٢)

عنه : أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأقسم ألا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن . قال : فجلس فى بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن،جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . وحدثنا على بن إبراهيم ، عن على بن عبدالعزيز، قال : قال أبو عبيد : حدثنى نصر بن باب ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن أبى عبد الرحمن السلمى، أنه قال : ما رأيت أحداً أقرأ من «على» صلوات الله عليه ، صلينا خلفه فأسرأ برزخاً ثم رجع فقرأه ، ثم عاد إلى مكانه . قال أبو عبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت هو فى البرزخ ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة . فأراد أبو عبدالرحمن بالبرزخ:مابين الموضع الذى أسقط على ، صلوات الله عليه ، منه ذلك الحرف ، إلى الموضع الذى كان انتهى إليه » ! .

(١) روى البخارى ، فى كتاب الحج ، باب الإدلاج من المحصب ٣/٤٧٤ : « عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا نذكر إلا الحج ، فلما قدمنا أمرنا أن نحل . فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية بنت حي ، فقال النبى ، صلى الله عليه وسلم : « عقرى ، حلقى ، ما أراها إلا حابستكم .... » وفى اللسان ١١/٣٤٥ « عقرى حلقى : معناه : عقر الله جسدها . وحلقها ، أى أصابها بوجع فى حلقها ، كما يقال : رأسه وعضده وصدره : إذا أصابه رأسه وعضده وصدره. قال الأزهرى: وأصله عقرا حلقا،وأصحاب الحديث يقولون: عقرى حلقى بوزن غضبى ، حيث هو جار على المؤنث ، والمعروف فى اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ تقديره : عقرها الله عقراً وحلقها الله حلقا » .

(٢) ديوانه ص ٦١ والتاج ١٠/٣٧٨ واللسان ٧/٤٨ وفى ٢٠/٢١٧ « وأنميت الصيد فنمى ينمى ، وذلك أن ترميه فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب ، ونمى هو، قال امرؤ القيس : فهو.الخ » وقد ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٧٨٦ ، ٨٣٦ وقال فى الموضع الأول : « يقول : لا تجوز الموضع الذى رماها فيه حتى تموت . وقوله : « لا عد من نفره » يدعو عليه بالموت ، يقول : إذا عد أهله لم يعد معهم . ولم يرد وقوع الفعل ، ولكنه كما يقال : قاتله الله » .

يقول: إذا عُدَّ نفرُه — أى قومه — لم يُعدّ معهم ، كأنه قال: قاتله الله، أماته الله .

وكذلك قولهم : هَوَتْ أمّه ، وهَبِلَتْهُ ، وثَكِلَتْه .

قال « كعب بن سعد الغَنَوِى » :

هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غادِيا   وماذا يُؤَدِّى اللَّيلُ حِينَ يَؤُوبُ[١]   ٥

● ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان :

نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٢] ، أى يجازيهم جزاء الاستهزاء .

وكذلك : ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾[٣] ، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾[٤] ، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٥] ، هى من المبتدئ سيئة ، ومن الله ، جل وعز ، جزاء .   ١٠

وقوله : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[٦] : فالعدوان الأول: ظلم ، والثانى: جزاء ، والجزاء لا يكون ظلما، وإن كان لفظه كلفظ الأول .

ومنه « قول النبى » صلى الله عليه :   ١٥

---

(١) الأمالى ٢/ ١٥٠ وجمهرة أشعار العرب ص١٣٣ والأصمعيات ص٩٧ والصاحبى ١٦٩ والبحر المحيط ٨/ ٥٠٧ ، والجمهرة ١/ ١٧٠ ، والمخصص ١٢/ ١٨٢ والتاج ١٠/ ٤١٦ واللسان ٢٠/ ١٥٠ « ومعنى هوت أمه أى هلكت أمه » .

(٢) سورة البقرة ١٤ ، ١٥ .

(٣) سورة التوبة ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران ٥٤ .

(٥) سورة الشورى ٤٠ .

(٦) سورة البقرة ١٩٤ .

« اللهم إنَّ فُلاناً هَجَانى ، وهو يعلم أنى لست بشاعر ، اللهم والْعَنْهُ عَدَدَ ماهجانى ، أو مكان ماهجانى » (١) ؛ أى جازه جزاء الهجاء .

---

(١) روى هذا الحديث عن « حذيفة بن اليمان » و « البراء بن عازب » :

أما الرواية عن « حذيفة » فقد رواها أبو زرعة الرازى ، عن سعيد بن محمد الجرمى ، عن أبى تميلة ، عن أبى حمزة السكرى ، عن « جابر الجعفى » عن « عدى بن ثابت » عن زر ابن حبيش ، عن « حذيفة » عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن فلان بن فلان قد هجانى ، وقد علم أنى لست بشاعر ، اللهم فالعنه بعدد ما هجانى » .

وأما الرواية عن « البراء » فقد رواها الطحاوى فى مشكل الآثار ٤ / ٣٠٠ « حدثنا أبو أمية ، حدثنا أحمد بن المفضل الحفرى » ، حدثنا « عيسى بن عبد الرحمن » عن « عدى بن ثابت » عن « البراء بن عازب » قال : قال رسول الله « ثم ذكره بمثل الرواية السابقة » غير أنه جاء فى آخرها : عدد ما هجانى ، أو ما كان هجانى » .

وروى حديث « البراء » برواية أخرى فيها التصريح باسم عمرو بن العاص ، رواها الرويانى فى مسنده « عن محمد بن المثنى ، عن أبى عتاب الدلال ، عن « عيسى بن الرحمن بن فروة الزرقى » عن عدى بن ثابت » عن « البراء » مرفوعا : « اللهم إن عمرو بن العاص هجانى ، وهو يعلم أنى لست بشاعر ، فاهجه والعنه » .

ولقد سأل عبد الرحمن بن أبى حاتم أباه : أبا حاتم الرازى ، عن هذا الحديث ، فقال : هذا حديث خطأ ، إنما يروونه عن « عدى » عن « النبى » مرسلا ، بلا « براء » .

ولست أرى المشكلة فى إرسال هذا الحديث أو اتصاله ، إنما هى فى صحته أو عدمها ، ولست أراه صحيحاً . فنحن إذا نظرنا فى « سنده » ألفينا مداره على « عدى بن ثابت » فى « الروايات الثلاث » وهو ثقة عند أحمد والنسائى والعجلى والدارقطنى وابن حبان . وقال أبو حاتم : صدوق ، وكان إمام مسجد الشيعة وقاصهم . وقال ابن معين : شيعى مفرط . وقال الدارقطنى : كان غالياً فى التشيع . وقال الطبرى : هو ممن يجب التثبت فى نقله .

والراوى لحديث « حذيفة » عن « عدى » هو : « جابر الجعفى » وهو رافضى ، سبئى ، يقول برجعة «على» إلى الدنيا ! ويشتم الصحابة ! وهو فوق ذلك كله كذاب ، قال عنه « أبو حنيفة » : ما رأيت أكذب من جابر الجعفى ، ما أتيته بشىء إلا جاءنى فيه بحديث ، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث ، لم يظهرها .

والراوى لحديث « البراء » فى روايته عن « عدى » هو : « عيسى بن الرحمن بن فروة الزرقى ، المدنى » وقد قال عنه « البخارى » : « إنه منكر الحديث » وكذلك قال النسائى وأبو حاتم . وقال عنه « ابن حبان » : « يروى المناكير عن المشاهير ، فاستحق الترك »

ومن أجل ذلك كله وجب القول بعدم صحة هذا الحديث .

راجع مشكل الآثار للطحاوى ٤ / ٣٠٠ ، ٣٢٤ ، وعلل الحديث لابن أبى حاتم ٢ / ٢٦٢ — ٢٦٣ ، ٣٤٤ والجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٢ ، ٣٩١ ، والتاريخ الكبير ٤ / ١ / ٤٤ ، ٣ / ٢ / ٣٩١ ، والضعفاء للعقيلى ل ٣٥٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ٤ / ٢٧٧ ، وتهذيب الكمال =

وكذلك قوله : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[(١)] .

* * *

● ومنه أن يأتى الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير :

كقوله سبحانه : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[(٢)] ، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾[(٣)] ، و ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾[(٤)] ، ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾[(٥)] . ٥

● ومنه أن يأتى على مذهب الاستفهام وهو تعجب :

كقوله : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾[(٦)] ، كأنه قال : عمّ يتساءلون يا محمد ؟ ثم قال : عن النبإ العظيم يتساءلون .

وقوله : ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ على التعجب ، ثم قال : ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾[(٧)] أُجِّلت . ١٠

* * *

● وأن يأتى على مذهب الاستفهام وهو توبيخ :

= للمزى لوحة ٤٤٦ ، وميزان الاعتدال ٣/٦١/٣١٧ ، وتهذيب التهذيب ٧/١٦٥ ، ٨/٢١٨ ، والمجروحين من المحدثين لوحة ٣٢٣ ، والكامل لابن عدى ج ٤٢ لوحة ١٥٢ .

وانظر الحديث فى اللسان ٢٠/٢٢٨ والنهاية لابن الأثير ٤/٢٤١ .

(١) سورة التوبة ٦٧ .

(٢) سورة المائدة ١١٦ .

(٣) سورة طه ١٧ .

(٤) سورة القصص ٦٥ .

(٥) سورة الأنبياء ٤٢ .

(٦) سورة النبأ ١

(٧) سورة المرسلات ١٢ ، ١٣ .

كقوله : ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العَالَمِينَ ﴾[١] .

* * *

• ومنه أن يأتى الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد :

كقوله : ﴿ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ ﴾[٢] .

٥ * * *

١٢٠] • وأن يأتى على لفظ الأمر وهو تأديب : /

كقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[٣] ، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِى المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾[٤] .

* * *

١٠ • وعلى لفظ الأمر وهو إباحة :

كقوله : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾[٥] ، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فى الْأَرْضِ[٦] ﴾ .

* * *

• وعلى لفظ الأمر وهو فرض :

(١) سورة الشعراء ١٦٥ .
(٢) سورة فصلت ٤٠ .
(٣) سورة الطلاق ٢ .
(٤) سورة النساء ٣٤ .
(٥) سورة النور ٣٣ .
(٦) سورة الجمعة ١٠ .

كقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾[1] ، و ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ، و ﴿ آتُوا الزَّكَاةَ ﴾[2].

* * *

● ومنه عامٌ يُرادُ به خاص :

كقوله سبحانه حكاية عن النبي، صلى الله عليه: ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3] ٥
وحكاية عن موسى : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] ، ولم يرد كل المسلمين والمؤمنين ؛ لأن الأنبياء قبلهما كانوا مؤمنين ومسلمين ؛ وإنما أراد مؤمنى زمانه ومسلميه .

وكقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[5] . ولم يصطفهم على ، محمد صلى الله عليه ، ولا أُمَمَهُمْ ١٠ على أُمَّته ، ألا تراه يقول : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[6] ، وإنما أراد عالمى أَزْمِنَتِهِم .

وكقوله سبحانه : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ : آمَنَّا، قُلْ : لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾[7] ؛ وإنما قاله فريق من الأعراب .

وقوله : ﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾[8] ، ولم يرد كل الشعراء . ١٥

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ .
(٢) سورة البقرة ٤٣ . وغيرها .
(٣) سورة آل عمران ١٦٣ .
(٤) سورة الأعراف ١٤٣ .
(٥) سورة آل عمران ٣٣ .
(٦) سورة آل عمران ١١٠ .
(٧) سورة الحجرات ١٤ .
(٨) سورة الشعراء ٢١٤ .

ومنه قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[١]، وإنما قاله «نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ[٢]» لأصحاب محمد، صلى الله عليه ﴿إنَّ الناسَ قد جَمَعُوا لَكُمْ﴾، يعنى: أبا سفيان؛ وعُيَيْنَة بن حِصْن، ومالك بن عوف.

٥ وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، يريد المؤمنين منهم. يدلك على ذلك قوله فى موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ﴾[٥]، أى خلقنا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[٦]، يريد النبى، صلى الله عليه، وحدَه.

١٠ * * *

● ومنه جمع يُرَادُ به واحدٌ واثنان:

كقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٧]: واحد واثنان فما فوق.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٣ وانظر تفسير الطبرى ٤/١١٨ ـ ١٢١، وأسباب نزول القرآن للواحدى ١٢٦.

(٢) وقد أسلم ليالى الخندق، وهو الذى أوقع الخلف بين الحيين: قريظة وغطفان، فى وقعة الخندق، فرحلوا عن المدينة، وترجمته فى الإصابة ٦/٢٤٩، وتهذيب التهذيب ١٠/٤٦٦..

(٣) نقله ابن فارس فى الصاحبى ٣٤٥ من طبعتى.

(٤) سورة الذاريات ٥٦.

(٥) سورة الأعراف ١٧٩.

(٦) سورة المؤمنون ٥١.

(٧) سورة النور ٢.

وقال « قتادة » فى قوله تعالى : ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾(١) ـ : كان رجل من القوم لايمالئهم على أقاويلهم فى النبى ، صلى الله عليه ، ويسير مُجَانِباً لهم ، فسماه الله طائفة وهو واحد /(٢) . [١٢١

وكان « قتادة » يقول فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾(٣) : هو رجل واحد(٤) ناداه : يامحمد ، إنّ مَدْحِى زَيْنٌ ، وإنّ شتمى شَيْنٌ . فخرج إليه النبى ، صلى الله عليه ، فقال : « ويلك، ذاك الله جل وعز » ونزلت الآية(٥) . ٥

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾(٦) ، أى أخَوان فصاعداً .

وقوله سبحانه : ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾(٧) ، جاء فى التفسير: أنهما لوحان . ١٠

وقوله : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(٨) ، وهما قلبان(٩) .

---

(١) سورة التوبة ٦٦ .

(٢) فى تفسير القرطبى ٨/١٩٩ : « واختلف فى اسم هذا الرجل الذى عفى عنه على أقوال : فقيل مخشى بن حمير ، وقيل : مخاش بن حمير ... وذكر جميعهم أنه استشهد باليمامة » .

(٣) سورة الحجرات ٤ .

(٤) قيل هو الأقرع بن حابس . وقيل غيره ، راجع تفصيل ذلك فى أسباب نزول القرآن ٤٠٨ — ٤٠٩ وتفسير الطبرى ٢٦ — ٢٧ .

(٥) نقله ابن فارس من غير نسبه فى الصاحبى ٨١/٣٤٩ من طبعتى .

(٦) سورة النساء ١١ .

(٧) سورة الأعراف ١٥٠ .

(٨) سورة التحريم ٤ .

(٩) روى الواحدى فى أسباب نزول القرآن ٤٦٩ بسنده إلى « ابن عباس » قال : « وجدت حفصة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مع أم إبراهيم ، فى يوم عائشة ، فقالت : لأخبرنها ، فقال رسول الله : هى على حرام إن قربتها . فأخبرت عائشة بذلك ، فأعلم الله رسوله ذلك فعرف حفصة بعض ما قالت فقالت له : من أخبرك ؟ قال : ﴿ نبأنى العليم الخبير ﴾ فآلى رسول الله على نفسه من نسائه شهراً ، فأنزل الله : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾(١) ، يعنى عائشة وصَفْوَان ابن المُعَطَّل .

وقال : ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ، وهو واحد ، يدلك على ذلك قوله: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾(٢) .

٥

* * *

● ومنه واحد يراد به جميع :

كقوله : ﴿هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾(٣) ، وقوله : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤) . وقوله : ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾(٥) .

وقوله : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾(٦) والتفريق لا يكون إلا بين

١٠ اثنين فصاعداً.

وقوله : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(٧) .

والعرب تقول : فلان كثير الدرهم والدينار ، يريدون الدراهم والدنانير .

وقال « الشاعر » :

هُمُ المَوْلَى وإن جَنَفُوا علينا ... وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ(٨)

---

(١) سورة النور ٢٦ . وقد نقل ذلك ابن فارس أيضاً .

(٢) سورة النمل ٣٥ ، ٣٧ . وقد نقل ذلك ابن فارس فى الصاحبى ١٨١ ، ٣٥٠ من طبعتى .

(٣) سورة الحجر ٦٨ .

(٤) سورة الشعراء ١٦ .

(٥) سورة الحج ٥. ومجاز القرآن ١/٦٦، ٢/٤٤

(٦) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٧) سورة الحاقة ٤٧ .

(٨) البيت لعامر الخصفى فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١/٦٦، ٦٧، وفى اللسان ١٠/٣٧٧ « وقول عامر الخصفى : هم المولى ــ البيت ــ قال أبو عبيدة : =

وقال الله عز وجل : ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾[١]، أى الأعداء ، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٢] ، أى رفقاء .

وقال « الشاعر » :

فقلنـــا : أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ   وقد بَرِئَتْ من الإِحَنِ الصُّدُورُ[٣]

* * *

● ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد[٤] :

نحو قوله : ﴿ وإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فاطَّهَّرُوا ﴾[٥] . وقوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٦] .

وتقول : قومٌ عَدْلٌ . قال « زهير » :

متى يَشْتَجِرْ قَومٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهم: هُمُ بَيْنَنَا فَهُم رِضًا وهُمُ عَدْلُ[٧]   ١٠

وقال « الشاعر » :

* إنَّ العواذِلَ لَيْسَ لى بأمير[٨] *

= المولى هنا : فى موضع الموالى ، أى بنى العم ، كقوله تعالى : ﴿ ثم يخرجكم طفلا ﴾ والجنف : الميل والجور » .

(١) سورة المنافقون ٤ .

(٢) سورة النساء ٦٩ .

(٣) البيت فى اللسان ١٨/٢١ للعباس بن مرداس ، ومجاز القرآن ١/٧٩ ، ١٣١ ، ٢/٤٤ ، ١٩٥ ومجمع البيان ١/٣٦٥ .

(٤) نقله ابن فارس فى الصاحبى ٣٥١ من غير نسبة !

(٥) سورة المائدة ٦ .

(٦) سورة التحريم ٤ .

(٧) ديوانه ص ١٠٧ « يشتجر : من المشاجرة ، وهى الخصومة ، وسرواتهم : أشرافهم ، وهم بيننا: أى الحاكمون بيننا . ومعنى البيت : أنه إذا اختلف قوم فى أمر رضوا بحكم هؤلاء ؛ لما عرف من عدلهم وصحة حكمهم » والبيت فى الصاحبى ١٨١ والأضداد للسجستانى ص ٧٥ .

(٨) البيت غير منسوب فى اللسان ٦/١٩٨ والطبرى ١٩/٣٤ وصدره :

وقال « آخر » :

* المـالُ هَـدْىٌ والنِّساءِ طَوَالِقُ *

* * *

● ومنه (١) أن يوصف الواحد بالجمع :

١٢٢] نحو قولهم : بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ (٢) / وثوبٌ أَهْدَامٌ (٣) وأَسْمَالٌ (٤) ، ونَعْلٌ أَسْماطٌ (٥) ، أى غير مُطَبَّقة .

قال « الشاعر » :

* جاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِى أَخْلاقْ (٦) *

* * *

١٠ ● ومنه أن تجتمع شيئان ولأحدهما فِعْلٌ فيجعل الفعل لهما :

---

* يا عاذلاتى لا تزدن ملامتى *

وفيهما : « إن العواذل لسن لى » وفى الطبرى « لا تردن ملامتى » وصدره فى مجاز القرآن ٢ / ٢٤٥ من غير نسبة .

(١) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ص ١٨١ ، ٣٥١ من طبعتى ولم ينسبه إلى صاحبه !

(٢) فى اللسان ٦/٢٤٩ « أعشار : مكسرة على عشر قطع » .

(٣) فى اللسان ١٦/٨٦ « الأهدام : الأخلاق من الثياب ، والهـدم — بالكسر — الثوب الخلق » .

(٤) فى اللسان ١٣/٣٦٧ « قال ابو عبيدة : الأسمال : الأخـلاق ، الواحد منه سمل ، وثوب أخلاق : إذا أخلق ، وثوب أسمال ، كما يقال : رمح أقصاد ، وبرمة أعشار »

(٥) فى اللسان ٩/١٩٦ « ونعل سميط وأسماط : لارقعة فيها ، وقيل : ليست بمخصوفة ، والسميط من النعل : الطاق الواحد ولا رقعة فيها » .

(٦) غير منسوب فى اللسان ١١/٣١٥ وبعـده : « * شراذم يضحك منى التواق * قيل التواق : اسم ابنه ، ويروى : « النواق » بالنون ؛ وفيه ١١/٣٧٦ ، ١٥/٢١٥ والاقتضاب ص ١٢ وتفسير الطـبرى ١٤/١٤ ، ١٩/٤٧ ، والجمهرة ٢/٢٤٠ ، ومعانى القرآن للفراء ١/٤٢٧ .

كقوله سبحانه : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[١] .

رُوِى فى التفسير : أنَّ النَّاسِي كان «يُوشَعَ بن نُون» ويدلّك قوله لموسى، صلى الله عليه : ﴿إِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ﴾[٢] .

وقوله : ﴿يامَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ؟﴾[٣] والرسل من الإنس دون الجن .

٥

وقوله : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾[٤] ثم قال : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٥] . واللؤلؤ والمرجان إنمـا يخرجان من المـاء الملح لا من العذب[٦] .

وكذلك قوله : ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٧] .

١٠

وقد غلط فى هذا المعنى «أبو ذُؤَيْب الْهذَلىّ» ولا أدرى أمن جهة هذه الآيات غَلِط أم من غيرها ؟ قال يذكر الدرّة :

فجاءَ بهـا مَاشِئْتَ مِنْ لَطَمِيَّةٍ يَدُومُ الفُرَاتُ فوقَهَا ويَمُوجُ[٨]

---

(١) الصاحبى ١٨٥ .

(٢) سورة الكهف ٦١ .

(٣) سورة الأنعام ١٣٠ .

(٤) سورة الكهف ٦٣ .

(٥) سورة الرحمن ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ .

(٦) نقله ابن فارس فى الصاحبى ٣٦١ من طبعتى .

(٧) سورة فاطر ١٢ .

(٨) ديوانه ص ٥٧ واللسان ١٠٤/١٥ وفيه : « تدوم البحار » ، ١٧/١٦ والوساطة ص ١٣ ومقاييس اللغة ٢٥٦/٢ « يقول : كأن فيها ماء يموج فيها لصفائها وحسنها » والصناعتين ص ٧١ .

والفُرات لا يدوم فوقها وإنما يدوم الأُجاجُ .

* * *

• ومنه(١) أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما، أو تنسبه إلى أحدهما وهو لهما :

• كقوله : ﴿وإذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾(٢) .

وقوله : ﴿واللهُ وَرَسُولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِين ﴾(٤) .

وقال : ﴿عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾(٥) أراد : عن اليمين قعيد. وعن الشمال قَعيد .

وقال « الشاعر » :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـوَدَ مالم يُعَاصَ كان جُنُونا(٦)

---

(١) نقله أحمد بن فارس في الصاحبي ١٨٥ ، ٣٦٢ من معتي .

(٢) سورة الجمعة ١١ .

(٣) سورة التوبة ٦٢ .

(٤) سورة البقرة ٤٥ .

(٥) سورة ق ١٧ .

(٦) البيت لحسان بن ثابت ، كما في ديوانه ص ٤١٣ واللسان ٣/٥٠٧ وأمالي ابن الشجري ٢٧٧/١ والكامل ٢/٧٩ ولحسان، أو لابنه عبد الرحمن، في الحيوان ٣/١٠٨ وفيه ٦/٢٤٤ غير منسوب ، وكذلك في الصناعتين له ص ١٥٢ وغير منسوب في ص ١٤٥ وكذلك في مجاز القرآن ١/٢٥٨، ٢/١٦١، ٢/٢٢ من غير نسبة. والبيت غير منسوب في الصاحبي ص١٨٦ ومجمع البيان ١/١٠٠ ومقاييس اللغة ٣/٢٦٩ والبحر المحيط ١/١٨٥ والمخصص ١/٣٨ ومعاني القرآن ١/٤٦٨ وقال ابن الشجري : « قال : مالم يعاص ، فأفرد الضمير وإن كان للاثنين ، وذلك لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر ، فجريا مجرى الواحد ، ألا ترى أن شرخ الشباب هو اسوداد الشعر ؟ ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد ، كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا » .

وقال « آخر » :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ[١]

● ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب[٢] :

كقوله عز وجل : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾[٣] .

وقوله : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[٤] .

وقوله : ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٥] .
ثم قال : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٥] .

قال « الشاعر » :

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأبدِ[٦]

* * *

(١) البيت من قصيدة لعمرو بن امرىء القيس الأنصارى يخاطب بها مالك بن العجلان ، كما فى جمهرة أشعار العرب ١٢٧ ، واللسان ٦/٣٥١ وقبله :

يامال ، والسيد المعمم قد يبطره بعض رأيه السرف

ونسبه سيبويه ١/٣٧ – ٣٨ لقيس بن الخطيم ، وهو غير منسوب فى أمالى ابن الشجرى ١/٢٦٥ ، ٢٧٨ والبحر المحيط ٢/٣٢٣ ، ٣/١٢٨ ومجمع البيان ١/٨٩ ، ١٠٠ والصاحبى ص ١٨٦ . ومعانى القرآن للفراء ١/٤٣٤ ، ٤٤٥ .

(٢) نقله ابن فارس فى الصاحبى ٣٥٦ من طبعتى .

(٣) سورة يونس ٢٢ .

(٤) سورة الروم ٣٩ .

(٥) سورة الحجرات ٧ .

(٦) البيت للنابغة . كما فى ديوانه ص ٢٣ والصاحبى ص ١٨٣ وشرح القصائد العشر ص ٢٩٠ « وأقوت : خلت من أهلها . والسالف : الماضى . والأبد : الدهر » .

● وكذلك أيضاً تجعل خطاب الغائب للشاهد[1] :

كقول « الهذلى » :

يَاوَيْحَ نَفْسِى كان جِـــدَّةُ خَالِدٍ ... وبياضُ وجْهِكَ للتُّرَابِ الأَعْفَرِ[2]

* * *

٥ ● ومنه[3] أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره :

كقوله : ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ ، الخطاب للنبي ، صلى الله عليه . ثم قال للكفار : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ﴾ .

يدلك على ذلك قوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟﴾[4] .

وقال : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى ؟﴾[5] .

١٠ وقال : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[6] .

وقال : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ، ثم قال : ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[7] .

---

(١) نقله ابن فارس فى الصاحبى ٣٥٧ .

(٢) البيت لأبى كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ص ١٠١ من القسم الثانى ، وفيه : « يالهف نفسى ... يقول : دفن فى أرض ترابها أعفر إلى الحمرة ماهو » وأمالى ابن الشجرى ١٠٢/١ والبحر المحيط ٢٤/١ ومجمع البيان ٢٧/١ والصاحبى ص ١٨٣ وأمالى المرتضى ١٣٩/٤ وفى تفسير الطبرى ٥٢/١ : « فرجع إلى الخطاب بقوله : « وبياض وجهك » بعد ماقد مضى الخبر عن خالد ، على معنى الخبر عن الغائب .

(٣) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ص ١٨٤ ، ٣٥٨ من طبعتى .

(٤) سورة هود ١٤ .

(٥) سورة طه ٤٩ .

(٦) سورة طه ١١٧ .

(٧) سورة الفتح ٨ ، ٩ .

وقال : ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾[١]، يريد أباكم آدم ، صلى الله عليه .

* * *

● ومنه[٢] أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوقُ أمْرَكَ الاثنين :

فتقول : افعلا .

قال الله تعالى : ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٣] ، الخطاب لخزنة جهنم ، أو زَبانِيَتِهَا .

قال « الفراء » : والعرب تقول : ويلَكَ ارْحَلَاها وازْجُرَاها ، وأنشد « لبعضهم » :

فقلتُ لصاحِبِي لا تحبسَانَا ... بنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزّ شِيحَا[٤]

قال « الشاعر » :

فإنْ تَزْجُرَانِي يابْنَ عَفّانَ أنْزَجِرْ ... وإنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا[٥]

---

(١) سورة النجم ٣٢ .

(٢) نقله ابن فارس فى الصاحبى ١٨٦ (السلفية) ٣٦٣ (طبعتى) .

(٣) سورة ق ٢٤ وتفسير الطبرى ٢٦/١٠٣ .

(٤) البيت لمضرس بن ربعى الأسدى ، كما فى اللسان ٧/١٨٤ ، وشرح شواهد الشافية ص ٤٨١ وشرح شــواهد المغنى للسيوطى ص ٢٠٤ ونسبه الجوهرى ٢/٨٦٥ ليزيد ابن الطثرية ، وروى : « وقلت لحاطبى » و « لا تحبسنا » بنون التوكيد الشديدة ، و « لنزع » و « اجدز » والبيت غير منسوب فى اللسان ٥/١٩٤ والصاحبى ص ٨٠ ، ١٨٦ والطبرى ٢٦/١٠٣ .

وقوله : « فقلت : لصاحبى » أراد بالصاحب من يحتطب له بدليل رواية : « وقلت لحاطبى » وقوله : « لاتحبسانا » خاطب الواحد بلفظ الاثنين ، والباء فى قوله : « بنزع » للسببية والضمير فى قوله : « أصوله » راجع إلى الحطب . والجز : القطع وأصله فى الصوف . يقول لصاحبه : لا تحبسنا عن شى اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه ، بل اكتف بقطــع الشيح فهو أسهل وأسرع .

(٥) البيت لسويد بن كراع العكلى ، كما فى اللسان ٧/١٨٤ وشرح شواهد الشافية ص ٤٨٤ وهو غير منسوب فى الصاحبى ص ١٨٦ وتفسير الطبرى ٢٦/١٠٣ وقال ابن برى كما =

قال «الفراء» : ونرى أصل ذلك أنّ الرُّفقة أدْنى ماتكون: ثلاثة نَفَرٍ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ؛ ألا ترى أنّ الشعراء أكثرُ شيءٍ قِيلًا : يا صاحِبَيّ ؛ ويا خليليّ[1] .

وقال « غير الفراء » : قال النبي، صلى الله عليه وسلم : « الواحد شيطان ٥ والاثنان شيطانان ، والثلاثة رَكْبٌ[2] » .

[١٢٤] وتوعّد « معاوية » / « رَوْحَ بن زِنباع » فاعتذر « رَوْحٌ »[3]

= فى اللسان وشرح شواهد الشافية : « كان سويد قد هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفى ليلى : ألا ترى ... إلى ابن كراع لا يزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين ، سهدت ... رقادى وغشتنى بياضاً مقزعا
فإن أنتما أحكمتمانى فازجرا ... أراهط تؤذينى من الناس رضعا

وإن تزجرانى — البيت — قال : وهذا يدل على أنه خاطب اثنين : سعيد بن عثمان ، ومن ينوب عنه أو يحضر معه . وقوله: « وإن تدعانى أحم عرضاً ممنعاً» أى إن تركتمانى حميت عرضى ممن يؤذينى ، وإن زجرتمانى انزجرت وصبرت .

(١) قول الفراء هذا نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ص ٣٦٣ ، ١٨٦ ، (السلفية) ، وذكره الطبرى فى تفسيره ٢٦/١٠٣ — ١٠٤ ولم يصرح باسمه ، بل قال : « بعض أهل العربية » .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ ٢/٩٧٨ باب ما جاء فى الوحدة فى السفر للرجال والنساء ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب » .
وأحمد فى المسند ١١/٣٥ — ٣٦ ، ٢٠٧ (المعارف) .
وأبو داود فى كتاب الجهاد ، باب فى الرجل يسافر وحده ٣/٥٠ .
والترمذى فى أبواب الجهاد ، باب ما جاء فى كراهية أن يسافر الرجل وحده ٢/٣١٤ .
والحاكم فى المستدرك ٢/١٠٢ وقال : صحيح على شرط مسلم .
ثم روى بعقبه: « عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبى : الرجل شيطان والرجلان ... » .

(٣) ولى معاوية روح بن زنباع ، فعتب عليه فى جناية فكتب إليه بالقدوم ، فلما قدم أمر بضربه بالسياط ، فلما أقيم ليضرب ، قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين ، أن تهدم منى ركناً أنت بنيته، أو أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها ، أو تشمت بى عدواً أنت وقمته، وأسألك بالله إلا

فقال « معاوية » خَلّيا عنه :

* إذا الله سَنّى عَقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرَا[1] *

وقوله : سَنّى : أى فتح .

قالوا : وأدنى مايكون الآمر والنّاهى بين الأعوان اثنان ، فجرى كلامُهم على ذلك ، ووكَّل اللهُ ، عز وجل ، بكل عبدٍ مَلَكَين ، وأمر فى الشهادة بشاهدين . ٥

* * *

● ومنه أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع :

كقوله سبحانه : ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[2] ، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك ؛ لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا : نحن فعلنا . يقوله الواحد منهم يعنى نفسه ، فخُوطِبُوا بمثل ألفاظهم . يقول الله عز وجل : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[3] ، و ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[4] . ١٠

ومن هـــذا قوله عز وجل : ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ

أتى حلمك وعفوك دون إفساد صنائعك ، فقال معاوية : خليا عنه ، ثم أنشد : إذا الله الخ راجع الأمالى ٢/٢٥٥ وعيــون الأخبار ١/١٠٢ وزهر الآداب ٢/٢٧٧ وأمالى الزجاج ص ٧ .

(١) المعانى الكبير غير منسوب ١/٤٧٤ وقد اختلف فى صدره فقيل : هو : « * وأعلم علماً ليس بالظن أنه * » وقيل : هو : « * فلا تيأسا واستغورا الله إنه * » أى اطلبا من الله الغيرة ، وهى الميرة ، وأنشده ثعلب : « فلا تعجلا واستغورا » قال ابن سيده : « وعندى أن معناه : اسألوه الخصب ؛ إذ هو مير الله خلقه » والبيت فى الأمالى ١/٢٣٥ وأساس البلاغة ١/٤٦٤ ، ٢/١٧٧ ، وتهذيب الألفاظ ٧٧ .

(٢) سورة المؤمنون ٩٩ والصاحبى ١٨٢ (السلفية) ، ٣٥٣ طبعتى .

(٣) سورة يوسف ٣ .

(٤) سورة القمر ٤٩ .

أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا ﴾[٣] .

* * *

● ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان :

نحو قوله : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٤] ، وليس هذا من قولها[٥] ، وانقطع الكلام عند قوله : ﴿أَذِلَّةً ﴾ ، ثم قال الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ .

وقوله : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[٦] ، هذا قول المرأة ، ثم قال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾[٧] ، أى ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز بالغيب .

وقوله : ﴿يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ، انقطع الكلام ؛ ثم قالت الملائكة : ﴿هَذَا مَاوَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[٨] .

وقوله حكايةً عن ملأ فرعون: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ،

---

(١) سورة يونس ٨٣ .
(٢) سورة هود ١٤ .
(٣) سورة الدخان ٣٦ .
(٤) سورة النمل ٣٤ .
(٥) أى بلقيس ملكة سبأ ، راجع تفسير الطبرى ١٩/٩٦ .
(٦) سورة يوسف ٥١ .
(٧) سورة يوسف ٥٢ .
(٨) سورة يس ٥٢ .

هذا قول الملأ ؛ ثم قال فرعون : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟﴾[1] .

* * *

● ومنه أن يأتي الفعل على بِنْيَةِ الماضي وهو دائم ، أو مستقبل[2] :

كقوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3] ، أي أنتم خير أمّة .

وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟﴾[4] ، أي وإذ يقول الله يوم القيامة . يدلك على ذلك قوله سبحانه : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ /[5] . [١٢٥

وقوله : ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[6] ، يريد يوم القيامة . أي سيأتي قريباً فلا تستعجلوه .

وقوله : ﴿قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ؟﴾[7] ، أي من هو صبيٌّ في المهد .

وكذلك قوله : ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[8] ، وكذلك قوله : ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[8] .

---

(١) سورة الأعراف ١١٠ .
(٢) الصاحبي ١٨٦ (السلفية) ، ٣٦٤ طبعتي .
(٣) سورة البقرة ١١٠ .
(٤) سورة المائدة ١١٦ .
(٥) سورة المائدة ١١٩ .
(٦) سورة النحل ١ .
(٧) سورة مريم ٢٩ .
(٨) سورة النساء ١٣٤ .
(٩) سورة الأحزاب ٢٧ .

إنما هو : الله سميع بصير ، والله على كل شيء قدير .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[١] ، أى فنسوقه .

فى أشباهٍ لهذا كثيرة فى القرآن .

٥

* * *

● ومنه أن يجىء المفعول به على لفظ الفاعل[٢] :

كقوله سبحانه : ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلّا مَنْ رَحِمَ﴾[٣] ، أى لامعصوم من أمره .

وقوله : ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٤] ، أى مَدْفُوق .

١٠ وقوله : ﴿فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٥] ، أى مَرْضِىّ بها .

وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[٦] ، أى مأموناً فيه .

وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[٧] ، أى مُبْصَراً بها .

والعرب تقول : ليل نائم ، وسرٌّ كاتم ، قال « وَعْلَةُ الْجَرْمِىّ » :

ولما رأيتُ الخَيْلَ تَتْرَى أثايجاً   علمتُ بأنّ اليومَ أَحْمَسُ فاجِرُ[٨]

---

(١) سورة فاطر ٩ وتفسير الطبرى ٢٢/٧٩ .

(٢) الصاحبى ص ١٨٧ (السلفية) ، ٣٦٦ طبعتى .

(٣) سورة هود ٤٣ .

(٤) سورة الطارق ٦ .

(٥) سورة الحاقة ٢١ والقارعة ٧ . وانظر مجاز القرآن ٢/٢٦٨

(٦) سورة العنكبوت ٦٧ .

(٧) سورة الإسراء ١٢ .

(٨) مطلع قصيدة له فى الأصمعيات ١٩٨ ، ونسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٩٤٦ ، وقال فى شرحه : « أثايج : جماعات . أحمس : شديد . فاجر : يركب فيه =

أى يوم صعب مَفْجُورٌ فيه.

* * *

● وأن يأتى فَعيلٌ بمعنى مُفْعِل :

نحو قوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] ، أى مبدعها .

وكذلك : ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] ، أى مؤلم .

٥ وقال « عمرو بن مَعْدِيكَرِب » :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنى وَأَصْحَابِى هُجُوعُ؟[3]

يريد الداعى المُسْمِع .

* * *

● وفَعِيلٌ ، يراد به فاعِل :

١٠ نحو : حفيظ ، وقدير ، وسميع ، وبصير ، وعليم ، ومَجيد ، وبَدِيء الخلق ، أى بادِئُه ، من قولك : بَدَأَ الله الخلق .

وبصير فى هـذا المعنى من بَصُرَ ، وإن لم يُستعمل منـه فاعل إلا

الفجور ، ولا يبق فيه محرم ، أراد مفجور فيه » وهو لوعلة أيضاً فى العقد الفريد ٥/٢٣٥ والأغانى ١٥/٧٧ والنقائض ١/١٥٥ والخزانة ١/١٩٩ . وهو للحارث بن وعلة الجرمى فى المفضليات ص ١٦٦ وفى الأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٨ ، ٢/٣١٢ « أحمس جاذر » قالوا : أراد بالجاذر : المجذور ، وروى « فاجر » أى شديد ذو فجور .

(١) سورة البقرة ١١٧ والأنعام ١٠١ .

(٢) سورة البقرة ١٠ وغيرها كثير .

(٣) فى الأغانى ١٤/٣٣ من أبيات « يقولها فى أخته ريحانة بنت معديكرب ، لما سباها الصمة بن بكر ... » والبيت له فى اللسان ١٠/٢٨ والأضداد للسجستانى ص ١٣٣ وتفسير الطبرى ١/٩٥ والبحر المحيط ١/٣٦٤ والشعر والشعراء ١/٣٣٢ وصدره فى الصاحبى ٢٠١ ومجاز القرآن ١/٢٨٢ .

في موضع واحدٍ ، وهو قولهم : أَرَيْتُهُ لَمْحًا بَاصِراً . أي نظراً شديداً باستقصاء وتَحْدِيق .

* * *

● ومنه أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به[1] ، وهو قليل :

ه كقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾[2] ، أي آتيا .

(١) الصاحبي ص ١٨٨ (السلفية) ، ٣٦٧ طبعتي .
(٢) سورة مريم ٦١ .

باب تأويل الحروف التي ادّعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم

● من ذلك « الحروف المُقَطَّعة » / [1] [١٢٦]

قد اختلف المفسرون فى الحروف المُقَطَّعة :

* فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور، تُعْرَف كل سورة بما افتتحت به منها .

* وكان بعضهم يجعلها أقساما .

* وكان « بعضهم » يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى، يجتمع بها ٥ فى المُفْتَتَح الواحد صفاتٌ كثيرة ، كقول « ابن عباس » : فى ﴿ كهيعص ﴾ : إنَّ « الكاف » من كافٍ ، و « الهاء » من هادٍ ، و « الياء » من حكيم ، و « العين » من عليم ، و « الصاد » من صادق [2] .

* وقال « الكلْبيّ » هو : كتابٌ كافٍ ، هادٍ ، حكيمٌ ، عالمٌ ، صادقٌ .

* * *

* ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ، ونرجو ألا يكون ١٠

---

(١) راجع تفسير الطبرى ١/٦٧ - ٧٤ واللسان ١/٤ - ٦ والبحر المحيط ١/٣٤ والقرطبى ١/١٥٤ - ١٥٧ والكشاف ١/١٢ - ١٩ ومجمع البيان ١/٣٢ - ٣٣ والإتقان ٢/١٣ - ١٩ والصاحبى ٩٣ - ٩٦ .

(٢) سورة مريم ١ وتفسير الطبرى ١٦/٣٢ وفى اللسان ١٧/٣٥٠ « وروى عن سعيد ابن جبير فى تفسيره عن ابن عباس ، أنه قال : فى « كهيعص » : هو كاف ، هاد ، يمين ، عزيز ، صادق . قال أبو الهيثم : فجعل قوله: « كاف » أول اسم الله كاف ، وجعل « الهاء » أول اسمه : هاد ، وجعل « الياء » أول اسمه : يمين ، من قولك : يَمَنَ الله الإنسان يَيمنه يَمْناً ويُمْناً فهو ميمون ... قال: فجعل اسم اليمين مشتقاً من اليمن ، وجعل « العين » عزيزاً ، و « الصاد » صادقاً ؛ والله أعلم » .

ما أريد بالحروف خارجا منها ، إن شاء الله

* * *

● فإن كانت أسماء للسور ، فهى أعلام تدل على ماتدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها . فإذا قال القائل : قرأت ﴿المص﴾ أو قرأت ﴿ص﴾ أو ﴿ن﴾ - دَلَّ بذلك على ماقرأ ، كما تقول : لقيت محمداً وكلمت عبد الله ، فهى تدل بالاسمين على العينين ، وإن كان قد يقع بعضها مثل « حم » و « الم » لعدة سُوَر - فإنّ الفصل قد يقع بأن تقول : حم السَّجْدة ، والم البقرة ، كما يقع الوفاق فى الأسماء ، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكنى .

* * *

● وإن كانت أقساما ، فيجوز أن يكون الله ، عزوجل ، أقسم بالحروف المقطّعة كلّها ، واقتصر على ذكر بعضها مِنْ ذِكْرِ جميعها ، فقال : « الم » وهو يريد جميع الحروف المقطعة ، كما يقول القائل : تعلمت « ا ب ت ث » وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين ، ولكنّه لما طال أن يذكرها كلّها ، اجتزأ بذكر بعضها . ولو قال : تعلمت « حاء طاء صاد » لَدَلَّ أيضاً على حروف المعجم ، كما دلّ بالقول الأول ، إلا أن الناس يدلون [١٢٧] بأوائل الأشياء عليها فيقولون : قرأت « الحمد لله » يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها . هذا الأكثر ، وربما دَلُّوا بغير الأول أيضاً ، أنشد الفرّاء[1] :

---

(١) فى معانى القرآن ١/٣٦٩ والرجز لأبى النمقام الأسدى ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ٤٤٧ والأمالى ٢/٢٠٠ غير منسوب ، وكذلك فى اللسان ١٢/٣٦٨ ومجمع البيان ١/٣٣ وتفسير الطبرى ١/٦٨ « بعض الرجاز من بنى أسد :

لمـا رَأَيْتُ أَنَّهـا فى حُطِّى　　أَخَـذْتُ مِنْهَا بِقُرُونٍ شُمْطِ[١]

يريد « فى أبى جادٍ » فَدَلَّ بحُـطِّى كما دَلَّ غيره بأبى جادٍ .

* * *

● وإنما أقسم الله بحروف المعجم ، لشرفها وفضلها ، ولأنها مبانى كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة ، ومبانى أسمائه الْحُسْنَى وصفاته العُلى ، وأصولُ كلامِ الأمم[٢] ، بها يتعارفون ، ويذكرون الله ويوحِّدون .　٥

وقد أقسم الله فى كتابه بالفَجْر ، والطُّور ، وبالعَصْر ، وبالتِّين ، والزَّيتُون - وهما جبلان ينبتان التين والزيتون ، يقال لأحدهما : طُورُ زيْتَا وللآخر : طور تِيْنا ، بالسّريانية ، من الأرض المقدسة ؛ فسماها بما يُنْبتان - وأقسم بالقلم ؛ إعظاما لمـا يسطرون .　١٠

● ووقع القسم بها فى أكثر السور على القرآن فقال: ﴿ آلم ذَلِكَ الْـكِتَابُ لارَيْبَ فِيهِ ﴾[٣] ؛ كأنه قال : وحروف المعجم ، لهو الـكتاب لاريب فيه .

و ﴿ آلم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، أى وحروفِ المعجم لهو الله لا إله إلا هو ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْـكِتَابَ ﴾[٤] .

= لـما رأيت أمرها فى حطى　　وفنكت فى كذب ولط
أخـذت منها بقرون شمط　　فـلم يزل ضربى لها ومعطى
حتى عـلا الرأس دم يغطى

فزعم أنه أراد بذلك ، الخبر عن المرأة أنها فى « أبى جاد » فأقام قوله : « لـما رأيت أمرها فى حطى » مقام خبره عنها أنها فى « أبى جاد » إذ كان ذاك من قوله ، يدل سامعه ما يدل عليه قوله : « لما رأيت أمرها فى أبى جاد » .

(١) فى معانى القرآن : « أمرها فى حطى » .

(٢) فى البحر المحيط ١ / ٣٤ « وقال الأخفش : هى مبادىء كتب الله المنزلة بالألسنة المختلفة، ومبان من أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وأصول كلام الأمم » .

(٣) سورة البقرة ١ ، ٢ .

(٤) سورة آل عمران ١ - ٣ .

و ﴿الٓمٓصٓ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ، أى وحروف المعجم ، هو كتاب أُنزل إليك ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾[1] ، و ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[2] .

و ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[3] ، و ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[4] ،

٥ كلّه أقسام .

* * *

● وإن كانت حروفاً مأخوذةً من صفات الله ؛ فهـذا فَنٌّ من اختصار العرب ؛ وقلّما تفعل العربُ شيئاً فى الـكلام المتصل الـكثير إلا فَعلت مثله فى الحرف الواحد المنقطع .

١٠ فـكما يستعيرون الـكلمة فيضعونها مكان الـكلمة لتقارب ما بينهما ؛ أَوْ لأنَّ إحداهما سبب الأخرى ؛ فيقولون للمطر : سماء ؛ لأنه من السماء ينزل ويقولون للنبات : نَدًى ؛ لأنه بالندى يَنبت ؛ ويقولون : ما بِهِ طِرْقٌ ؛ أى ما به قوّة ؛ وأصل الطِّرق : الشحم ؛ فيستعيرونه مكان القوّة ؛ لأنَّ القوّة تـكون عنه .

١٥ — كذلك يستعيرون الحرف فى الـكلمة مكان الحرف فيقولون : «مَدَهْتُه»

[١٢٨] بمعنى : «مدحته» ؛ لأن «الحاء» و «الهاء» يخرجان / جميعاً من مخرج واحد .

---

(١) سورة الأعراف ١ ، ٢ .

(٢) سورة يس ١ ، ٢

(٣) سورة ص ١ .

(٤) سورة ق ١ .

ويقولون للقبر: جَدَثٌ وجَدَفٌ ، ويقولون : ثُومٌ وفُومٌ ومغاثِير ومغافِير[1] ، لقرب مخرج «الفاء» من «الثاء» .

ويقولون: هَرَقْتُ الماء وأرقته ، ولصِق ولسِق ، وسَحَقْتُ الزعفران وسَهَكْتُه ؛ وغُمار الناس وخُمارهم .

في أشباهٍ لهذا كثيرة يبدلون فيها الحرفَ من الحرف ؛ لتقارب ما بينهما . ٥

* * *

● وكما يقلبون الكلام ويُقدِّمون ما سبيله أن يؤخَّر ، ويؤخرون ما سبيله أن يُقدَّم ؛ فيقولون :

* كان الزناءُ فريضة الرجم *[2]

أي كان الرجم فريضة الزنا . ١٠

ويقولون :

* كأنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَماؤُه *[3]

يريدون : كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه .

ويقولون : اعرض الناقة على الحوض ؛ يريدون اعرض الحوض على الناقة . ١٥

---

(١) في اللسان ٦/٣١٠ « والمغاثير لغة في المغافير » وفي ص ٣٣٢ « والمغافير صمغ : يسيل من شجر العرفط ، غير أن رائحته ليست بطيبة » .

(٢) الشطر للنابغة الجعدي ، كما في اللسان ١٩/٧٩ وقبله :

* كانت فريضة ما تقول كما *

وهو غير منسوب في الأضداد للسجستاني ص١٥٢ والبحر المحيط ٦/٣٣ ومجمع البيان ١/٢٥٥ وأمالي المرتضى ١/١٥٥ .

(٣) لرؤبة كما في ديوانه ص ١ وصدره : * وبلدة عامية أعماؤه * ويروى : * ومهمه مغبرة أرجاؤه * وهو غير منسوب في أمالي المرتضى ١/١٥٥ .

• وكذلك يقدمون الحرف فى الكلمة وسبيله التأخير ؛ ويؤخرون الحرف وسبيله التقديم ، فيقولون : جَذَبَ وجَبَذَ ، وبئر عميقة ومَعِيقة ، وأحْجَمْتُ عن الأمر وأجْحَمْتُ ، وبَتَلْتُ الشىء أى قطعته وبلّته ، وما أطْيَبهُ وما أيْطَبَهُ. ورجل أغْرَل وأرغل[1] ؛ واعتاقه الأمر واعتقاه ، ٥ واعتام واعتمى ، فى أشباه لهذا كثيرة .

* * *

• وكما يزيدون فى الكلام الكلمةَ والمعنى طرحُها ، كقول « الشاعر » :

* فما أُلومُ البِيضَ ألّا تَسْخَرا *[2]

يريد : أن تسخر .

١٠ • ويزيدون إذْ ؛ واللام ، والكاف ، والباء ، وأشباه لهذا مما ذكرناه فى باب المجاز — كذلك يزيدون فى الكلمة الحرف ، كما قال « المُفَضَّلُ العَبْدِى » :

* وبعضُهمُ على بَعْضٍ حنيقُ[3] *

أى حَنِقٌ .

١٥ وقال الآخر :

* أقولُ إذْ خَرّتْ عَلَى الكَلْكالِ[4] *

---

(١) فى اللسان ١٤/٢ « رجل أرغل وأغرل ، وهو الأقلف » .

(٢) لأبى النجم ، كما فى مجاز القرآن ٢٦/١ وعجزه : * لما رأين الشمط القفندرا * القفندر : القبيح الفاحش أى فما ألوم البيض أن يسخرن » وهو فى سيبويه ٣٢/٢ وتفسير الطبرى ٦٢/١ واللسان ٤٢٥/٦ والأضداد لابن الأنبارى ص١٨٥ . وانظر ص ٢٤٥ .

(٣) فى اللسان ٣٥٦/١١ للمفضل النكرى . وصدره : * تلاقينا بغنية ذى طريف * .

(٤) فى تفسير الطبرى ٧٠/١ وبعده * ياناقتى ماجلت عن مجالى * وهو فى الصاحبى ١٩٣ =

أراد : الكَلْكَل .

وأنشد الفرّاء :

إنّ شَكْلى وَإنَّ شَكْلَكِ شتَّى فالزَمِى الخصَّ وَاخْفِضى تَبْيَضِضّى (١)

فزاد ضادا ، فى أشباهٍ لهذا كثيرة .

٥ * * *

● وكما يحذفون من الكلام البعض/ إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا ، [١٢٩

فيقولون : والله أفعل ذاك ، يريدون : لا أفعل . ويقولون : أتانا فلانٌ عند مغيب الشمس ، أو حين . أى حين كادت تغيب .

وقال « ذو الرمة » يذكر حميراً :

١٠ فلمّا لَبِسْنَ الليلَ أو حِينَ نَصَّبَتْ له من خذَا آذانِها وهْو جانِحُ (٢)

أراد : وحين أقبل الليل .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ﴾ (٣) ، أراد لكان هذا القرآن ، فحذف .

١٥ * * *

● وكذلك يحذفون من الكلمة الحرف والشّطر والأكثر ، ويبقون البعض

= غير منسوب ، وكذلك فى الموشح ص ٩٤ وتفسير الطبرى ١/ ٧٠ والبحر المحيط ٣/ ١٥٠ واللسان ١٤/ ١١٧ ، ٢٠/ ٣١٢ « قلت وقد خرت الخ » .

(١) تفسير الطبرى ١/ ٧٠ غير منسوب ، واللسان ١/ ٢٤٨ ، ٨/ ٣٩١ والشطر الثانى فى ١٨/ ٢٢٦ وأمالى ابن الشجرى ١٧/ ١٩٧ .

(٢) سبق الكلام عليه فى ص ٢١٦ .

(٣) سورة الرعد ٣١ .

والشطار والحرف ، يُوحُون به ويُومِئُون . يقولون : « لم يك » ، فيحذفون النون مع حذفهم الواو لاجتماع الساكنين . ويقولون : « لم أُبل » يريدون : لم أُبَالِ . ويقولون : ولَاكِ افعل كذا ، يريدون : ولكن ، قال « الشاعر »:

* وَلَاكِ اسْقِنِى إنْ كانَ مَاؤُكَ ذا فَضْلِ[1] *

٥ ويحذفون فى الترخيم ، فيقولون : ياصَاحِ ، يريدون : ياصاحب ، وياحَارِ ، يريدون : ياحارث .

وقرأ « بعض المتقدمين » : ﴿وَنَادَوْا يَامَالِ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكِ﴾[2] ، أى يا مالك .

وقال الله تعالى : ﴿أَلَا يَاسْجُدُوا لِلّهِ﴾[3] ، أى ألا يا هؤلاء

١٠ اسجدوا لله .

ويقولون : عِمْ صَبَاحاً ، أى أنعِمْ .

---

(١) نسبه سيبويه للنجاشى ١/٩ وصدره : * ولست بآتيه ولا أستطيعه * وقال الأعلم فى شرحه : « حذف النون من « لكن » لاجتماع الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ... وصف أنه اصطحب ذئباً فى فلاة مضلة لا ماء بها ، وزعم أن الذئب رد عليه فقال : لست بآتٍ مادعوتنى إليه من الصحبة ، ولاأستطيعه ؛ لأنى وحشى وأنت إنسى ، ولكن اسقنى إن كان ماؤك فاضلا عن ريك . وأشار بهذا إلى تعسفه للفلوات التى لا ماء فيها فيهتدى الذئب إلى مظانه فيها، لاعتياده لها » والبيت للنجاشى فى سر الفصاحة ص ٧٤ والموشح ص ٩٣ وهو غير منسوب فى العمدة ٢/٢٥٥ واللسان ١٧/٢٧٦ .

(٢) سورة الزخرف ٧٧ والصاحبى ص ١٩٤ وجاء فى البحر المحيط ٨/٢٨ : « وقرأ الجمهور : « يامالك » وقرأ عبد الله وعلى وابن وثاب والأعمش : « يامال » بالترخيم ، على لغة من ينتظر الحرف . وقرأ أبو السرار الغنوى : « يامال » بالبناء على الضم ، جعله اسماً على حياله » .

(٣) سورة النمل ٢٥ وقرأ قراء المدينة « ألا يسجدوا » بتشديد ألا .

وقال « الفرّاء » فى قولهم : ستَرَى : إنما أرادوا : سوف ترى ، فحذفوا الواو والفاء . وكذلك أمثالها .

كقولك : سيكون كذا ، وسيفعل كذا ، تأويلُها عنده : سوف يكون ، وسوف يفعل . وفى قوله : بينا ، إنما هو بينما .

و « قال » فى الآن : إنما هو أصله الأوانُ ، كما قالوا : الراحُ والرِّياح للخمر ، قال لَبِيد : ٥

* دَرَسَ المَنا بِمُتَالعٍ فَأَبَانِ[١] *

أراد : المنازل ، فقطع .

وقال « الطِّرِمَّاح » يذكر بقرا :

تَتَّقِى الشَّمْسَ بِمَدْرِيَّةٍ كالحَمَالِيجِ بأَيْدِى التِّلامْ[٢] ١٠

المَدْرِيّة : القرون ههنا .

والحماليج : مَنَافِيخُ الصّاغة / شبّه قرونها بها إذا نُفخ فيها . [١٣٠

والتِّلَامُ : أراد التّلاميذ ، يعنى غلمان الصاغة فقطع .

وقال « أبو دؤاد » :

* فكأنّما تُذْكِى سَنَابِكُها الحُبَا[٣] * ١٥

أراد الحُباحِب .

---

(١) عجزه : * فتقادمت بالحبس فالسوبان * كما فى اللسان ١٦/١٤٢ وشرح شواهد الشافية ص ٣٩٧ .

(٢) ديوانه ص ١٠٠ وانظر اللسان ١٤/٣٣٣ والمعانى الكبير ٢/٧٦٤ ، ٧٩١ .

(٣) الصاحبى ١٩٤ وفى اللسان ١/٢٨٨ « وقوله :

يذرين جندل حائر لجنوبها فكأنها تذكى سنابكها الحبا

إنما أراد : الحباحب ، أى نار الحباحب . يقول : تصيب بالحصا فى جريها جنوبها » .

وقال « الآخر » :

أُناسٌ يَنَالُ الماءَ قَبْلَ شِفاهِهِمْ   لهمْ وَارِداتُ الغُرْضِ شُمُّ الأَرَانِبِ[1]

أراد : الغرضُوف .

وقال « الآخر » :

٥ * فى لَجَّةٍ أَمْسِكْ فُلانًا عَنْ فُلِ[2] *

أراد : عن فلان .

وقال :

* قَواطِنًا مكّةَ من وُرْقِ الحَمِى[3] *

أراد : الحَمَام .

١٠ وأنشد « الفرّاء » :

* قلت لها : قِفِى ، فقالت لى : قَافْ[4] *

---

(١) البيت غير منسوب فى اللسان ٩/٥٩ وأساس البلاغة ٢/٥٠٠ وفيهما : « كرام ينال الماء » وفى اللسان : « قيل : إنه أراد الغرضوف الذى فى قصبة الأنف ، فحذف الواو والفاء ، ورواه بعضهم : « لهم عارضات الورد » .

(٢) سبق تخريجه فى ص ٢٠٣ .

(٣) فى اللسان ١٥/٤٨ « وأما قول العجاج :

ورب هــذا البلد المحرم   والقاطنات البيت غــير الريم

قواطنا مكة من ورق الحمى

فإنما أراد الحمام ، فحذف الميم وقلب الألف ياء . قال أبو إسحاق : هــذا الحذف شاذ ، لايجوز أن يقال فى الحمار : الحمى ، فأما الحمام هنا ، فإنما حــذف منها الألف فبقيت الحمم ، فاجتمع حرفان من جنس واحد ، فلزمه التضعيف ، فأبدل من الميم ياء » وانظر ديوان العجاج ص ٥٨ — ٦٢ واللسان ١٠/٣٥٤ ، ١٧/٢٢١ ـ ٢٢٢ ، ٢٠/١٦٢ وسيبويه ١/٨ ، ٥٦ ، ٢/١٢٢ ومقاييس اللغة ١/١٣١ وشرح ابن النـاظم ص ٢٤٦ والأمالى ٢/١٩٩ وسر الفصاحة ٧٤ والعمدة ٢/٢٥٦ والموشح ص ٩٤ ، وتهذيب الألفاظ ٤٤٥ .

(٤) هذا أول رجز للوليد بن عقبة ، وسبب قوله أنه لما شهد عليه عند عثمان بن عفان، =

أراد فقالت : قد وَقَفْتُ ، فأومأت بالقاف إلى معنى الوقوف .

* * *

ولم نزل نسمع على ألسنة الناس : الألف : آلاء الله ، والباء : بهاء الله ، والجيم : جمال الله ، والميم : مجد الله . فكأنّا إذا قلنا : « حم » دللنا بالحاء على حليم ، ودللنا بالميم على مجيد . ٥

وهذا تمثيل أردت أن أريَكَ به مكان الإمكان .

وعلى هذا سائر الحروف .

ومن ذهب إلى هذا المذهب فلا أُراه أراد أيضاً إلا القسم بصفات الله ، فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته ، لا إله إلا هو .

وروِى أن بعض السلف وأحسبه « عليا » رحمة الله عليه ، قال : الرَّحِيمُ هو من الرَّحْمن . ١٠

* * *

● وقد كان « قوم من المفسرين » يفسرون بعض هذه الحروف فيقولون :

« طه » يارجل ، و « يس » يا إنسان ، و « نون » الدَّواة .

وقال « آخر » : « الحوت » و « حم » : قُضِي والله ماهو كائن ، ١٥

= بشرب الخمر ، كتب إليه يأمره بالشخوص فخرج وخرج معه قوم يعذرونه ، فيهم عدى بن حاتم ، فنزل الوليد يوما يسوق بهم فقال يرتجز :

قلت لهــا قفى فقالت قاف   لاتحسبينا قــد نسينا الإيجاف

والنشوات من عتيق أوصاف   وعزف قينات علينا عزاف

فقال له عدى : « إلى أين تذهب بنا ؟ أقم » راجع الأغانى ٥ / ١٨١ وشرح شواهد الشافية ص ٢٧١ وهو فى الصاحبي ٩٤ غير منسوب وكذلك فى مجمع البيان ١ / ٣٤ والبحر المحيط ١ / ٣٥ والعمدة ١ / ٢٨٠ واللسان ١١ / ٢٧٥ .

و «قاف» : جبل محيط بالأرض .

و « صَادِ» ـ بكسر الدال ـ من المُصَادَاةِ وهى المعارضة[١] .

وهذا مالا نَعرِض فيه ؛ لأنا لا ندرى كيف هو ولا من أى شىء أُخِذَ ، خلا « صادِ » وما ذُهِبَ إليه فيها .

---

(١) فى تفسير الطبرى ٢٣/٧٤ « اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « ص » فقال بعضهم: هو من المصاداة ، من صاديت فلاناً ، وهو أمر من ذلك ، كأن معناه عنـدهم : صاد بعملك القرآن ، أى عارضه به ، ومن قال هذا تأويله فإنه يقرؤه بكسر الدال ؛ لأنه أمر . وكذلك روى عن الحسن ... وقال آخرون : هى حرف هجاء ... وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به ... وقال آخرون : معنى ذلك : صدق الله ... ».

﴿ فى سورة سبأ ﴾

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾[1] .

تأويله : أن إبليس لما سأل الله تبارك وتعالى النَّظِرَةَ /فأنظَره قال : [١٣١ لَأُغْوِيَنَّهُمْ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ[2] آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَلَأَتَّخِذَنَّ مِنْهُمْ نَصِيبًا مَفْرُوضًا[3] وليس هو فى وقت هذه المقالة مستيقناً أنّ ماقدّره الله فيهم يتمّ ، وإنما قاله ظاناً ، فلما اتبعوه وأطاعوه ، صدق ماظنّه عليهم أى فيهم ، ثم قال الله : وما كان تسليطنا إيّاه إلا لنعلم من يؤمن ، أى المؤمنين من الشاكين . ١٠

● وعِلْم الله تعالى نوعان :

أحدها علم مايكون من إيمان المؤمنين ، وكفر الكافرين ، وذنوب العاصين ، وطاعات المطيعين قبل أن تكون .

وهذا علم لاتجب به حجة ولا تقع عليه مَثُوبةٌ ولا عقوبة .

---

(١) الآية ٢٠، ٢١ وانظر تفسير الطبرى ٢٢/٦٠ ـ ٦١ .

(٢) فى اللسان ١٣/٢٧٥ « البتك : القطع ... قال أبو منصور : كأنه أراد ـ والله أعلم ـ تبحير أهل الجاهلية آذان أنعامهم وشقهم إياها » .

(٣) قال تعالى فى سورة النساء ١١٧ — ١١٩ : ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ، لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ .

والآخر : علم هذه الأمور ظاهرة موجودة فَيَحِق القَوْلُ ويقع بوقوعها الجزاء .

فأراد جل وعز : ماسلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهراً موجوداً ، وكفر الكافرين ظاهراً موجودا .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[١] ، أى يعلم جهاده وصَبْرَه موجوداً يجب له به الثواب .

وقوله سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٢] .

تأويله أنّ المشركين قالوا : إن محمداً مجنون وساحر ، وأشباه هذا من خَرْصِهِم[٣] ، فقال الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه : قل لهم : اعتبروا أمرى بواحدة ، وهى أن تنصحوا لأنفسكم ، ولا يميل بكم هوًى عن حق ، فتقوموا لله وفى ذاته ، مقاماً يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له : هلُمّ فلْنتصادَق ،

(١) سورة آل عمران ١٤٢ .

(٢) سورة سبأ ٤٦ وانظر تفسير الطبرى ٢٢/٧٠ — ٧١ .

(٣) فى اللسان ٨/١٨٦ « خرص يخرص ، بالضم ، خرصا وتخرص أى كذب ، ورجل خراص كذاب ، وفى التنزيل « قتل الخراصون » ... قال الفراء : معناه : لعن الكذابون الذين قالوا : محمد شاعر ، وأشباه ذلك ، خرصوا بما لا علم لهم به . وأصل الخرص : التظنى فيما لا تستيقنه ، ومنه خرص النخل والكرم : إذا حزرت التمر ؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن لا إحاطة ، والاسم : الخرص — بالكسر — ثم قيل للكذب : خرص لما يدخله من الظنون الكاذبة » .

هــل رأينا بهذا الرجل جنّة قط أو جربنا عليه كذبا ؟ فهــذا موضع قيامهم مثنى .

ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيُفـكِّر وينظر ويعتــبر . فهذا موضع قيامهم فُرَادى . فإنَّ فى ذلك مادلهم على أنه نذير .

وكل من تحير / فى أمر قد اشتبه عليه واسْتَبْهم ، أخرجه من الحيرة فيه : [١٣٢ أن يسأل ويناظِر ، ثم يُفَـكِّر ويعتبر .

﴿ فى سورة الفرقان ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (١) .

امتداد الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. كذلك قال المفسرون، ويدلك عليه أيضا قوله فى وصف الجنة : ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ (٢) أى لا شمس فيه ، كأنه ما بين هذين الوقتين .

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أى : مُسْتَقِراً دائماً حتى يكون كظل الجنة الذى لا تَنْسَخُه الشمس .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ يقول : لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه . وكلّ الأشياء تعرف بأضدادها ، فلولا الشمس ما عُرِفَ الظل ، ولولا النور ما عرفت الظلمة ، ولولا الحق ما عرف الباطل . وهكذا سائر الألوان والطُّعوم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) يريد به ضدين : ذكراً وأنثى ، وأسود وأبيض ، وحلواً وحامضا ، وأشباه ذلك .

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيراً ﴾ يعنى الظّل الممدود بعد غروب الشمس ، وذلك أنّ الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود ، وذلك وقت قَبْضه .

---

(١) سورة الفرقان ٤٥ ــ ٤٦ وانظر تفسير الطبرى ١٩/١٢ ــ ١٤ .

(٢) سورة الواقعة ٣٠ .

(٣) سورة الذاريات ٤٩ .

وقوله : ﴿ قَبْضًا يَسِيراً ﴾ أى : خفياً ؛ لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كلُّه دفعةً واحدةً ، ولا يُقبِل الظلام كلّه جملة ، وإنما يَقْبِضُ اللهُ جلَّ وعز ذلك الظل قبضاً خفيًّا شيئاً بعد شىء ، ويُعقِب كلَّ جزء منه يَقْبِضُه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كلّه .

فدَلَّ الله عز وجل بهذا الوصف على قدرته ولطفه فى مُعَاقبَتِه بين الشمس والظل والليل ؛ لمصالح عباده وبلاده . ٥

و « بعضهم » يجعل قبض الظل عند نسخ الشمس إياه ، ويجعل قوله ﴿ قَبْضًا يَسِيراً ﴾ أى : سهلا خفيفاً عليه

وهو وجه ، غير أن التفسير الأول أجمع المعانى / وأشبه بما أراد . [١٣٣

﴿ فى سورة يس ﴾

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[١] .

قوله : ﴿ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أى : إلى مستقر لها ، كما تقول : هو يجرى لغايته وإلى غايته .

ومُسْتَقَرُّها : أقصى منازلها فى الغروب ، وذلك لأنها لاتزال تتقدم فى كل ليلة حتى تنتهى إلى أبعد مَغَاربها ثم ترجع[٢] ، فذلك مستقرها لأنها لاتجاوزه .

وقرأ « بعض السلف » : ﴿ والشَّمْسُ تَجْرِى لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا ﴾[٣] والمعنى : أنها لاتقف ، ولا تستقر ، ولكنها جارية أبداً .

وقوله : ﴿ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ يريد : أنه ينزل كل ليلة منزلا ، ومنازله ثمانية وعشرون منزلا عندهم ، من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة منه ثم يَسْتَسِرُّ .

وهذه المنازل هى النجوم التى كانت العرب تنسب إليها الأنواء .

---

(١) سورة يس ٣٨ — ٤٠ وانظر تفسير الطبرى ٢٣/٥ — ٧ .

(٢) قارن هذا بما فى الطبرى ٢٣/٥

(٣) فى البحر المحيط ٧/٣٣٦ « وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى رباح ، وزين العابدين والباقر وابنه الصادق وابن أبى [عبلة] : « لامستقر لها » نفياً مبنياً على الفتح ، فيقتضى انتفاء كل مستقر ، وذلك فى الدنيا ، أى هى تجرى دائماً فيها لا تستقر ، إلا ابن أبى عبلة فإنه قرأ برفع « مستقر » وتنوينه على إعمالها إعمال ليس » .

وأسماؤها عندهم[١] الشَّرَطَان والبَطِين، والثُّرَيّا[٢]، والدَّبَرَان، والهَقْعَةُ، والهَنْعَةُ، والذِّراع، والنَّثْرَة، والطَّرْف، والجَبْهة، والزُّبْرَةُ[٣]، والصَّرْفة، والعَوَّاء، والسِّماكُ، والغفر، والزُّبَانَى، والإكْليل، والقَلْبُ، والشَّوْلة، والنَّعائم، والبَلْدَة، وسَعْدُ الذَّابح، وسَعْدُ بُلَعٍ، وسَعْدُ السُّعُود، وسَعْدُ الأَخْبِيَة، وفرغ الدّلو المقَدَّم، وفَرْغُ الدّلو المُؤَخَّر، والرِّشا ٥
وهو الحوت.

وإذا صار القمر فى آخر منازله دَقَّ حتى يعود كالعُرْجُون القديم وهو العِذْقُ اليابس. والعرجون إذا يبس دَقَّ واسْتَقْوَس حتى صار كالقوس انحناء؛ فشُبِّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين[٤].

ثم قال سبحانه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ يريد: ١٠
أنهما يسيران الدّهرَ دائبين ولا يجتمعان، فسُلْطان القمر بالليل، وسلطان الشمس بالنهار، ولو/ أدركت الشمسُ القمرَ لذهب ضوؤه، وبطل سلطانه، [١٣٤
ودخل النهار على الليل.

(١) راجع أسماء المنازل فى كتاب الأنواء للمؤلف من ص ١٦، واللسان ١/١٧١.

(٢) فى اللسان بدل «الثريا» «النجم».

(٣) فى اللسان «الخراتان» مكان «الزبرة».

(٤) قال الطبرى فى تفسيره ٢٣/٥ «فتأويل الكلام: وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم. والعرجون من العذق: من الموضع النابت فى النخلة إلى موضع الشماريخ. وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم — والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العذق لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنياً إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستوياً معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان فى آخر الشهر قبل استسراره صار فى انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون».

يقول الله جل وعز حين ذكر يوم القيامة : ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾[1] وذلك عند إبطال هذا التدبير ، ونقْض هذا التأليف .

﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهارِ﴾ يقول : هما يتعاقبان ، ولا يَسْبِق أحدُهما الآخر : فيفُوته ويذهب قبل مجيء صاحبه .

٥ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أى : يَجرُون ، يعنى الشمس والقمر والنجوم .

---

(١) سورة القيامة ٩ .

﴿ فى سورة المرسلات ﴾

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ . لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ . إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ [1] .

هذا يقال فى يوم القيامة للمكذبين ، وذلك أن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق ، وليس عليهم يومئذ لباس ، ولا لهم كِنَانٌ ، فتلفَحُهم الشمس وتَسْفَعُهُمْ وتأخذ بأنفاسهم ، ومَدّ ذلك اليوم عليهم وكرْبه ، ثم ينجّى الله برحمته من يشاء إلى ظِلٍ من ظِلّه ، فهناك يقولون : ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [2] ويقال للمكذبين ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [3] من عذاب الله سبحانه وعقابه ، انطلقوا من ذلك إلى ظل من دخان نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فِرَق ، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب . فيكونون فيه إلى أن يفرغ من الحساب ، كما يكون أولياء الله فى ظل عرشه أو حيث شاء من الظل إلى أن يفرغ من الحساب ، ثم يؤمَر بكل فريق إلى مُسْتَقَرِّهِ من الجنة أو النار .

ثم وصف الظل فقال : ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ أى : لا يَظِلُّكُمْ من حَرّ هذا اليوم

---

(١) سورة المرسلات ٢٩ ـ ٣٣ ، وانظر تفسير الطبرى ٢٩/١٤٦ ـ ١٤٨ .

(٢) سورة الطور ٢٧

(٣) سورة المرسلات ٢٩ .

بل يدنيكم من لهب النار إلى ماهو أشد عليكم من حر الشمس ، ولا يغنى عنكم من اللهب .

وهذا مثل قوله سبحانه : ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[1]

[١٣٥] واليَحْمُوم : الدّخان ، وهو سُرَادِقُ أهل النار / فيما ذكر المفسرون[2] .

٥ ثم وصف النار فقال : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ فمن قرأه بتسكين الصاد ، أراد القَصْر من قُصُور مياه الأعراب[3] .

ومن قرأه القَصَر شَبَّهه بأعناق النخل ، ويقال : بأصوله إذا قُطع .

ووقع تشبيه الشَّرر بالقصر فى مقاديره ، ثم شَبَّهُه فى لونه بالجمالات الصُّفْر وهى السود ، والعرب تسمى السُّود من الإبل صُفْراً ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة الواقعة ٤٣، ٤٤ .

(٢) راجع تفسير الطبرى ٢٧/١١٠ ــ ١١١ .

(٣) فى تفسير الطبرى ٢٩/١٤٦ « فقرأ ذلك قراء الأمصار « كالقصر » بجزم الصاد ، واختلف الذين قرأوا ذلك كذلك فى معناه فقال بعضهم : هو واحد القصور ... وقال آخرون : بل هو الغليظ من الخشب كأصول النخل وما أشبه ذلك ... وذكر عن ابن عباس أنه قرأها ... كالقصر « يفتح القاف والصاد ... وأولى القراءتين بالصواب فى دلك عندنا : ماعليه قراء الأمصار ، وهو سكون الصاد ، وأولى التأويلات به : أنه القصر من القصور ، وذلك لدلالة قوله : « كأنه جمالات صفر » على صحته . والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية .. وقيل : « بشرر كالقصر » ولم يقل : كالقصور و « الشرر » جماع كما قيل « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ولم يقل : الأدبار ؛ لأن الدبر بمعنى الأدبار ، وفعل ذلك توفيقاً بين رءوس الآيات ومقاطع الكلام ؛ لأن العرب تفعل ذلك كذلك ، وبلسانها نزل القرآن ، وقيل : « كالقصر » ومعنى الكلام : كعظم القصر ، كما قيل : « تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت » ولم يقل : كعيون الذى يغشى عليه ؛ لأن المراد فى التشبيه الفعل لا العين » وانظر اللسان ٦/٤١٢ .

تِلْكَ خَيْلِى مِنها وتِلْكَ رِكابى هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيب[1]

أى : هنّ سود .

وإنما سُمِّيت السُّود من الإبل : صُفْراً ؛ لأنه يَشُوبُ سوادَها شىء من صفرة ، كما قيل لبيض الظباء : أُدْم ؛ لأن بياضها تعلوه كُدْرَة .

والشَّرَرُ إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار ، أَشْبَه شىء بالإبل ٥ السّود ؛ لما يَشوبُها من الصفرة .

(١) البيت للأعشى ، كما فى ديوانه ص ٢١٩ ، واللسان ٦/١٣٠ والخزانة ٢/٤٦٤ ، وغير منسوب فى المخصص ٢/١٠٥ .

﴿ فى سورة الأنعام ﴾

﴿ قَدْ نَعْلَمْ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُون ﴾(١) .

يريد : أنهم كانوا لا يَنْسِبُونَك إلى الكذب ولا يعرفونك به ، فلما جِئْتَهُمْ بآيات الله ، جَحَدُوها ، وهم يعلمون أنك صادق .

٥ والجَحْدُ يكون ممن علم الشيء فأنكره ، يقول الله عز وجل : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنعام ٣٣. وانظر تفسير الطبرى ٧/١١٥ — ١١٦ .

(٢) سورة النمل ١٤ وفى تفسير الطبرى ١٩/٨٦ — ٨٧ « وقوله : وجحدوا بها » يقول : وكذبوا [أى فرعون وقومه] بالآيات التسع أن تكون من عند الله ... وقوله : « واستيقنتها أنفسهم » يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا يقيناً أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به ... وقوله : « ظلما وعلواً » يعنى بالظلم : الاعتداء ، والعلو : الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبرا » .

﴿ فى سورة النساء ﴾

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى واليَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ، فَارْزُقُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا : لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً . وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً ، خَافُوا عَلَيْهِمْ ، فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[(١)] .

فيه قولان :

٥ أحدهما أن تكون القسمة : الوصية . يقول : إذا حضرها أقرباؤكم الذين لا يرثونكم ، والمساكين ، واليتامى ـ فاجعلوا لهم فيها حظاً ، وألينوا لهم القول . وليخش من حضر الوصية ، وهو لو كان له ولد صِغار خاف عليهم بعده الضَّيْعَة ـ أن يأمر الموصى بالإسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لا يرثون / فيكون قد أمرَه بما لم يكن يفعله لو كان هو [١٣٦ الميت . وهو معنى قول « سعيد بن جبَيْر » و « قَتَادَة » . ١٠

قال «قتادة» : إذا حضرتَ وصية ميت فمُرْه بما كنت آمراً به نفسك ، وخَفْ على ورثته ما كنت خائفاً على ضَعَفَةِ أولادك لو تركتهم بعدك[(٢)]

والقول الآخر : أن تكون القسمة : قسمة الورثة الميراث بعد وفاة الرجل . يقول : فإذا حضرها الأقارب واليتامى والمساكين ، فارْضَخُوا[(٣)] لهم وعِدُوهم . ثم استأنف معنى آخر فقال : وليخش من لو ترك ولداً صغاراً خاف عليهم الضَّيْعَة ، فليُحْسن إلى من كَفَله من اليتامى ، وليفعل بهم ما يحب أن يفعل ١٥ بولده من بعده . وهو معنى قول « ابن عباس » فى رواية أبى صالح عنه .

---

(١) سورة النساء ٨ ، ٩ وتفسير الطبرى ٤/١٧٦ ـ ١٨٤ .

(٢) راجع قول قتادة فى الطبرى ٤/١٨٢ .

(٣) فى اللسان ٣/٤٩٦ « الرضخ : العطية القليلة » .

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ، وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ، فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾[1] .

هذا مثل ضربه الله ، تبارك وتعالى ، للمنافقين والمُرائين بأعمالهم

٥ لايريدونه بشىء منها .

يقول : يَرِدُون يوم القيامة على أعمال قد مَحَقَها الله وأبطلها ، وَوَكَلَهم فى ثوابها إلى من عَمِلوا له ، أحوجَ ما كانوا إلى أعمالهم ، فمثلهم كمثل رجل كانت له جنّة فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكِبَرُ فضعُفَ عن الكسب ، وله أطفال لا يُجْدُون عليه ولا ينفعونه ، فأصابها إعصَارٌ فيه نار فاحترقت ،

١٠ ففقدَها أحْوَجَ ما كان إليها ، عند كبرالسن ، وضعف الحيلة ، وكثرة العيال ، وطُفُولة الوَلد . وهو معنى قول « ابن عباس » وغيره .

وقد ضرب الله لهم قبل هذا مثلا فيه هذا المعنى بعينه ، فقال : ﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ

١٣٧] مِمَّا كَسَبُوا ﴾[2] /

يريد سبحانه : أنه مَحَقَ كَسْبَهُم ، فلم يقدروا عليه حين حاجتهم إليه ،

---

(١) سورة البقرة ٢٦٦ وتفسير الطبرى ٣/٤٩ ـ ٥٣

(٢) سورة البقرة ٢٦٤ وتفسير الطبرى ٣/٤٣ ـ ٤٦ .

كما أذهب المطر التراب عن الصَّفا ، ولم يوافق فى الصَّفا مَنْبِتاً .

ثم ضرب مثلا للمخلصين ، فقال : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أى : تحقيقاً من أنفسهم ؛ فقال : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ وأحسن ماتكون الجنان والرِّياض : على الرُّبا ؛ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو : أشدّ المطر ، فأَضْعَفَتْ فى الحمل ، ثم قال : ﴿فإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[1] أى : أصابها طَلّ ، وهو :أضعف المطر . فتلك حالها فى النَّزَل وتضاعف الثمر ، لا ينقص بالطَّل عن مقدارها بالوابل .

(١) سورة البقرة ٢٦٥ وتفسير الطبرى ٣/٤٦ ـ ٤٩ وفى ص ٤٨ « الربوة : من الارض : مانشز منها فارتفع عن السيل .. وإنما سميت الربوة لأنها ربت فغلظت وعلت ، من قول القائل : ربا هذا الشيء يربو : إذا انتفخ فعظم .. وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ ، وجنان ماغلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمراً وغرساً وزرعاً ، مما رق منها ، ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بأنها من رياض الحزن ؛ لأن الحزون غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلال وزروعها » .

﴿في سورة الرعد﴾

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ . كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ . كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾[1] .

٥ هذا مثل ضرَبه اللهُ للحق والباطل . يقول : الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه ، فإن الله سيَمْحَقه ويُبطله ، ويجعل العاقبة للحق وأهله ، ومثلُ ذلك مَطَرٍ جَوْدٍ، أسال الأودية بقَدَرِها : الكبير على قدره ، والصغير على قدره .

﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ أى : عاليًا على الماء كما يعلو الباطل ١٠ تارةً على الحق ، ومن جواهر الأرض التى تُدْخَلُ الكِيْرَ وَيُوقَدُ عليها . يعنى الذهب والفضة للحلية ، والشَّبَه والحديد للآلة ، حيث يعلوها مِثل زبد الماء .

[١٣٨] ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ أى : يلقيه الماء عنه / فيتعلّق بأصول الشّجر وبجَنَبات الوادى ، وكذلك خَبث الفِلزِّ يَقْذِفه الكير . فهذا مثل الباطل .

﴿ وَأَمَّا مَا ﴾ الماء الذى ﴿ يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ ويُنْبتُ المرعى ﴿ فَيَمْكُثُ ١٥ فِي الأَرْضِ ﴾ وكذلك الصَّفْوُ من الفِلزِّ يبقى خالصًا لا شَوْبَ فيه . فهو مَثلُ الحق .

---

(١) سورة الرعد ١٧ وتفسير الطبرى ١٣/٩٠ — ٩٣ .

﴿ فى سورة النور ﴾

قول الله عز وجل : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ، رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَاعَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[١] .

هذا مثل ضربه الله لقلب المؤمن ، وما أودعه بالإيمان والقرآن من نوره فيه . فبدأ فقال :

(١) سورة النور ٣٥ — ٤٠ وتفسير الطبرى ١٨ / ١٠٤ — ١١٧ .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ، أى بنوره يهتدى مَنْ فى السموات والأرض .

ثم قال : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ ، يعنى فى قلب المؤمن . كذلك قال المُفسِّرون .

وكان «أُبَىٌّ» يقرأ : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِ المُؤْمِنِ ﴾ ،

٥ روَى ذلك عُبَيْدُ الله بن موسى ، عن أبى جعفر الرّازى ، عن الربيع بن أَنَس ، عن أبى العَالِية[١].

﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ ، وهى : الكُوَّة غير النافذة .

﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ، أى سراج . ﴿ المِصْبَاحُ ﴾ فى قنديل ، القنديل كأنّه من شدة بياضه وتَلأْلُئِهِ ، كوكب دُرِّى ، يَتَوَقَّدُ ذلك المصباح

١٠ بزيت من شجرة ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ ﴾ ، أى لا بارزة للشمس كلّ النهار ﴿ ولَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا مُسْتَتِرة فى الظلّ كلّ النهار . ولكنها شرقية غربية تُصيبُها الشمس فى بعض النهار ، والظلُّ فى بعض النهار . وإذا كان كذلك فهو أَنْضَرُ لها ، وأجود لحملها ، وأكثر لِنُزْلِهَا[٢] ، وأصفى لدُهنها .

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ ﴾ يُسْرَج به من شدة صفائه .

١٥ وتم الكلام ثم ابتدأ فقال :

﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ ، يعنى نُورَ المصباح على نور الزّجاجة والدُّهْن ، ﴿ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ثم قال / : [١٣٩

---

(١) تفسير الطبرى ١٨/١٠٥ والبحر المحيط ٦/٤٥٥ .

(٢) فى اللسان ١٤/١٨٢ « النزل والنزل ــ بالتحريك ــ ريع ما يزرع ، أى زكاؤه وبركته والجمع أنزال ... وأرض نزلة : زاكية الزرع والكلأ » .

هذا المصباح ﴿فى بُيُوتٍ﴾[١] ، يعنى المساجد . وذكر أهلها فقال : ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٢] ، يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمْرَهُ يقيناً فتَتَقَلَّبُ عما كانت عليه من الشك والكفر ، وأن الأبصار يومئذ ترى ما كانت مُغطَّاة عنه فتتقلّب عمّا كانت عليه . ونحوه قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٣] .

ثم ضرب مثلًا للكافرين ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ ، أى كالسراب يحسبه العطشان من البُعْد ماء يرويه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ .

كذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نافِعَهُ ، حتى إذا جاءَهُ ، أى مات ، لم يجد عمله شيئًا ؛ لأنّ الله ، عزّ وجلّ ، قد أبطله بالكفر ومَحَقَهُ ، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ ، أى عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[٤] .

ثم ضرب مثلا آخر ، فقال : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ، يريد : أنه فى حيرة من كُفْرِه كهذه الظلمات .

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً﴾ فى قلبه ، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٥] .

---

(١) سورة النور ٣٦ .
(٢) سورة النور ٣٧ .
(٣) سورة ق ٢٢ .
(٤) سورة النور ٣٩ .
(٥) سورة النور ٤٠ .

﴿ في سورة سبأ ﴾

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا : آمَنَّا بِهِ ، وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾[١] .

كان الحسن ـ رضى الله عنه ـ يجعل الفزع يوم القيامة إذا بعثوا من القبور[٢] . يقول : ولو ترى يامحمد فزعهم حين لافَوْتَ ، أى لامهربَ ولا ملجأ يفوتُون به ويلجأون إليه . وهذا نحو قوله : ﴿ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[٣] ؛ أى نادَوْا حين لامهرب .

﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ، يعنى القبور[٤] .

﴿ وَقَالُوا : آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى بمحمد ، صلى الله عليه .

﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ والتناوش : التّناول ، أى كيف لهم بنيل

---

(١) سورة سبأ ٥١ ـ ٥٤ وتفسير الطبرى ٢٢/٧٢ ـ ٧٦

(٢) الطبرى ٢٢/٧٣ .

(٣) سورة ص ٣ .

(٤) هذا على تفسير الحسن ، وذهب غيره إلى أن الله عنى بهذه الآية المشركين الذين وصفهم بقوله : وإذا تتلى عليهم آيتنا بينات قالوا ما هـذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » وقالوا : وعنى بقوله : « إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا ، وهـو الرأى الذى ارتضاه الطبرى فى ص ٧٣ وأنا إلى رأى الحسن أميل .

ما يطلبون من الإيمان فى هـذا الوقت الذى لا يُقَالُ فيه كافرٌ ولا تقبل توبته ؟

وقوله : ﴿ مِنْ مَـكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ يريد بعْـدَ ما بين مكانهم يوم القيامة ، وبين المـكان الذى تُتقبّل فيه الأعمال .

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْـلُ ﴾ ، أى بمحمد ، صلى الله عليه . ٥
يقول : كيف ينفعهم الإيمان به فى الآخرة وقد كفروا به فى الدنيا ؟

و﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالغَيْبِ ﴾ ؛ أى بالظنّ أن التوبة تنفعهم .

﴿مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ ﴾ ؛ أى بعيد من موضع تَقبُّـل التوبة .

﴿ وَحِيـلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَايَشْتَهُونَ ﴾ من الإيمان . ﴿ كَمَا فُعِـلَ بِأَشْيَاعِهِمْ ﴾ ، أى بأشباههم من الأمم الخالية . ١٠

* * *

وكان «غيرالحسن» يجعل الفزع عند نُزُول بَأْسِ الله من الموت أو غيره ؛ ويعتبره بقوله فى موضع آخر : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا : آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَـرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَـلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُـمْ لَمَّـا رَأَوْا بَأْسَنَا ؛ سُنَّـةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَـادِهِ وَخَسِرَ هُنَـالِكَ الْـكَافِرُونَ﴾[1] . ١٥

(١) سورة غافر ٨٤ ــ ٨٥ وتفسير الطبرى ٢٤/٥٨ .

﴿ فى سورة النور ﴾

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ ٥ خَالَاتِكُمْ ، أَوْ مَامَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ، أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾[1] .

كان المسلمون فى صدر الإسلام حين أُمروا بالنصيحة ونُهوا عن الخيانة وأُنزل عليهم : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[2] . أى : لايأكل بعضكم مال بعض بغير حق ـ أَدَقُّوا النظر وأفرَطوا فى التوقّى ، وترَكَ ١٠ بعضهم مُؤاكلة بعض :

فكان الأعمى لايؤاكل النـاس ؛ لأنه لايبصر الطعام فيخاف أن يستأْثِر ، ولا يؤاكله الناس يخافون لضرره أن يقصر .

[١٤١] وكان الأعرج يَتوَقّى ذلك ؛ لأنه يحتاج لِزَمَانَتِهِ إلى / أن يتفسّح فى مجلسه ، ويأخذ أكثر من موضعه ، ويخاف الناس أن يسبقوه لضعفه .

وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تَعتَرِى مع

---

(١) سورة النور ٦١ وتفسير الطبرى ١٨/١٢٨ ـ ١٣٣ .

(٢) سورة البقرة ١٨٨ .

للرض : من رائحة تتغيّر ، أو جرح يَبِضّ[١] ، أو أنف يَذِنّ[٢] ، أو بول يَسْلَس[٣] ؛ وأشباه ذلك . فأنزل الله تبارك وتعالى : ليس على هؤلاء جناح فى مؤاكلة الناس ، وهو معنى قول « ابن عباس » فى رواية أبى صالح .

وأما « عائشة » رضى الله عنها ، فإنها قالت : كان المسلمون يُوعِبُون[٤] مع رسول الله ، صلى الله عليه ، فى المَغازى ؛ ويدفعون مفاتيحهم إلى الضَّمْنَى ، وهم الزَّمْنَى ، ويقولون لهم : قد أحلَلْنا لكم أن تأكلوا مما فى منازلنا . فكانوا يتوقَّوْن أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية .

وإلى هذا يذهب قوم ، منهم « الزُّهْرِى »[٥] .

ثم قال الله عز وجل : ﴿وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أراد : ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأَزْوَاجِكم .

وقال « بعضهم » : أراد : أن تأكلوا من بيوت أولادكم ، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء ؛ لأن الأولاد كَسْبُهم ، وأموالهم كأموالهم . يدلك على هذا :

---

(١) يبض : يسيل .

(٢) فى اللسان ١٧/ ٣٢ « ذن أنفه يذن : إذا سال . والذنين والذنان : المخاط الرقيق الذى يسيل من الأنف » .

(٣) فى اللسان ٧/ ٤١١ « وسلس بول الرجل : إذا لم يتهيأ له أن يمسكه » .

(٤) فى اللسان ٢/ ٣٠٠ « وأوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو ، وفى حديث عائشة : كان المسلمون يوعبون فى النفير مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أى يخرجون بأجمعهم فى الغزو » .

(٥) فى تفسير الطبرى ١٧/ ١٢٩ « عن معمر قال : قلت للزهرى فى قوله : « ليس على الأعمى حرج » : مابال الأعمى ذكر هنا والأعرج والمريض ؟ فقال : أخبرنى عبد الله بن عبد الله ، أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ، يقولون : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا . وكانون يتحرجون من ذلك ، يقولون : لا ندخلها وهم غيب . فأنزلت هذه الآية رخصة لهم » .

أن الناس لا يَتَوَقَّوْن أن يأكلوا من بيوتهم، وأن الله سبحانه عدّد القرابات وهم أبعد نسباً من الولد، ولم يذكر الولد.

وقال «المفسرون» في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[1]. أراد: ما أغنى عنه ماله وولده، فجعل الولد كَسْباً.

٥ ثم قال: ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ يريد إخوتكم ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ، أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾، يعني العبيد؛ لأن السيد يملك منزل عبده. هذا على تأويل «ابن عباس».

وقال غيره: أو ما خزنتموه لغيركم. يريد الزَّمْنَى الذين كانوا يخزنون / [١٤٢] للغزاة ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ من ١٠ منازل هؤلاء إذا دخلتموها، وإن لم يحضروا ولم يعلموا، من غير أن تتزوَّدوا وتحملوا؛ ولا جُناح عليكم أن تأكلوا جميعاً أو فُرَادَى، وإن اختلفتم: فكان فيكم الزَّهِيد، والرَّغِيب[2]، والصحيح، والعليل. وهذا من رخصته للقَرَابَاتِ وذوى الأوَاصِرِ - كرخصته في الغرباء والأباعد لمن دخل حائطاً ١٥ وهو جائع: أن يُصِيبَ من ثَمره، أو مرّ في سفر بغنم وهو عطشان: أن يشرب من رِسْلِها[3]؛ وكما أوجَبَ للمسافر على من مَرَّ به، الضيافةَ؛ تَوْسِعَةً منه ولطفاً بعباده، ورغبةً بهم عن دناءة الأخلاق، وضيق النظر.

---

(١) سورة المسد ١ - ٢ وتفسير الطبرى ٣٠/٢١٨.

(٢) في اللسان ٤/١٨٠ عن الأزهرى: «رجل زهيد العين: إذا كان يقنعه القليل، ورغيب العين: إذا كان لا يقنعه إلا الكثير».

(٣) الرسل: اللبن، كما في اللسان ١٣/٣٠٣.

﴿في سورة الأنعام﴾

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ : هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّى ، هَذَا أَكْبَرُ ؛ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَاقَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] ٥

كان العصر الذى بَعَثَ الله ، عز وجل ، فيه إبراهيم ، صلى الله عليه، عصر نُجُوم وكَهَانة ، وَإنما أَمَر « نُمْرُوذُ » بقتل الوِلدان فى السنة التى ولد فيها إبراهيم ، صلى الله عليه ؛ لأن المنجمين والكُهَّان قالوا : إنه يولد فى تلك السنة من يدعو إلى غير دينه ، ويَرْغَبُ عن سُنَّتِه[2] . ١٠

وكان القوم يعظِّمون النجومَ ، ويقضُون بها على غائب الأمور ، ولذلك نظر « إبراهيم » نظرةً فى النجوم فقال : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾

وكان القوم يريدون الخروج إلى مَجْمعٍ لهم ، فأرادوه على أن يغدُوَ معهم ، وأراد كَيْدَ أصنامهم خِلَافَ مخْرَجهم ؛ فنظَر نظرة فى النجوم ، يريد علم النجوم ، أى فى مقياس من مقاييسها ، أو سبب من أسبابها ، ١٥ ولم ينظر إلى النجوم أنفسها . يدلك على ذلك قوله : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً

---

(١) سورة الأنعام ٧٦ – ٧٩ وتفسير الطبرى ٧/١٦٢ – ١٦٥ .
(٢) راجع تفصيل ذلك فى الطبرى ٧/١٦٣ .

١٤٣] فِي النُّجُومِ ﴾ / ولم يقل : إلى النجوم . وهذا كما يقال : فلان ينظر في النجوم ، إذا كان يعرف حسابها ، وفلان ينظر في الفقه والحساب والنحو .

وإنما أراد بالنظر فيها : أن يوهمهم أنه يعلم منها ما يعلمون ، ويتعرف

٥ في الأمور من حيث يتعرفون ؛ وذلك أبلغ في المِحَال ، وألطف في المَكِيدَة ﴿ فَقَالَ : إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[(١)] أي سَأَسْقَمُ فلا أقدر على الغُدُوِّ معكم . هذا الذي أوهمهم بمعاريض الكلام ، ونيّته أنه سَقِيم غداً لا محالة ؛ لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء ـ فَسَيَسْقَم . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[(٢)] ولم يكن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مَيِّتاً في ذلك

١٠ الوقت ، وإنما أراد : أنك ستموت وسيموتون .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى ﴾ الزُّهَرَة ﴿ فَقَالَ : هَذَا رَبِّي ﴾ يريد : أن يستدرجهم بهذا القول ، ويُعَرِّفهم خطأهم ، وجهلَهم في تعظيمهم شأن النجوم ، وقضائهم على الأمور بدلالتها . فأراهم أنه مُعَظِّمٌ ما عظَّموا ، ومُلتمس الهدى من حيث التمسوا . وكلُّ من تابعك على هواك وشايعك على أمرك ، كُنت به

١٥ أوثقَ ، وإليه أسكَنَ وَأرْكَنَ . فأنسوا واطمأنّوا .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ أراهم النقص الداخل على النجم بالأُفُول ؛ لأنه ليس ينبغي لإلهٍ أن يزول ولا أن يغيب ، فـ ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ واعتبر مثل ذلك في الشمس والقمر ، حتى تَبين للقوم ما أراد ، من غير جهة العِناد والمبادأة بالتّنقص والعيب .

---

(١) سورة الصافات ٨٩ وتفسير الطبري ٢٣/٤٥ .

(٢) سورة الزمر ٣٠ .

ثم قال : ﴿ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ ﴾ وما فيها من نجم وقمر وشمس ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ وما فيها من بحر وجبل وحجر وصنم ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ومثل هذا: الحواريّ / [١٤٤] حين ورد على قوم يعبدون «بُدًّا»[1] لهم فأظهر تعظيمه وتَرْفِيلَه[2] ، وأراهم الاجتهاد فى دينهم ؛ فأكرموه وفضّلوه وائتمنوه ، وصدَرُوا فى كثير من الأمور عن رأيه . إلى أن دَهَمَهم عدوٌّ لهم خافه الملكُ على مملكته ، فشاور الحوارِيَّ فى أمره ؛ فقال : الرأى أن ندعو إلهنا ـ يعنى البُدَّ ـ حتى يكشف ماقد أظلّنا ؛ فإنا لمثل هذا اليوم كُنّا نُرشّحه . فاسْتَكَفُّوا[3] حوله يتضرّعون إليه ويَجْأَرُون ، وأمرُ عدوّهم يستفحل ، وشَوْكتُهُ تشتد يوما بعد يوم . فلما تبين لهم من هذه الجهة أن «بُدَّهم» لاينفع ولا يدفع ، ولا يبصر ولا يسمع ، قال : ههنا إله آخر ، أدْعوه فيستَجيب ، وأستَجيرُه فيجير ، فهلموا فلْنَدْعُهُ . فَدَعَوُا الله جميعاً فصرف عنهم ما كانوا يُحاذرون ، وأسلموا .

ومن الناس من يذهب إلى أن «إبراهيم» صلى الله عليه ، كان فى تلك الحال على ضلال وحَيرة .

وكيف يتَوَهَّمُ ذلك على من عصمه الله وطَهَّرَه فى مُسْتقرِّه ومُسْتَوْدَعِه ؟

---

(١) فى اللسان ٤/٤٨ « البد : الصنم الذى يعبد ، لا أصل له فى اللغة ، فارسى معرب ، والجمع : البددة » بفتح الباء والدال .

(٢) فى اللسان ١٣/٣١١ « الترفيل : التسويد والتعظيم ، ورفلت الرجل : إذا عظمته وملكته ، قال ذو الرمة :

إذا نحن رفلنا امرأ ساد قومه وإن لم يكن من قبل ذلك يذكر

(٣) فى اللسان ١١/٢١٣ « قال الفراء : استكف القوم حول الشىء : أى أحاطوا به ينظرون إليه » .

والله سبحانه يقول : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١] . أى : لم يشرك به قطّ ، كذلك قال المفسرون ، أو من قال منهم[٢] .

ويقول فى صدر الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[٣] ثم قال على أثر ذلك : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ ٥ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ .

فَرُوِىَ : أنه رأى فى الملكوت عبداً على فاحشة فدعا الله عليه ؛ ثم رأى آخر على فاحشة فدعا اللهَ عليه ؛ فقال له الله : « يا إبراهيم اُكْفُفْ دعوتك عن عبادى ؛ فإن عبـدى بين خلالٍ ثلاث : إما أن أُخرج منه ذرِّية طيّبة ، أو يتوب فأغفر له ، أو النار من ورائه[٤] » .

١٠ أَفَتُرَى الله أراه الملكوت ليوقن ، فلما أيقن رأى كوكباً فقال : هذا ١٤٥] ربى على الحقيقة والاعتقاد / ؟ ! .

---

(١) سورة الصافات ٨٤ .
(٢) راجع تفسير الطبرى ٢٣/٤٤ .
(٣) سورة الأنعام ٧٥ .
(٤) راجع رواية الطبرى عن عطاء فى هذا المعنى ١١/٤٧٣ (طبعة شاكر)

﴿ فى سورة الأنعام ﴾

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ : ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ؟ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ : ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ؟ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ؟ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَٰذَا ؟ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] . ٥

أراد : ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾[2] ، وأنشأ لكم ﴿ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً ﴾ يعنى : كباراً وصغاراً ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾[3] ، أى : لاتقفوا أثَرَه فيما يُحرِّم عليكم مما لم يُحرِّمه اللهُ ، ويحلّه لكم مما حرّمه الله عليكم . ١٠

ثم قال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ ، أى : كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج . وإنْ شئتَ جعلتَه منصوباً بالرَّدِّ إلى الحَمُولَةِ والفَرْشِ تَبْييناً لها[4] .

والثمانية الأزواج : الضأن ، والمعز ، والإبل ، والبقر .

---

(١) سورة الأنعام ١٤٣ ـ ١٤٤ وتفسير الطبرى ٨/٤٨ ـ ٥١ .

(٢) سورة الأنعام ١٤١ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٢ .

(٤) فى تفسير الطبرى ٨/٤٨ « وإنما نصب الثمانية ؛ لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها ، كأن معنى الكلام : ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج ، فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد فقال : ثمانية أزواج ، على ذلك المعنى .. » .

وإنما جعلها ثمانية وهى أربعة ؛ لأنه أراد : ذكراً وأنثى من كل صنف ، فالذكر زَوْجٌ ، والأنثى زوج ، والزوج يقع على الواحد والاثنين[1] . ألا ترى أنك تقول للرجل : زوج ، وهو واحد ، وللمرأة : زوج ، وهى واحدة ؟ قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾[2] .

٥ وكانوا يقولون : مافى بطون الأنعام حلال لذكورنا ونسائنا ، إن كان الجنين ذكراً ، ومُحَرَّمٌ على إناثنا إن كان أنثى . ويُحرِّمون على الرجال والنساء الوَصِيلَةَ وأخاها ، ويزعمون أن الله حرَّم ذلك عليهم . فقال الله سبحانه : ﴿ مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ ﴾[3] .

---

(١) قال أبو بكر : محمد بن القاسم الأنبارى ، فى كتاب الأضداد ص ٣٢٧ « وقال قطرب : الزوج من الأضداد ، يقال : زوج للاثنين ، وزوج للواحد . وهذا عندى خطأ ، لا يعرف الزوج فى كلام العرب لاثنين ، إنما يقال للاثنين : زوجان ، بهذا نزل كتاب الله ، وعليه أشعار العرب : قال الله عز وجل : « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » أراد بالزوجين : الفردين ، إذ ترجم عنهما بذكر وأنثى . وقال عز ذكره : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين — الآية — فكأن المعنى : ثمانية أفراد ، أنشأ من الضأن اثنين ، وكذلك مابعدها ، فالأزواج معناها : الأفراد لاغير ، والعرب تفرد الزوج فى باب الحيوان فيقولون : الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل ... ويقال للأبيض والأسود : زوجان ، وللحلو والحامض : زوجان ، ولا يقال لأحدهما زوج . فمن ادعى أن الزوج يقع على الاثنين ، فقد خالف كتاب الله وجميع كلام العرب ؛ إذ لم يوجد فيهما شاهد له ، ولا دليل على صحته وتأويله » وانظر اللسان ٣/١١٥ .

وقال الطبرى فى تفسيره ٨/٤٨ « ويقال للاثنين : هما زوج ، كما قال لبيد :

من كل محفوف يظل عصيه   زوج عليه كلة وقرامها

وانظر معنى البيت فى شرح القصائد العشر ص ١٣١ .

(٢) سورة النجم ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ١٠٣ وقد جاء فى تفسير الطبرى ٧/٥٦ — ٥٧ « والبحيرة : الفعيلة من قول القائل : بحرت أذن هذه الناقة : إذا شقها ، أبحرها بحراً ، والناقة مبحورة ، ثم تصرف المفعولة إلى فعيلة ، فيقال هى بحيرة ... عن أبى الأحوص ، عن أبيه قال : دخلت على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال: أرأيت إبلك ألست تنتجها مسلمة آذانها ، فتأخذ الموسى فتجدعها ، تقول: هذه بحيرة وتشق آذانها ، تقول: هذه حرم ؟ قال : نعم، قال : فإن ساعد الله أشد ، وموسى الله =

وقال يُقايِسهم فى تحريم ما حرَّموا : ﴿ قُلْ : ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ من الضأن والمعز ﴿ حَرَّمَ ﴾ الله عليكم ﴿ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ؟ ﴾ ، فإن كان التحريم من جهة الذكرين : فكل ذكر حرام عليكم ، وإن كان التحريم من جهة الأُنثيين : فكل أنثى حرامٌ عليكم ؟ ﴿ أَمْ ﴾ حرَّم عليكم ﴿ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ ﴾ من الأجِنَّة ؟ . ٥

فإن كان التحريم من جهة الاشتمال ، فالأرحام تشتمل على الذكور ، وتشتمل على الإناث ، وتشتمل على الذكور والإناث ، فكل جنين حرام . ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَـٰذَا ﴾ / أى حين أمر الله بهذا [١٤٦ فتكونون على يقين ؟ أم تَفْتَرُونه عليه وتختلقونه ؟ توبيخ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] . ١٠

= الله أحد ، كل مالك لك حلال ، لايحرم عليك منه شىء ...

وأما السائبة، فإنها : المسيبة المخلاة ، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرم الانتفاع به على نفسه ، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه . وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل : عيشة راضية ، بمعنى مرضية .

وأما الوصيلة ، فإن الأنثى من نعمهم فى الجاهلية كانت إذا أتأمت بطناً بذكر وأنثى قيل : قد وصلت الأنثى أخاها بدفعها عنه الذبح ، فسموها وصيلة .

وأما الحامى ، فإنه : الفحل من النعم ، يحمى ظهره من الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته . وقد اختلف أهل التأويل فى صفات المسميات بهذه الأسماء ، وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك ... ص ٧ ــ ٦٠ » .

(١) سورة الأنعام ١٤٤ وتفسير الطبرى ٨/ ٥٠ ــ ٥١ .

﴿ فى سورة التين ﴾

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ؟ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ ؟﴾[1] .

يريد : عدّلنا خلقه ، وقوّمناه أحسن تعديل وتقويم .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ، والسّافلون : هم الضعفاء والزَّمْنى والأطفال ، ومن لا يستطيع حيلة ، ولا يجد سبيلا . وتقول : سفَل يسفُل فهو سافِل ، وهم سافِلون . كما تقول : علا يعْلو فهو عالٍ وهم عالُون . وهو مثل قوله سبحانه :﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾ .

وأراد : أنّ الهرِم يَخْرَف ويُهْتَرُ وينقص خلْقُه ، ويضعف بصره وسمعه ، وتقلّ حيلته ، ويعجز عن عمل الصالحات ؛ فيكونُ أسفلَ من هؤلاء جميعاً .

﴿إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فى وقت القُوَّة والقدرة ، فإنَّهم فى حال الكِبَر غيرُ منقوصين[2] ؛ لأنّا نعلم أنا لو لم نسلبهم القدرة والقُوَّة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصّالحات ، فنحن نُجْرى لهم أجْرَ ذلك ولا نَمُنُّهُ ، أى لا نقطعه ولا ننقصه . وهو معنى قول المفسرين . ومثله قوله سبحانه : ﴿إنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ، والخسر : النقصان ﴿إلّا الَّذِينَ

(١) سورة التين ٣ ـ ٨ وتفسير الطبرى ٣٠/١٥٥ ـ ١٦١ .
(٢) نقله منسوبا ابن الجوزى فى زاد المسير ٩/١٧٣

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[1] فإنهم غير منقوصين . ونحوه قولُ رسول الله ، صلى الله عليه :

« يقول الله للكرام الكاتبين : إذا مرض عبدى فاكتبوا له ما كان يعمل فى صحته ، حتى أُعَافِيَهُ أو أَقْبِضَهُ »[2] .

ثم قال : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ أيها الإنسان ﴿ بِالدِّين ؟ ﴾ أى : بِمُجَازاتى إيَّاكَ بعملك وأنا أحْكَمُ الحاكمين ؟ ٥

---

(١) سورة العصر ٢ ــ ٣ .

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف ، فى كتاب الجنائز ، عن سفيان بن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، يبلغ به النبى ، صلى الله عليه وسلم ...)

﴿ في سورة والشمس وضحاها ﴾

قوله سبحانه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[1] .

[١٤٧] أقسم بالنفس وخلقه لها/ ثم قال : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ، أي : فهّمها أعمال البر وأعمال الفجور ، حتى عرف ذلك الجاهلُ والعاقل ،

٥ ثم قال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ يريد أفلح من زكى نفسه ، أي : أنماها وأعلاها بالطاعة والبرّ والصّدقه واصطناع المعروف .

وأصل التزكية : الزِّيادة ، ومنه يقال : زكا الزرع يزْكو : إذا كثر رَيْعُهُ ، وزكتِ النَّفقة : إذا بُورِك فيها ، ومنه زكاة الرّجل عن ماله ؛ لأنها تُثَمِّرُ مالَه وتُنَمِّيه . وتزْكِيَة القاضي للشّاهد منه ؛ لأنه يرفعه بالتَّعْديل

١٠ والذّكر الجميل .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، أي : نقصها وأخْفَاها بترك عمل البرّ ، وبركوب المعاصي[2] . والفاجرُ أبداً خَفِيُّ المكان ، زَمِرُ المُرُوءة ، غامض الشّخص ، ناكسُ الرأس .

ودَسَّاها : من دَسَّسَت ، فَقُلِبَتْ إحدى السِّينات ياء ، كما يقال : لَبَّيْتُ ،

١٥ والأصل لبَّبتُ[3] ؛ و : قَصَّيْتُ أظفاري ، وأصله قَصَصْت . ومثله كثير .

---

(١) سورة الشمس ٧ ــ ١٠ وتفسير الطبرى ٣٠/١٣٤ ــ ١٣٦ .

(٢) قال الطبرى ٣٠/١٣٥ « يقول تعالى ذكره : وقد خاب فى طلبته فلم يدرك ماطلب والتمس لنفسه من الصلاح ــ من دساها ، يعنى من دسس الله نفسه ، فأخملها ووضع منها بخذلانه إياها من الهدى ، حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله » .

(٣) راجع اللسان ٢/٢٢٦ . وقد نقل ذلك منسوبا فى زاد المسير ٩/١٤١ — ١٤٢

فكأنّ النَّطِف[1] بارتكاب الفواحش دَسّ نفسه وقمعها ، ومُصْطَنِع المعروفِ شهَر نفسه ورفعها .

وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا وأَيفاعَ[2] الأرض ؛ لتشْهَر أماكنها للمُعْتفِين ، وتُوقِد النِّيران فى الليل للطّارقين .

وكانت اللئام تنزل الأوْلاجَ[3] والأطراف والأهْضام[4] : لتُخفى أماكنها على الطّالبين . ٥

فأولئك أعلَوْا أنفسهم وزكّوها ، وهؤلاء أخفَوْا أنفسهم ودسوها ؛ قال « الشاعر » :

وبوّأْتَ بيْتَكَ فى مَعْلَمٍ رَحِيبِ المَباءَةِ والمَسْرَحِ[5]

كَفَيْتَ العُفاةَ طِلابَ القِرَى ونَبْحَ الكلابِ لِمُسْتَنْبِحِ ١٠

تَرَى دَعْسَ آثارِ تلك المطِيِّ م أخادِيدَ كاللَّقَمِ الأفْيَحِ[6]

ولو كنتَ فى نَفَقٍ زائغٍ لكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأوْضَحِ[7]

ومثل هذا كثير .

---

(١) النطف : المتهم ، كما فى اللسان ٢٤٨/١١ .

(٢) اليفاع : المشرف من الأرض .

(٣) الأولاج : جمع ولجة — بالتحريك — وهى موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره ، كما فى اللسان ٢٢٣/٣ .

(٤) فى اللسان ٩٨/١٦ « الهضم : ما تطامن من الأرض وجمعه أهضام » .

(٥) الأبيات فى الحيوان ٣٨١/١ – ٣٨٢ ، ١٣٤/٥ – ١٣٥ والبيت الأول غير منسوب فى كتاب المعانى الكبير ص ٤٠٩ . وفى التاج ٤٧/١ : « وقرأت فى مشكل القرآن لابن قتيبة . وأنشد البيت الأول والثانى .

(٦) فى اللسان ٣٨٧/٧ « دعست الإبل الطريق تدعسه دعساً : وطئته وطئاً شديداً : والدعس : الأثر ، وقيل : هو الأثر البين » وفيه ١٣٩/٤ « الأخاديد : شرك الطريق وكذلك أخاديد السياط فى الظهر : ماشقت منه » وفى ٢٠/١٦ « واللقم – بالتحريك – وسط الطريق والأفيح : الواسع » .

(٧) زائغ مائل ، والشرك : الطريق الواسع .

﴿ فى لا أقسم بيوم القيامة ﴾

١٤٨] / ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ؟ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ، بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾[١] .

هذا ردّ من الله عليهم ، وذلك أنهم ظنوا أن الله لا ينشرُ الموتى ، ولا يَقْدِرُ على جَمْعِ العِظام البالية ، فقال : بلى ، فاعلموا أنّا نقدر على رد السُّلاميَات[٢] على صغرها ، ونؤلِّف بينها حتى يَسْتوىَ البَنان . ومَنْ قدَر ٥ على هذا فهو على جمع كبار العظام أقْدَرُ[٣] .

ومثلُ هذا رجل قلت له : أتُرَاكَ تقدِر على أن تؤلّف هذا الحَنْظَلَ فى خيط ؟ فيقول لك : نعم وبَيْنَ الخَرْدَل .

* وأما قوله سبحانه : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ فقد كثرت ١٠ فيه التفاسير[٤] : قال «سعيد بن جُبَيْر» : يقول: سوف أتوب ، سوف أتوب .

وقال «الكلبى» : يُكْثِرُ الذنوب ، ويؤخِّرُ التوبة .

وقال « آخرون» : يتمنّى الخطيئةَ .

---

(١) سورة القيامة ٣ ــ ٥ وتفسير الطبرى ٢٩/١١٠ ــ ١١١ . وزاد المسير ٨/٤١٨

(٢) فى اللسان ١٥/١٩٠ « قال ابن الأعرابى : السلامى : عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها ، فى كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث » .

(٣) قال الطبرى : « يقول تعالى ذكره : أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟ بلى قادرين على أعظم من ذلك : أن نسوى بنانه ، وهى أصابع يديه ورجليه فنجعلها شيئاً واحداً كخف البعير ، أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ، ولكنه فرق أصابع يديه ، يأخذ بها ، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط ، فحسن خلقه ... » . وتفسير ابن قتيبة أحب إلى .

(٤) راجع تفسير الطبرى ٢٩/١١١ ــ ١١٢ .

وفيه « قول آخر » : على طريق الإمكان ـ إن كان الله تعالى أراده ـ وهو : أن يكون الفجور بمعنى : التكذيب بيوم القيامة ، ومن كذَّب بحق فقد فجر .

وأصل الفجور : الميل ، فقيل للكاذب والمكذِّب والفاسق : فاجرٌ ؛ لأنه مال عن الحق . ٥

وقال بعض الأعراب لعمر بن الخطاب رحمه الله ـ وكان أتاه فشكى إليه نَقَبَ إبله ودَبَرَها ، وَاسْتَحْمَلَه فلم يَحمله ـ :

أَقْسَمَ بالله أبو حَفْصٍ عُمَرْ مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبَرْ [1]

فاغفر له اللهمَّ إن كان فَجَرْ

أى : كذب . ١٠

وهذا وجهٌ حسن ؛ لأن الفجور اعتراض بين كلامين من أسباب يوم القيامة ؛ أولها : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَه ؟ ﴾ والآخر : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟ ﴾ فكأنه قال : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه فى الآخرة ؟ بلى نقدر على أن نجمع ما صغر منها ونؤلف بينه .

﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ أى : ليكذِّب بيوم القيامة وهو أمامه ، فهو يسأل ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ أى متى يكون ؟ ١٥

---

(١) فى اللسان ٢/٢٦٢ ، ٦/٣٥٤ والصاحبى ص ١٥٥ أراد بالنقب هنا : رقة الأخفاف . والدبر ـ بالتحريك ـ : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة : وقيل : هو أن يقرح خف البعير . وفجر أى : كذب ومال عن الصدق .

﴿ فى والصافات ﴾

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾[1] .

يقول هذا المشركون يوم القيامة لقُرنائهم من الشياطين : إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا ؛ لأن إبليس قال : ﴿ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾[2] فشياطينهم تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات بمعنًى من الكيد والإضلال .

وقال « المفسرون » : فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين : أتاه من قِبَل الدِّين فلَبَّسَ عليه الحق .

ومن أتاه من جهة الشمال : أتاه من قِبَل الشَّهوات .

ومن أتاه من بين يديه : أتاه من قبل التَّكذيب بيوم القيامة والثواب والعقاب .

ومن أتاه من خَلْفِهِ : خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يُخَلِّف بعده ، فلم يصل رحمًا ، ولم يُؤَدِّ زكاةً . فقال المشركون لقرنائهم : إنكم كنتم تأتوننا فى الدنيا من جهة الدِّين ، فتشبّهون علينا فيه حتى أَضْللتمونا . فقال لهم قرناؤهم: ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أى : لم تكونوا على حق فنُشَبِّهه عليكم

(١) سورة الصافات ٢٧ ـ ٢٨ وتفسير الطبرى ٢٣/٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) سورة الأعراف ١٧

ونُزِيلكم عنه إلى باطل . ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ، أى : قدرة فنقْهركم ونجبرَكم ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ، فَحَقَّ عَلَيْنا قول رَبِّنا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ نحن وأنتم العذاب ﴿فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾[1] يعنى بالدعاء والوَسْوَسة .

ومثل هذا قوله سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[2] .

---

(١) سورة الصافات ٢٩ ـ ٣٢ .

(٢) سورة إبراهيم ٢٢ .

﴿ في سورة ص ﴾

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ العَزِيزِ الوَهَّابِ ؟ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ؟ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾[1] .

أخبر الله ، سبحانه ، عن عنادهم وتكبرهم وتمسكهم بآلهتهم في أول السورة ،

٥ فقال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[2] ، وحكى قولهم : ﴿ أَنِ

١٥٠] امْشُوا وَاصْبِرُوا / عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾[3] ، أي اذهبوا ودعوه وتمسكوا بآلهتكم

فقال الله عز وجل : أعندهم بآلهتهم هذه خزائن الرحمة ؟ ! ﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴾ ، أي في أبواب السماء ، وأبواب السماء : أسبابها ؛ قال « الشاعر » :

١٠ * ولو نالَ أسبابَ السَّماء بسُلَّمِ[4] *

ويكون أيضاً ﴿ فَلْيَرْتَقُوا في الأسبَابِ ﴾ ، أي : في الحبال إلى السماء ، كما سألوك أن تَرْقَى في السماء وتأتيهم بكتاب . ويقال للرجل إذا تقدم في العلم وغيره وبرع : قد ارتقى في الأسباب ، كما يقال : قد بلغ السماء .

---

(١) سورة ص ٩ ــ ١١ وتفسير الطبري ٢٣/٨١ ــ ٨٣ .

(٢) سورة ص ١ .

(٣) سورة ص ٦ .

(٤) الشطر لزهير من معلقته ، وصدره * ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * كما في ديوانه ص ٣٠ وشرح القصائد العشر ص ١٢٠ واللسان ١/٤٤١ .

ونحو هـذا قوله فى موضع آخر : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[١] .

وهذا كله توبيخ ، وتقرير بالعجز .

ثم قال بعدُ : ﴿جُنْدٌ مَاهُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ .

٥ وجُنْدٌ بمعنى : حزب لهذه الآلهة . و « ما » زائدة . ومهزوم : مَقْمُوع ذليل . وأصل الهَزْم : الكسر ، ومنه قيل للنُّقْرَة فى الأرض : هَزْمَةٌ ، أى كَسْرَة ، وهزَمتُ الجيش : أى كَسَرْتُهم ، وتهَزَّمَت القِرْبَةُ : أى انكسرت[٢] .

يقول : هم حزب عند ذلك مَقْمُوعٌ ذليل من الأحزاب ، أى عنـد هذه المحن ، وعند هذا القول ؛ لأنهم لا يقدرون أن يدَّعوا لآلهتهم شيئاً من هذا ، ١٠ ولا لأنفسهم .

والأحزاب : سائر من تقـدّمهم من الكفار ، سُمُّوا أحزاباً لأنهم تحزَّبوا على أنبيائهم .

يقول الله سبحانه على إثر هذا الكلام : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ

---

(١) سورة الطور ٣٨ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٧ / ٢٠ « يقول : أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحى ، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله : أن الذى هم عليه حق ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه ؟ وقوله : ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ يقول : فإن كانوا يدعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه — بسلطان مبين ، يعنى بحجة تبين أنها حق ، كما أتى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بها على حقيقة قوله وصدقه فيما جاءهم به من عند الله . والسلم فى كلام العرب : السبب والمرقاة .. » .

(٢) فى اللسان ١٦ / ٩٢ « وتهزمت القربة : يبست وتكسرت فصوتت ، والهزوم : المكسور فى القربة وغيرها ، واحدها هزم وهزمة . والهزيمة فى القتال : الكسر والفل » .

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ﴾(١) وكذا وكذا.

ثم قال : ﴿ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ ﴾ فأعلمنا أن مشركى قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

وكان «ابن عباس» فى رواية أبى صالح ـ يذهب إلى أن الله تعالى أخبر رسوله أنه سيهزم المشركين يوم بَدْر . ٥

(١) سورة ص ١٢ وبقية الكلام : « ذو الأوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » .

﴿ فى سورة السجدة ﴾

« يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » / [١]. [١٥١

يريد سبحانه : أنه يَقضِى الأمرَ فى السماء ويُنزله مع الملائكة إلى الأرض فتُوقِعُه ، ثم تعرج إلى السماء ، أى تصعد ، بما أوقعته من ذلك الأمر ، فيكون نُزُولُها به ورجوعُها فى يوم واحدٍ مقداره ألف سنة مما تعدُّون . يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعدَدِنا ألف سنة ؛ لأن بُعد ما بين السماء والأرضَ مسيرة خمسمائة عام لابن آدم ، فإذا قطعته الملائكة ، بادئةً وعائدةً فى يوم واحد ، فقد قطعت مسيرة ألف سنة فى يوم واحد . ٥

---

(١) سورة السجدة ٥ وتفسير الطبرى ٢١/٥٨ ــ ٥٩ . وزاد المسير ٦/٣٣٣

﴿ فى سورة النمل ﴾

﴿ قُلْ : لا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فى شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾[١] .

أصل ادَّارَكَ : تَدَارَكَ ، فأدغمت التاء فى الدال ، وأُدخلت ألف الوصل ليسلم للدَّالِ الأولى السكون ؛ ومثله : ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً ﴾[٢] و ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾[٣] و ﴿ قَالُوا : اطَّيَّرْنَا بِكَ ﴾[٤] ، إنما هو : تداركوا ، وتثاقلتم ، وتطيّرنا .

ومعنى تدارك : تتابع ، و ﴿ عِلْمُهُمْ ﴾ : حكمهم على الآخرة ، وحَدْسُهُم الظّنون . وأراد وما يشعرون متى يُبعثون إلّا بِتَتَابُعِ الظّنون فى علم الآخرة ، فهم يقولون تارة : إنها تكون ، وتارة : إنها لا تكون ، وإلى كذا تكون ، وما يعلم غَيْبَ ذلك إلا الله تعالى .

ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فى شَكٍّ مِنْهَا ﴾ بل هم من علمها ﴿ عَمُونَ ﴾ .

وكان ابن عباس يقرؤها ﴿ بَلَى أَدَّارَكَ عِلْمُهُم ؟ ﴾[٥] .

---

(١) سورة النمل ٦٥ ـ ٦٦ وتفسير الطبرى ٢٠/٥ ـ ٧ . وزاد المسير ٦/١٨٨
(٢) سورة الأعراف ٣٨ .
(٣) سورة التوبة ٣٨ .
(٤) سورة النمل ٤٧ .
(٥) فى تفسير الطبرى ٢٠/٥ « وكان ابن عباس ، فيما ذكر عنه ، يقرأ بإثبات «ياء» =

وهـذه القراءة أشدّ إيضاحاً للمعنى ؛ لأنه قال : وما يشعرون متى يبعثون ، ثم قال : بل تداركت ظنونهم فى علم الآخرة ؛ فهم يَحْدِسُون ولا يدرون .

= فى « بل» ثم يبتدىء : « أدارك » بفتح ألفها على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال ... عن أبى حمزة قال : سمعت ابن عباس يقرأ«بلى أدارك علمهم فى الآخرة»إنما هو استفهام أنه لم يدرك. وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث » ثم قال الطبرى فى ص ٦ « فأما القراءة التى ذكرت عن ابن عباس فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين ؛ وذلك أن فى « بلى » زيادة ياء فى قراءته ليست فى المصاحف، وهى مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار » .

وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١١٠ .

﴿ فى سورة الامتحان ﴾

[١٥٢] / ﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾[١].

٥ ذكر المفسرون : أنّها أُنزلت فى« حَاطِب بن أبى بَلْتَعَة » وكان كتب إلى المشركين بمكة يخبرهم بمسير الرسول ،صلى الله عليه إليهم ؛ لأنّ عياله كانوا بمكة ، ولم يكن له بها عشيره تمنع منهم ، فأراد أن يتقرب إليهم ليكفُّوا عن عياله[٢] فأنزل الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

---

(١) سورة الممتحنة ١ وتفسير الطبرى ٢٨/٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) فى تفسير الطبرى ٢٨/٣٨ ـ ٣٩ عن على رضى الله عنه ، قال لما أراد النبى ، صلى الله عليه وسلم أن يأتى مكة ، أسر إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبى بلتعة ، وأفشى فى الناس أنه يريد خيبر ، فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن النبى يريدكم . فبعثنى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنا والزبير بن العوام والمقداد وأبا مرثد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة ، فوجدنا امرأة فقلنا : أخرجى الكتاب . قالت : ليس معى كتاب . فوضعنا متاعها وفتشنا فلم نجده فى متاعها ، فقال أبو مرثد : لعله ألا يكون معها . فقلت : ما كذب النبى ولا كذب . فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها وأخذنا الكتاب فانطلقنا به إلى رسول الله ، فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعه إلى ناس بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله . فأرسل إلى حاطب فقال : يا حاطب ما هذا ؟ قال: يا رسول الله لا تعجل على ، كنت امرأ ملصقاً فى قريش ، ولم يكن لى فيهم قرابة ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله: قد صدقكم . فقال عمر : يارسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال الرسول : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا

﴿أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ أى تخبرونهم بما يُخبِرُ بمثله الرجلُ أهْلَ مودَّتِه ، وتنصحون لهم ﴿وقد كَفَرُوا بما جاءَكُمْ مِنَ الحقّ﴾ ، مع النبى، صلى الله عليه ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ تمّ الكلام ، يعنى من مكة ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ﴾ ، أى أخرجوا الرسولَ وأخرجوكم ؛ لأنْ آمنتم بالله وحده ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى﴾[1] ، ٥
يريد .فلا تلقوا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى طالبين رضاى .

ثم قال :﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾، أى كيف تَسْتَتِرُونَ بمودّتكم لهم منّى وأنا أعلم بما تُضمرون وما تُظْهِرُونَ ؟

ثم ضرب لهم إبراهيم ، صلى الله عليه ، مثلاحين تبرَّأ من قومه ونابذهم ١٠
وباغضهم، إلى قوله سبحانه : ﴿وَبَدَا[2] بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ : لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ ، يريد أنّ إبراهيم ،صلى الله عليه، عاداهم وهجرهم فى كل شىء إلا فى قوله لأبيه : لأستغفرنّ لك .

ماشئتم فقد غفرت لكم . ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .» وانظر الحديث فى أحكام القرآن للشافعى ٢/٤٦ — ٤٩ .

(١) قال الطبرى فى تفسيره ٢٨/٣٨ « وقوله : « إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى» من المؤخر الذى معناه التقديم ، ووجه الكلام : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى،يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم . ويعنى بقوله تعالى ذكره: « إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى » إن كنتم خرجتم من دياركم فهاجرتم منها إلى مهاجركم للجهاد فى طريق الذى شرعته لكم، ودينى الذى أمرتكم به ، والتماس مرضاتى » .

(٢) قال تعالى فى سورة الممتحنة ٤ ﴿ قد كان لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم:إنابرءاؤمنكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة» الخ. وانظر تفسير الطبرى ٢٨/٤١ — ٤٢ .

﴿ فى سورة الحج ﴾

﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فى الدُّنيا والآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ . فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ؟ ﴾[1].

[١٥٢] كان قوم من المسلمين / لشدَّة غيظهم وحَنَقهم على المشركين ، يَستبطئون ما وعـد اللهُ رسولَه من النصر . وآخرون من المشركين يريدون اتباعَه

٥ ويخشون ألا يتم له أمره ، فقال تعالى : ﴿ مَنْ كانَ يَظنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ ﴾، يعنى محمداً ،عليه السلام ، على مذاهب العرب فى الإضمار لغير مذكور ، وهو يَسمعُنِي أَعِـدُه النصر والإظهار والتمكين ، وإن كان يستعجل به قبل الوقت الذى قضيتُ أن يكون ذلك فيه ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أى بحبل ﴿إِلَى السَّماءِ﴾ ، يعنى سقف البيت ، وكلُّ شيء علاك وأظلّك فهو سماء ،

١٠ والسحاب: سماء ، يقول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً مُبارَكاً ﴾[2] ؛

وقال« سَلَامَةُ بن جَنْدَل»[3] يذكر قتلَ كِسرى النعمان:

هُوَ المُدْخِـلُ النعمانَ بَيْتاً سَماؤُهُ ... نُحُورُ الفُيولِ بَعْدَ بَيتٍ مُسَرْدَقِ[4]

يعنى : سقفَه ، وذلك أنّه أدخله بيتاً فيه فِيَلَة فتَوَطَّأَتْهُ حتى قتلته .

وقوله : ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ . قال المفسرون أى : ليختنق ﴿ فَلْيَنظُر هل

---

(١) سورة الحج ١٥ وتفسير الطبرى ١٧/٩٥ — ٩٧ . وزاد المسير ٥/٤١٣

(٢) سورة ق ٩ .

(٣) شاعر جاهلى ترجم له المؤلف فى الشعر والشعراء ١/٢٢٩ — ٢٣٠ .

(٤) البيت فى اللسان ١٢/٢٣ « صدور الفيل » وكذلك فى المخصص ٦/٧ « وبيت مسردق ، وهو أن يكون أعلاه وأسفله مشدوداً كله .. » .

﴿يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ؟﴾ هل يذهب ذلك ما فى قلبه ؟ وهذا كرجلٍ وعدته شيئاً مرة بعد مرة ، ووكّدت على نفسك الوَعْدَ ، وهو يُراجِعك فى ذلك ، ولا تسكن نفسه إلى قولك ، فتقول له : إن كنت لاتثق بما أقوله ، فاذهب فاختنق . تريد : اجهد جهدك .

هذا معنى قول المفسرين . ٥

وفيه وجه آخر على طريق الإمكان ؛ وهو أن تكون السماء هىهنا : السّماء بعينها لا السقف ، كأنه قال : فليمدد بسبب إليها أى بحبل ، وليرتق فيه ، ثم ليقطع حتى يَخِرَّ فَيَهْلِك ، أى : ليفعل هذا إن بلغهُ جَهْدُه ، فلينظر هل ينفعه . ومثله قوله لرسول الله، صلى الله عليه ـ حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله أن يأتيَهُم بها ، فشقَّ ذلك عليه ـ : ١٠

﴿ وإنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ فَإنِ استَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقاً فى الأَرْضِ أوْ سُلَّماً فى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعهم عَلَى الُهدَى ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾[1] يريد : اجهد إن بلغ هذا جهدك .

ورَوى ابنعُيَيْنة[2] عن ابن أبى نَجِيحٍ[3] ، عن كَرْدَم : أنّ رجلا ١٥

---

(١) سورة الأنعام ٣٥ وتفسير الطبرى ٧/١١٧ — ١١٨ .

(٢) يقصد سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى ، أحد أئمة الإسلام . قال ابن وهب : ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة . وقال الشافعى : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. مات سنة ثمان وتسعين ومائة ، ومولده سنة سبع ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٢٤ .

(٣) فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٨٣ « عبد الله بن أبى نجيح الثقفى ، مولاهم ، أبو يسار المكى. عن طاوس ومجاهد . وعنه عمرو بن شعيب ، وأبو إسحاق الفزارى وشعبة . وثقة أحمد . روى عنه ابن عيينة . مات سنة إحدى وثلاثين ومائة » .

سأل أبا هريرة، وابنَ عمر، وابن عبّاس، عن رجل قتل مؤمناً متعمداً ، هل له توبة ؟ فكلهم قال : هل يستطيع أن يُحييَهُ ؟ هل يستطيع أن يبتغيَ نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء ؟

يريدون : أنه لاتوبة له ، كما أن هذا لايكون .

٥ وقال أبو عبيدة[١] :

﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ ﴾ أى : يرزقه الله . وذهب إلى قول العرب . أرضٌ مَنْصُورَةٌ ؛ أى مَمْطُورَة ، وقد نُصِرَت الأرض: أى مُطِرَت[٢] .

كأنه يريد : من كان قانطاً من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك ، فلينظر

١٠ هل يُذْهِب كَيْدُه ، أى حيلته ، غَيْظَه[٣] لتأخر الرزق عنه ؟ .

---

(١) راجع مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢/ ٤٦ — ٤٧

(٢) فى تفسير الطبرى ١٧/ ٩٦ « وقال آخرون : معنى النصر ههنا : الرزق ، فعلى قول هؤلاء ، تأويل الكلام : من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا فى الدنيا ولن يعطيه . وذكروا سماعاً من العرب : من ينصرنى نصره الله ، بمعنى من يعطنى أعطاه الله . وذكروا أيضاً سماعاً منهم : نصر المطر أرض كذا : إذا جادها وأحياها . واستشهد لذلك بيت الفقعسى :

وإنك لا تعطى امرأً فوق حظه ‏ ‏ ‏ ولا تملك الشق الذى الغيث ناصره

وانظر اللسان ٧/ ٦٧ .

(٣) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥/ ٤١٤

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ ، واللهُ مُحِيطٌ بالكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا . وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

﴿ الَّذِى ﴾ ههنا بمعنى الذين[2] استوقدوا ناراً ، وربما جاءت مؤدِّية عن جميع ، قال « الشاعر » :

وإن الذى حَانَتْ بِفَلْجٍ دماؤُهم ... هُمُ القَوْمُ كلّ القوم ياأُمّ خالدِ[3]

---

(١) سورة البقرة ١٧ — ٢٠ .

(٢) نقله ابن رشيق فى العمدة ٢/٢٥٧ ، وقال الطبرى فى تفسيره ١/١٠٩ « وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة : أن « الذى » فى قوله : ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ بمعنى « الذين » كما قال جل ثناؤه : ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ، أولئك هم المتقون ﴾ وكما قال الشاعر : فإن الذى حانت — البيت — وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين « الذى » فى الآيتين ، وفى البيت ؛ لأن « الذى » فى قوله : ﴿ والذى جاء بالصدق ﴾ قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع وهو قوله : ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ وكذلك « الذى » فى البيت ، وهو قوله : « دماؤهم » وليست هذه الدلالة فى قوله : ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ فذلك فرق مابين « الذى » فى قوله : ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ وسائر شواهده التى استشهد بها على أن معنى « الذى » فى الآية بمعنى الجماعة ، وغير جائز لأحد نقل الكلمة التى هى الأغلب فى استعمال العرب على معنى ، إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها » .

(٣) البيت للأشهب بن رميلة ، كما فى مجاز القرآن ٢/١٩٠ والمؤتلف والمختلف للآمدى

أراد : مَثَلُ المنافقين كمثل قوم كانوا فى ظلمة فأَوْقَدُوا ناراً ، فلما أضاءت النار ماحولهم أطْفَأَها الله وتركهم فى ظلمات لايبصرون .

فالظلمةُ الأولى التى كانوا فيها : الكفر .

واستيقادُهم النارَ قولُهم : « لاإله إلا الله ، وإن محمداً رسول الله » .

٥ فلما أضاءت لهم ماحولهم واهتدوا وآمنوا : خَلَوْا إلى شياطينهم فنافقوا ، وقالوا : ﴿إنّما نَحْنُ مُسْتَهزِئُونَ﴾ فسلبهم نور الإيمان ، وتركهم فى ظلمات الكفر لايبصرون .

١٥٥] ثم ضرب لهم مثلاآخر/شبيهاً بهذا المثل ، فقال:﴿أوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السّماءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ﴾ .

١٠ فالصيب : المطر ،والظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة السحابة ، والرعد: دليل على شدة ظلمة الصَّيِّب وَهَوْلِه .

أراد : أو مثل قوم فى ظلمات ليل ومطر . فضَرَبَ الظلمات لكفرهم مثلا ، والبرقَ لتوحيدهم مثلا ، فقال : إذا قالوا : لاإله إلا الله اهتدوا كما

ص ٣٣ وبعده :

هم ساعد الدهر الذى يتقى به ... وماخير كف لاتنوء بساعد

واللسان ٣/١٧٣ « وفلج : موضع بين البصرة وضرية ، وقيل : هو واد بطريق البصرة إلى مكة يبطنه منازل للحاج » والبيان والتبيين ٤/٥٥ وروايته : « وإن الألى » والخزانة ٢/٥٠٨ وسيبويه ١/٩٦ وسمط اللآلى ١/٣٥ ومجاز القرآن ٢١٦ وشواهد المغنى ص١٧٥ وفى مجمع البيان ١/٥٤ والعمدة ٢/٢٥٧ غير منسوب فيهما . وعجزه فى الكشاف ١/١٩ غير منسوب .

يهتدى هؤلاء القوم بالبرق إذا لمع فيمشون .

وجعله يكاد يَخْطِفُ الأبصار لِشدَّة ضوئه[١] .

وإذا نافقوا فاستهزءوا وخلوا بشياطينهم فتابُعوهم - عَمُوا وصَمُّوا ، كما يُظلِمُ على هؤلاء إذا سكن لَمعانُ البرق فيتومون .

---

(١) فى تفسير الطبرى ١/ ١٢١ « . كمثل غيث سرى ليلا فى مزنة ظلماء وليلة مظلمة ، يحذوها رعد ويستطير فى حافاتها برق شديد لمعانه كثير خطرانه ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه ، وينهبط منها تارات صواعق تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواهق . فالصيب : مثــل الظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق . والظلمات التى هى فيه : الظلمـات ماهم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب . وأما الرعد والصواعق : فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله فى آى كتابه ... » .

﴿في سورة المزمل﴾

﴿ الْمُزَّمِّل ﴾: المُتَزَمِّل ، فأدغمت التاء في الزّاي ، وكذلك ﴿المُدَّثِّر﴾ هو : المُتَدثِّر بثيابِهِ ، فأُدغمت التاء في الدال . وكل من التف بثوبه فقد تَزَمَّلَ به .

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : صلّ الليل إلا شيئاً يسيراً منه تنام فيه

٥ وهو الثلث ، ثم قال : ﴿ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾[1] أي : قم نصفه ، فاكتفى بالفعل الأول من الثاني لأنه دليل عليه . أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث ، أو زِدْ على النصف إلى الثلثين . جعل له سعةً في مدّة قيامه بالليل . فلما نزلت هذه الآية قام رسول الله ،صلى الله عليه، وطائفة من المؤمنين معه ، أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ، وأخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على المقادير

١٠ حتى شَقَّ ذلك عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وثُلُثَهُ ﴾ أي : وتقوم نصفه وثلثه ﴿ وطَائِفَةٌ

١٥٦] مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ . وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ فيعلم مقدار / ثلثيه ونصفه وثلثه ، وسائر أجزائه ومواقيته ، ويعلم أنكم ﴿ لَنْ تُحْصُوهُ ﴾ أي : لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام فيه ﴿ فَتابَ عَلَيْكُم فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرآن ﴾[2] رخّص لهم أن يقوموا ما أمكن وخفّ ، لغير مدة معلومة

١٥ ولا مقدار .

---

(١) سورة المزمل ١ — ٣ وتفسير الطبرى ٢٩/٧٨ — ٨٠ .

(٢) سورة المزمل ٢٠ وتفسير الطبرى ٢٩/٨٧ — ٨٩ .

وكان هذا فى صدر الإسلام ، ثم نسخ بالصلوات الخمس . كذلك قال المفسرون .

وقوله : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾[1] وهى : آناؤه وساعاته ، مأخوذة من نَشَأَتْ تَنْشَأُ نَشْئًا ، ونشأت أى : ابتدأت وأقبلت شيئًا بعد شىء ، وأنشأها الله فنشأت وأنشأت . ومنه قوله سبحانه : ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾[2] وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾[3] أى : ابتدأناهن وَنَبَّتناهن ، ومنه قيل لصغار الجوارى : نَشَأٌ[4] .

فكأنه قال : إن ساعات الليل الناشئة ، فاكتفى بالوصف من الاسم .

وقوله : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ أى : أثقل على المصلى من ساعات النهار . وهو من قولك : اشتدت على القوم وَطْأَةُ سُلْطانِهم : إذا ثقل عليهم ما يُلزِمهم ويأخذهم به . فأعلم الله نبيه أن الثواب فى قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها .

ومن قرأها : ﴿ وِطاءً ﴾ على تقدير « فِعال[5] » فهو مصدر لِوَاطأت فلانًا على كذا مُوَاطأة ووِطَاءً . وأراد : أنّ القراءة فى الليل يَتَوَاطأ

---

(١) سورة المزمل ٦ وتفسير الطبرى ٢٩/٨٠ — ٨٢ . وزاد المسير ٨/٣٩٠ — ٣٩١

(٢) سورة الزخرف ٧٨ .

(٣) سورة الواقعة ٣٥ .

(٤) فى اللسان ١/١٦٥ والتاج ١/١٢٧ « قال نصيب :

ولولا أن يقال : صبا نصيب   لقلت : بنفسى النشأ الصغار

(٥) قرأ بعض قراء البصرة ومكة والشام : « وطاء » بكسر الواو ومد الألف ، على أنه مصدر من قول القائل : واطأ اللسان القلب مواطــأة ووطاء . والصواب من القول فى ذلك عندنا « أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب » كما فى تفسير الطبرى ٢٩/٨١ — ٨٢ .

فيها قلب المصلى ولسانه وسمعه على التَّفَهُّم والأداء والاستماع ، بأكثر مما يَتواطأ عليه بالنهار .

﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أى : أخلص للقول وأسمع له[1] ؛ لأن الليل تهدأ عنه الأصوات ، وتنقطع فيه الحركات ، فيخلص القول ، ولا يكون دون تَسَمُّعِه وتَفَهُّمِه حائل[2] .

وقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾[3] يعنى : تصرفاً وإقبالا وإدباراً فى حوائجك وأشغالك .

---

(١) فى الطبرى ٢٩/٨٢ « وقوله : « وأقوم قيلا » يقول : وأصوب قراءة ... »
(٢) نقله ابن الجوزى فى زاد المسير ٨/٣٩٢ من غير نسبة !
(٣) سورة المزمل ٧ .

﴿ فى سورة الفتح ﴾

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[1] .

٥

كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفى الأماكن ، فلما صدّ المشركون رسولَ الله ، صلى الله عليه ، عن المسجد الحرام وعَكَفُوا الهَدْىَ أن يَبلُغ مَحِلّه ، قال الله سبحانه : لولا أن بمكة رجالًا مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ لاتعرفونهم فتطئُونهم لودخلتموها ، أى تقتلونهم لِيُدْخِلَهُمُ اللهُ فى رَحْمَته لوفعلتم فتُصِيبَكُمْ من قتلهم بغير علم مَعَرَّةٌ ، أى ١٠ يَعيبَكم المشركون بذلك ويقولون : قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا ، وتلزمكم الدِّيات[2] .

---

(١) سورة الفتح ٢٥ وتفسير الطبرى ٢٦/ ٦٠ ــ ٦٥ .

(٢) قال الطبرى فى ص ٦٥ و « أن » من قوله : « أن تطئوهم » فى موضع رفع رداً على الرجال ؛ لأن معنى الكلام : ولولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، فتصيبكم منهم معرة بغير علم ــ لأذن الله لكم أيها المؤمنون فى دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك، ليدخل الله فى رحمته من يشاء . يقول: ليدخل الله فى الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها . وحذف جواب لو استغناء بدلالة الكلام عليه .

وقوله : « لوتزيلوا » يقول : لو تميز الذين فى مشركى مكة من الرجال المؤمنين والنساء =

ثم قال ، ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ ، أي تميزوا من المشركين ﴿ لَعَذَّبْنَا ﴾ المشركين بالسيف ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ؛ فصار قوله سبحانه : ﴿ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ جوابًا لكلامين : أحدهما : ﴿ لَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ﴾ ، والآخر : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ .

= المؤمنات الذين لم تعلموهم ، منهم ، ففارقوهم وخرجوا من بين اظهرهم — لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً . يقول : لقتلنا من بقي فيها بالسيف ، أو لأهلكناهم ببعض مايؤلمهم من عذاب الله » .

﴿ فى سورة الأعراف ﴾

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] .

كلّ شيء يَلْهَثُ فإنما يلهث من إعيَاء أو عطش أو عِلّة ، خلا الكلب ، فإنّه يلهث فى حال الكلال ، وحال الرّاحة ، وحال الصحة والمرض ، وحال الرّيّ والعطش .

فضربه الله مَثَلا لمن كذّب بآياته فقال : إن وعظْتَه فهو ضالّ ، وإن لم تعِظْه فهو ضالّ ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لَهَث ، أو تركته على حاله أيضا لهث[٢]

---

(١) سورة الأعراف ١٧٦ وفى تفسير الطبرى ٩/٨٨ — ٨٩ « يقول تعالى ذكره : فمثل هذا الذى آتيناه فانسلخ منها ، مثل الكلب الذى يلهث ، طردته أو تركته . ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب ، فقال بعضهم : مثله به فى اللهث ، لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها إياه ، وإعراضه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك ، فقال ، جل ثناؤه ، فيه : إذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى أتاها إياه ، أو لم يوعظ ، فى أنه لايتعظ بها ولا يترك الكفر بها ، فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهثه طرد أو لم يطرد ؛ إذ كان لايترك اللهث بحال ... وقال آخرون : إنما مثل ، جل ثناؤه ، بالكلب ؛ لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب » .

وقال الطبرى : إن التأويل الأول أولى القولين بالصواب « لدلالة قوله تعالى : « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته ، وقد علمنا أن اللهاث ليس فى خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله ، وإن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم ، فكان معلوما بذلك أنه للذى وصف الله صفته فى هذه الآية ، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله — مثل » .

(٢) نقله ابن الجوزى فى زاد المسير ٣/٢٩٠ ـ ٢٩١ ونسبه للمؤلف ، وفيه : « .. على حاله رابضاً لهث » .

ونحوه قوله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعوكُمْ ، سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ١٩٣ وقال الطبرى فى تفسيره ٩/١٠٢ « يقول تعالى ذكره فى وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربهم إياه ومن صفته: إنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم و الأمر الصحيح السديد ، لا يتبعوكم ؛ لأنها ليست تعقل شيئاً ، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائراً ، وتركب ما كان مستقيما سديداً . وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها ، تنبيههم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم . يقول جل ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دعى إلى الرشاد وعرفه لم يعرفه ولم يفهم رشاداً من ضلال ، وكان سواء دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته ؛ لأنه لا يفهم دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل ما يقال له ؟ فكيف يعبد من كانت هذه صفته ؟ أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلها ؟ وإنما الرب المعبود : هو النافع من يعبده ، الضار من يعصيه ، الناصر وليه ، الخاذل عدوه ، الهادى إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه . وقيل : « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون » فعطف بقوله :« صامتون » وهو اسم ، على قوله : «أدعوتموهم» وهو فعل ماض ، ولم يقل : أم صمتم ، كما قال الشاعر :

سواء عليك الفقر أم بت ليلة ... بأهل القباب من نمير بن عامر

وقد ينشد : « أم أنت بائت » .

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلّا خِزْيٌ فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ﴾[1] .

نزلت فى بنى قُرَيظة والنَّضِير . يقول : أخذ الله عليكم فى الكتاب : ألا تسفكوا دماءكم ، أى لا تَقْتَتِلوا ، فيقتل بعضكم بعضاً ، ولا تتركوا أسيراً فى أيدى الآسرين فيقتلوه ، ولا تُخرجوا أنفسكم من دياركم ، أى لا تغلبوا أحداً على داره وتخرجوه . فقبلتم ذلك وأقررتم به ، وهو أخذ الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلونَ أنفُسَكُمْ﴾ أى تقتتلون فيقتل بعضكم بعضاً ، ﴿وتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ والعُدْوانِ﴾ أى تتعاونون ﴿وإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾ بهم ﴿أُسَارَى تُفَادُوهم ، وهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُم إِخْرَاجُهم﴾ من ديارهم ﴿أَفَتُؤمنونَ بِبَعضِ الكِتَابِ﴾ فى فك الأسير ﴿وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾

(١) سورة البقرة ٨٤ ـ ٨٥ وتفسير الطبرى ٢/١٣٩ — ٣١٨ .

فى إخراجكم مَنْ أخرجتم من ديارهم ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . فجُوزِىَ « بنو النَّضِير » بأن أخرجهم رسولُ الله صلى الله عليه ، عن ديارهم لأوَّل الحَشْر .

وجُوزِىَ « بنو قُرَيظة بقتل » المُقاتِلة وسَبْى الذُّرِّيَّة[1] .

---

(١) فى تفسير الطبرى ١/٣١٨ « ثم اختلف فى الخزى الذى أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه ، فقال بعضهم : ذلك هو حكم الله الذى أنزله إلى نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من أخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصاً ، والانتقام للمظلوم من الظالم . وقال آخرون : بل ذلك هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذلة لهم وصغاراً . وقال آخرون : بل ذلك الخزى الذى جوزوا به فى الدنيا : إخراج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، النضير من ديارهم لأول الحشر ، وقتل مقاتلة قريظة ، وسبى ذراريهم ، فكان ذلك خزيا فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

﴿ فى الزخرف ﴾

﴿ قُلْ : إنْ كانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾[(١)] .

لما قال المشركون : لله ولد ، ولم يرجعوا عن مقالتهم بما أنزله الله على رسوله ، عليه السلام ، من التبرُّؤ من ذلك ـ قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام : ﴿ قُلْ : ﴾ لهم ﴿ إنْ كانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ ﴾ أى : عندكم فى ادعائكم . ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾ أى : أول الموحدين ، ومَنْ وَحَّدَ الله فقد عبده ، ومن جعل له ولداً أو نِدًّا ، فليس من العابدين ، وإن اجتهد .   ٥

ومنه قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(٢)] : أى إلا ليُوَحِّدون / .   [١٥٩

قال « مُجَاهد » : يريد إن كان لله ولد فى قولكم ، فأنا أول من عبد الله ووحّده ، وكذّبكم بما تقولون[(٣)] .   ١٠

● و« بعض المفسرين » يجعل « إن » بمعنى « مَا »[(٤)] ؛ وليس يعجبنى ذلك .

ويقال : العابدون ههنا : الغِضابُ الآنفون . يقال : عَبِدْتُ من كذا

---

(١) سورة الزخرف ٨١ وتفسير الطبرى ٢٥/٦٠ – ٦١ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) تفسير الطبرى ٢٥/٦٠ ورأى مجاهد هذا هو الذى ارتضاه الأزهرى فى تأويل هذه الآية المشكلة ، وقال عنه بعد أن ذكر أقوال السلف فيها : إنه أحسن من جميع ماقالوا ، وأسوغ فى اللغة ، وأبعد من الاستكراه ، وأسرع إلى الفهم » راجع تفصيل ذلك فى اللسان ٤/٢٦٥ — ٢٦٦ .

(٤) فى زاد المسير ٧/٣٣٢ : « قاله الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ؛ فيكون المعنى : ما كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله على يقين أنه لا ولد له . وقال أبو عبيدة : الفاء على هذا القول بمعنى الواو » .

أَعْبَدُ عَبَداً[١] . وأكثرُ ما تأتى الأسماء من فَعِـلَ يَفعَلُ « على فَعِلٍ » كقوله : وَجِلَ يَوْجَلُ فهو وَجِلٌ ، وفَزِعَ يَفْزَعُ فهو فَزِعٌ .

وربما جاء على « فاعل » نحو عَـلِمَ يعلم فهو عالمٌ .

وربما جاء منه على « فَعِلَ » و«فاعِل» نحو صَدى يصدى فهو صدٍ وصادٍ ، كذلك تقول : عَبِد يعبَدُ فهو عَبِدٌ وعَابِدٌ ، « قال الشاعر » :

* وأَعْبَدُ أن تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ[٢] *

---

(١) فى تفسير الطبرى ٦١/٢٥ « وقال آخرون : معنى ذلك قل : إن كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين ذلك . ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين ، من قول العرب : قد عبد فلان من هذا الأمر : إذا أنف منه وغضب وأباه ، فهو يعبد عبداً ، كما قال الشاعر :

ألا هويت أم الوليد وأصبحت   لما أبصرت فى الرأس منى تعبد

وكما قال الآخر .

متى مايشأ ذو الود يصرم خليله   ويعبـد عليه لا محالة ظالماً

(٢) فى اللسان ٢٦٥/٤ « وقيل فى قول الفرزدق :

أولئك قوم إن هجونى هجوتهم   وأعبد أن أهجو كليباً بدارم :

اعبد أى آنف » والبيت للفرزدق فى مجاز القرآن ٢٠٦/٢ والجمهرة ٢٤٦/١ البحر المحيط ٢٨/٨ .

﴿ فى سورة النساء ﴾

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنا ، لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَطَعْنًا فِى الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ، ولَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ . فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] .

هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبى ، صلى الله عليه ، إذا حدّثهم وأمرهم : سمِعنا ، ويقولون فى أنفسهم : عصينا . وإن أرادوا أنْ يكلموه بشىء قالوا له : اسمع ياأبا القاسم[2] ، ويقولون فى أنفسهم : لاسمعت . ويقولون له : راعنا . يُوهِمُونه فى ظاهر اللفظ أنهم يريدون انتظرنا حتى نكلمك بما نريد ، كما تقول العرب : أَرْعِنى سَمْعك وراعِنى ، أى : انتظرنى وترفّق بى وتلوّم عَلَىّ ، هذا ونحوه ، وإنما يريدون سَبّه بالرُّعُونة فى لغتهم ، فقال الله سبحانه : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ ﴾ كذا وكذا . ويقولون : ﴿ رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ أى : قلبًا للكلام بها ، ﴿ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ مكان قولهم : سمعنا وعصينا ، وقالوا : واسمع . مكان قولهم : لاسمعت ، وانظرنا ، مكان قولهم : راعنا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وأَقْوَمُ ﴾[3] .

---

(١) سورة النساء ٤٦ وتفسير الطبرى ٥/٧٥ — ٧٧ .

(٢) قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٦١ « وولد لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم من خديجة : القاسم ، وبه كان يكنى ... قال مجاهد : مكث القاسم سبع ليال ثم مات بمكة » .

(٣) فى الطبرى ٥/٧٦ « يعنى بذلك جل ثناؤه : ولو أن هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم قالوا لنبى الله : سمعنا يامحمد قولك وأطعنا أمرك وقبلنا ما جئتنا به من عند الله ، واسمع منا وانظرنا ماتقول وانتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا — « لكان خيرا لهم وأقوم » يقول : لكان

١٦٠] والعرب تقول : نَظَرْتُكَ وانتظَرْتك ، بمعنى واحد[١] ،

قال «الحُطيئَة» :

وقــد نَظَرْتُــكُمُ إيناءَ عاشِيَةٍ   للخَمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِى وَتَنْسَاسِى[٢]

ذلك خيراً لهم عندالله ، وأقوم ، يقول : وأعدل وأصوب فى القول ، وهو من الاستقامة ، من قول الله : « وأقوم قيلا » بمعنى : « وأصوب قيلا » .

(١) قال الطبرى ٥/٧٧ « ... فلا نعرف انظرنا فى كلام العرب إلا بمعنى : انتظرنا ، وانظر إلينا . فأما انظرنا بمعنى انتظرنا فنه قول الحطيئة :

وقد نظرتــكم لو أن درتــكم   يوماً يجىء بها مسحى وإبساسى

وأما انظرنا بمعنى انظر إلينا ، فنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

ظاهرات الجمال والحسن ينظر   ن كما ينظر الأراك الظباء

بمعنى : كما ينظر إلى الأراك الظباء » .

(٢) ديوانه ص ٥٣ « نظرتــكم عشاء صادرة » واللسان ٧/٧٤ ، ٢٠٥ إيناء صادرة * « للورد » ، ٨/١١٥ « إيناء صادرة للخمس ... يقول : انتظرتــكم كما تنتظر الإبل الصادرة التى ترد الخمس ثم تسقى لتصدر . والإيناء : الانتظار ، والصادرة : الراجعة عن المـــاء . يقول : انتظرتــكم كما تنتظر الإبل الصادرة الإبل الخوامس لتشرب معها . والحوز : السوق قليلا قليلا ، والتنساس : السوق الشديد ، وهو أكثر من الحوز » وفى اللسان ١٩/٢٩٢ « أعشاء صادرة للخمس » قال شمر : يقول : انتظرتــكم انتظار إبل خوامس ، لأنها إذا صدرت تعشت طويلا وفى بطونها ماء كثير ، فهى تحتاج إلى بقل كثير ، وواحــد الأعشاء : عشى ، وعشى الإبل : ما تتعشاه » .

﴿في سورة المائدة﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ : اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ، تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ، إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ . فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ . ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ واتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا﴾[1] .

قد اختلف الناس قديماً فى تأويل هـذه الآية والسبب الذى نزلت فيه . ١٠
وأنا مُخبِرٌ من تلك المذاهب والتأويلات ، بأشبهها بلفظ الكتاب ، وأولاها بمعناه .

وأراد الله عز وجل أن يعرفنا كيف نشهد بالوصية عند حضور الموت ، فقال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أى : رجلان عَدْلان ١٥
من المسلمين تُشْهِدُونهما على الوصيّة .

وعلم اللهُ سبحانه أنّ من الناس من يسافر فيَصْحبه فى سفره أهل الكتاب

---

(١) سورة المائدة ١٠٦ ـ ١٠٨ وتفسير الطبرى ٧/٦٥ ـ ٨١ وزاد المسير ٢/٤٤٤

دون المسلمين ، وينزل القريةَ التى لا يسكنها غيرُهم ، ويحضرُه الموت فلا يجد من يُشْهِدُه من المسلمين ، فقال : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أى : من غير دينكم ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أى : سافرتم ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وتمّ الكلامُ . فالعَدْلان من المسلمين للحضر والسفر خاصّة إنْ أمكن إشهادُهما

٥ فى السفر . والذّميان فى السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما .

ثم قال : ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أراد : تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم فى شهادتهما وشككتم ، وخشيتم أن يكونا قد غيَّرا ، أو بدّلا وكتما وخانا .

وخصّ هذا الوقت ؛ لأنه قبل وُجوبِ[1] الشمس ، وأهل الأديان [١٦١] يعظمونه / ويذكرون الله فيه ، ويَتوقَّوْن الحلف الكاذب وقول الزُّور ، وأهل الكتاب يصلُّون لطلوع الشمس وغروبها .

﴿وَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ أى : لا نبيعه بعَرَضٍ ، ولا نُحابى فى شهادتنا أحداً ولو كان ذا قُرْبَى ، ولا نكتمُ شهادةً علمناها .

فإذا حلفا بهذه اليمين على ما شهدا به ، قُبلت شهادتهما ، وأُمْضِى الأمرُ

١٥ على قولهما .

ورَوى معاوية بن عمرٍو[2] ، عن زائدة[3] ، عن زكريا[4] ،

---

(١) فى اللسان ٢/٢٩٤ « ووجبت الشمس وجباً ووجوباً : غابت » .

(٢) هو معاوية بن عمرو بن خالد بن غلاب . قال ابن سعد : مات سنة أربع عشرة ومائتين عن ست وثمانين سنة ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٢٧ .

(٣) هو زائدة بن قدامة الثقفى ، مات غازياً بأرض الروم سنة اثنتين وستين ومائة ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٢ .

(٤) هو زكريا بن أبى زائدة ، قال أبو نعيم : مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٤ .

عن « الشعبى » أنه قال :

مات رجل بِدَقُوقَا[1] ولم يَشهده إلا نصرانِيَّان ، فأَشهَدَهُما على وصيته ، فقَدِما الكوفة و « أبوموسى الأشعرى » عليها ، فتقدَّما إليه فأَحْلَفَهُما فى مسجد الكوفة بعد العصر : بالله ما بدَّلا ولا كتَمَا ولا كذبا . وأجاز شهادتهما[2] .

﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ بعد هذه اليمين أى : ظُهِرَ ﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً ﴾ أى : حنثا فى اليمين بكذبٍ فى قول ، أو خيانة فى وديعة ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ﴾ أى : قام فى اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان ، وهما الوَليّان ، يقال : هذا الأَوْلَى بفلان ، ثم يُحذف من الكلام بفلان ، فتقول : هذا الأَوْلَى ، وهذان الأوليان ؛ كما تقول : هذا الأكبرُ ، فى معنى الكبير ، وهذا الأكبران ، و ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بمعنى « منهم » ، كما تقول : استحققت عليك كذا ، واستوجبت عليك كذا ، أى : استحققته منك ، واستوجبته منك ، وقال الله سبحانه : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[3] أى : من الناس .

(١) قرية بين أربل وبغداد ، كما فى معجم البلدان ٤/٦٦ .

(٢) تفسير الطبرى ٧ / ٧١ وانظر تفسير القرطبى ٦/٣٤٦ واحكام القرآن ٢/١٤٨ .

(٣) سورة المطففين ٢ .

وقال « صَخْر الغَىّ » :

مَتَى مَا تُنْكِروها تَعْرِفُوها على أقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[١]

يريد : من أقطارها .

فإذا أقام الوليان مُقام الذِّمِّيين لليمين ، حَلَفَا بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما ، وما اعتدينا / عليهما ، و ﴿ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ﴾ أى : أصحُّ لِكُفْرِهما وإيماننا . ١٦٢]

فإذا حلف الوليان على ما ظَهَرَا عليه ، رُجِعَ على الذِّمِّيين بما اخْتَانَا ، ونُقِضَ مامَضَى عليه الحكم بشهادتهما .

ثم قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾

١٠ أى : هذا الحكم أقرب بهم إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، يعنى أهل الذمة ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ ﴾ على أولياء الميت ﴿ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ فَيُحَلَّفُوا على خيانتهم وكذبهم ، فَيُفْضَحوا ، أو يُغَرَّموا .

---

(١) نسبه ابن قتيبة لصخر فى كتاب المعانى الكبير ٢/ ٩٧٠ ، وأدب الكاتب ص ٥٢١ ، والصواب انه لأبى المثلم الهذلى من كلمةله رد بها على صخر الغى ، كما فى ديوان الهذليين ص ٢٢٤ من القسم الثانى . والأقطار : النواحى ، والعلق : الدم ، ويقال : دم نفيث : إذا نفثه الجرح أى أظهره . والهاء فى قوله : « تنكروها » تعود على المقالة ، قال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٥٢ « والمعنى : إنى أقول فيكم مقالة لا تقدرون على إنكارها ورفعها عن أنفسكم ؛ لأنى أسميها بأسمائكم وأشهرها بذكركم ، وتأتيكم وعلى أقطارها الدم المنفوث ، أى أنها مقالة تثير الحرب وسفك الدماء ، كما يقال : هذا كلام يقطر منه الدم » وانظر الجواليقى ص ٣٧٣ والبيت لصخر فى اللسان ٣/ ١٧ والمقصور والممدود ص ١٠٣ وهو غير منسوب فى اللسان ٢٠/ ٢٦٥ وتفسير الطبرى ٧/ ٧٩ .

و«أكثر العلماء» يذهب إلى أن هذا باب من الحكم «مُحْكَمٌ» وأنه «لم ينسخ» من سورة المائدة شيء؛ لأنها آخر ما نزل .

و«بعضهم» يذهب إلى «أنه مَنسوخٌ[1]» بقوله سبحانه :

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[2] .

---

(١) راجع تفسير الطبرى ٧/٧١ وتفسير القرطبي ٦/٣٥٠ .
(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

﴿ فى سورة الروم ﴾

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[1] .

هذا مثل ضَربه الله لمن جعل له شركاء من خَلْقِه ، فقال قبل المثل :

٥ ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[2] يريد : إعادته على المخلوق أهون من ابتدائه ؛ لأنه ابتدأه فى الرحم نطفة ، وعلَقَة ، ومُضغة ، وإعادته تكون بأن يقول له : ﴿كُنْ فَيَكُون﴾[3] فذلك أهون على المخلوق من النَّشأة الأولى . كذلك قال «ابن عباس» فى رواية أبى صالح .

وإن جعلته لله ، جعلت أهون بمعنى : وهو هيّن عليه ، أى سهل عليه .

١٠ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ يعنى : شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم ضرب المثل فقال : ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وذلك أقرب عليكم ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ﴾ من عبيدكم الذين تملكون ﴿فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ﴾ وعبيدكم ﴿سَوَاءٌ﴾ يأمرون / فيه كأمركم [١٦٣ ويحكمون كحكمكم ؛ وأنتم ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أى كما

١٥ يخاف الرجلُ الحرُّ شريكه الحرَّ فى المال يكون بينهما ، فلا يأمر فيه بشىء دون أمره ، ولا يُمضى فيه عَطيّةً بغير إذنه .

---

(١) سورة الروم ٢٨ وتفسير الطبرى ٢١/٢٥ — ٢٦ .
(٢) سورة الروم ٢٧ وتفسير الطبرى ٢١/٢٣ — ٢٤ .
(٣) سورة الأنعام ٧٣ .

وهو مثل قوله : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[١] أى لاتعيبوا إخوانكم من المسلمين .

وقوله : ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾[٢] أى بأمثالهم من المؤمنين .

يقول : فإذا كنتم أنتم بهذه المنزلة فيما بينكم وبين أرقائكم ، فكيف تجعلون لله من عبيده شركاء فى ملكه ؟ . ٥

* ومثله قوله : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ فجعل منكم المالك والمملوك ﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا ﴾ يعنى : السادة ﴿ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾[٣] من عبيدهم حتى يكونوا فيه شركاء . يريد : فإذا كان هذا لايجوز بينكم ، فكيف تجعلونه لله ؟ . ١٠

---

(١) سورة الحجرات ١١ .

(٢) سورة النور ١٢ .

(٣) سورة النحل ٧١ وتفسير الطبرى ١٤/٩٥ .

﴿ فى سورة النحل ﴾

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً ﴾[1] .

هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عُبد دُونه ، فقال : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ فهذا « مِثال من جُعِلَ إلهاً دُونه أو معه » لأنه عاجز مُدَبَّرٌ ، مملوك لايقدر على نفع ولا ضرّ .

ثم قال . ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً ، فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ؟ ﴾ .

فهذا « مَثَلُه جل وعز » لأنه الواسع الجواد القادر ، الرّازق عِباده جَهْراً من حيث يعلمون ، وسراً من حيث لايعلمون .

وقال « بعض المفسرين » : هو « مثل للمؤمن ، والكافر » . فالعبد : هو الكافر ، والمرزوق : هو المؤمن[2] .

---

(١) سورة النحل ٧٥ وتفسير الطبرى ١٤/٩٩ ـ ١٠٢ .

(٢) قال بهذا ابن عباس وقتادة ، وقال الطبرى فى تفسيره ١٤/٩٩ « يقول تعالى ذكره : شبه الله لكم شبها أيها الناس : للكافر من عبيده ، والمؤمن منهم ؛ فاما مثلُ الكافر ، فإنه لا يعمل بطاعة الله ، ولا يأتى خيراً ، ولا ينفق فى شىء من سبيل الله ماله ؛ لغلبة خذلان الله عليه كالعبد المملوك الذى لايقدر على شىء فينفقه . وأما المؤمن بالله ، فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق فى سبيله ماله ، كالحر الذى آتاه الله مالا فهو ينفق منه سراً وجهراً . يقول : بعلم من الناس وغير علم « هل يستوون؟» يقول : هل يستوى العبد الذى لا يملك شيئاً ولا يقدر عليه ، وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق كما وصف ؟ فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف لأمره ، والمؤمن العامل بطاعته .. » .

والتفسير الأول أعجب إلىّ ؛ لأنَّ «المثل توسَّط كلامين» هما لله تعالى / [١٦٤
أمَّا « الأوَّل » فقوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[1].
فهذا لله ومن عُبِدَ من دونه.
وأمَّا « الآخر » فقوله بعد انقضاء المثل : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] . ٥
ولأنه « ضرب لهـــذا المعنى مثلا آخر بعقب هذا الكلام » فقال : ﴿ وضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ أى : أخرس ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾ أى : عِيَالٌ وثِقْلٌ على قرابته ووليِّه ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ . ١٠
فهذا « مثل آلهتهم » ؛ لأنها صمٌّ بكم عُمْيٌ ، ثِقْلٌ على من عبدَها ، فى خِدمتها والتَّعَبُّدِ لها ، وهى لا تأتيه بخير .
ثم قال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؟ ﴾[3] فجعل هذا « المثل لنفسه».

---

(١) سورة النحل ٧٣ .
(٢) سورة النحل ٧٤ .
وكان فى الأصول بدلها : (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وهو خطأ ؛ لأن هذه لم ترد فى سورة النحل بعد انقضاء المثل ، وإنما وردت فى سورة الزمر ٢٩ بعد انقضاء المثل الذى ضربه الله فى قوله: ﴿وضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل﴾.
(٣) سورة النحل ٧٦ وتفسير الطبرى ١٤/ ١٠٠ ــ ١٠٢ .

﴿ فى سورة النحل أيضاً ﴾

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾[١] .

هذا مثل لمن عاهد الله وحلف به ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[٢] فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلا وقوّت مِرَّتَه وأبرَمَتْه ، فلما استحكم نقضته فجعلته أَنْكَاثًا .

والأنكاثُ : ما نُقِضَ من أخلاق بيوت الشعر والوبر لِيُغْزَلَ ثانية ويُعَاد مع الجديد ، وكذلك ما نُقِضَ من خَلَقِ الخزِّ .

ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك : ناكِثٌ ؛ لأنه نقض ما وَكَّدَ على نفسه بالأيمان والعهود ، كما تَنقُضُ النَّاكِثة غزْلَها .

ثم قال : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ . أى : دغَلًا وخيانة وحِيَلًا[٣] ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾[٤] أى : / [١٦٥

---

(١) سورة النحل ٩٢ وتفسير الطبرى ١٤/ ١١١ ـ ١١٣ وزاد المسير ٤/ ٤٨٥ .

(٢) سورة النحل ٩١ وتفسير الطبرى ١٤/ ١٠٩ ـ ١١١ .

(٣) فى تفسير الطبرى ١٤/ ١١٢ « والدخل فى كلام العرب : كل أمر لم يكن صحيحاً » .

(٤) قال الطبرى فى تفسيره ١٤/ ١١٢ « أربى أفعل من الربا يقال : هذا أربى من هذا »

لأن يكون قومٌ أغنى من قوم ، وقومٌ أعلى من قوم ، تريدون : أن تقْتَطِعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء ، فتجعلوها لهؤلاء .

وقال « المفسرون » فى التى نقضت غزلها : هى امرأة من قريش وكانت حمقاء[1] ، فكانت تغزل الغَزْلَ من الصوف والشّعر والوبر بمِغزل فى غِلَظِ الذِّراع ، وصِنّارَةٍ فى قدر الإصبع ، وفَلْكَةٍ عظيمة ، فإذا أَحكَمَتْهُ أمرت خادمها فنقضته . ٥

= وأربأ منه : إذا كان أكثر منه .. وإنما يقال : أربى فلان ، من هذا ؛ وذلك للزيادة التى يزيدها على غريمه على رأس ماله » .

(١) قال مقاتل : هى امرأة من قريش تسمى « ريطة بنت عمرو بن كعب » ويقال : ريطة بنت بن زيد مناة بن تميم . وقال ابن الأنبارى اسمها « ريطة بنت عمرو المرية ، ولقبها الجعراء ، وهى من أهل مكة ، وكانت معروفة عند المخاطبين ، فعرفوها بوصفها ، ولم يكن لها نظير فى فعلها ذلك ... » .

راجع زاد المسير ٤/٤٨٥ ، والتعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام ، للسهيلى ص ٦٦ .

﴿ فى سورة الصافات ﴾

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوس الشَّيَاطِينِ ﴾(١)

«طلعها» : ثمرها ، سُمِّيَ طَلْعاً لطلوعه كلّ سنة ، ولذلك قيل : طَلْعُ النخل ، لأوّل مايخرج من ثمره(٢) ، فإذا انتقل عن ذلك فصار فى حال أخرى ، سمى باسم آخر .

و« الشياطين » : حيّات خفيفاتُ الأجسام قبيحات المناظر .

قال « الشاعر » وذكر ناقةً :

تُلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ   تَعَمُّجُ شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ(٣)

يعنى : زماماً ، شبَّه تلوّيه بِتَلَوِّى الحيّة .

وقال « آخر » :

---

(١) سورة الصافات ٦٤ ، ٦٥ وتفسير الطبرى ٢٣ / ٤٠ – ٤١ وزاد المسير ٧ / ٦٢ – ٦٤ .

(٢) فى اللسان ١٠ / ١٠٨ « الطلع : نور النخلة ما دام فى الكافور ، الواحدة طلعة » .

(٣) نسبه الجاحظ فى الحيوان ٤/١٣٣ لطرفة ، وهو غير موجود فى ديوانه ، وذكره بدون نسبة فى ١/١٥٣ ، ٦/١٩٢ ، وهو غير منسوب كذلك فى مقاييس اللغة ٢/٢٨ ، ٣/١٨٤ واللسان ١/٢٨٧ ، ٣/١٥٣ ، ١٧/١٠٥، ١٨/١٣٠ والمخصص ٨ / ١٩ .

والمثنى : زمام الناقة . والحضرمى : المنسوب إلى حضرموت ، ويقال : تعمجت الحية : أى تلوت ، والشيطان : الحية .

عُجَيِّزٌ تَحْلِفُ حين أَحْلِفُ   كمثلِ شيطان الحماطِ أعْرَفُ[١]

و « الحماط » : شجر[٢]. والعرب تقول إذا رأت منظراً قبيحاً : كأنه شيطان الحمَاط . يريدون حيّة تأوى فى الحمَاط ، كما يقولون : أَيْمُ[٣] الضَّال ، وذِئبُ الغَضَى[٤] ، وأرنبُ خُـــلَّةٍ[٥] ، وتَيْسُ حُلَّبٍ[٦] ، وقُنفُذ بُرْقَةٍ[٧] .

٥

* * *

وذهب « بعض المفسرين » إلى أنه أراد الشياطين بأعيانها[٨] . شبّه

---

(١) فى اللسان ١٧ /١٠٤ « فإن العرب تسمى بعض الحيات شيطاناً . وقيل : هو حية له عرف قبيح المنظر . وأنشد لرجل يذم امرأة له : عنجرد تحلف الخ .

وقد ورد البيت بهذه الرواية من غير نسبة أيضاً فى ٩/١٤٦ ، ١٨/ ٢٤١ ويقال : شيء أعرف : أى له عرف . والعرف : منبت الشعر والريش من العنق .

(٢) راجع اللسان ٩/١٤٦ .

(٣) فى اللسان ١٤/ ٣٠٦ « الأيم والأيِّم ــ بسكون الياء ، وتشديدها مثل : هين ، وهين ــ الحية الأبيض اللطيف . وعم به بعضهم جميع ضروب الحيات » .

والضال : نوع من الشجر ، راجع وصفه فى اللسان ١٣ /٤٢٢ .

(٤) فى اللسان ١٩ /٣٦٥ : « والعرب تقول : أخبث الذئاب ذئب الغضى ، وإنما صار كذا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير ، يعنون بالغضى هنا : الخمر فيما ذكر ثعلب ، وقيل : الغضى هنا : هذا الشجر ، ويزعمون أنه أخبث الشجر ذئابا » .

(٥) فى اللسان ١٣ /٢٢٤ : « الخلة من النبات : ما كانت فيه حلاوة من المرعى » .

(٦) فى اللسان ١/ ٣٢٣ : « يقال : تيس حلب ، وتيس ذو حلب ، وهى : بقلة جعدة غبراء فى خضرة ، تنبسط على الأرض ، يسيل منها اللبن إذا قطع منها شيء ... أسرع الظباء تيس الحلب ؛ لأنه قد رعى الربيع . . » .

(٧) فى اللسان ١١ /٢٩٨ : « البرقة : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، ويقال : قنفذ برقة ، كما يقال : ضب كدية ، والجمع برق ــ بفتح الراء ــ » .

(٨) راجع اللسان ١٧ /١٠٤ ــ ١٠٥ .

ثمر هذه الشجرة فى قبحه ، برءوسها ، وهى إن لم ترَ ، فإنّها موصوفة بالقبح ، معروفة به[1] .

---

(١) فى تفسير الطبرى ٢٣/ ٤١ : « فإن قال قائل : وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين فى القبح ، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين ، وإنما يمثل الشىء بالشىء تعريفاً من الممثل المثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه ، مع معرفة المثل له الشيئين كليهما أو أحدهما ، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين ، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ولا برءوس الشياطين ، ولا كانوا رأوهما ولا واحدا منهما ؟

قيل له : أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله لهم وبينها حتى عرفوا ماهى وما صفتها ، فلم يتركهم فى عماء منها .

وأما فى تمثيله طلعها برءوس الشياطين ، فأقوال لكل منها وجه مفهوم :

أحدها : أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على ماقد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم ، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشىء قال : كأنه شيطان . فذلك أحد الأقوال .

والثانى : أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً ، وهى حية له عرف ، فيما ذكر ، قبيح الوجه والمنظر ...

والثالث : أن يكون مثل بنبت معروف برءوس الشياطين ، ذكر أنه قبيح الرأس » .

﴿في سورة النساء﴾

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا: هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا: هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ. قُلْ: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا؟ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1].

الحسنة ههنا: الخِصْبُ والمطر. يقول: إن أصابهم خِصْبٌ وغيثٌ قالوا: هذا من عند الله / [١٦٦]

والسيئة: الجدب والقحط. يقول: وإن تصبهم سيئة يقولوا: هذه من عندك. أي بشؤمك، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ: كلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

* * *

١٠ ومثل هذا قوله حكاية عن «فرعون» وملئه: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا: لَنَا هَذِهِ﴾ يريد إذا جاءهم الخِصْبُ والمطر قالوا: هذا هو مالم نَزَلْ نتعرّفه.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي يتشاءمون بهم. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾[2] أي ماتطيّروا بموسى -لمجيئه- من عندالله.

---

(١) سورة النساء ٧٨-٧٩ وتفسير الطبري ٥/١١٠-١١٢ وزاد المسير ٢/١٣٧-١٣٩

(٢) سورة الأعراف ١٣١ وفي تفسير الطبري ٩/٢٠-٢١ «يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون في دنياهم - قالوا: لنا هذه، ونحن أولى بها، وإن تصبهم سيئة، يعني جدوب وقحوط وبلاء - يطيروا بموسى ومن معه، يقول: يتشاءموا بهم ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام ...».

ونحو قوله : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ أى : خِصْباً وخيراً ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أى جَدْبٌ وقحط ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أى بذنوبهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1] .

* * *

ثم قال : ﴿مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ﴾ أى من خير ﴿فَمِنَ اللهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أى من شر ﴿فَمِن نَفْسِكَ﴾[2] أى بذنبك . الخطاب للنبي ، صلى الله عليه ، والمُرَادُ غيره ، على ما بَيَّنْتُ فى « باب الكناية » .

(١) سورة الروم ٣٦ وفى تفسير الطبرى ٢١/٢٩ يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية فى الأبدان والأموال ــ فرحوا بذلك . وإن تصبهم منا شدة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان بما قدمت أيديهم ، يقول : بما أسلفوا من سىء الأعمال بينهم وبين الله وركبوا من المعاصى ، إذا هم يقنطون ، يقول : إذا هم ييأسون من الفرج . والقنوط هو : الإياس » .

(٢) سورة النساء ٧٩ وفى تفسير الطبرى ٥/١١١ « يعنى مايصيبك يامحمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة ــ فمن فضل الله عليك ، يتفضل به عليك إحساناً منه إليك ... وما أصابك من شدة وأذى ومكروه ــ فمن نفسك ، يعنى بذنب استوجبتها به ، اكتسبته نفسك » .

﴿ في سورة يونس ﴾

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ استِعجَالَهُم بِالْخَيرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِم أَجَلُهُم ، فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِى طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ ﴾[1] .

يريد أن الناس عند الغضب وعند الضَّجر ، قد يَدْعُون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وبالخزى وتعجيل البلاء ، كما قد يدعونه بالرزق والرحمة وإعطاء السُّؤْل .

يقول : فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير — لقُضِىَ إليهم أجلُهم ، أى هَلَكُوا .

وفى الكلام حذف للاختصار ، كأنه قال : ولو يُعجّل اللهُ للناس إجابتَهم بالشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير ، لهلكوا .

---

(١) سورة يونس ١١ وتفسير الطبرى ١١/٦٥ وزاد المسير ٤/١١ — ١٢ .

﴿ فى سورة هود ﴾

[١٦٧ / ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ؛ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١] .

٥ هذا كلام مردود إلى ماقبله ، محذوف منه الجواب للاختصار ، على ما بَيَّنا فى « باب المجاز » .

وإنما ذكر الله تعالى قبل هذا الكلام قوماً رَكَنوا إلى الدنيا ورَضُوا بها عِوَضاً من الآخرة فقال :

١٠ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾[٢] .

أى نُؤتيهم ثوابَ أعمالهم فى الدنيا ؛ إذ كان عملُهم لها وطلبُهم ثوابَها ، وليس لهم فى الآخرة إلا النار .

﴿ وَحَبِطَ مَاصَنَعُوا فِيهَا ﴾ أى ذهب وبطل ؛ لأنهم لم يريدوا اللهَ

١١ بشىء منه .

---

(١) سورة هود ١٧ وتفسير الطبرى ١٢/١٠ ـ ١٣ وزاد المسير ٤/٨٥ ـ ٨٩ .

(٢) سورة هود ١٥ والآية التى بعدها : ﴿ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ وانظر تفسير الطبرى ١٢/٨ ـ ١٠ .

ثم قايَسَ بين هؤلاء و بين النبي ، صلى الله عليه ، وصحابته فقال : ﴿ أَفَمَنْ كانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ ﴾ يعنى محمداً ، صلى الله عليه . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ أى من ربِّه . « الهاء » مَرْدُودَة إلى الله تعالى .

والشاهد من الله تعالى للنبى ، صلى الله عليه : « جبريلُ » عليه السلام[1] ، يريد أنه يتبعه ويُؤيِّده ويُسَدِّده ويَشْهَده . ٥

ويقال : الشاهد : « القرآن » ﴿ يَتْلُوهُ ﴾ يكون بعده تالياً شاهداً له .

وهذا أعجب إلىَّ ؛ لأنه يقول : ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾ يعنى التوراة . ﴿ إِمَاماً ورَحْمَةً ﴾ قبل القرآن يشهد له بما قدَّم الله فيها من ذكره .

١٠ والجواب ههنا محذوف ، أراد أفَمَنْ كانت هذه حاله كهذا الذى يريد الحياة الدنيا وزينَتها ؟ فاكتفى من الجواب بما تقدم ؛ إذ كان فيه دليل عليه .

ومثله قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ ، ولم يذكر الذى هو ضده ؛ لأنه قال بعد : ١٥ ﴿ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

فالقانتون آناء الليل والنهار هم الذين يعلمون ، وأضدادهم ، هم الذين لا يعلمون ، فاكتفى من الجواب / بما تأخَّر من القول ؛ إذ كان فيه دليل عليه . [١٦٨

(١) راجع تفسير الطبرى ١٢/١١ – ١٢ .

(٢) سورة الزمر ٩ وتفسير الطبرى ٢٣/١٢٨ – ١٢٩ .

وقوله : ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، يعنى أصحاب محمد ، صلى الله عليه ، يؤمنون بهذا .

* * *

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ ، يعنى مشركى العرب وغيرهم .

٥ ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فى مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ ، أى فى شك . ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾[1] ، الخطاب للنبى ، صلى الله عليه ، والمراد غيره ، على ما بينا فى « باب الكناية » .

(١) فى تفسير الطبرى ١٢/١٢ : « يقول تعالى ذكره : ﴿ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب ، وهم المتحزبة على مللهم ـ فالنار موعده ، أنه يصير إليها فى الآخرة بتكذيبه ، يقول الله لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : «فلا تك فى مرية منه » يقول : فلا تك فى شك منه ، من أن موعدمن كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك من عند الله . ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال . إن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يامحمد الحق من ربك لا شك فيه » .

﴿ في سورة الأنعام ﴾

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

أراد: آتينا موسى الكتابَ تماماً على المحسنين، كما تقول: أُوصى بمال للذى غزا وحج، تريد الغازين الحاجِّين[2]، ويكون «الذى» فى موضع «من» كأنه قال: تماماً على من أحسَن.

والمحسنون: هم الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، والمؤمنون. و «على» فى هذا الموضع بمعنى «لام الجر» كما يقال: أتمَّ الله عليه وأتمَّ له.

قال «الرَّاعى»:

رَعَتْهُ أَشْهُرًا وَخَلَا عليها فَطَارَ النِّىُّ فيها واسْتَغارَا[3]

أراد: وخلا لها.

وتَلْخِيصُهُ: آتينا موسى الكتابَ تتميماً مِنَّا للأنبياء والمؤمنين — الكُتُبَ. ﴿ وتَفْصِيلًا ﴾ مِنّا ﴿ لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى ورَحْمَةً ﴾.

وقد يكون أنْ تُجعل «الذى» بمعنى «ما» أى آتينا موسى الكتاب

(١) سورة الأنعام ١٥٤ وتفسير الطبرى ٨/٦٦ — ٦٨ وزاد المسير ٣/١٥٢ — ١٥٤.
(٢) نقله ابن الجوزى منسوباً للمؤلف فى زاد المسير ٣/١٥٣.
(٣) البيت له فى اللسان ١٨/٢٦١، ٦/٣٤٣ «ويروى: فسار النى فيها، أى ارتفع. واستغار: أى هبط. وهذا كما يقال: * تصوب الحسن عليها وارتقى * قال الأزهرى: معنى استغار فى بيت الراعى هـذا: أى اشتد وصلب، يعنى شحم الناقة ولحمها إذا اكتنز، كما يستغير الجبل إذا أغير، أى شد فتله» وفيه ٢٠/٢٢٤ «النى: الشحم، من نوت الناقة: إذا سمنت».

تماماً على ما أحسَنَ من العلم والحكمة وكتبِ الله المتقدمة . وأراد بقوله : ﴿ تَمَاماً ﴾ على ذلك ، أى زيادة على ذلك .

والتأويل الأول أعجب إلىّ ؛ لأنه فى مصحف عبد الله : ﴿ تَماماً عَلَى الَّذِينَ أحْسَنُوا ﴾[1] . وفى هذا مادل على ذلك التأويل .

٥ وقد يتصرف أيضاً إلى معنى آخر ، كأنه قال : آتيناه الكتاب إتماماً مِنَّا للإحسان على مَنْ أحسَن[2] .

---

(١) قراءة عبد الله بن مسعود هذه فى تفسير الطبرى ٨/٦٦ والقراآت الشاذة ص ٤١ .
(٢) راجع تفسير الطبرى ٨/٦٧ ـ ٦٨ .

﴿ فى سورة المـائدة ﴾

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا / أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾(١) . [١٦٩

المحاربون لله ورسوله : هم الخارجون على الإمام وعلى جماعة المسلمين ، يُخيفُون السُّبُل ، ويَسعَون فى الأرض بالفساد . وهم ثلاثة أصناف : ٥

رجل قتل النفس ولم يأخذ مالا .

ورجل قتل النفس وأخذ المـال .

ورجل أخذ المـال ولم يقتل النفس .

فإذا قَدَرَ الإمامُ عليهم فإنّ « بعضهم » يقول : هومخيّر فى هذه العقوبات ، بأيّها شاءَ عاقبَ كل صِنفٍ منهم . ١٠

وكان « بعضهم » يجعل لكل صِنفٍ منهم حدًّا لا يتجاوَزُه إلى غيره :

فمن قتل النفس ولم يأخذ المـال قُتِل ؛ لأن النفس بالنفس .

ومن قتل النفس وأخذ المـال : صُلِبَ إلى أن يموت ، فكان الشُّهْر له بالصَّلْب جزاءً له بأخْذِه المـال ، وقتله جزاءً له بقتله النفس .

ومن أصاب المـال ولم يقتل ، فإن شاءَ الإمامُ قطع يده اليمنى جزاءً ١٥

---

(١) سورة المائدة ٣٣ وتفسير الطبرى ٦/١٣٢ ـ ١٤٢ وزاد المسير ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٦

بالسِّرق ، ورجلَه اليسرى جزاءً بالخروج والمجاهرة بالفساد . وإن شاء نفاه من الأرض .

وقد اختلفوا فى نفيه من الأرض[1] ، فقال « بعضهم » : هو أن يقال : مَنْ لَقِيَه فليقتله .

٥ وقال « آخر » : هو أن يُطلب فى كل أرض يكون بها .

وقال « آخر » : هو أن يُنفى من بلده .

وقال « آخر » : هو أن يحبس .

● قال أبو محمد :

ولا أرى شيئاً من هذه التفاسير ، أشْبَه بالنفى فى هذا الموضع من الحبس ؛

١٠ لأنّه إذا حُبس ومُنع من التصرُّف والتقلُّب فى البلاد ، فقد نُفِىَ منها كلِّها وأُلجِئَ إلى مكان واحد[2] . وقال « بعض المسجونين » :

خَرَجْنا مِنَ الدُّنيا ونحنُ مِنَ أهْلِها فلَسْنا مِنَ الأحياءِ فيها ولا المَوْتَى[3]

١٧٠] إذا جاءنا السَّجّانُ يومًا لحاجةٍ عَجِبْنا وقُلْنَا : جاءَ هذا من الدُّنيا /

ومَنْ جعَلَ النفىَ لهُ أن يُقالَ : مَن لَقِيَهُ فليقتله ، أو أن يُطلب

١٥ فى كل أرض يكون بها ـ فإنه يذهب ـ فيما أحسب ـ إلى أنَّ هذا جزاؤه قبل أن

(١) راجع تفصيل الخلاف فى تفسير الطبرى ٦/١٤٠ ـ ١٤٢ وزاد المسير ٢/٣٤٦ .

(٢) راجع تفسير الطبرى ٦/١٤١ فإنه يقول : « وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : معنى النفى من الأرض فى هذا الموضع : هو نفيه من بلد إلى بلد غيره ، وحبسه فى السجن فى البلد الذى نفى إليه حتى تظهر توبته من فسوقه ونزوعه عن معصية ربه » .

(٣) من أبيات ذكرها ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/٨١ ـ ٨٢ ولم ينسبها ، وذكرها مع غيرها الشريف المرتضى فى أماليه ١/١٠١ ونسبها لصالح بن عبد القدوس . وانظر المحاسن والاضداد ص ٣٨ .

يُقْدَرَ عليه ؛ لأنّه لايجوز أن يكون الإمام يظفر به فيدع عقوبته ثم يقول : مَن لقيه فليقتله . أو يجده فيتركه ثم يطلبه فى كل أرض .

وإذا كان هـذا هكذا اختلفت العقوباتُ فصار بعضُها لمن قُدِرَ عليه ، وبعضُها لمن لم يُقْدَر عليه . وأشْبَهُ الأشباءِ أنْ تـكونَ كلّها فيمن ظُفِرَ به.

وأما نفيُه من بلده إلى غيره ، فليس نفى الخارِبِ[1] من بلده إلى غيره عُقُوبَةً له ؛ إذ كان فى خِرَابَتِهِ وخُروجِهِ غائباً عن مِصْرِه ، بل هو إهمال وتَسليط وبَعْثٌ على التَّزيُّد فى العَيْث والفساد .

(١) فى اللسان ٣٣٧/١ « الخارب : اللص ... خرب يخرب خرابة ، مثل : كتب يكتب كتابة » .

﴿في سورة الأنبياء﴾

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

يستوحش(٢) كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبًا، ويحملهم التنزيه لهم، صلوات الله عليهم، على مخالفة كتاب الله جلّ ذِكْره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تُخِيل عليهم، أو على من عَلِمَ منهم - أنها ليست لتلك الألفاظ بِشَكْل، ولا لتلك المعاني بِلفْق(٣).

* كتأوُّلهم في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾(٤) أي: بَشِمَ من أكل الشجرة. وذهبوا إلى قول العرب: غَوِيَ الفَصِيلُ: إذا أكثر من اللبن حتى يَبْشَم. وذلك غوَى — بفتح الواو — يَغْوِي غيًّا. وهو من البَشَم غوِي — بكسر الواو — يغوَى غوًى. قال [١٧١] «الشاعر»/ يذكر قوسًا:

(١) سورة الأنبياء ٨٧ وفي تفسير الطبري ١٧/٦٠ — ٦١ «يقول تعالى ذكره: واذكر يامحمد ذا النون، يعني صاحب النون، والنون: الحوت، وإنما عنى بذي النون يونس ابن متى ...».

(٢) من هنا إلى قوله: «حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفاً به» نقله البلوي في كتاب ألف باء ٢/٣٨٨.

(٣) اللفق: — بكسر اللام — أحد لفقي الملاءة، وهما لفقان، ماداما متضامين، راجع اللسان ١٢/٢٠٦ وأساس البلاغة ٢/٣٤٩.

(٤) سورة طه ١٢١ وتفسير الطبري ١٦/١٦٢.

مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُها   بِرَازِئِهَا دَرًّا ولا مَيِّتٍ غَوَى[١]

وأراد بالفَصِيل : السَّهم . يقول : ليس يَرْزَؤُها دَرًّا ، ولايموتُ بَشَماً .

ولو وُجِدأيضافى «عصَى» مثل هذا السَّنَن لرَكبوه ، وليس فى«غَوَى» شىء إلا مافى «عصَى» من مَعْنَى الذَّنب ؛ لأن العاصِىَ لله التَّارِكَ لأمره غاوٍ فى حاله تلك ، والغَاوى عاصٍ . والغَىُّ ضدُّ الرّشد ، كما أن المعصية ضد الطاعة .   ٥

وقــد أكل آدمُ ، صلى الله عليه وسلم ، من الشجرة التى نُهِىَ عنها باستِزْلالِ إبليس وخدائعه إيّاه بالله والقسم به إنه لمنَ الناصحين ، حتى دَلَّاهُ بغُرُورٍ[٢] . ولم يكن ذنبه عن إرْصادٍ[٣] وعداوة وإرْهَاصٍ[٤] كذُنوب أعداء الله . فنحن نقول : « عصَى وغوَى » ، كما قال الله تعالى ، ولا نقول : آدم «عاصٍ ولاغاوٍ» ؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقادمتقدِّم ولانيّة صحيحة ،   ١٠ كماتقول لرجل قطع ثوباوخاطه : قدقطعه «وخاطه»، ولاتقل «خائط ولاخيَّاط» حتى يكون مُعاوِداً لذلك الفعل ، معروفًا به .

* وكتأولهم فى قوله سبحانه:﴿ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِهَا ﴾ أنها همَّتْ

---

(١) البيت غير منسوب فى اللسان ١٩/٣٧٩ « يعنى القوس وسهما رمى به عنها ، وهـذا من اللغز » وغوى هنا مصدر ليس بفعل ، وهو فى إصلاح المنطق ص ٢١٣ ، ٢٢٧ غير منسوب وتهذيب إصلاح المنطق ٢/٥٤ ، وتفسير الطبرى ٨/٩٩ ، والمقصور والممدود ص٨١ وانظره مع شرحه فى المعانى الـكبير ٢/١٠٤٧ .

(٢) فى اللسان ١٨/٢٩٢ عن الجوهرى : « ودلاه بغرور أى أوقعه فيما أراد من تغريره » .

(٣) الإرصاد : الإعداد كما فى اللسان ٤/١٥٨ .

(٤) فى اللسان ٨/٣١١ « والإرهاص على الذنب : الإصرار عليه ، وفى الحديث : وإن ذنبه لم يكن عن إرهاص : أى عن إصرار وإرصاد ، وأصـله من الرهص ، وهو تأسيس البنـيان » .

بالمعصية؛ وهمّ هو بالفرار منها ! وقال « بعضهم » : وهمّ بضربها ! والله تعالى يقول: ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[1]. أفتُراه أراد الفرار منها ، أو الضرب لها، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها ؟ ! هـــذا ما ليس به خفاء ولا يغالط مُتَأَوِّله . ولـكنها همّتْ منه بالمعصية هَمَّ نِيَّةٍ واعتقادٍ ، وهَمَّ نبي الله ٥ صلى الله عليه وسلم، هَمًّا عارِضًا بعد طُول المُرَاوَدَة ، وعند حدوث الشهوة التي أُتِيَ أكثرُ الأنبياء في هفواتهم منها .

وقد رُوِى في الحديث[2] : أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو هَمَّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا، عليهما السلام ؛ لأنَّه كان حَصُوراً لا يأتى / النساء ولا [١٧٢] يُريدُهُنَّ . فهذا يَدُلُّك على أنّ أكثر زلّات الأنبياء من هذه الجهة ، وإن ١٠ كانوا لم يَأْتُوا في شيء منها فاحشةً ، بنِعَم الله عليهم ومَنِّه ؛ فإن الصغير منهم كبيرٌ ، لِمَا آتاهم الله من المعرفة ، واصطفاهم له من الرسالة ، وأقام عليهم من الحُجَّة . ولذلك قال يوسف، صلى الله عليه : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[3] ، يريد ما أضمره وحدَّث به نفسَه عند حدوث

---

(١) سورة يوسف ٢٤ وتفسير الطبرى ١٢/١٠٨ ــ ١١٣ .

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده ٤/٨٠ (المعارف) عن ابن عباس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال: « ما من أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ أو هم بخطيئة ، ليس يحيى ابن زكريا » .

وفى مجمع الزوائد ٨/٢٠٩ : « عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كل بنى آدم يلقى الله بذنب ، وقد يعذبه عليه إن شاء ، أو يرحمه ، إلا يحيى بن زكريا ؛ فإنه كان سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحـين . وأهوى النبي إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : ذكره مثل هذه القذاة . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه حجاج بن سليمان الرعينى . وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه أبو زرعة وغيره . وبقية رجاله ثقات » .

وانظر تفسير الطبرى ٦/٣٧٧ ــ ٣٧٨ .

(٣) سورة يوسف ٥٣ .

الشهوة . وقد وضع الله تعالى الحَرَجَ عمَّن هَمَّ بخطيئةٍ ولم يعملها .

* * *

* وقالوا فى قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ : إنه غاضَبَ قومه ! استيحاشا من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره ، يخرج مُغَاضِبًا لربِّه . ولم يذهب مغاضبا لربِّه ولا لقومه ؛ لأنَّه بُعث إليهم فدعاهم بُرْهَةً من الدّهر فلم يستجيبوا ، ووعَدَهم عن الله فلم يرغبوا ، وحذَّرهم بأسه فلم يرهبوا ، وأعلمهم أنّ العـذابَ نازلٌ عليهم لوقتٍ ذَكَرَهُ لهم ، ثم إنه اعتزلهم يَنْتَظِرُ هَلَكَتَهم . فلمـــا حضر الوقت أو قرُب فكَّرَ القومُ واعتبروا ، فتابوا إلى الله وأنابوا ، وخرجوا بالمراضيع وأطفالها يجْأَرُون ويتضرَّعون ، فكشف الله تعالى عنهم العذابَ ومتّعهم إلى حين .

فإنْ كان نبي الله ، صلى الله عليه ، ذهب مُغَاضِباً على قومه قبل أن يؤمنوا ، فإنما راغَمَ من استحق فى الله أن يُرَاغَمَ ، وهجَرَ من وجب أن يهجر ، واعتزل من علم أنْ قد حقَّت عليه كلمةُ العذاب . فبأيِّ ذنبٍ عُوقِب بالتهام الحوت ، والحَبْسِ فى الظُّلُمات ، والغمّ الطويل؟

وما الأمر الذى ألَامَ فيه فنعاهُ اللهُ عليه إذْ يقول : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾[1] والمُليمُ : الذى أَجْرَمَ جُرْمًا استوجب به اللَّوْم .

ولِمَ أخرجهُ من أُولى العَزْم من الرّسُل ، حين يقول لنبيه ، صلى الله عليه:

(١) سورة الصافات ١٤٢ .

١٧٣] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ ؟[١] /.

وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا، فهذا أَغْلظ مما أنكروا، وأفحش مما استقبحوا ؛ كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا ، ولذلك انتُجِب[٢] ؛ وبه بُعث ؛ وإليه دعا؟!.

٥ وما الفرق بين عدو الله ووليّه إن كان وليّه يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون ؟

* والقول فى هذا أنّ المُغَاضَبَة : المُفَاعَلَة من الغضب ، والمُفَاعَلَة تكون من اثنين ، تقول : غَاضَبْتُ فلاناً مُغَاضَبَةً وتَغَاضَبْنَا : إذا غضب كلٌّ واحد منكما على صاحبه ، كما تقول : ضارَبْتَهُ مُضارَبةً ، وقاتلته مُقاتلةً ،
١٠ وتَضَارَبْنَا وتقاتلنا .

وقد تكون المفاعلة من واحد، فتقول : غاضَبْتُ من كذا : أى غَضِبْتُ ، كما تقول : سافرت وناوَلْتُ ، وعَاطيت الرَّجُلَ ، وشَارَفْتُ الموضع ، وجاوزْتُ ، وضاعَفْتُ ، وظاهرت ، وعاقبت .

ومعنى المُغَاضَبة ههنا : الأنفة ؛ لأنّ الأنِفَ من الشيء يَغْضَبُ ، فتُسَمَّى
١٥ الأَنَفَةُ غضباً ، والغضبُ أنفةً ؛ إذا كان كل واحد بسببٍ من الآخر ، تقول : غضبت لك من كذا ، وأنت تُرِيد أنفت ، قال «الشاعر» :

---

(١) سورة القلم ٤٨ .
(٢) المنتجب : المختار من كل شيء ، كما فى اللسان ٢/٢٤٥ .

غَضِبْتُ لَكُمْ أَنْ تُسَامُوا اللَّفاء　　بِشَجْنَاءَ مِنْ رَحِمٍ تُوصَلُ[1]

يروى مرة : « أنفت لكم » ، ومرة : « غضبت لكم » ؛ لأنّ المَعْنَيين متقاربان .

وكذلك « العَبَدُ » أصله : الغَضَبُ . ثم قد تُسمَّى الأَنفةُ عَبَدًا .

وقال « الشاعر » :　٥

* وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ[2] *

يريد : آنفُ .

وحكى أبو عُبَيدٍ ، عن أبي عَمْرو ، أنّه قال في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ : هو من الغضب والأَنفة . ففسَّرَ الحرف بالمعنيين لتقاربهما .

١٠　فكأنّ نبيّ الله، صلى الله عليه وسلم ، لمّا أخبرهم عن الله أنّه مُنزل العذاب عليهم / لأجَلٍ ، ثم بَلَغَهُ بعد مُضِيّ الأجَلِ أنّه لم يأتهم ما وعدهم ـ [١٧٤ خَشِيَ أَنْ يُنْسَبَ إلى الكذب ويُعَيَّر به ، ويُحقّق عليه ، لا سيّما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذابُ فنفعَهَا إيمانُها غيرُ قومه ، فدخلته الأَنَفَةُ والحَمِيّةُ ، وكان مغيظاً بطول ما عاناه من تكذيبهم وهُزْئهم وأذاهم

١٥　واستخفافهم بأمر الله ، مُشْتَهِياً لأَن ينزل بأسُ الله بهم . هذا إلى ضِيقِ

---

(١) نسبه ابن قتيبة في المعاني الكبير ١/٥٢٨ لخداش بن زهير ، وروايته فيه « أنفنا لهم » وقد قال في شرحه : « اللفاء : النقصان ، وشجناء : اشتباك الرحم ، ومنه قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في الرحم : إنها شجنة من الله عز وجل وشجر متشجن : ملتف » .

(٢) في اللسان ٤/٢٦٥ ، وقيل في قول الفرزدق :

أولئك قوم إن هجوني هجوتهم　　وأعبد أن أهجو كليباً بدارم :

أعبد : أي آنف » وقد سبق البيت ص ٣٧٤ .

صَدْرِه ، وقلّة صبره على ما صبر على مثله أولوا العَزْم من الرُّسل .

وقد روى فى الحديث[١] أنه كان ضيِّق الصدر ، فلما حُمِّلَ أَعْبَاءَ النُّبُوَّة تفسَّخَ تحتها تفسُّخَ الرُّبَعِ[٢] تحت الحِمْل الثَّقيل ، فمضى على وجهه مُضِيّ الآبِق النّادّ . يقول الله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[٣] .

٥

* * *

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ، أى لن نُضَيِّقَ عليه ، وأنَّا نُخلّيه ونُهْمله[٤] . والعرب تقول : فُلانٌ مُقدَّر عليه فى الرزق ، ومُقتَّرٌ عليه ، بمعنى واحد ، أى مضيّق عليه. ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾[٥] . وقدَرَ ـ بالتخفيف والتثقيل ـ قال «أبو عَمْرو بن العَلاء» : قَتَرَ وقَتَّر، وقَدَر وقَدَّر ، بمعنى واحد ، أى ضَيَّق . فعاقبه اللهُ عن حميَّته

١٠

(١) فى تفسير الطبرى ٢٧/٦١: « حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن وهب بن منبه اليمانى : أن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان فى خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة — ولها أثقال لا يحملها إلا القليل — تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل ، فقذفها بين يديه ، وخرج هاربا منها ، يقول الله لنبيه ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ أى لا تلق أمرى كما ألقاه » .

وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٥٨٤ — ٥٨٥ وكلمة أمرى فيه حرفت إلى « أخرى » وهو غير مسند فى تفسير البغوى ٥/٥٢٤ وما ذكره ابن قتيبة نقله القرطبي فى تفسيره ١١/٣٣٩ .

(٢) فى اللسان ٤/١٤ : « وتفسخ الربع تحت الحمل الثقيل : وذلك إذا لم يطقه » . وفيه ٩/٤٦١ « الربع الفصيل الذى ينتج فى الربيع » .

(٣) سورة الصافات ١٤٠ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ١٧/٦٢ ـ ٦٣ .

(٥) سورة الفجر ١٦ .

وأَنْفَتِهِ وإباقته، وكراهيته العفوَ عن قومه ، وقَبُولِ إنابتهم - بالحبس له ، والتَّضييق عليه فى بطن الحوت.

وفى رواية أبى صالح : أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل كان أمَرَه بالمسير إلى «نِينَوَى» ليدعوَ أهلها بأمر «شَعْيَاء» النبى عليه السلام ، فأَنِفَ من أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحدٍ غير الله تعالى ، فخرج مُغَاضِبًا للملك ، فعاقبه اللهُ بالتِقَام الُحوتِ.

قال : فلما قذفهُ الحوت بعثه اللهُ إلى قومه فدعاهم وأقام بينهم حتى آمنوا[1].

(١) راجع ما روى فى ذلك فى تفسير البغوى ٥٢٣/٥ ، والدر المنثور ٣٣٢/٤ — ٣٣٤ .

﴿ فى سورة يوسف ﴾

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ﴾[1].

قد تكلم « المفسرون » فى هذه الآية بمافيه مَقْنَعٌ وغناء عن أن يُوضَّح بغير لفظهم :

● فروَى عبدالرّزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن «قتادَة» ، أنّه قال : ﴿ اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ ﴾ من قومهم ﴿ وَظَنُّوا ﴾ أى : علموا ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ وكان يقرؤها بالتّشديد[2]. ٥

● وروَى عبدالرّزاق ، عن معمر ، عن الزُّهْرِى ، عن عروة ، عن «عائشة» أنها قالت : اسْتَيْئَسَ الرُّسُل ممن كذّبهم من قومهم أن يُصَدِّقوهم ، وظنَّت

---

(١) سورة يوسف ١١٠ وتفسير الطبرى ١٣/٥٣ ــ ٥٨ .

(٢) قال الطبرى فى تفسيره ١٣/٥٨ « وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قراء المدينة والبصرة والشام أعنى بتشديد الذال من « كذبوا » وضم « كافها » وهذا التأويل الذى ذهب إليه الحسن وقتادة فى ذلك إذا قرىء بتشديد الذال وضم الكاف — خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ؛ لأنه لم يوجه الظن فى هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين، مع أن الظن إنما استعمله العرب فى موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة ، فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة ، فإنها لا تستعمل فيه الظن ، لا تكاد تقول : أظننى حياً ، وأظننى إنساناً ، بمعنى : أعلمنى إنساناً ، وأعلمنى حيا والرسل الذين كذبتهم أممهم لا شك أنها كانت لأممها شاهدة . ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظنت بأممها أنها كذبتها » .

الرّسلُ أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذّبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك . وكانت تقرأ ﴿ فَكُذِّبُوا ﴾ بضم الكاف وتشديد الذال[١] .

* وروى حجّاج ، عن ابن جُرَيج : عن ابن أبى مُلَيكة ، عن عُروَة ، عن «عائشة» ، أنها قالت: لم يزل البلاء بالرّسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذّبوهم[٢] .

* ورَوَى حَجّاجُ ، عن ابن جُرَيجٍ ، عن «مُجَاهد» أنه قرأها ﴿قد كَذَبُوا﴾ بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال ، يريد : حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم فظنَّ قومُهم أنّ الرُّسلَ قد كذَبوا فيما بلّغوا عن الله عز وجل[٣] .

١٠ * ورَوَى حَجَّاج ، عن ابن جُرَيجٍ ، عن ابن أبى مُليكة ، عن «ابن عباس» أنه قرأ : ﴿ كُذِبُوا ﴾ بضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها . وقال : كانوا

---

(١) تفسير الطبرى ١٣/٥٨ .

(٢) تفسير الطبرى ١٣/٥٧ .

(٣) فى تفسير الطبرى ١٣/٥٨ « وروى عن مجاهد فى ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه كان يقرأ « وظنوا أنهم قد كذبوا » بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال ... وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها ؛ لإجماع الحجة من قراء الأمصار على خلافها . ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجهاً من التأويل، وهو أحسن مما تأوله مجاهد ، وهو : حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها ، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها . ويكون الظن موجهاً حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوله الحسن وقتادة » .

بشراً ، يعنى الرسل ، يذهب إلى أن الرسل ضَعُفُوا فظنّوا أنهم قد أُخْلِفُوا[1].

* وهذه مذاهب مختلفة ، والألفاظ تحتملها كلّها ، ولا نعلم ما أراد الله عزوجل ، غير أنّ أحْسنَها فى الظاهر ، وأولاها بأنبياء الله ، صلوات الله عليهم ، ما قالت أم المؤمنين « عائشة » رضى الله عنها.

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره ١٣/٥٧ : « وهذا تأويل ، وقول غيره من أهل التأويل أولى عندى بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء . والرسل إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ، ويشكوا فى حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته مالا يعاينه المرسل إليهم فيعذروا فى ذلك — إن المرسل إليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر . وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره . وقد ذكر هذا التأويل لعائشة فأنكرته أشد النكرة ، وقالت : معاذ الله ، ما حدث الله رسوله شيئاً قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم . وكانت تقرؤها : « قد كذبوا » تثقلها » .

﴿ فى سورة لإيلاف قريش ﴾

يذهب « بعض الناس » إلى أنّ هذه السورة وسورة الفيل واحدة .

وبلغنى / عن « ابن عُيَيْنَة » أنه قال : كان لنا إمام بالكوفة يقرأ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ و ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ولا يفرّق بينهما . [١٧٦

وتَوَهَّم القومُ أنهما سورة واحدة ؛ لأنهم رأوا قوله: ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ مردوداً إلى كلام فى سورة الفيل . ٥

وأكثر الناس على أنهما سورتان ، على ما فى مصحفنا ، وإن كانتا مُتَّصِلَتَى الألفاظِ ، على مذهب العرب فى التضمين .

والمعنى أنّ قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء أنْ تهجم عليها فيه ، وأنْ يعرض لها أحدٌ بسوء إذا خرجت منه لتجارتها . وكانوا يقولون : ١٠ قريش سُكانُ حرم الله ، وأهل الله وولاة بيته . والحرمُ وادٍ جَدِيب لازرع فيه ولا ضَرْعَ ، ولاشجر ولا مَرْعَى ، وإنما كانت تعيش قريش فيه بالتّجارة ، وكانت لهم رحلتان فى كل سنة : رحلةٌ إلى اليمن فى الشتاء ، ورحلة فى الصيف إلى الشام . ولولا هاتَانِ الرِّحلتَانِ لم يُمكن به مُقام ، ولولا الأَمْنُ بجوارِهم البيت ، لم يقدروا على التصرُّف . ١٥

فلمَّا قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليَهْدِموا الكعبة وينقُلُوا أحجارها

إلى اليمن فيبنوا يه هنـاك بيتاً ينتقـل به الأمن إليهم ، ويصير العزُّ لهم ، أهلَكهم اللهُ سبحانه ؛ لتَتميم قريش بالحَرَم ، ويجاوروا البيت ، فنال يَذكُر نعمته : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1]. ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[2]. أى : فعَل ذلك ليُؤَلِّف قريشاً هاتين الرحلتين اللَّتين بهما تعَيُّشُهُمْ ومُقامهم بمكة[3]

---

(١) سورة الفيل وآياتها ٥ .

(٢) سورة قريش ١ .

(٣) قال الطبرى فى تفسيره ٣٠/١٩٧ : « واختلف أهل العربية فى المعنى الجالب هذه اللام فى قوله : « لإيلاف قريش » فكان« بعض نحويى البصرة » يقول : الجالب لها قوله : « فجعلهم كعصف مأكول » فهى فى قول هذا القائل صلة لقوله : جعلهم . فالواجب على هذا القول أن معنى الكلام : ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل نعمة منا على أهل هذا البيت ، وإحساناً منا إلى نعمتنا عليهم فى رحلة الشتاء والصيف . فتكون اللام فى قوله : لإيلاف بمعنى إلى ، كأنه قيل : لنعمة لنعمة وإلى نعمة ؛ لأن إلى موضع اللام واللام موضع إلى ... كان« بعض نحويى الكوفة» يقول : وقد قيل هذا القول ، ويقال : إنه تبارك وتعالى عجب نبيه فقال : اعجب يامحمد لنعم الله على قريش فى إئلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم قال : فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك ، يستدل بقوله : « فليعبدوا رب هذا البيت » وكان بعض أهل التأويل يوجه تأويل قوله : « لإيلاف قريش » إلى ألفة بعضهم بعضاً ... والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن هذه اللام بمعنى التعجب ، وإن معنى الكلام : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف، فليعبدوا رب هذا البيت . والعرب إذا جاءت بهذه اللام فأدخلوها فى الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلا على التعجب من إظهار الفعل الذى يجلبها . وأما القول الذى قاله من حكينا قوله أنه من صلة قوله : « فجعلهم كعصف مأكول » فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون « لإيلاف » بعض « ألم تر » ، وأن لا تكون سورة منفصلة من « ألم تر » ، وفى إجماع المسلمين على أنهما سورتان تامتان كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ما يبين عن فساد القول الذى قاله من قال ذلك ولو كان قوله : « لإيلاف قريش » من صلة قوله : « فجعلهم كعصف مأكول » لم تكن « ألم تر » تامة حتى توصل بقوله : « لإيلاف قريش » ؛ لأن الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر ... » .

تقول : أَلِفْتُ موضع كذا : إذا لَزِمْتَه ، وآلفَنيه اللهُ ، كما تقول : لزمت موضع كذا ، وألْزَمَنيه اللهُ .

وكرّر «لإيلاف» كما تقول فى الكلام : أعطيتك المال لصيانة وجهك صِيانةً عن كلّ الناس ، فتكرّر الكلام للتوكيد ، على ما بينا فى « باب التكرار»/ . [١٧٧

ثم أمرهم بالشكر فقال : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ ﴾ فى هذا الموضع الجَدِيب من الجوع ، وآمنهم فيه، والناس يُتَخَطَّفُونَ حَوْلَهُ من الخوف .

﴿ فى سورة النحل ﴾

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[١] .

تَفَيُّؤُ الظِّلالِ : رجوعُها من جانب إلى جانب ، فهى مرة تُجَاهَ الشَّخْصَ ، ومرة وراءه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن شماله .

٥ وأصل الفَيْءِ : الرّجوع ، ومنه قيل للظل فى العَشِيّ : فَيْءٌ ؛ لأنه فَاءَ ، أى رجع من جانب إلى جانب . ومنه الفَيْءُ فى الإيلاء[٢] إنما هو : الرّجوع إلى المرأة .

وأصل السجود : التّطَأْطُؤ والميل ، يقال : سجد البعير وأُسْجِد : إذا طُؤْطِئَ لِيُرْكَب ، وسجدت النّخلة : إذا مالت . قال « لبيد » يصف نخلا :

١٠ * غُلْبٌ سَوَاجِدُ لم يَدْخُل بها الحَصَرُ[٣] *

فالغُلب : الغلاظ الأعناق[٤] . والسَّوَاجِدُ : الموائل .

---

(١) سورة النحل ٤٨ وفى تفسير الطبرى ١٤/٧٨ : « فتأويل الكلام إذا : أولم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من جسم قائم : شجر أو جبل أو غير ذلك ، يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ، يقول : يرجع من موضع إلى موضع ، فهو فى أول النهار على حال ثم يتقاص ثم يعود إلى حال أخرى فى آخر النهار »

(٢) الإيلاء : الحلف ، يقال آليت من امرأتى أولى إيلاء : إذا حلف أن لا يجامعها .

(٣) ديوانه ٦٠ وفى اللسان ٤/١٨٩ : « ونخلة ساجدة : إذا أمالها حملها ، وسجدت النخلة : إذا مالت ، ونخل سواجد ؛ مائلة ، عن أبى حنيفة ، وأنشد للبيد :

بين الصفا وخليج العين ساكنة غلب سواجد لم يدخل بها الحصر

قال : وزعم ابن الأعرابى أن السواجد هنا : المتأصلة الثابتة » . والحصر : العطش .

(٤) اللسان ٢/١٤٤ .

ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض : ساجد ؛ لأنه تَطَامَنَ فى ذلك .

ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذُّل ، كما يستعار التطأطؤ والتُّطامنُ فيوضعان موضع الخشوع والخضوع والانقياد والذل ، فيقال : تَطَامَنْ للحق ؛ أى أخضع له ، وتَطَأْطَأْ لها تَتَخَطّك ، أى تذلَّل لها ولا تعزَّزْ .　　٥

ومن الأمثال المبتذله : اسْجُدْ للقرد فى زمانه[1] . يراد : اخضع للسِّفلة واللئيم فى دولته ، ولا يُراد معنى سجود الصلاة . قال « الشاعر » :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ　　تَرَى الأُكْمَ فيها سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[2] / [١٧٨

يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأُكْمَ ووطئتها حتى خشعت وانخفضت .

* ومن خلق الله عز وجل : المُسَخَّرُ المقصورُ على فعل واحد ، كالنّار شأنُها الإحراق ، والشمس والقمر شأنُهما المسير الليلَ والنَّهار دائِبَيْن ، والفلك المسخّر للدّوران .　　١٠

---

(١) فى الحيوان ١/٣٤٥ « وقال العتابى :

اسجد لقرد السوء فى زمانه　　وإن تلقاك بخنزوانه

* لا سيما ما دام فى سلطانه *

(٢) من أبيات لزيد الخيل فى الكامل ١/٣٥٨ وروايته : « بجيش » وقال المبرد فى شرحه : « قوله : تضل البلق فى حجراته » يقول : لكثرته لا يرى فيه الأبلق ، والأبلق مشهور المنظر ؛ لاختلاف لونيه . وحجراته : نواحيه . وقوله: « ترى الأكم منه سجداً للحوافر » يقول : « لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تاصقها بالأرض » والبيت فى المعانى الكبير لزيد وفى شرحه يقول ابن قتيبة : « يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، فغيرها أحرى أن تضل . يصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر » وهو لزيد أيضاً فى الأغانى ١٦/٥٢ ومجموعة المعانى ص ١٩٢ ومجمع البيان ١/١٤١ وتفسير الطبرى ١/٢٨٩ وغير منسوب فيه ١/٢٣٨ وفى الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٥٧ ، والصناعتين ص ٢٢١ والصاحبي ص ٢٢٤ والأزمنة والأمكنة ١/٣٥ وعجزه كذلك فى اللسان ٤/١٨٩ والبحر المحيط ١/٥١ . ولعروة بن زيد فى الوساطة ٤٣٥ .

ومنه المُسَخَّرُ لمعنيين ، ثم هو مُخَـيَّرٌ بينهما ، كالإنسانِ فى الكلام والسكوت ، والقيام والقعود ، والحركة والسكون . والشمس والظلّ ، خَلْقان مُسَخَّران لِأَنْ يُعَاقِبَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحِبَه بغيرِ فصْلٍ .

والظلُّ فى أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمُّ الأرضَ كما تَعُمُّها ظلمةُ الليل ، ثم تطلُع الشمسُ فَتَعُمُّ الأرضَ إلا ماسترته الشُّخُوصُ ، فإذا ستر الشّخص شيئاً عاد الظلّ . فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمساً ، ودورَانُه من من جانب إلى جانب ـ هو سُجُودُه ؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتّسخير ، وهو فى ذلك يميل ، والميل : سجود .

وكذلك قوله : ﴿ والنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان ﴾[1] ، أى يستسلمان لله بالتّسْخير .

وقوله : ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[2] ، أى يستسلم مَنْ فى السموات مِنَ الملائكة، ومن فى الأرض من المؤمنين طَوْعاً ، ويستسلم مَنْ فى الأرض مِنَ الكافرين كَرْهاً مِنْ خوف السيف . ﴿ وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ مُسْتَسْلِمةٌ .

وهو مثل قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الرحمن ٦ .
(٢) سورة الرعد ١٥ .
(٣) سورة آل عمران ٨٣ .

﴿في سورة ويل لكل همزة﴾

﴿ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾[١].

قوله : ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ / أى تُوفِى عليها وتُشْرِفُ ، ويقال : [١٧٩
طلَعَ الجبلَ واطَّلع عليه : إذا علا فَوْقَه .

وخصّ الأفئدة ؛ لأنّ الألمَ إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه . فأخبرنا ٥
أنهم فى حال مَن يموت وهم لا يموتون .

وهو كما قال : ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾[٢] .
يريد أنه فى حال من يموت وهو لا يموت.

---

(١) سورة الهمزة ٦ ، ٧ وتفسير الطبرى ٣٠/١٩٠ .
(٢) سورة طه ٧٤ .

﴿ فى سورة محمد، صلى الله عليه ﴾

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا : لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[1] .

كان المسلمون إذا بطل الوحىُ يقولون : هَلّا نزل شىء ، تأميلًا أن تنزل عليهم بُشْرَى من الله وفتحٌ وخير وتخفيف ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ أى مُحْدَثة . وسميت المحدثة : مُحْكَمَةً ؛ لأنها حين تنزل تكون كذلك حتى يُنْسخَ منها شىء . وهى فى حَرْف عبد الله ﴿ فإذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ ﴾[2]. ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ ، أى فُرِضَ فيها الجهاد ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أى شكٌّ ونفاق ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ، يريد أنهم يشخصون نحوَكَ بأبصارهم ، وينظرون نظراً شديداً بتحديق وتحديد ، كما ينظر الشّاخِصُ ببصره عند الموت ، من شِدَّة العداوة . والعرب تقول : رَأَيْتُه لَمْحًا بَاصِراً أى نظراً صُلْباً بتحديق . ونحوه قوله : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾[3] ، أى يسقطونك بشدة نظرهم ؛

(١) سورة محمد ٢٠ ـ ٢٢ وتفسير الطبرى ٢٦/ ٣٤ ـ ٣٦ والبحر المحيط ٨/ ٨٠ ـ ٨٢ .
(٢) تفسير الطبرى ٢٥/ ٣٤
(٣) سورة القلم ٥١ .

وقد تقدم ذكر هذا[١] .

ثم قال : ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ تهددٌ ووعيدٌ . وتمّ الكلام ، ثم قال : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ وهذا مختصر ، يريد قولهم قبل نزول الفرض / : [١٨٠ سَمْعٌ لك وطاعة .

٥ ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ ، أى جاء الجِدّ كرهوا ذلك ، فحذف الجواب على مابينت فى باب الاختصار[٢] .

ثم ابتدأ فقال : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ . ثم قال : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ ، أى انصرفتم عن النبى ، عليه السلام ، وما يأمركم به ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، ١٠ يريد فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمداً ، صلى الله عليه ، وما يأمركم به ـ أنْ تَعُودُوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر ، والإفساد فى الأرض وقطع الأرحام ؟

---

(١) راجع ص ١٧١ .
(٢) راجع ص ١٣٢ .

﴿ فى سورة ق ﴾

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ : هٰذَا مَالَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ : رَبَّنَا مَاأَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فى ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ : لَاتَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(1) .

السائق ههنا : قرينُها من الشياطين ، سمّى سائقاً ، لأنه يتبعها وإنْ لم يَحُثَّها ويدفعها. وكان رسول الله، صلى الله عليه، يسوق أصحابه، أى يكون وراءهم.

والشّهيد : الملَك الشاهد عليها بما عملت .

يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا﴾ فى الدنيا . ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ أى : أريناك ما كان مستوراً عنك فى الدنيا .

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أى : فأنت ثاقبُ البصر لمّا كُشِفَ عنك الغطاء .

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ يعنى : الملَك .

﴿هٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ يعنى : ما كتبه من عمله ، حاضر عندى .

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يقال : هو قول الملك ، ويقال : قول الله جل ذكره .

---

(1) سورة ق ٢١ ــ ٢٩ وتفسير الطبرى ٢٦/١٠١ ــ ١٠٥ .

و ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ من الشياطين : ﴿ رَبَّنَا مَاأَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

* * *

وهذا مثل قوله سبحانه : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾(١)
يعنى : قرناءهم . والعرب تقول : زَوَّجتُ البعير بالبعير ، إذا قَرَنت أحدَهما ٥
بالآخر . ومنه قوله : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾(٢) أى : قَرَنَّاهم بهن .
/ ثم قال : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا : إِنَّكُمْ [١٨١
كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ، قَالُوا : بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، ١٠
وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ، فَحَقَّ عَلَيْنَا
قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾(٣) يعنى : نحن وأنتم ذائقون العذاب ، وقد
تقدم تفسير هذا(٤) .

* * *

﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى : ﴿ لاتَخْتَصِمُوا لَدَىَّ ﴾ يعنى : المجرمين وقُرَناءَهم
من الشياطين ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ .
أى : لايغيَّرُ عن جهته ، ولا يُحرَّف ، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص ؛ لأنِّى أعلم ١٥
كيف ضلُّوا وكيف أضللتموهم . ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة الصافات ٢٢ .
(٢) سورة الدخان ٥٤ .
(٣) سورة الصافات ٢٢ - ٣١ .
(٤) راجع ص ٣٤٨-٣٤٩
(٥) سورة ق ٢٨ - ٢٩ .

﴿ فى سورة الروم ﴾

﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ﴾(١) .

كانت «فارس» غلبت «الروم» على أرض الجزيرة ، وهى أدْنَى أرض الروم من سلطان فارس، فسُرَّ بذلك مشركو قريش.

وكان المسلمون يحبّون أن تَظْهَرَ الروم على أهل فارس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، وأهل فارس مجوس ، فساءهم أن غلبوهم على شىء من بلادهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ أى : والروم من بعد أن غُلِبُوا ﴿ سَيَغْلِبُونَ ﴾ أهل فارس . وغَلَبهم يكون للغالبين والمغلوبين جميعاً ، كما تقول : والشهداء من بعد قَتْلِهم سيرزقون ، أى : من بعد أن قتلوا ﴿ فى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ والبِضْعُ: ما فوق الثلاث ودون العشر . فغلَبت الرومُ أهلَ فارس وأخرجوهم من بلادهم «يوم الحُدَيْبية».

[١٨٢] ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ أى : له الغلبة لمن شاء / مِن قبلُ ومنْ بعد ﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ أى: يوم يغلب الروم أهل فارس ﴿ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ﴾ أهلَ الكتاب على المجوس .

قال «الشَّعْبى» فى سورة الفتح : أُنزلت بعد الحُدَيبية، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وبايعوه مبايعة الرِّضْوان ، وأُطْعِمُوا نخلَ خَيْبر ، وظَهَرَتْ الرّوم على فارس ،وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله،وظهرت الروم على المجوس.

(١) سورة الروم ١ ــ ٤ وتفسير الطبرى ٢١/١١ ــ ١٦ .

﴿ في سورة القصص ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾(١) .

مَعَادُ الرَّجُلِ : بلدُه ؛ لأنه يتصرَّفُ فى البلاد ، ويَضْرِبُ فى الأرض ثم يعود إلى بلده . يقال: رُدَّ فلانٌ إلى مَعَادِه ، أى رُدَّ إلى بلده . ومثله قولهم لمنزل الرجل : مَثَابُ وَمَثَابَةٌ ؛ لأنَّه يتصرَّفُ فى حوائجه ثم يَثُوبُ إليه .

وكان رسول الله، صلى الله عليه ، حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم بمُفَارَقَةِ مكة ؛ لأنَّهَا مولده وموطنه ومنشؤُه ، وبها أهـله وعشيرته ، واستوحش . فأخبره الله سبحانه فى طريقه أنَّه سَيَرُدُّه إلى مكة ، وبشّره بالظهور والغَلَبَة .

وفى الآية تقديم وتأخير ، والمعنى : إنَّ الذى فَرَضَ عليك القرآن ، أى جعلك نبيًّا يُنْزِلُ عليك القرآن ـ وما كُنْتَ ترجو قبلَ ذلك أَنْ تـكون نبيًّا يُوحَى إليك الـكتابُ ـ لَرَادُّكَ إلى مكة ظاهراً قاهراً . وهو معنى تفسير أبى صالح ومجاهد .

وقال الحسن: مَعَادُه : يوم القيامة.ووافقه على ذلك الزُّهْرِى(٢) / [١٨٣] وروى عبدالرَّزَّاق ،عن مَعْمر، عن قَتَادَة ، قال:هذا مما كان ابن عباس يَـكْتُمه(٣) .

---

(١) سورة القصص ٨٥ ـ ٨٦ وتفسير الطبرى ٢٠/٧٩ ـ ٨١

(٢) تفسير الطبرى ٢٠/٨٠ .

(٣) فى تفسير الطبرى ٢٠/٨٠ عدة روايات عن ابن عباس قال فيها : لرادك إلى معاد ، أى إلى الموت أو إلى مكة . ورواية قتادة فى الدر المنثور ٥/١٤٠

﴿ فى سورة الجن ﴾

قال أبو محمد :

فى هـذه السورة إشكال وغموضٌ : بما وقع فيها من تـكرار« إنَّ » واختلافِ القرّاء فى نصبها وكسرها ، واشتِباهِ مافيها من قول الله تعالى وقول الجن ، فاحْتَجْنا إلى تأويل السورة كلِّها[١] .

٥ قال تعالى لنبيه : ﴿ قُلْ : أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ وكانوا استمعوا لرسول الله، صلى الله عليه ، وهو يقرأ : ﴿ فَقالُو : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ يعنى أنهم قالوا ذلك لقومهم حين رجعوا إليهم . واعتبارُ هذا قوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾[٢] ثم قال : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

١٠ ثم قال : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[٣]

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/٦٤ — ٧٨ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٩ وبقية الآية « فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » .

(٣) سرد الطبرى اختلاف أهل التأويل فى تفسير هذه الآية ٢٩/٦٥-٦٦ ثم قال : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : عنى بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه . وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأن للجد فى كلام العرب معنيين : أحدهما الجد الذى هو أبو الأب أو أبو الأم ، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، وذلك أنهم قد قالوا : « فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً » ومن وصف الله بأن له ولداً أو جداً هو أبو الأب أو أبو الأم — فلا شك أنه من المشركين . والمعنى الآخر : الجد الذى بمعنى الحظ ، يقال : فلان ذو جد فى هذا الأمر ، إذا كان له حظ فيه ، وهو الذى يقال له بالفارسية : البخت . وهذا المعنى الذى قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم : « وأنه تعالى جد ربنا » إن شاء الله . وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية ، فلا تكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذى تضطره الشهوة الباعثة إلى إتخاذها ، وأن الولد

يقال : جَدَّ فلانٌ فى قومه : إذا عظُم عندهم

ثم قال : ﴿ وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا ﴾ أى : جاهلنا يقول شططاً ، أى : غُلُواً فى الكذب والجور .

ثم قال : ﴿ وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا ﴾ .

يقولون : كنا نتوهم أنّ أحداً لايقول على الله باطلا . يريدون : إنّا كنا قبل اليوم نُصدِّقهم ونحن نظن أن أحداً لا يكذب على الله . وانقطع ههنا قول الجن . ٥

و « إن » فى جميع هذا مكسورة[1] إلا « أَنَّهُ اسْتَمَعَ » .

إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذى يحـدث منه الولد ، فقال النفر من الجن : علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أو وقاع شىء يكون منه ولد » .

(١) وهى فى جميع هذا مفتوحة فى المصحف ، ويجدر بنا أن نورد هنا أقوال القراء فى ذلك ، كما فصلها أبو جعفر الطبرى فى تفسيره ٢٩/٦٦ قال : « واختلفت القراء فى قوله : «وأنه تعالى» فقرأه أبو جعفر القارىء ، وستة أحرف أخر بالفتح ، منها : أنه استمع نفر ، وأن المساجد لله ، وأنه كان يقول سفيهنا ، وأنه كان رجال من الإنس ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه ، وأن لو استقاموا على الطريقة .

وكان نافع يكسرها كلها إلا ثلاثة أحرف : أحدها: قل أوحى إلى أنه استمع نفر ، والثانية: وأن لو استقاموا ، والثالثة : وأن المساجد لله .

وأما قراء الـكوفة غير عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما فى آخر سورة النجم، وأول سورة الجن، إلا قوله : فقالوا إنا سمعنا ، وقوله : قال : إنما أدعو ربى ، وما بعده إلى آخر السورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله : ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وأما عاصم ، فإنه كان يكسرها جميعها إلا قوله : وأن المساجد لله ، فإنه كان يفتحها .

وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسرها جميعها إلا قوله : وأن لو استقاموا على الطريقة ، فإنه كان يفتح هذه وما بعدها .

فأما الذين فتحوا جميعها إلا فى موضع القول كقوله : فقالوا: إنا سمعنا ، وقوله : قال : إنما أدعوا ربى ، ونحو ذلك — فإنهم عطفوا «أن» فى كل السورة على قوله : فآمنا به، وآمنا بكل ذلك، ففتحوها بوقوع الإيمان عليها ...

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ ﴾ فإن شئت أن تنصب ﴿ وَأَنَّهُ ﴾ وتردها إلى قوله : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ﴾ ، وأنه أوحى إلىّ أنه كان رجال ـ نَصَبْتَ . وإن شئت أن تكسرها وتجعلها مبتدأة من الله سبحانه ، فَعَلْتَ .

٥ وكان الرجل فى الجاهلية إذا سافر فصار إلى موضع مُقْفِرٍ مُوحِشٍ لا أنيس به ، قال : أعوذ بسيِّد هذا المكان من سفهائه . يعنى سفهاء الجن / [١٨٤] ويعنى بالسيد : رئيسهم .

يقول الله عز وجل : ﴿فَزَادُوهُم رَهَقاً﴾ يريد أنهم يزدادون بهذا التعوُّذ طُغياناً وإثماً فيقولون : سُدْنَا الجن والإنس .

١٠ ثم قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً ﴾ يقول : ظن الجن كما ظننتم أيها الإنس أن لا بعث يوم القيامة(١) . أى كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون به .

واقطع ههنا قول الله تعالى .

وأما الذين كسروها كلها ، وهم فى ذلك يقولون : وأن لو استقاموا ، فكأنهم أضمروا يميناً مع لو ، وقطعوها عن النسق على أول الكلام ، فقالوا : والله أن لو استقاموا ...

ومن كسرها كلها ونصب : وأن المساجد لله ، فإنه خص ذلك بالوحى ، وجعل وأن لو مضمرة فيها اليمين .

وأما نافع ، فإن مافتح من ذلك فإنه رده على قوله : أوحى إلى ، وما كسره فإنه جعله من قول الجن .

وأحب ذلك إلى أن أقرأ به : الفتح فيما كان وحياً ، والكسر فيما كان قول الجن ؛ لأن ذلك أفصحها فى العربية ، وأبينها فى المعنى ، وإن كان للقراءات الأخر وجوه غير مدفوع صحتها ».

(١) راجع تفسير الطبرى ٢٩/٦٨ .

وقالت الجن: ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾[١]

و « إِنَّا » مكسورة نَسَقٌ على ما تقدم من قولهم . يريدون : حُرِستْ بالنجوم من استماعنا وكنا قبل ذلك نقعد منها مقاعد للسمع .

* وروَى عبد الرّزّاق عن معمَر أنه قال : قلت للزهرى : أكان يُرمى بالنجوم فى الجاهلية ؟ فقال : نعم .

قلت : أفرأيت قوله : ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾.

فقال : غُلِّظَتْ وشدِّدَ أَمْرُها حين بعث النبى ، صلى الله عليه وسلم .

* وروى عبد الرزاق، عن معْمَر ، عن الزُّهْرِى[٢] ، عن على بن حُسَين ،

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره ٢٩/٦٩ « يقول عز وجل مخبراً عن قيل هؤلاء النفر: وأناطلبنا السماء وأردناها فوجدناها ملئت حرساً شديداً ، يعنى حفظة ، وشهباً ، وهى جمع شهاب،وهى النجوم التى كانت ترجم بها الشياطين ... عن سعيد بن جبير قال : كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا:إن هذا الذى حدث فى السماء لشىء حدث فى الأرض . فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبى صلى الله عليه وسلم خارجاً من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر ، فذهبوا إلى قومهم منذرين » .

(٢) ذكر مسلم فى صحيحه حديثاً انفرد به عن البخارى ، فى باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، وهوبسنده عن ابن شهاب الزهرى قال: « حدثنى على بن حسين أن عبدالله بن عباس قال : أخبرنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ، رمى بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله : ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رمى بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه ، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم . حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا . ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال . قال : فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به . فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون » .

عن «ابن عباس» أنه قال: بينا النبي، صلى الله عليه وسلم، جالس فى نفر من الأنصار إذ رُمِيَ بنجمٍ فاسْتَنَارَ ، فقال : ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية ؟ فقالوا : كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم . فى حديث فيه طول اختصرناه وذكرنا هذا منه لِنَدُلَّ على أن الرجم قد كان قبل مَبْعَثِه ولكنه لم يكن مثله
٥ الآن فى شدة الحراسة قبل مبعثه ، وكانت تسترق فى بعض الأحوال ، فلما بُعِثَ مُنِعَتْ من ذلك أصلًا .

[١٨٥] وعلى هذا وجدنا الشعراء القدماء :

قال «بِشرُ بن أبى خَازِم» الأَسَدى / وهو جاهلى :

وَالعَيْرُ يُرْهِقُها الغُبَارُ وَجَحْشُهَا ... يَنْقَضُّ خَلْفَهما انقِضَاضَ الكَوْكَبِ[(١)]

١٠ وقال «أَوْس بن حَجَر» ، وهو جاهلى :

وَانْقَضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه ... نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبًا[(٢)]

وقال «عَوْف بن الخَرِع» ، وهو جاهلى :

---

(١) البيت لبشر فى ديوانه ٣٧ ، وفى المعانى الكبير ٢/٧٣٩ «شبه الحمار والجحش بالكوكب المنقض فى سرعته وبياضه» وهو فى الحيوان ٦/٢٧٣ وفيه: «يرهقها الحمار» وقال الجاحظ فى ص ٢٧٩: «وقد طعنت الرواة فى هذا الشعر الذى أضفتموه إلى بشر بن أبى خازم من قوله : «والعير يرهقها — البيت — فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب ولا بدن الحمار ببدن الكوكب وقالوا : فى شعر بشر مصنوع كثير ، مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره» .

(٢) البيت لأوس ديوانه ص ٣ ، وفى المعانى الكبير ٢/٧٣٨ وبعده :

يخفى وأحياناً يلوح كما ... رفع المشير بكفه لهباً

وهو له فى الحيوان ٦/٢٧٤ واللسان ١/٦٧ وفيه : «فانقض كالدرىء يتبعه نقع يثوب» والدرىء : الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان. وقوله : تخاله طنباً، يريد تخاله فسطاطاً مضروبا» وقال الجاحظ بعقب هذا البيت : «وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس» .

يَرُدُّ علينا العَيْرَ مِنْ دُونِ أَنفِهِ أو الثَّوْرَ كالدُّرِّيِّ يتبعه الدَّمُ[1]

وفى أيدى الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم : تنبئ عن انقضاض النجوم فى كلّ عصر وكلّ زمان[2] .

* * *

ثم قالت الجن : ﴿ وَإِنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الأَرْضِ ﴾ حين اشتدت حراسة السماء من استراق السمع ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُم رَشَداً ﴾ أى خيراً .

ثم قالت الجن : ﴿ وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ بعد استماع القرآن ، ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أى : مِنَّا بررَة أتقياء ، ومنا دون البررة ، وهم مسلمون و ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾ أى : أصنافاً ، وكلٌّ فرقة قدّة ، وهى مثل قطعة فى التقدير وفى المعنى ؛ فكأنهم قالوا : نحن أصناف وقِطعٌ .

ثم قالت الجن : ﴿ وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى : الكافرون ، الآية . وانقطع كلام الجن .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾[3] أى : لو آمنوا جميعاً لوَسَّعْنا عليهم فى الدنيا . وضَرَبَ الماءَ الغَدَقَ ،

---

(١) البيت لعوف فى الحيوان ٦/٢٧٥ كما هنا ، وفى المعانى الكبير ٢/٧٣٩ : « دون إلفه » وأحسب أنه هو الصواب، قال زهير:

فرد علينا العير من دون إلفه على رغمه يدمى نساهُ وفائله

رده علينا : قطعه من إلفه . وإلفه : أتانه . ونساه : عرق فى رجله . والفائل : عرق فى الفخذ ، كما قال ثعلب فى شرح ديوان زهير ص ١٣٦ .

(٢) راجع ما قاله الجاحظ عن هذا فى الحيوان ٦/٢٨٠ .

(٣) راجع تفسير الطبرى ٢٩/٧١ – ٧٢ .

وهو الكثير ، لذلك مثلا ؛ لأنَّ الخير والرّزق كلّه بالمطر يكون ، فأقيم مُقامه إذ كان سَبَبَه على ما أعلمتك فى المجاز.

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ . أى لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم .

وفيه قول آخر ، يقول: ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا ﴾ جميعاً على طريقة الكفر: لَوَسَّعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنة لهم/ و « أن » منصوبةٌ مَنْسُوقةٌ على ماتقدّم من قوله سبحانه . [١٨٦

ثم قال : ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾[١] أى يدخله عذاباً شاقاً .

يقال : سلكْتُ الخيط فى الحبّة وأَسْلكْتُه : إذا أدخلته ، ومنه سُمِّى الخَيْطُ سِلْكاً ، تقول : سَلَكْتُهُ سَلْكاً ، فتفتح أوّل المصدر . وتقول للخيط : هذا السِّلْكُ ؛ فتكسر أوّل الاسم ، مثل القَطْف والقِطْف[٢] .

ومن الصَّعَدِ قيل : تَصَعَّدَنى هذا الأمر ، أى شَقَّ على . والصَّعُودُ : العَقَبَةُ الشّاقة . ومنه قوله : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾[٣] ثم قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾[٤] بنصب «أنَّ» نَسَقٌ على ماتقدّم

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/٧٣ .

(٢) القطف — بفتح القاف — فعلك بالثمرة إذا قطعتها ، القطف — بكسرها — نفس الثمرة .

(٣) سورة المدثر ١٧ .

(٤) قال الطبرى فى تفسيره ٢٩/٧٣ «يقول تعالى ذكره لنبيه، محمد صلى الله عليه وسلم : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ، وأن المساجد لله فلا تدعوا أيها الناس مع الله أحداً ولا تشركوا به فيها شيئاً ، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة » .

من قوله : يريد أنَّ السجودَ لله ، ولا يكون لغيره ؛ جمع مَسْجَدٍ، كما تقول : ضربتُ فى البلاد مَضْرَباً بعيداً ، وهذا مَضْرَبٌ بعيد .

ثم قال سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ ﴾ بنصب «أنّ» نَسَقٌ على ما تقدم من قوله سبحانه . يريد لما قام النبي ، عليه السلام ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ أى يدعو الله ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ يعنى الجنَّ كادوا يَلْبَدُونَ به ويتراكبون ، رَغْبَةً فيما سمعوا منه، وشَهْوَةً له[1].

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ : إِنِّى لاأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَداً * قُلْ : إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً * حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَايُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً * قُلْ : إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَاتُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً * عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ أى ارتضاه للنُّبُوَّة والرِّسالة ؛ فإنَّه يُطْلِعُه على مايشاء من غيبه .

---

(١) هذا تأويل من تأويلات سردها الطبرى ٢٩/٧٣ ـ ٧٥ ثم قال : « وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، لما قام يدعوه، كادت العرب تكون عليه جميعاً فى إطفاء نورالله . وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب؛ لأن قوله : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » عقيب قوله: « وأن المساجد لله » وذلك من خبر الله ، فكذلك قوله : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله : « فلا تدعوا مع الله أحداً » فمعلوم أن الذى يتبع ذلك الخبر عما لقى المأمور بألا يدعو مع الله أحداً ، فى ذلك ، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة » .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ أى يجعل بين يديه وخلفه رصـــداً من الملائـكة ، يحوطون الوحْىَ من أن تَسْتَرِقَهُ الشياطين فَتُلْقِيَهُ إلى الـكَهَنَةِ، حتى تخبرَ به الـكهنةُ إخْبَارَ الأنبياء ؛ فلا يكون بينهم وبين الأنبياء فَرْقٌ ، ولا يكون للأنبياء دلالة .

٥ ثم قال : ﴿ لِيَعْـلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِم ﴾ أى ليبلِّغوا رسالات ربهم[١] .

و «العلم» ههنا مثله فى قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا ١٨٧] يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾[٢] / يريد : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولـمَّا تُجَاهدوا وتصبروا ، فيعلم الله ذلك ظاهراً موجوداً يَجِبُ به ثوابكم ، ١٠ على ما بينا فى غير هذا الموضع[٣] .

---

(١) قال الطبرى ٢٩/٧٨ « وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب قول من قال : ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغو رسالات ربهم ؛ وذلك أن قوله : « ليعلم » من سبب قوله : « فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً » وذلك خبر عن الرسول ، فمعلوم بذلك أن قوله : « ليعلم » من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه » .

(٢) سورة آل عمران ١٤٢ .

(٣) راجع ص ٣١٢ .

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[1] . هذا فى يوم القيامة . يريد أنه إذا بُعث النّاس مِنْ قبورهم خرجوا مُسْرعين ، يقول الله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾[2] أى يسرعون ؛ إلّا أَكَلَةَ الرِّبا،فإنهم يقومون ويسقطون، كمايقوم الذى يتخبطه الشيطان ويسقط؛ لأنهم أكلُوا الرّبا فى الدنيا، فأَرْبَاه اللهُ فى بطونهم يوم القيامة حتى أَثْقَلَهُم، فهم ينهضون ويسقطون ، ويريدون الإسراع فلا يقدرون[3] .

(١) سورة البقرة ٢٧٥ وتفسير الطبرى ٣/٦٧ ـ ٦٨ .

(٢) سورة المعارج ٤٣ وفى تفسير الطبرى ٢٩/٥٥ « وقوله : « يوم يخرجون » بيان وتوجيه عن اليوم الأول الذى فى قوله : « يومهم الذى يوعدون » وتأويل الكلام : حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث ، وهى: القبور ، واحدها جدث ، كأنهم إلى نصب يوفضون. يقول: كأنهم إلى علم قد نصب لهم يستبقون .. والإيفاض:الإسراع » .

(٣) لخصها ابن الجوزى فى زاد المسير ١/٣٣٨

﴿ في سورة الأحزاب ﴾

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا * لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً ﴾(١).

٥ إن الله ، جلّ ذكره، لما آستَخْلَفَ آدمَ على ذُرِّيته ، وسلّطه على جميع مافى الأرض من الأنعام والطير والوحش - عهد إليه عهداً أمره فيه ونهاه ، وحرّم عليه وأحلّ له ، فقبلَه ، ولم يزل عاملا به إلى أن حضرَتْه الوفاةُ ، فما حضرته ، صلى الله عليه ، سألَ اللهَ أن يُعْلِمَه من يَستخلفُ بعدَه ويقلّده من الأمانة ماقلَّده . فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشَّرْطِ الذى أَخَذَ

١٠ عليه من الثّواب إنْ أطاع ، ومن العقاب إن عصى . فأَبَيْنَ أنْ يَقْبَلْنَه شَفَقاً من عقاب الله .

ثم أَمَرَه أن يعرض ذلك على الأرض والجبال ؛ فكلُّها أَباه .

[١٨٨] ثم أمره أن يعرضه على ولده ، فعرضه / عليه فقبله بالشَّرْط ، ولم يَتَهَيَّب منه ماتَهَيَّبَتْه السماء والأرض والجبال .

١٥ ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً ﴾ لنفسه ﴿ جَهُولًا ﴾ بعاقبةِ ما تقلَّدَ لربِّه .

ثم قال: ﴿ لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾

---

(١) سورة الأحزاب ٧٢ - ٧٣ وتفسير الطبرى ٢٢/٣٨ - ٤٢ .

أى عرضنا ذلك عليه ليتقلَّدَه ، فإذا تقلَّدَه ظهر نفاقُ المنافق وشِرْكُ المشرك ، فعذَّبه الله به ؛ وظهر إيمان المؤمن فتاب الله عليه . ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيماً﴾ .

هذا قولٌ على مذهب بعض المفسرين .

وفيه قول آخر :

قالوا : الأمانة : الفرائض ، عرضت على السموات والأرض والجبال بما فيها من الثواب والعقاب ، فأَبَيْنَ أن يحملنها ، وعُرِضَت على الإنسان بما فيها من الثواب والعقاب، فحملها.

والمعنيان فى التفسيرين مُتَقاربان[1] .

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره ٢٢/٤١ « وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ماقاله الذين قالوا : إنه عنى بالأمانة فى هذا الموضع: جميع معانى الأمانات فى الدين وأمانات الناس . وذلك أن الله لم يخص بقوله : « عرضنا الأمانة » بعض معانى الأمانات، لما وصفنا » .

﴿ فى سورة الفرقان ﴾

﴿ قُلْ : مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[١] .

فى هذه الآية مضمر وله أشْكَلَتْ. أى ما يَعْبَأُ بعذابكم ربِّى لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد[٢] . ويُوضِّح ذلك قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ أى يكون العذاب لمن كذّب ودعا من دُونِه إلهاً ـ لازما .

٥

ومثله من المضمر قول « الشاعر » :

مَنْ شَاءَ دَلَّى النَّفْسَ فى هُوَّةٍ ضَنْكٍ ؛ وَلَكِنْ مَنْ لَهُ بالمَضِيقِ ؟[٣]

أراد : ولكن من له بالخروج من المضيق ؟ .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾[٤] ، أى من كان يريد عِلم العِزَّة : لمن هى ؟ فإنها لله تعالى .

١٠

(١) سورة الفرقان ٧٧ وفى تفسير الطبرى ١٩/٣٥ « وقوله: « قل: مايعبأ بكم ربى» يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : أى شىء يعدكم وأى شىء يصنع بكم ربى ؟.. وقوله : « لولا دعاؤكم » يقول : لولا عبادة من يعبده منكم وطاعة من يطيعه منكم . وقوله : «فقد كذبتم » يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذى أرسل إليكم، وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به ، لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربى ، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم وخلافكم أمر بارئكم- عذابا لكم ،لازماً ، قتلا بالسيوف ،وهلاكا لكم مفنياً ، يلحق بعضكم بعضاً .. ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده، وقتلهم يوم بدر بأيدى أو ليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللازام »

(٢) قال الطبرى ١٩/٣٦ « وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول فى تأويل ذلك : قل : ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد . وهذا قول لا معنى للتشاغل به ؛ لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل » .

(٣) فى اللسان ١٢/٧٧ « والمضيق : ماضاق من الأمور ، قال : من شايد لى النفس — البيت — أى بالخروج من المضيق » وقد ذكره فى ١٨/٢٩١ شاهداً على أن دلى الشىء فى المهواة : أرسله ، وروايته كما هنا .

(٤) سورة فاطر ١٠ .

باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة



١ — القضـــاء

/ أصل قَضَى : حَتَم[١] ، كقول الله عز وجل : ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى [١٨٩
عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾[٢] أى حتمه عليها .

ثم يصير الحتمُ بمعان ، كقوله : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٣]
أى أمر ؛ لأنه لمـا أمر حتَم بالأمر .

وكقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ ﴾[٤]، أى أعلمناهم ؛ ٥
لأنّه لمّـا خَبَّرهم أنهم سيفسدون فى الأرض ، حتم بوقوع الخبر .

وقوله . ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾[٥] ، أى صنعهن .

وقوله : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾[٦] ، أى فاصنع ما أنت صانع .

ومثله قوله : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ﴾[٧] ، أى اعملوا ما أنتم عاملون ولا تُنْظِرون . ١٠

قال « أبو ذُؤَيْب » :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا   دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٨]

---

(١) فى اللسان ٢٠/٤٧ ومقاييس اللغة ٥/٩٩ .
(٢) سورة الزمر ٤٢ .
(٣) سورة الإسراء ٢٣ .
(٤) سورة الإسراء ٤ .
(٥) سورة فصلت ١٢ .
(٦) سورة طه ٧٢ .
(٧) سورة يونس ٧١ .
(٨) ديوانه ص ١٩ واللسان ٤/٣٧٩، ١٠/٧٧ والمعانى الكبير ٢/١٠٣٩ مسرودتان: درعان. قضاهما: فرغ منهما داود النبي عليه السلام « أو صنع السوابغ » والصنع : الحاذق بالعمل

أى صنعهما « داود » و « تُبَّـع » .

وقال « الآخر » فى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه :

قَضَيْتَ أُموراً ثمّ غادرْتَ بَعْدَها بَوَائِجَ فى أَكْمَامِهَا لَمْ تُفتَّقِ[1]

أى عملت أعمالا ؛ لأنَّ كلّ من عمل عملا وفرغ منه فقد ختمه وقطعه .

٥ ومنه قيل للحاكم : قاض ؛ لأنّه يقطع على الناس الأمور وَيَحْتِم . وقيل : قُضِىَ قَضَاؤُكَ . أى فُرِغ من أمرك . وقالوا للميت : قد قَضَى . أى فرغ .

* وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد.

ثم رد «تبعاً» على «صنع». وفى الموضع الأول من اللسان: « سمع أن داود ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، كان سخر له الحديد فكان يصنع منه ما أراد ، وسمع أن تبعاً عملها، وكان تبع أمر بعملها ولم يصنعها بيده ؛ لأنه كان أعظم شأناً من أن يصنع بيده . والتبابعة : ملوك اليمن ، واحدهم تبع ، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته » .

(١) نسبه أبو تمام فى حماسته ٣/١٠٧ للشماخ بن ضرار ، وتابعه على ذلك الحصرى فى زهر الآداب ٤/١١٥ وقال التبريزى فى شرح الحماسة : « قال أبو رياش : الذى عندى أنه لمزرد أخيه ، وقال أبو محمد الأعرابى : هو لجزء بن ضرار أخيه » والبيت للشماخ فى اللسان ٣/٤٠ وهو غير موجود فى ديوانه ، ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ٣/٣٦٤ لمزرد بن ضرار وفى الأغانى ٨/١٠٢ من شعر الجن الذى ناحت به على عمر قبل أن يقتل بثلاث، فلما قتل نحله الناس للشماخ بن ضرار، أو لجزء بن ضرار . وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى ١/٤٠٤ . والبوائج: جمع بائجة، وهى الداهية.

٢ ـ الهـــدى

أصل هدى[1]. أرشد ، كقوله : ﴿عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْـدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[2] .

وقوله : ﴿اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[3] ، أى أرشدنا .

ثم يصير الإرشاد بمعان ، كقوله : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[4] ، أى بيَّنا لهم .

وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾[5] ، أى أَوَ لَمْ يُبيِّن لهم

وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾[6] ؛ أى أَلَمْ يُبَيِّنَ لهم .

فالإرشاد فى جميع هذه بالبيان .

ومنها إرشادٌ بالدعاء ، كقوله : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[7] ، أى نبىٌّ يدعوهم .

وقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[8] ؛ أى يدعون ؛

---

(١) اللسان ٢٠/٢٢٨ وانظر الإتقان ١/٢٤١ ففيه : « يأتى الهـدى على سبعة عشر وجهاً ... » ومقاييس اللغة ٦/٤٢ ـ ٤٣ والبرهان ١/١٠٣.

(٢) سورة القصص ٢٢ .

(٣) سورة ص ٢٢ .

(٤) سورة فصلت ١٧ .

(٥) سورة السجدة ٢٦ .

(٦) سورة الأعراف ١٠٠ .

(٧) سورة الرعد ٧ .

(٨) سورة الأنبياء ٧٣ .

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١] ؛ أي تدعو :

ومنها إرشاد بالإلهام ، كقوله : ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٢] ، أي صورته من الإناث ، ثم هدى أي ألهمه إِتْيَانَ الأتى ، ويقال : طلبَ المرعى وتوقِّيَ المهالك .

٥ وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣] ؛ أي هدى الذكر بالإلهام لإتيان الأتى .

ومنها إرشاد بالإمضاء ؛ كقوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[٤] ؛ أي لا يُمْضِيه ولا ينفذه ، ويقال : لا يصلحه .

وبعض هذا قريب من بعض .

---

(١) سورة الشورى ٥٢ .
(٢) سورة طه ٥٠ .
(٣) سورة الأعلى ٣ .
(٤) سورة يوسف ٥٢ .

٣ ـ الأمة

أصل الأمة[١] : الصِّنْفُ من الناس والجماعة ، كقوله عز وجل : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[٢] ، أى صنفاً واحداً فى الضلال ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ .

وكقوله عز وجل : ﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[٣] . أى : أصناف ، وكل صنف من الدواب والطير مثل بنى آدم فى المعرفة بالله ، وطلب الغذاء . وتوقّى المهالك ، والتماس الذَّرْء ، مع أشباه لهذا كثيرة . ٥

ثم تصير الأُمَّة : الحِينَ ، كقوله عز وجل : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٤] .

وكقوله : ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾[٥] . أى : سنين معدودة . كأنّ الأمّة من الناس القَرْنُ يَنقرِضُونَ فى حين ، فَتُقَامُ « الأمَّةُ » مُقام « الحِين» .

ثم تصير الأمَّةُ : الإمام والرَّبانى ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً ﴾[٦] . أى : إماماً يَقتدِى به الناس ؛ لأنه ومن اتبعه أمّة ، فسُمِّى أُمَّةً لأنه سبب الاجتماع . ١٠

وقد يجوز أن يكون سُمِّى أُمَّةً : لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثلُه فى أمةٍ . ومن هذا يقال : فلان أمّة وَحْدَه ، أى : هو يقوم مقام أمة .

---

(١) اللسان ١٤/٢٨٨ .
(٢) سورة البقرة ٢١٣ .
(٣) سورة الانعام ٣٨ .
(٤) سورة يوسف ٤٥ .
(٥) سورة هود ٨ .
(٦) سورة النحل ١٢٠ .

[١٩١ وقد تكون / الأمةُ : جماعةَ العلماء ، كقوله : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾(١) . أى : يعلمون .

والأُمَّة : الدِّين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾(٢) أى : على دين . قال « النابغة » :

٥ حَلَفتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ ريبةً   وهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ(٣) . وهو طَائِعُ ؟

أى : ذو دين .

والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد : أمة ، فتقام الأمةُ مُقام الدين ، ولهذا قيل للمسلمين : أمّة محمد ، صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم على أمر واحد ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(٤) . مجتمعة

١٠ على دين وشريعة .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(٥) ، أى : مجتمعة على الإسلام .

---

(١) سورة آل عمران ٤ ١ .

(٢) سورة الزخرف ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) هو للنابغة فى جمهرة اللغة ١/١٨٩ واللسان ١٤/٢٩٢ « ويروى : « ذو إمة » فمن قال : « ذو أمة » فعناه : ذو دين ، ومن قال : « ذو إمة » فعناه ذو نعمة أسديت إليه » .

(٤) سورة المؤمنون ٥٢ .

(٥) سورة النحل ٩٣ .

٤ ـ العهد

الأمان : عهد(١) ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾(٢) .

واليمين : عهد ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾(٣) .

والوصية : عهد ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ﴾(٤) ..

والحِفَاظُ : عهد ، قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ حُسْنَ العهدِ مِنَ الإيمان »(٥) .

والزَّمان : عهد . يقال : كان ذلك بعهد فلان .

---

(١) اللسان ٣٠٥/٤ ومقاييس اللغة ١٦٧/٤ .

(٢) سورة التوبة ٤ .

(٣) سورة النحل ٩١ .

(٤) سورة يس ٦٠ .

(٥) فى المستدرك للحاكم ١٥/١ : « حدثنا أبو العباس : محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغانى ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا صالح بن رستم ، عن ابن أبى مليكة عن « عائشة » قالت :

« جاءت عجوز إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عندى ، فقال لها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: من أنت ؟ قالت : أنا جثامة المزنية . فقال : بل أنت حسانة المزنية . كيف أنتم؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله .

فلما خرجت قلت : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال ؟ فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته فى أحاديث كثيرة وليس له علة » .

وأقره الذهبى .

والحديث فى الإصابة ٥١/٨ ، ٥٧ وأسد الغابة ٤٢٤/٥ — ٤٢٥ وابن عبد البر فى الاستيعاب ٧٣٨/٢ ، وانظر اللسان ٣٠٦/٦

والعهد : الميثاق . ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ : إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا . قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِى؟ قَالَ : لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ ﴾(٦) أى : لا ينال ما وعدتُك من الإمامة ، الظالمين من ذريتك .

والوَعْد من الله : ميثاق .

---

(١) سورة البقرة ١٢٤ .

٥ — الإلّ

الإلّ[1] هو : الله تعالى . قال «مجاهد» فى قوله سبحانه : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[2] ، يعنى الله عز وجل . ومنه «جبْرَ إلّ[3]» فى قراءة من قرأه بالتشديد .

ويقال للرحم : «إلّ» كما اشتق لها الرَّحِمُ من الرَّحمن . وقال «حسّان» :

لَعَمْرُكَ إنّ إلَّكَ فِي قُرَيْشٍ ... كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ[4]

أى : رَحِمُك فيهم ، وقُرْبَاكَ منهم[5] .

ومن ذهب بالإلّ فى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا ﴾ إلى الرَّحِم ، فهو وجه حسن . كما قال « الشاعر » : [١٩٢

دَعُوا رَحِماً فِينَا وَلَا يَرْقُبُونَهَا ... وَصَدَّتْ بأيديها النِّسَاءُ عَنِ الدَّمِ[6]

(١) راجع اللسان ٢٦/١٣ والأمالى ٤١/١ — ٤٢ وتفسير الطبرى ٥٩/١٠ — ٦١ .

(٢) سورة التوبة ١٠ .

(٣) فى الأضداد لابن الأنبارى ص ٣٤٦ « وقولهم : جبرئيل معناه : عبدالله ، فالجبر : العبد ، والإيل والإل : الربوبية . وكان ابن يعمر يقرأ « جبر إل » بتشديد اللام ... « وانظر اللسان ١٨٣/٥ — ١٨٤ .

(٤) البيت له فى اللسان ٢٦/١٣ والأمالى ٤١/١ وروايتهما : « من قريش » والحيوان ٣٦٠/٤ وتفسير الطبرى ٦٠/١٠ والمعانى الكبير ٣٣٦/١ وهو غير منسوب فى الأضداد لابن الأنبارى ص ٣٤٦ ومقاييس اللغة ٢١/١ والسقب : ولد الناقة ، كما فى اللسان ٤٥١/١ والرأل : ولد النعام ، كما فى اللسان ٢٧٧/١٣ وقد علق الجاحظ على البيت بقوله : « وقد عاب عليه هذا البيت ناس ، وظنوا أنه أراد التبعيد فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوه . وحسان لم يرد هذا ، وإنما أراد ضعف نسبه فى قريش ، وأنه حين وجد أدنى سبب انتحل ذلك السبب». وهو غير منسوب فى المخصص ١٥١/٢

(٥) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير : أراد أنك ضعيف النسب فى قريش ، وأنك حين وجدت أدنى سبب ادعيت إليهم ، وأن ذلك السبب فى ضعفه كشبه الرأل بالسقب » .

(٦) أنشده ابن قتيبة غير منسوب فى كتاب المعانى الكبير ٩٤٩/٢ وقال فى شرحه : « أى كانوا يناشدونهم برحم بينهم ، وهم لا يرعونها حين حاربوهم ، فظفروا بهم ، واستقبلت النساء الطالبين فقلن بأيديهن : كفوا ، حسبهم » .

يريد : أن المشركين لم يكونوا يرْقُبُون فى قراباتهم من المسلمين رَحِماً ، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1] .

قال « ابن عباس » : يريد لا أسألكم على ما أتيتكم به من الهدى أجراً إلا أن تَوَدُّونى فى القرابة منكم . وكانت لرسول الله ، صلى الله عليه ، ولاداتٌ كثيرةٌ فى بُطُون قريش . وقال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾[2] .

قال « ابن عباس » : قالت قريش : يسألنا أن نَوَدَّه فى القرابة وهو يشتم آلهتنا ويعيبها ؟ ! فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[3] .

ويقال للعهد : « إلّ » ؛ لأنه بالله يكون .

---

(١) سورة الشورى ٢٣ .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) سورة سبا ٤٧ .

٦ ـ القنوت

القنوت[١] : القيام .

وسئل صلى الله عليه وسلم : أىّ الصلاة أفضل ؟ فقال : «طول القنوت[٢]» أى طول القيام .

وقال تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[٣] ، أى أمّن هو مُصلٍّ ، فسميت الصلاة قنوتًا : لأنها بالقيام تكون .

• وَرُوِىَ عنه، عليه السلام، أنه قال:

«مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القَانِت الصائم»[٤]، يعنى المصلّى الصّائم .

(١) اللسان ٢/٣٧٨ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب أفضل الصلاة طول القنوت ١/٥٢٠ من حديث جابر .
وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها : باب ما جاء فى طول القيام فى الصلوات ١/٤٥٦ .
والترمذى فى كتاب الصلاة : باب ما جاء فى طول القيام فى الصلاة : ١/٨٧ .
وقال حديث حسن صحيح .
وأحمد فى المسند ٣/٣٠٢ ، ٣٩١ .
كلهم من حديث جابر بن عبد الله .
والنسائى فى كتاب الزكاة : باب جهد المقل ١/٣٤٩ .
وأحمد فى المسند ٣/٤١٢ .
كلاهما من حديث عبد الله بن حبشى .

(٣) سورة الزمر ٩ .

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة : باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى ٣/١٤٩٨ .
وأحمد فى المسند ٢/٤٢٤ .
وأبو يعلى فى مسنده ٤/١٤٠٢ .
كلهم من حديث أبى هريرة .

ثم قيل للدعاء : قنوت ؛ لأنّه إنما يدعُو به قائماً فى الصلاة قبل الركوع أو بعده .

وقيل : الإمساكُ عن الكلام فى الصلاة قُنُوتٌ ؛ لأن الإمساك عن الكلام يكون فى القيام ، لايجوز لأحد أن يأتى فيه بشىء غير القرآن .

٥ قال «زَيْد بن أَرْقَم» : «كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت : ﴿وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ﴾(١) ، فَنُهينا عن الكلام وأُمِرْنا بالسكوت(٢)» .

ويقال : إن قانتين فى هذا الوضع : مطيعين(٣) .

والقنوت : الإقرار بالعُبُودِيّة ، كقوله : ﴿وَلَهُ مَنْ فى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾(٤) ، أى مُقرُّون بعبوديته .

[١٩٣] والقنوت : الطاعة ، / كقوله : ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾(٥) ، أى : المطيعين والمطيعات .

وقوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّٰهِ﴾(٦) ، أى مطيعاً لله .

ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ؛ لأنّ جميع هذه الخلال : من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك ـ يكون عنها .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٢ .

(٢) قال السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٠٥ ـ ٣٠٦ : أخرج وكيع ، وأحمد ، وسعيد ابن منصور ، وعبد بن حميد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن جرير ، وابن خزيمة ، والطحاوى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، والطبرانى ، والبيهقى ، عن «زيد بن أرقم» قال كنا نتكلم على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه فى الصلاة حتى نزلت : ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت ، ونهينا عن الكلام .

(٣) راجع الروايات فى ذلك ، فى تفسير الطبرى ٥/٢٢٨ — ٢٣١ طبعة شاكر .

(٤) سورة الروم ٢٦ .

(٥) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٦) سورة النحل ١٢٠ .

٧ ــ الدِّين

الدِّين[١] : الجزاء . ومنه قوله تعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢] ، أى يوم الجزاء والقصاص . ومنه يقال : دِنْتُهُ بما صَنَعَ . أى جزيته بما صنع . وكما تَدِينُ تُدَانُ[٣] .

والدِّين : المُلْكُ والسّلطان . ومنه قول «الشاعر» :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بنى أَسَدٍ فى دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ دُونَنَا فَدَكُ[٤]

أى فى سلطانه . ويقال مِنْ هذا : دِنْتُ القَوْمَ أَدِينُهم ، أى قهرتهم وأذللتهم ، فدانوا أى ذلّوا وخضعوا .

والدِّين لله إنما هو من هذا . ومنه قول « القُطَامِيِّ » :

* كانَتْ نَوَارُ تَدِينُكَ الأَدْيَانَا[٥] *

---

(١) اللسان ١٧/٢٧ والأمالى ٢/٢٩٥ .

(٢) سورة الفاتحة ٤ .

(٣) فى اللسان ١٧/٢٧ « وفى المثــل كما تدين تدان ، أى كما تجازى تجازى ، أى تجازى بفعلك وبحسب ما عملت . وقيل : كما تفعل يفعل بك » .

(٤) البيت لزهــير كما فى ديوانه ص ٨٣ والـكامل ١/١٩٢ والأمالى ٢/٢٩٥ من قصيدة يخاطب بها الحارث بن ورقاء الصيداوى ، من بنى أسد ، وكان قد أغار على بنى عبد الله بن غطفان فغنم واستاق إبل زهير وراعيه يساراً . وبعده :

ليــأتينك منى منطق قذع باق كما دنس القبطيــة الودك

جو : موضع فى ديار بنى أسد ، وعمرو : هو عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء . وفدك : قرية بالحجاز . والقذع : القبيح . باق : أى يجرى على أفواه الرواة ويبقى مع الدهر . والقبطية : ثياب بيض رقاق من كتان تصنع بمصر . والودك : الدسم .

(٥) فى ديوانه ص ١٥ « كانت جنوب » وصدره كما فى الديوان والأمالى ٢/٢٩٥ « رمت المقاتل من فؤادك بعد ما » .

أى تُذلّك[١] . ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾[٢] ، أى لا يطيعونه .

والدِّين : الحساب ؛ من قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[٣] . ومنه قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾[٤] ، أى حسابهم .

(١) قال القالى : « معناه : تستعبدك بحبها » .
(٢) سورة التوبة ٢٩ .
(٣) سورة التوبة ٣٦ .
(٤) سورة النور ٢٥ .

٨ ـ المولى

المَوْلى[١] : المُعْتِقُ . والمَوْلى : المُعْتَقُ . والمَوْلَى : عَصَبَةُ الرَّجُل . ومنه قول الله عز وجل : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[٢] . أراد : القرابات .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

«أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلاها ، فَنِكاحُهَا بَاطِلٌ[٣]» ، أي : بغير أمر وليها . ٥

وقد يقال لمن تولّاه الرجلُ وإن لم يكن قرابةً : مَوْلًى . قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَامَوْلَى لَهُمْ﴾[٤] . [١٩٤]
أى : وليُّ المؤمنين ، وأن الكافرين لاولى لهم .

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾[٥] . أى : وليٌّ عن وَلِيِّه شيئاً ، إمّا بالقرابة أو بالتّوَلّي . ١٠

---

(١) اللسان ٢٠/٢٨٩ .
(٢) سورة مريم ٥ .
(٣) أخرجه الدارمى فى مسنده : باب النهى عن النكاح بغير ولى ٢/١٣٧ .
والترمذى فى السنن ، كتاب النكاح : باب ما جاء لا نكاح إلا بولى ١/٢٠٤ ، وقال : هذا حديث حسن.
وأبو داود فى السنن : كتاب النكاح : باب الولى ٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩ .
وابن ماجه فى السنن : كتاب النكاح : باب لا نكاح بغير ولى ١/٦٠٥ .
وسعيد بن منصور فى السنن ٣/١/١٣٣ .
وابن أبى شيبة فى المصنف ٣/٢/١٦٠ .
والحاكم فى المستدرك ٢/١٦٨ .
(٤) سورة محمد ١١ .
(٥) سورة الدخان ٤١ .

والحليف أيضاً : المَوْلَى . قال « النابغة الجَعْدى » :

مَوَالِيَ حِلْفٍ لا مَوَالِي قَــرَابَةٍ ولــكِنْ قَطِيناً يَسْأَلُونَ الأَتَاوِيَا[1]

وقال الله عز وجل : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[2] يريد : إذا دعاهم إلى أمر ، ودَعَتْهم أنفسهم إلى خلاف ذلك الأمر ـ كانت طاعته أولى بهم من طاعتهم لأنفسهم .

(١) البيت له في اللسان ٢٠/٢٩٠ « يقول : هم حلفاء لا أبناء عم » .
(٢) سورة الأحزاب ٦ .

٩ _ الضلال

الضّلال : الحيرة والعُدول عن الحقّ والطريق[١] . يقال : ضَلّ عن الحق ، كما يقال : ضل عن الطريق . ومنه قوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[٢] .

والضلال : النسيان . والنّاسِى للشىء عَادِلٌ عنه وعن ذكره ، قال الله تعالى : ﴿قَالَ: فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٣] . أى : النّاسين . وقال : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾[٤] أى : إن نسيَتْ واحدة ذكّرت الأخرى .

والضلال : الهلكة والبطلان ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا : أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾[٥] . أى : بَطَلْنَا ولَحِقْنا بالتراب . ويقال : أَضَلّ

---

(١) اللسان ١٣/٤١٥ .

(٢) سورة الضحى ٧ .

(٣) سورة الشعراء ٢٠ .

(٤) سورة البقرة ٢٨٢ وفى اللسان ١٣/٤١٧ « وذكر الخليل وسيبويه أن المعنى : استشهدوا امرأتين لأن تذكر إحداهما الأخرى ومن أجل أن تذكرها . قال سيبويه : فإن قال إنسان : فلم جاز « أن تضل » وإنما أعد هذا للاذكار ؟ فالجواب عنه : أن الإذكار لما كان سببه الإضلال ، جاز أن يذكر « أن تضل » ؛ لأن الإضلال هو السبب الذى به وجب الإذكار . قال : ومثله : أعددت هذا أن يميل الحائط فأدعمه . وإنما أعددته للدعم لا للميل ، ولكن الميل ذكر لأنه سبب الدعم ، كما ذكر الإضلال لأنه سبب الإذكار ، فهذا هو البين إن شاء الله » .

(٥) سورة السجدة ١٠ وفى اللسان ١٣/٤١٩ « وضل الرجل : مات وصار تراباً فضل فلم يتبين شىء من خلقه . وفى التنزيل العزيز « أئذا ضللنا فى الأرض » معناه أئذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً فضللنا فى الأرض فلم يتبين شىء من خلقنا » .

القومُ ميّتَهم ، أى : قَبَرُوه . قال « النابغة » :

* وَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ[1] *

أى : قابِرُوه .

(١) ديوانه ص ٨٤ وفى المعانى الكبير ٢/ ١٢٠٠ « وآب مصلوه » بالصاد ، وقال ابن قتيبة فى شرحه : « قال الأصمعى : قدم الأولون بخبر موته ولم يصدقوا ، وجاء المصلون ، وهم الذين جاءوا بعدهم ، من خبر موته بعين جلية ، والمصلى : الثانى من السوابق . ويروى : « وآب مضلوه » : أى : « قابروه » وانظر ص ١٣١ .

١٠ - الإمام

الإمام[١] : أصله ما ائْتَمَمْتَ به . قال الله تعالى لإبراهيم : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[٢] . أي : يُؤْتَمُّ بك ، ويُقتدَى بسنّتك .

ثم يجعل الكتاب إمامًا يؤتم بما أحصاه . قال الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[٣] أى : بكتابهم الذى جُمِعَتْ فيه أعمالهم فى الدنيا .

٥

وقال : / ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[٤] يعنى : كتابًا ، أو يعنى : اللّوح المَحْفُوظ . [١٩٥

وقد يُجعل الطريق إمامًا ؛ لأنّ المسافر يأتم به ويستدل . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[٥] أى : بطريق واضح .

---

(١) اللسان ٢٨٩/١٤ .

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(٣) سورة الإسراء ٧١ .

(٤) سورة يس ١٢ .

(٥) سورة الحجرات ٧٩ وانظر اللسان ٢٩١/١٤ .

١١ — الصلاة

الصلاة[١] : الدعاء . قال الله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[٢] . أى : ادع لهم ؛ إنّ ذلك مما يُسَكِّنهم وتطمئن إليه قلوبهم .

وقال : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾[٣] يعنى : دعاءه .

وقال «الأعشى» يذكر الخمر والخمّار :

وقابلها الرِّيحُ فى دَنِّهَا ... وَصَلَّى على دَنِّهَا وارْتَسَمْ[٤]

أى : دعا لها بالسلامة من الفساد والتغيّر .

والصَّلاةُ من الله : الرحمة والمغفرة . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[٥] . وقال : ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[٦] . وقال : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٧] أى : مغفرة .

---

(١) اللسان ١٩/١٩٨ .

(٢) سورة التوبة ١٠٣ .

(٣) سورة التوبة ٩٩ .

(٤) ديوانه ص ٢٩ وقبله .

وصهباء طاف يهوديها ... وأبرزها وعليها ختم

واللسان ١٧/١٦ ، ١٥/١٣٣ « وارتسم الرجل : كبر ودعا ، والارتسام : التكبير والتعوذ » .

(٥) سورة الأحزاب ٥٦ وانظر اللسان ١٩/١٩٨.

(٦) سورة الأحزاب ٤٣ .

(٧) سورة البقرة ١٥٧ .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

« اللهم صلّ على آلِ أبى أوفى »(١) يريد : ارحمهم واغفر لهم .

والصلاة : الدين . قال تعالى حكاية عن قوم شعيب : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾(٢) ؛ ويقال : قراءتك(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ٣/٢٨٦ . ومسلم فى كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقته ٦/٥٧٢ — ٧٥٧ .
وانظر اللسان ١٩/١٩٨ .

(٢) سورة هود ٨٧ .

(٣) القائل بذلك هو الأعمش ، كما فى تفسير الطبرى ١٥/٤٥١ — ٤٥٢ طبعة شاكر .

١٢ ـ الكتاب

أصل الكتاب[١] : ما كتبهُ اللهُ في اللّوح مما هو كائن .

ثم تتفرع منه معانٍ ترجع إلى هذا الأصل . كقوله : ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾[٢] أي : قضى الله ذلك وفرغ منه .

وقوله : ﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾[٣] أي :
٥ ما قضى الله لنا .

وقوله : ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾[٤] أي : قُضِيَ ؛ لأنَّ هذا قد فُرِغَ منه حين كُتِبَ .

[١٩٦] ويكونُ / كُتِبَ بمعنى فُرِضَ ، كقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾[٥] أي : فرض . و ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
١٠ الْمَوْتُ ﴾[٦] ، ﴿ وَقَالُوا: رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ؟ ﴾[٧] . أي: فَرَضْتَ .
ويكون كَتَبَ بمعنى جَعَل ، كقوله : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾[٨]

---

(١) اللسان ٢/١٩٢ ومقاييس اللغة ٥/١٥٨ ـ ١٥٩ .
(٢) سورة المجادلة ٢١ .
(٣) سورة التوبة ٥١ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٤ .
(٥) سورة البقرة ٨٧ .
(٦) سورة البقرة ١٨٠ .
(٧) سورة النساء ٧٧ .
(٨) سورة المجادلة ٢٢ .

وقوله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[١] . وقال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[٢] .

وتكون كَتَبَ بمعنى أمر ، كقوله : ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[٣] ، أى : أمركم أن تدخلوها .

ويقال : كتب ههنا أيضاً : جَعَل . يريد ادخلوا الأرض التى كتبها الله لولد إبراهيم ، عليه السلام ، أى : جعلها لهم . ٥

(١) سورة آل عمران ٥٣ ، وسورة المائدة ٨٣ .
(٢) سورة الأعراف ١٥٦ .
(٣) سورة المائدة ٢١ .

١٣ ـ السبب والحبل

السّبب أصله : الحبل[١] .

ثم قيل لكل شيء وصَلْتَ به إلى موضع ، أو حاجة تريدها : سبَبٌ .

تقول: فلان سَبَبِى إليك ، أى وصلنى إليك . و : مابينى وبينك سبب ، أى آصِرَة رَحِم ، أو عاطفة مَوَدَّةٍ . ومنه قيل للطريق : سَبَبٌ ؛ لأنك بسلوكه تصل إلى الموضع الذى تريده ، قال عز وجل: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾[٢] أى: طريقاً .

وأسباب السماء : أبوابها ؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها . قال الله عز وجل ـ حكاية عن فرعون : ﴿ لَعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴾[٣] . وقال «زهير» :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ[٤]

* * *

وكذلك الحَبْلُ[٥] ، قال الله عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ﴾[٦] أى : بعهد الله أو بكتابه ، يريد : تمسكوا به ؛ لأنه وُصْلَةٌ لكم إليه وإلى جَنّته .

ويقال للأمان أيضا : حبل ؛ لأنّ الخائف مستتر مَقْمُوعٌ ، والآمن

(١) اللسان ٤٤١ .

(٢) سورة الكهف ٨٥ .

(٣) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) البيت من معلقته ، فى شرح القصائد العشر ص ١٢٠ وديوانه ص ٣٠ « أسباب السماء : نواحيها ووجوهها . أى من اتقى الموت لقيه » .

(٥) اللسان ١٣/١٤٢ .

(٦) سورة آل عمران ١٠٣ .

مُنْبَسِطٌ بالأمان مُتَصَرِّف، فهو له حبل إلى كل موضع/ يريده. [١٩٧]

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[1] أى: بأمان.

وقال «الأعشى»:

وَإِذَا تُجَوِّزُها حِبَــالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا[2]

٥

وأما قول «امرئ القيس»:

إِنِّي بِحَبْلِكِ وَاصِــلٌ حَبْلِي وَبِرِيشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِي[3]

فإنه يريد: إِنِّي وَاصِلٌ بينى وبينك.

وأصل هــذا يكون فى البعيرين: يكونان مُفْتَرِقَيْن وعلى كل واحد

---

(١) سورة آل عمران ١١٢.

(٢) البيت له فى اللسان ١٣/١٤٣ وديوانه ص ٢٤ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب. وقبله فى حديثه عن ناقته:

فتركتها بعــد المراح رزية وأمنت عند ركوبها إعجالها
فتناولت قيساً بحــر بلاده فأتته بعــد تنوفة فأنا لهــا

وقال المرصفى فى رغبة الآمل ٤/٥٢ «تجوزها: تسوغها قطع الطريق المخوف. والحبال: العهود والمواثيق. يريد أنه سلك طرقا مخوفة لا يمر بواحدة منها إلا أخذ من أهلها عهداً وميثاقاً حتى لا يتعرض إليه أحــد يقتله أو ينهب ماله» وقال تلميذه «محمود محمد شاكر» فى شرحه: «كان الراكب أو الركب، إذا أراد اجتياز أرض قبيلة أخذ منهم العهد أن يجيروه حتى يجوز أرضهم، فيحموه حتى لا يعتدى عليه أحد فينهب ماله، فذلك معنى قوله: «فإذا تجوزها حبال قبيلة» يعنى عهود القبيلة التى تحميه حتى يجوز أرضها وحماها. يقــول: إذا جازت أرض قبيلة بما أخذت من عهدها، «أخذت من الأخرى إليك حبالها» أى أخذت عهود قبيلة أخرى، لتجوز أرضها وحماها إليك. يمدحه بأنه موهوب مطاع فى القبائل، حسب قاصده أن يذكر للقبائل اسمه، حتى يعطوه الأمان ويجيروه أرضهم، لا يناله مكروه».

(٣) ديوانه ١١٥ واللســان ١٣/١٤٣ وفيــه ٨/١٩٨ «راش سهمه يريشه ريشاً: إذا ركب عليه الريش، ورشت السهم: ألزقت عليه الريش».

منهما حَبْلٌ ، فَيُقْرَنانِ بأَنْ يوصَل حبل هذا بحبل هذا .

وقال « أبو زُبَيْد » يذكر رجلا سرى ليلةً كلها :

نَاطَ أَمْرَ الضِّعافِ فاجْتَعَل اللَّيْـــلَ كَحَبْلِ العَادِيَّـةِ المَمْدُودِ[1]

يريد : أن مسيره اتصل الليل كلّه ، فكان كحبل ممدود .

(١) فى اللسان ١٣/١١٧ « وقال أبو زبيد يرثى اللجلاج ابن اخته : ناط — البيت — أى جعل يسير الليل كله مستقيما كاستقامة حبـل البئر إلى المـاء . والعادية : البئر القديمة . وهو من قصيـدة طويلة فى جمهرة أشعار العرب ص ١٤١ وفيها : «واحتفل الليل» ناط : علق ورفع . والعادية: الطريق . والحبل : أثر الناس » !.

١٤ — الظلم

أصل الظلم فى كلام العرب : وضعُ الشىء فى غير موضعه[١] .

ويقال : « من أشبه أباه فما ظلم[٢] » ، أى : فما وضَعَ الشَّبَه غيرَ موضعه .

وظُلْمُ السِّقاء : هو أن يُشْرَبَ قبل إدْراكه[٣] .

وظُلم الجَزُور : أن يُعْتَبَط ، أى ينحر ، من غير عِلَّة .

وأرض مَظْلُومة : أى حُفِرت وليست موضع حَفرٍ .

ويقال : الزم الطريقَ ولا تظلمْه ، أى : لاتعدل عنه[٤] .

ثم قد يصير الظلم بمعنى الشِّرْك ؛ لأنَّ من جعل لله شريكا : فقد وضع الرُّبوبيّة غيرَ موضعها . يقول الله سبحانه : ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥] ، وقال : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾[٦] ، أى : بشرك .

ويكون الظلم : النقصان ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ

---

(١) اللسان ١٥/٢٦٦ ومقاييس اللغة ٣/٤٦٨ — ٤٦٩ .

(٢) المثل فى لسان العرب ١٧/٢٦٦ وتفسيره هو تفسير الأصمعى ، وهو فى جمهرة الأمثال ص ١٨٥ ومجمع الأمثال ٢/٢٧٦ .

(٣) فى اللسان ١٥/٢٦٩ « يقال : ظلمت السقاء ، وظلمت اللبن : إذا شربته أو سقيته قبل إدراكه وإخراج زبدته » .

(٤) فى اللسان ١٥/٢٦٦ « وفى حديث ابن زمل : لزموا الطريق فلم يظلموه : أى لم يعدلوا عنه » .

(٥) سورة لقمان ٥٦ .

(٦) سورة الأنعام ٨٢ .

كانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١) أى ما نقصونا .

[١٩٨] وقال : ﴿ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾(٢) / أى لم تنقص منه شيئاً . ومنه يقال : ظلمتك حقك ، أى : نقصتك ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾(٣) و ﴿ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾(٤) .

٥ ويكون الظلم : الجحد ، قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾(٥) أى : جحدوا بأنها من الله تعالى .

وقال : ﴿ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾(٦) ، أى يجحدون .

---

(١) سورة البقرة ٥٧ .
(٢) سورة الكهف ٣٣ .
(٣) سورة مريم ٦٠ .
(٤) سورة يس ٥٤ .
(٥) سورة الإسراء ٥٩ .
(٦) سورة الأعراف ٩ .

١٥ — البلاء

أصل البلاء : الاختبار(١) ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً ﴾(٢) ، أى : اختبروهم .

وقال : ﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾(٣) ، يعنى : ما أُمِرَ به إبراهيمُ من ذبح ابنه ، صلوات الله عليهما .

وقال : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾(٤) ، أى اختبرناهم . ٥

ثم يقال للخير : بلاء ، وللشر : بلاء ؛ لأنّ الاختبار الذى هو بلاء وابتلاء يكون بهما . قال الله تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(٥) ، أى نختبركم بالشر ؛ لنعلم كيف صبركم ؟ وبالخير ؛ لنعلم كيف شكركم ؟

«فتنة» أى اختباراً . ومنه يقال : اللهم لا تَبْلُنَا إلا بالتى هى أحسن . أى لا تختبرنا إلا بالخير ، ولا تختبرنا بالشر . ١٠

يقال من الاختبار : بَلَوْتُه أَبلُوهُ بَلْوًا ، والاسم بَلاء . ومن الخير : أَبْلَيْتُه أُبليه إِبْلاءً . ومنه يقال : يُبْلِي وَيُولِي . قال « زهير » :

* فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البلاءِ الذى يَبْلُو(٦) *

---

(١) اللسان ٢٠/٩٠ .

(٢) سورة النساء ٦ .

(٣) سورة الصافات ١٠٦ .

(٤) سورة الأعراف ١٦٨ .

(٥) سورة الأنبياء ٣٥ .

(٦) صدره كما فى ديوانه ص ١٠٩ « رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم » يقـول : رأى الله فعلهما حسناً . وتحقيق لفظه : رأى الله فعلهما بالإحسان ، أى مع الإحسان إليكم ، وإنما قال :

أى : خير البلاء الذى يختبر به عباده .

ومن الشر : بَلاه الله يَبْلُوه بَلاءً . قال الله عز وجل : ﴿ وفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[1] ، أى : نعمة عظيمة . ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾[2] ، أى : نِعَم بَيِّنه عظام .

خير البلاء ؛ لأن الله تعالى يبتلى بالخير والشر ، فيقول : أبلاهما الله خير ما يبلو به عباده . وقوله : « فأبلاهما » معناه الدعاء لهما ، وقوله : « رأى الله بالإحسان . يحتمل أن يكون خبراً . ويروى : « جزى الله بالإحسان » وهى رواية اللسان ١٨/٩٠ .

(١) سورة البقرة ٤٩ .

(٢) سورة الدخان ٣٣ .

١٦ - الرجز والرجس

الرِّجْزُ : العذاب[١] . قال الله تعالى ـ حكاية عن قوم فرعون : ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾[٢] / أى العذاب . [١٩٩]

ثم قد يُسمَّى كَيْدُ الشيطان : رِجْزاً ؛ لأنّه سبب العذاب . قال الله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾[٣] .

٥ * * *

والرجس : النّتْنُ[٤] .

ثم قد يُسمَّى الكفرُ والنفاقُ : رجْساً ؛ لأنه نَتَن . قال الله تعالى : ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[٥] ، أى : كفراً إلى كفرهم ، أو نفاقاً إلى نفاقهم .

١٠ وقال الله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٦] . وقال الله عز وجل : ﴿ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[٧] ، يعنى الأوثان ، سمّاها رِجزاً ـ والرّجز : العذاب ـ لأنها تُؤَدِّى إليه .

---

(١) اللسان ٧/٢١٩ .
(٢) سورة الأعراف ١٣٤ .
(٣) سورة الأنفال ١١ .
(٤) اللسان ٧/٣٩٨ .
(٥) سورة التوبة ١٢٥ .
(٦) سورة يونس ١٠٠ .
(٧) سورة المدثر ٥ .

١٧ ـ الفتنة

الفتنة : الاختبار(١) ، يقال : فَتَنْتُ الذهبَ فى النّار : إذا أُدخلتَهُ إليها لتعلم جودتَه من رداءَتِه . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾(٢) . أى : اختبرناهم . وقال لموسى عليه السلام : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾(٣) . ومنه قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾(٤) أى : جوابُهم ؛ لأنهم حين سئلوا اختُبر ماعندهم بالسؤال ، فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول .

والفتنة : التعذيب . قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٥) أى عذّبوهم بالنار .

وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾(٦) أى يعذبون . ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾(٧) أى يقال لهم : ذوقوا فِتْنَتَكم ، يراد هذا العذاب بذلك .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ﴾(٨) أى : جعل عذاب الناس وأذاهم كعذاب الله .

---

(١) اللسان ١٧/١٩٣ .
(٢) سورة العنكبوت ٣ .
(٣) سورة طه ٤٠ .
(٤) سورة الأنعام ٢٣ .
(٥) سورة البروج ١٠ ، وانظر اللسان ١٧/١٩٧ .
(٦) سورة الذاريات ١٣ .
(٧) سورة الذاريات ١٤ .
(٨) سورة العنكبوت ١٠ .

والفتنة : الصدّ والاستزلال . قال الله عز وجل : ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[1] ، أى : يَصُدُّوكَ وَيَسْتَزِلُوكَ[2] . وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[3] ، وقال : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾[4]. أى : صادين .

/ والفتنة : الإشراك والكفر والإثم ، كقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[5] ، أى : شرك . [٢٠٠]

وقال : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[6] يعنى الشرك .

وقال : ﴿ أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[7] أى : فى الإثم .

وقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾[8] ، أى : كفر وإثم .

وقال : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾[9] أى : كفرتم وأثمتموها .

والفتنة : العِبْرَةُ ، كقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ

---

(١) سورة المائدة ٤٩ .

(٢) فى اللسان ١٣/٣٢٥ « وزل فى رأيه ودينه يزل زلا وزللا ، وأزله هو ، واستزله غيره ... » .

(٣) سورة الإسراء ٧٣ .

(٤) سورة الصافات ١٦٢ ، وانظر اللسان ١٧/١٩٦ .

(٥) سورة البقرة ١٩٣ وسورة الأنفال ٣٩ .

(٦) سورة البقرة ١٩١ .

(٧) سورة التوبة ٤٩ .

(٨) سورة النور ٦٣ .

(٩) سورة الحديد ١٤ .

الظَّالِمِينَ ﴾[١] وفى موضع آخر : ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[٢] أى : يَعْتَبِرُونَ أمرهم بأمرنا ؛ فإذا رأونا فى ضُرّ وبلاء ورأوا أنفسهم فى غبطة ورخاء ـ ظَنُّوا أنهم على حق ، ونحن على باطل .

وكذلك قوله : ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾[٣] .

---

(١) سورة يونس ٨٥ .

(٢) سورة الممتحنة ٥ .

(٣) سورة الأنعام ٥٣ .

١٨ - الفرض

الفرض: وجوب الشىء[١]. ويقال: فرضت عليك كذا، أى: أوجبته. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[٢] أى: أوجبه على نفسه. وقال: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[٣] أى: ألزمتم أنفسكم. وقال ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾[٤] أى: ألزمناهم، ومنه قوله فى آية الصدقات بعد أن عدّد أهلها: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾[٥] وقيل للصلاة المكتوبة: فريضة. وقيل لسهام الميراث: فريضة. ٥

وقال: ﴿لَقَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾[٦] أى: أوجب لكم أن تُكفّروا إذا حلفتم.

و«بعض المفسرين» يجعلها بمعنى: بَيَّنَ لكم كيف تُكَفِّرون عنها.

قال: ومثلها: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾[٧] أى: بيّنّاها. ١٠

وقد يجوز فى اللغة أن يكون فرضناها: أوجبنا العمل بما فيها.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[٨].

---

(١) اللسان ٩/٦٦.
(٢) سورة البقرة ١٩٧.
(٣) سورة البقرة ٢٣٧.
(٤) سورة الأحزاب ٥٠.
(٥) سورة النساء ١١.
(٦) سورة التحريم ٢.
(٧) سورة النور ١.
(٨) سورة القصص ٨٥.

قال المفسرون : فيه أنزل عليك القرآن .

وقد يجوز فى اللغة أن يكون أوجب عليك العمل بما فيه .

وقال : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾[1]

[٢٠١ / قال المفسرون : فيما أحل الله له .

• وقد يجوز فى اللغة أن يكون : ما أوجب له من النكاح ، يعنى : نكاحَ أكثرَ من أربع .

(١) سورة الاحزاب ٣٨ .

١٩ - الخيانة

الخيانة : أن يؤتمنَ الرجلُ على شيء ، فلا يُؤدىَ الأمانة فيه .

يقال لكل خائن : سارق ، وليس كل سارق خائنا .

والقَطْع يجب على السارق ، ولا يجب على الخائن ؛ لأنه مؤتمن .

قال «النَّمِر بن تَوْلَب» :

وَإِنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ   كَرَاعِي البَيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا[٢]

ويقال لناقض العهد : خائن ؛ لأنه أُمِنَ بالعهد وسُكِن إليه ، فغدَرَ وَنَكَثَ . قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾[٣] .

أى : نقضاً للعهد .

---

(١) اللسان ١٦/٣٠٢ .

(٢) نسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١/٥٩٢ وأدب الكاتب ص ٣٧ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٠٣ : « وقوله : « بعد وهب » يريد بعد خيانة وهب ، وليس يريد بعد هلاك وهب ، ولو كان كذلك لكان قد مدح وهبا ، وليس يمدحه ، إنما يذمه . والمعنى : إن وهباً كان أوثقهم وأجدرهم بالأمانة ، فإذا قد خان وهب ، فهم أجدر بالخيانة . والدليل على أنه يذم وهباً قوله قبل هذا البيت :

يريد خيانتى وهب وأرجو   من الله البراءة والأمانا

فإن الله يعلمنى ووهبا   ويعلم أن سنلقاه كلانا

ويروى : « يحفظه » بضم الياء ، أى يؤتمن عليه ، يقال : حفظ الرجل الشىء وأحفظته إياه . وهذا بين لا إشكال فيه . وصف بالحفظ والخيانة . والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما: أن الفاء فى كلام العرب إنما وضعت لتدل على أن ما بعدها يقع عقيب ما قبلها ، فمعناه يحفظه أولا ثم يعقب الحفظ بالخيانة . والثانى أن يكون معنى يحفظه : يدعى أنه يحفظه وهو يخون ؛ لأن العرب تنسب الفعل إلى من يدعى ، كما تنسبه إلى ما هو له بالحقيقة . . . . وانظر شرح أدب الكاتب للجواليقى ص ١٤٥ .

(٣) سورة الأنفال ٥٨ .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾[1] أى : غدر ونكث .

ويقال لعاصى المسلمين : خائن ؛ لأنه مؤتمن على دينه . قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾[2] .

٥ يريد : المعاصىَ .

وقال الله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾[3] أى : تخونونها بالمعصية .

(١) سورة المائدة ١٣ .
(٢) سورة الأنفال ٢٧ .
(٣) سورة البقرة ١٨٧ .

٢٠ ـ الإسلام

الإسلام : هو الدخول فى السِّلْم ، أى : فى الانقياد والمتابعة[١] . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ : لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾[٢] أى : انقاد لكم وتابعكم .

والاستسلام مثله . يقال : سلَّمَ فلانٌ لأمْرِكَ واستسلم وأَسْلَمَ . أى دخل فى السِّلْم . كما تقول : أَشْتَى الرجلُ : إذا دخل فى الشتاء ، وأربع : دخل فى الربيع ، وأَقْحَطَ : دخل فى القحط . ٥

فمن الإسلام متابعةٌ وانقيادٌ باللِّسان دون القلب . ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ : آمَنَّا ، قُلْ : لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا : أَسْلَمْنَا ﴾[٣] أى : انقذنا من خوف السيف .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[٤] ، أى : انقادله وأَقَرَّ به المؤمن والكافر . ١٠

ومن الإسلام : مُتَابَعَةٌ وانقيادٌ باللسان والقلب ، ومنه قوله حكاية / [٢٠٢] عن إبراهيم : ﴿ قَالَ : أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] . وقوله : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[٦] ، أى : انقدت لله بلسانى وعقدى .

(١) اللسان ١٥/٢٨٦ .
(٢) سورة النساء ٩٤ .
(٣) سورة الحجرات ١٤ .
(٤) سورة آل عمران ٨٣ .
(٥) سورة البقرة ١٣١ .
(٦) سورة آل عمران ٢٠ .

والوجه زيادة . كما قال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[١] ، يُريد : إلا هو . وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾[٢] ، أى لله .

قال « زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل[٣] » فى الجاهلية :

أَسْلَمْتُ وَجهى لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زُلالاً[٤]

أى : انقادت له المُزْن .

---

(١) سورة القصص ٨٨ .

(٢) سورة الإنسان ٩ .

(٣) راجع أخباره فى الأغانى ٣/١٥ ــ ١٧ والمعارف ص ٢٧ .

(٤) البيت فى تفسير الطبرى ١ / ٣٩٣ والمعارف ص ٢٧ ومجمع البيان ١/١٨٧ والأغانى ٣/١٧ وبعده فيه :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

٢١ – الإيمان

الإيمان : هو التصديق[١] . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ أى : بمصدّق لنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[٢] وقال : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾[٣] ، أى : تصدّقوا . والعبد مؤمن بالله ، أى مصدّق . والله مؤمن : مصدّق ما وعدَه ، أو قابلُ إيمانه . ويقال فى الكلام : ما أُومِنُ بشىء مما تقول . أى ما أصدّق به .

فمن الإيمان : تصديق باللسان دون القلب ، كإيمان المنافقين . يقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾[٤] ، أى آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم . كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب .

ومن الإيمان : تصديقٌ باللسان والقلب . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[٥] ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب .

ومن الإيمان : تصديق ببعض وتكذيب ببعض . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[٦] ، يعنى مشركى

(١) اللسان ١٦/١٦٢ .
(٢) سورة يوسف ١٧ .
(٣) سورة غافر ١٢ .
(٤) سورة المنافقون ٣ .
(٥) سورة البينة ٧ .
(٦) سورة يوسف ٦ .

العرب ، إن سألتهم مَنْ خَلَقَهم ؟ قالوا : الله ، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء .
وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرُّسل والكتب ، ويكفرون ببعض . قال
الله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[1] ، يعني :
ببعض الرسل والكتب ، إذ لم يؤمنوا بهم كلّهم .

٥ * * *

[٢٠٣ ● وأما قوله عز وجل / : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ
وَالصَّابِئِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[2] —
فإن هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم . فقال تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ منهم بقلبه
﴿ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، كأنه قال : إن المنافقين والذين هَادُوا .

---

(١) سورة غافر ٨٥ .
(٢) سورة البقرة ٦٢ .

٢٢ - الضر

الضَرّ : - بفتح الضاد - ضد النفع[1]، قال الله عز وجل : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ؟﴾[2] وقال : ﴿ قُلْ : لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾[3] أى : لا أملك جرّ نفع ولا دفع ضرّ .

والضُّرُّ : الشدة والبلاء ، كقوله : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ ﴾[4] ، ﴿ والصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾[5] .

فمن الشدّة : قَحْطُ المطر ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾[6] أى : مطراً من بعد قحط وجَدْبٍ .

ومنه : الهول ، كقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾[7] .

ومنه المرض ، كقول «أيوبَ» عليه السلام : ﴿ أَنِّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾[8] ، ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾[9] .

ومنه النقص ، كقوله تعالى : ﴿ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[10] .

(١) اللسان ٦/١٥٣ وأدب الكاتب ص ٣٠٦ .
(٢) سورة الشعراء ٧٣ .
(٣) سورة الأعراف ١٨٨ .
(٤) سورة الأنعام ١٧ .
(٥) سورة البقرة ١٧٧ .
(٦) سورة يونس ٢١ .
(٧) سورة الإسراء ٦٧ .
(٨) سورة الأنبياء ٨٣ .
(٩) سورة الزمر ٤٩ .
(١٠) سورة محمد ٣٢ .

٢٣- الحرج

الحرج : أصله الضيق[١] . ومن الضيق : الشك ، كقول الله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾[٢] ، أى شك ؛ لأنَّ الشَّاكَّ فى الشىء يضيق صدراً به .

ومن الحرج : الإثم ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ﴾[٣] ، أى إثم . ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾[٤] ، أى إثم .

وأما الضِّيق بعينه فقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٥] أى ضيق . و ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجًا ﴾[٦] وحَرِجاً . ومنه الحَرَجَة وهى : الشجر المُلْتَفّ .

(١) اللسان ٣/٥٦ .
(٢) سورة الأعراف ٢ .
(٣) سورة النور ٦١ .
(٤) سورة التوبة ٩١ .
(٥) سورة الحج ٧٨ .
(٦) سورة الأنعام ١٢٥ .

٢٤ – الروح

الرُّوح والرِّيح والرَّوْح : من أصل واحد[١] اكْتَنَفَتْهُ معانٍ تقاربت ، فبُنِيَ لكلّ معنى اسمٌ من ذلك الأصل ، وخُولِفَ بينها فى حركة البِنْية .

والنَّار والنُّور من أصل واحد ، كما قالوا : المَيْـل والمَيَـل ، وهما جميعاً من مَالَ . فجعلوا المَيَل – بفتح الياء – فيما كان خِلْقَةً فقالوا : فى عنقه مَيَل ، وفى الشجرة مَيَل / . وجعلوا المَيْـل – بسكون الياء – فيما كان فِعْلًا فقالوا : مَالَ عن الحق مَيْلًا[٢] ، وفيه مَيْل علىَّ ، أى تحامل . [٢٠٤

وقالوا : اللَّسَنُ واللَّسْنُ واللِّسْنُ ، وهذا كله من اللسان ، فاللَّسَنُ : جودة اللِّسان . واللَّسْنُ : العَذْل واللوم . ويقال : لَسَنْتُ فلاناً لَسْناً : أى عذلته ، وأخذته بلسانى . واللِّسْنُ : اللغةُ . يقال : لكلّ قومٍ لِسن .

١٠ وقالوا : حَمْلُ الشجرة – بفتح الحاء – وحَمْل المرأة – بفتح الحاء – . وقالوا لما كان على الظهر : حِمْل[٣] ، والأصل واحد .

فى أشباهٍ لهذا كثيرة . وقد ذكرنا منها طرفاً فى صدر الكتاب[٤] .

* * *

وأما الرُّوح : فرُوحُ الأجسام الذى يقبضه الله عند الممات[٥] .

---

(١) مقاييس اللغة ٢/٤٥٤ .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٠٣ .

(٣) أدب الكاتب ص ٣٠٣ ومقاييس اللغة ٢/١٠٦ .

(٤) راجع ص ١٥ – ١٦ .

(٥) اللسان ٣/٢٨٩ .

والرُّوحُ : جبريل عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[١] ، يعنى جبريل . وقال : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[٢] ، أى بجبريل .

والرُّوح ـ فيما ذكر المفسرون ـ : مَلَكٌ عظيم من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صفًّا وتقوم الملائكة صفًّا ، قال : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾[٣] ، وقال عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[٤] .

ويقال للملائكة : الرُّوحَانِيُّون ؛ لأنهم أرواح ، نُسِبُوا إلى الرُّوح ـ بالألف والنون ـ لأنها نِسْبَةُ الخِلْقَة[٥] ، كما يقال : رَقَبَانِيٌّ وَشَعَرَانِيٌّ .

والرُّوحُ : النَّفْخُ ، سُمِّى رُوحًا لأنه ريح تخرج عن الرُّوح . قال «ذو الرمة» وذكر ناراً قدحها :

فَلَمَّا بَدَتْ كَفَّنْتُهَا وهى طِفْلَةٌ ... بِطَلْسَاءَ لم تَكْمُلْ ذِراعاً ولا شِبْرًا[٦]

وَقُلْتُ له : ارْفَعْهَا إليكَ وَأَحْيِهَا ... بِرُوحِكَ وَاقْتَتْهُ لَهَا قِيتَةً قَدْرًا[٧]

---

(١) سورة الشعراء ١٩٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٣ .

(٣) سورة النبأ ٣٨ وانظر أقوال العلماء فى معنى الروح هنا فى تفسير أبى جعفر الطبرى ٣٠/١٥ — ١٦

(٤) سورة الإسراء ٨٥ .

(٥) فى اللسان ٣/٣٩١ « وفى الحديث : الملائكة الروحانيون ، يروى بضم الراء وفتحها ، كأنه نسب إلى الروح أو الروح ، وهو نسيم الريح ، والألف والنون من زيادات النسب . ويريد به أنهم أجسام لطيفة لايدركها البصر » .

(٦) ديوانه ص ١٧٦ أ وفى اللسان ٧/٤٣١ « وقال فى قول ذى الرمة : « بطلساء لم تكمل ذراعا ولا شبرا » يعنى خرقة وسخة ضمنها النار حين اقتدح » .

(٧) فى اللسان ٣/٢٨٦ « بروحك واجعله لها » أى أحيها بنفخك ، واجعله لها ، الهاء

وَظَاهِرْ لَهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ وَاسْتَعِنْ   عليها الصَّبَا وَاجْعَلْ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرًا[(١)]

قوله : وأحيها بروحك ، أى أحيها بنفخك .

والمسيح : رُوحُ اللهِ ؛ لأنه نَفْخَةُ جبريل فى دِرْعِ مريم . ونُسِبَ الرُّوحُ إلى الله لأنه بأمره كانَ . يقولُ اللهُ : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾[(٢)] ، يعنى نَفْخَةَ جبريل .

٥

وقد يجوز أن يكون سُمِّى رُوحَ الله لأنه بكلمته كان ، قال الله تعالى : كن ، فكان .

وكلامُ الله : رُوحٌ ؛ لأنه حياة من الجهل ومَوْتِ الكُفْرِ ، قال : ﴿ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾[(٣)] ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾[(٤)] .

١٠

ورحمةُ الله : رُوحٌ . قال الله تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[(٥)] ، أى برحمةٍ ، كذلك قال المفسرون .

ومن قرأ : ﴿ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾[(٦)] بضم الراء ، أراد فرْحةٌ ورزقٌ .

= للروح لأنه مذكر فى قوله : « واجعله » والهاء التى فى « لها » للنار لأنها مؤنثة . وفيه ٢٣٢/١٨ « ويقال : حاييت النار بالنفخ ، كقولك : أحييتها . قال الأصمعى : أنشد بعض العرب بيت ذى الرمة : « فقلت له ارفعها وحايها » وفيه ٣٧٩/٢ « ونفخ فى النار نفخاً قوتاً واقتاد لها ، كلاهما : رفق بها . واقتت لنارك قيتة : أى أطعمها . قال ذو الرمة : فقلت له : خذها إليك » — البيت — وإذا نفخ نافخ فى النار قيل له : انفخ نفخاً قوتاً واقتت لها نفخك قيتة ، يأمره بالرفق والنفخ القليل » .

(١) فى اللسان ٣٥٥/٢ « ويقال للحطب الدقيق : شخت » .

(٢) سورة الأنبياء ٩١ .

(٣) سورة غافر ١٥ .

(٤) سورة الشورى ٥٢ .

(٥) سورة المجادلة ٢٢ وانظر اللسان ٢٨٥/٣ .

(٦) سورة الواقعة ٨٩ واللسان ٢٨٥/٣ وفى تفسير الطبرى ١٢١/٢٧ « قرأته عامة قراء

والريحان : الرزق ، قال «النَّمِرُ بن تَوْلَب » :

سَلامُ الإله ورَيْحَانُه وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَرْ[1]

فجمع بين الرزق والرحمة ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ ، وهذا شاهد لتفسير المفسرين .

٥ قال « أبو عبيدة » ﴿فَرُوحٌ ﴾ ، أراد : حياةً وبقاءً لاموت فيه[2] .

ومن قرأ : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ بالفتح ، أراد : الرّاحة وطيب النّسيم .

وقد تكون الرُّوحُ : الرحمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ ﴾[3] ، أى من رحمته . سَمَّاها رَوْحًا لأنّ الرَّوْحَ والرّاحةَ يكونان بها[4] .

= الأمصار فروح — بفتح الراء — بمعنى فله برد وريحان . يقول : ورزق واسع فى قول بعضهم ، وفى قول آخرين : فله راحة وريحان ، وقرأ ذلك الحسن البصرى : فروح — بضم الراء — بمعنى أن روحه تخرج فى ريحانة . وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح ؛ لإجماع الحجة من القراء عليه ، بمعنى فله الرحمة والمغفرة والرزق الطيب الهنى » .

(١) البيت له فى مجاز القرآن ٢/ ٢٤٣ وفى اللسان ٣/ ٨٥ « قال الأزهرى : والعرب تقول: سبحان الله وريحانه . قال أهل اللغة : معناه : واسترزاقه ، وهو عند سيبويه من الأسماء الموضوعة موضع المصادر ، تقول : خرجت أبتغى ريحان الله ، قال النمر : سلام الإله — البيت — وبعده :

غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

قال : ومعنى قوله : « وريحانه » : ورزقه . قال الأزهرى : قاله أبو عبيدة وغيره . قال : وقيل: الريحان ههنا: هو الريحان الذى يشم » .

(٢) فى مجاز القرآن ٢/ ٢٥٣ : « فروح وريحان . فحياة وبقاء ورزق. ورَوح:أى بَرْد »

(٣) سورة يوسف ٨٧ .

(٤) هذه العبارة فى اللسان نقلا عن التهذيب للأزهرى . وقد ولد الأزهرى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ومات سنة سبعين وثلاثمائة ، كما فى بغية الوعاة ص ٨ .

٢٥ — الوحي

الوحي : كلُّ شيءٍ دلَلتَ به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة[١] .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[٣] ، فهذا إرسال جبريل بالقرآن .

وقال : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٤] : أي أشار إليهم وأومأ .

وقال بعض المفسرين : كتب إليهم .

قال أبو محمد :

والتفسير الأول أعجبُ إليَّ ؛ لأنه قال في موضع آخر : ﴿ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[٥] .

والرمز : تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين ، ولا يكون كتابا .

والوحي : إلهام ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾[٦] ، و ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[٧] ، أي ألهمها .

والوحي : إعلام في المنام ، كقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ

---

(١) اللسان ٢٠/٢٥٧ .
(٢) سورة النساء ٦٣ .
(٣) سورة الأنعام ١٩ .
(٤) سورة مريم ١١ .
(٥) سورة آل عمران ٤١ .
(٦) سورة المائدة ١١١ .
(٧) سورة النحل ٦٨ .

إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ ﴾[١] .

والوحى : إعلام بالوَسْوَسَة من الشيطان ، قال : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾[٣] .

٥ والوحى : أمر ، قال الله تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[٤] ، أى أمرها . وقال الراجز[٥] :

* وَحَى لهـا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ *

أى أمرها بالقرار : فقَرَّت ، يعنى الأرض . ويقال : سخّرها .

---

(١) سورة الشورى ٥١ .
(٢) سورة الأنعام ١٢١ .
(٣) سورة الأنعام ١١٢ .
(٤) سورة الزلزلة ٥ .
(٥) الرجز للعجاج كما فى ديوانه ص٥ واللسان ٢٠/٢٥٨ وبعده : « وشدها بالراسيات الثبت » وقيل : أراد : أوحى ، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف ، ويروى « أوحى » قال ابن برى : ووحى فى البيت بمعنى : « كتب » .

٢٦ – الفرح

الفَرحُ : المسرّة ، قال الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾[١] أى سُرُّوا .

والفرح : الرضا ؛ لأنه عن المسرة يكون ، قال الله تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٢] أى راضون ، وقال : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[٣] أى رضوا .

٥

والفرح : البَطَرُ والأَشَرُ ؛ لأن ذلك عن إفراط السرور ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٤] وقال : ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[٥] وقال : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[٦] .

وقد تبدل « الحاء » فى هذا المعنى « هاء » فيقال: فَرِهٌ أى بَطِرٌ ، قال الله تعالى : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[٧] أى : أَشِرِينَ بَطِرِين . و«الهاء» تبدل من «الحاء» لقُرب مخرجيهما ، تقول : « مدحته » و « مدهتة » ، بمعنى واحد .

١٠

(١) سورة يونس ٢٢ .
(٢) سورة المؤمنون ٥٣ والروم ٣٢ .
(٣) سورة غافر ٨٣ .
(٤) سورة القصص ٧٦ .
(٥) سورة هود ١٠ .
(٦) سورة غافر ٧٥ .
(٧) سورة الشعراء ١٤٩ .

٢٧ – الفتح

الفتح : أن يُفْتَحَ المغْلَق ، كقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾(١) .

والفتح : النَّصر ، كقوله : ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ﴾(٢) وقوله : ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾(٣) ؛ ٥ لأن النصر يَفْتح الله به أمراً مغلقاً .

والفتح : القضاء ؛ لأن القضاء فصل للأمور ، وفتح لما أشكل منها ، قال الله جل ذكره : ﴿وَيَقُولُونَ : مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ قُلْ : يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾(٤) يعني يوم القيامة ؛ لأنه يقضي الله فيه بين عباده .

١٠ ويقال : أراد فتح مكة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم من خوف السيف ، فلم ينفعهم ذلك وقتلهم « خالد بن الوليد » . [٢٠٧

وقال عز وجل / : ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي : يقضي ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾(٥) : أي خير القضاة .

وقال « أعرابي » لآخر ينازعه : بيني وبينك الفتاح ، يعني الحاكم .

---

(١) سورة الزمر ٧٣ .
(٢) سورة النساء ١٤١ .
(٣) سورة المائدة ٥٢ .
(٤) سورة السجدة ٢٨ ، ٢٩ .
(٥) سورة سبأ ٢٦ .

وقال «ابن عباس» فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[1]: كنت أقرؤها ولا أدرى ما هى ، حتى تزوجت بنت مِشْرَح[2] فقالت : فتح الله بينى وبينك ، أى حكم الله بينى وبينك .

(١) سورة الفتح ١ وفى تفسير الطبرى ٤٢/٢٦ « يقول : إنا حكمنا لك يا محمد حكما يبين لمن سمعه أو بلغه ، على من خالفك وناصبك من كفار قومك ، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر ، لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم وفتحه ما فتح لك . » .

(٢) اسمها زرعة بنت مشرح الكندية ، كما قال ابن قتيبة فى المعارف ص٥٤ ، وفى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٧ « زهرة بنت مشرح الكندية » . وفى ص ٤٠٢ « زرعة بنت مشرح » وكذلك فى نسب قريش ص ٢٨ ، ٢٩ ، وفى الإصابة ١٠٠/٨ « زرعة بنت محرش » بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الراء ، بعدها معجمة »

٢٨ - الكريم

الكريم : الشريف الفاضل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١) أى : أفضلكم . وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٢) أى : شرفناهم وفضّلناهم . وقال حكايةً عن إبليس : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾(٣) أى : فضلت . وقال : ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴾(٤) أى : فضَّله . وقال : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(٥) أى : الشريف الفاضل . وقال : ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾(٦) أى : شريفاً . وقال : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾(٧) أى شريف لشرف كاتبه ، ويقال : شريف بالختْم .

والكريم : الصَّفوح ، وذلك من الشرف والفضل ، قال الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(٨) أى : صفوح . وقال : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾(٩) أى الصَّفوح .

والكريم : الكثير الكرم ، قال الله تعالى : ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١٠) أى : كثير .

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .
(٢) سورة الإسراء ٧٠ .
(٣) سورة الإسراء ٦٢ .
(٤) سورة الفجر ١٥ .
(٥) سورة المؤمنون ١١٦ .
(٦) سورة النساء ٣١ .
(٧) سورة النمل ٢٩ .
(٨) سورة النمل ٤٠ .
(٩) سورة الانفطار ٦ .
(١٠) سورة الأنفال ٤ ، ٧٤ والحج ٥٠ والنور ٢٦ وسبأ ٤ .

والكريم : الحَسَن ، وذلك من الفضل . قال الله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[1] أى : حَسَن . وكذلك قوله : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[2] أى : حسن يُبتهج به . وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[3] ، أى حسناً .

وهذا وإن اختلف ، فأصله الشرف . ٥

(١) سورة الشعراء ٧ .
(٢) سورة الحج ٥ وق ٧ .
(٣) سورة الإسراء ٢٣ .

٢٩ — المثل

المَثَل[١] : بمعنى الشّبه ، يقال : هذا مَثَل الشيء ومِثْله ، كما يقال : شبَه الشيء وشِبْهُه ، قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾[٢] أى شبه الذين كفروا شبه العنكبوت .

٥ وقال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾[٣] أى : شبههم الحمار / [٢٠٨

والمَثَلُ : العِبْرة ، كقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ ﴾[٤] أى : عبرةً لمن بعدَهم . وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٥] أى عبرة .

١٠ والمَثَلُ : الصّورة والصّفة ، كقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ ﴾[٦] أى صفة الجنة .

---

(١) اللسان ١٤/١٣٢ ومجمع الأمثال ١/٩ .
(٢) سورة العنكبوت ٤١ .
(٣) سورة الجمعة ٥ .
(٤) سورة الزخرف ٥٦ وانظر اللسان ١٤/١٣٤.
(٥) سورة الزخرف ٥٩ .
(٦) سورة محمد ١٥ وانظر اللسان ١٤/١٣٣ .

٣٠ – الضرب

الضرب : باليد ، كقوله تعالى : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾[1] وقوله :
﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾[2] .

والضرْبُ : المسير ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾[3]
وقال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾[4] .

والضرب : التَّبيين والوصف ، قال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا ﴾[5] ،
وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾[6] ، أى لا تصفوه بصفات غيره ٥
ولا تشبهوه .

(١) سورة محمد ٤ .
(٢) سورة النساء ٣٤ .
(٣) سورة النساء ٩٤ .
(٤) سورة المزمل ٢٠ .
(٥) سورة النحل ٧٥ .
(٦) سورة النحل ٧٤ وفى تفسير الطبرى ١٤/٩٩ « وقوله : « فلا تضربوا لله الأمثال » يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه؛ فإنه لا مثل له ولا شبه ».

٣١ – الزوج

الزوج : اثنان ، وواحد ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾[١] فجعل كل واحد منهما زوجاً .

وهو بمعنى : الصِّنف ، قال : ﴿ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ ﴾[٢] يعني : الأصناف . وقال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾[٣] أي ثمانية أصناف .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[٤] أي من كل صِنف حسن .

والزَّوج : القَرين ، قال الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٥] ، وقال : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾[٦] أي قرناءهم .

وقال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾[٧] أي قُرنت نفوس الكفار بعضها ببعض .

ومنه قوله : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[٨] أي قرناهم .

والعرب تقول : زَوَّجت إبلي ، إذا قرنت بعضها ببعض .

---

(١) سورة النجم ٤٥ وانظر ص ٣٤٠ .
(٢) سورة يس ٣٦ .
(٣) سورة الأنعام ١٤٣ .
(٤) سورة الشعراء ٧ .
(٥) سورة النساء ١ .
(٦) سورة الصافات ٢٢ وانظر اللسان ٣/١١٧ .
(٧) سورة التكوير ٧ .
(٨) سورة الدخان ٥٤ وانظر اللسان ٣/١١٧ .

٣٢ — الرؤية

الرّؤية : المعاينة ، كقول الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾(١) .

وقال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾(٢) أى : عاينت .

والرؤية : عِلْم ، كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾(٣) أى : ألم يعلموا .

وقال : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾(٤) ، أى : أعلمنا .

وقال تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾(٥) أى : يعلم .

وقال : ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾(٦) أى : علمك الله .

وقال « المفسرون » فى قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾(٧) : ألم تُخْبَروا . وكذلك أكثر ما فى القرآن .

---

(١) سورة الزمر ٦٠ .
(٢) سورة الإنسان ٢٠ .
(٣) سورة الأنبياء ٣٠ .
(٤) سورة البقرة ١٢٨ .
(٥) سورة سبأ ٦ .
(٦) سورة النساء ١٠٥ .
(٧) سورة آل عمران ٢٣ .

٣٣ ـ النسيان

النسيان : ضد الحفظ ، كقوله : ﴿ إِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾[١] ، وقال : ﴿ لاتُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾[٢] .

والنسيان : الترك ، كقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾[٣] ، أى ترك .

وقوله : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ﴾ ، أى بما تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾[٤] ، أى تركناكم .

وقوله : ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[٥] ، أى لاتتركوا ذلك .

---

(١) سورة الكهف ٦٣ .
(٢) سورة الكهف ٧٣ .
(٣) سورة طه ١١٥ .
(٤) سورة السجدة ١٤ .
(٥) سورة البقرة ٢٣٧ .

٣٤— الصاعقة والصعق

الصَّعْقُ : الموت ، قال تعالى : ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾(٢) ، أى ميّتاً ، ثم ردّ الله إليه حياته .

وقال الله تعالى : ﴿ فقَالُوا : أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾(٣) ، أى الموت ، يدلك على ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾(٤) . ٥

والصاعقة : العذاب ، كقوله : ﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾(٥) .

والصاعقة : نار من السحاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾(٦) . ١٠

وأُراها سُمِّيت صاعقة ؛ لأنها إذا أصابت قَتَلَتْ ، يقال : صَعَقَتْهُمْ ، أى : قتلتهم .

---

(١) سورة الزمر ٦٨ .
(٢) سورة الأعراف ١٤٣ .
(٣) سورة النساء ١٥٣ .
(٤) سورة البقرة ٥٦ .
(٥) سورة فصلت ١٣ .
(٦) سورة الرعد ١٣ .

٣٥ — الأخذ

الأخذ : أصله باليد ، ثم يستعار فى مواضع :

فيكون بمعنى : القبول ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ﴾[(1)] أى : قبلتم عهدى ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾[(2)] أى فاقبلوه . وقال : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾[(3)] أى يقبلها .
٥ وقال : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾[(4)] أى : لا يقبل . وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾[(5)] أى : اقبله .

ويكون بمعنى : الحبس والأسر ، قال الله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾[(6)] / أى : احبسه . وقال تعالى : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ ﴾ أى : ائسروهم ﴿ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾[(7)]
١٠ أى : احبسوهم . [٢١٠]

ويقال للأسير : أخيذ .

---

(١) سورة آل عمران ٨١ .
(٢) سورة المائدة ٤١ .
(٣) سورة التوبة ١٠٤ .
(٤) سورة البقرة ٤٨ .
(٥) سورة الاعراف ١٩٩ .
(٦) سورة يوسف ٧٨ .
(٧) سورة التوبة ٥ .

والأخذ : التعذيب ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ ﴾[١] أى : تعذيبه . وقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾[٢] أى عذبنا

وقال : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾[٣] أى ليعذبوه ، أو ليقتلوه .

٥

---

(١) سورة هود ١٠٢ .
(٢) سورة العنكبوت ٤٠ .
(٣) سورة غافر ٥ .

٣٦ ـ السلطان

السلطان : المُلك والقهر ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾[١] وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[٢] .

والسلطان : الحُجَّةُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[٣] أى حجة .

وقال: ﴿ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾[٤] أى: حجة فى كتاب الله.

وقال : ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾[٥] أى : حجَّة .

وقال : ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[٦] ، أى : حجة وعذر .

---

(١) سورة إبراهيم ٢٢ .

(٢) سورة سبأ ٢١ .

(٣) سورة غافر ٢٣ .

(٤) سورة آل عمران ١٥١ .

(٥) سورة الصافات ١٥٦ .

(٦) سورة النمل ٢١ .

٣٧ — الباس والباساء

البأس والبأساء : الشدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾(١) .

والبأس : الشدة بالعذاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾(٢) أى عذابنا .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾(٣) وقال : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ ؟ ﴾(٤) أى : يمنعنا من عذاب الله .

والبأس : الشدّة بالقتال ، قال الله تعالى : ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾(٦) وقال : ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾(٧) وقال : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾(٨) .

---

(١) سورة الأنعام ٤٢ .
(٢) سورة غافر ٨٤ .
(٣) سورة الأنبياء ١٢ .
(٤) سورة غافر ٢٩ .
(٥) سورة النساء ٨٤ .
(٦) سورة النمل ٣٣ .
(٧) سورة الحشر ١٤ .
(٨) سورة البقرة ١٧٧ .

٣٨ — الخلق

الخَلْقُ : التَّخَرُّص[1]، قال الله تعالى : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[2] أي : خرصهم للكذب .

وقال تعالى : ﴿ وتَخْلُقُونَ إفْكاً ﴾[3] ، أي تخرصون كذباً .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾[4] أي : افتعال للكذب[5] .

٥ والعرب تقول للخرافات : أحادِيثُ الخَلْقِ[6] .

والخَلْقُ : التَّصْوِير ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

٢١١] الطَّيْرِ﴾[7] أي : تُصَوِّرُهُ .

---

(١) اللسان ١١/٣٧٥ .

(٢) سورة الشعراء ١٣٧ وفى تفسير الطبرى ١٩/٦٠ « اختلفت القراء فى قراءة ذلك : فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبى جعفر ، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم : « إن هذا إلا خلق الأولين » من قبلنا ــ بضم الخاء واللام ــ وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء : « إن هذا إلا خلق الأولين » بفتح الخاء وتسكين اللام ، بمعنى : ماهذا الذى جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم ... وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ : « إن هذا إلا خلق الأولين » بضم الخاء واللام ، بمعنى إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم ، كما قال ابن عباس ؛ لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاء منهم آثارهم ، فقالوا : ما هذا الذى نفعله إلا خلق الأولين ، يعنون عادة الأولين ... » .

(٣) سورة العنكبوت ١٧ .

(٤) سورة ص ٧ وانظر اللسان ١١/٣٧٦ .

(٥) فى اللسان ١١/٣٧٦ « وفى حديث أبى طالب : إن هذا إلا اختلاق ، أى كذب ، وهو افتعال من الخلق والإبداع ، كأن الكاذب تخلق قوله » .

(٦) فى اللسان ١١/٣٧٦ « والعرب تقول : حدثنا فلان بأحاديث الخلق ، وهى الخرافات من الأحاديث المفتعلة » .

(٧) سورة المائدة ١١٠ .

والخلْق : الإنْشاء والابتداء ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1] .

وأصل الخلْق: التقدير، ومنه قيل: خالِقَةُ الأدِيمِ[2]، قال «زهير»:

ولأَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وَبَعْـــضُ القَوْمِ يَخْلُق ثُمَّ لَا يَفْرِى[3]

والخلْقُ : الدِّين ، كقوله تعالى : ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[4] ، أى لدين الله .

وقال تعالى : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾[5] ، أى دينه . ويقال : تغيير خلقه بالخصاء وبَتْكِ الآذان ، وأشباه ذلك .

---

(١) سورة الأعراف ١٨٩ .

(٢) فى اللسان ١١/٣٧٥ « والخلق : التقدير ، وخلق الأديم يخلقه خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفا » .

(٣) ديوانه ص٩٤ والجمهرة ٢/٢٤٠ والأضداد لابن السكيت ص٢٠٥ وشرح شواهد الشافية ص٢٢٩ وسيبويه ٢/٢٨٩ ومقاييس اللغة ٢/٢١٤ والحيوان ٣/٣٨٣ واللسان ١١/٢٠ وتفسير الطبرى ١٨/٩ والبحر المحيط ١/٩٣ ، ٢/٤٦٥ . وفى اللسان ١١/٣٧٥ « يقول : أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه ؛ لأنه ليس بماضى العزم ، وأنت مضاء على ماعزمت عليه » .

(٤) سورة الروم ٣٠ .

(٥) سورة النساء ١١٩ .

٣٩ـ الرّجم

الرجم : أصله الرّمى[١]، كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾[٢] أى مرامى .

ثم يستعار فيوضع موضع القتل؛ لأنهم كانوا يقتلون بالرّجم. ورُوِى[٣] أنّ ابن آدم قتل أخاه رجماً بالحجارة ، وقُتِل رجماً بالحجارة ، فلما كان أول القتل كذلك، سُمِّى رجماً وإن لم يكن بالحجارة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾[٤] ، أى لنقتلنكم . وقال تعالى . ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[٥] ، أى تقتلون . وقال : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾[٦] ، أى قتلناك .

ويوضع موضع : الشتم ؛ لأن الشتم رميٌ، ولذلك يقال : قذف فلانٌ فلاناً : إذا شتمه . وأصل القذف : الرمى ، ومنه قول أبى إبراهيم له : ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[٧] ، أى لأشتمنك .

ويوضع موضع الظن ، ومنه قوله : ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾[٨] ، أى ظنًّا .

ويقال : رجم بالظّنّ ؛ كأنه رمى به .

والرَّجْم : اللعن . والطَّرْد : لعن ، ومنه قيل : ذئبٌ لَعِين : أى طريد .

وإنما قيل للشيطان : رجيم ، أى طريد ؛ لأنه يُطرد برجم الكواكب .

---

(١) اللسان ١٥/١١٧ (٢) سورة الملك ٥ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ١٠/٢٢٠ — ٢٢٤ .

(٤) سورة يس ١٨ « قالوا : إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم » .

(٥) سورة الدخان ٢٠ . (٦) سورة هود ٩١ .

(٧) سورة مريم ٤٦ « قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً » . (٨) سورة الكهف ٢٢ .

٤٠ ـ السعى

السَّعْى(١) : الإسراع فى المشى ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾(٢) ، أى يسرع فى مشيه ، وهو العدو أيضا .

والسعى : المشى ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ ﴾(٣) ، يعنى المشى ، ويقال : المعاونة له على أمره / . [٢١٢

وقال : ﴿ فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾(٤) أى امشوا . وقرأ بعض السلف : ﴿ فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾(٥) . ٥

وقال : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾(٦) ، أى مشياً ، كذلك قال بعض المفسرين .

والسعى : العمل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾(٧) . ١٠

---

(١) اللسان ١٩/١٠٧ .

(٢) سورة القصص ٢٠ .

(٣) سورة الصافات ١٠٢ .

(٤) سورة الجمعة ٩ .

(٥) قرأ ذلك عبدالله بن مسعود ، كما فى اللسان ١٩/١٠٧ وعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابن الزبير كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٥٦ .

(٦) سورة البقرة ٢٦٠ وانظر تفسير الطبرى ٣/٤٠ .

(٧) سورة الإسراء ١٩

وقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا[١] ﴾ ، أى : عمل لها عملها .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾[٢] ، أى جَدُّوا فى ذلك .

٥ وقال : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾[٣] ، أى عملكم لشتَّى ، أى مختلف .

وأصل هذا كله : المشى والإسراع فيه .

---

(١) سورة الإسراء ١٩ وبعد ذلك ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ .

(٢) سورة الحج ٥١ وسبأ ٥ .

(٣) سورة الليل ٤ .

٤١ ـ المحصنات

الإِحْصَانُ هو : أن يحمى الشيء ويمنع منه(١) .

والمحصَنات من النساء : ذوات الأزواج ؛ لأن الأزواج أَحْصَنُوهُنَّ ، ومنعوا منهن ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾(٢) .

والمحصنات : الحَرَائِرُ وإن لم يكنَّ متزوجات ؛ لأن الحرّة تُحْصَنُ وَتُحْصِنُ ، وليستَ كالأمَة . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٣) وقال : ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَاعَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾(٣) يعنى الحرائر .

والمحصنات : العَفَائِفُ ، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾(٤) يعنى العفائف .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾(٥) أى عفّت .

---

(١) اللسان ١٧٦/١٦ .
(٢) سورة النساء ٢٤ .
(٣) سورة النساء ٢٥ .
(٤) سورة النور ٤ .
(٥) سورة التحريم ١٢ .

٤٢ — المتاع

المَتَاعُ : المُدَّة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[2] .

ومنه يقال : مَتَع النهار . ويقال : أمتع الله بك .

والمتاع : الآلات التى يُنتفع بها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ ﴾[3] .

والمتاع : المنفعة ، قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[5] وقال تعالى : [٢١٣] ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾[6] .

وقال : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾[7] أى ينفعكم ويقيكم من الحرّ والبرد ، يعنى الخانات .

ومنه : مُتْعَةُ المُطَلَّقَة[8] .

---

(١) سورة البقرة ٣٦ .
(٢) سورة الانبياء ١١١ .
(٣) سورة الرعد ١٧ .
(٤) سورة الواقعة ٧٣ .
(٥) سورة النازعات ٣٣ وسورة عبس ٣٢ .
(٦) سورة المائدة ٩٦ .
(٧) سورة النور ٢٩ وانظر اللسان ١٠/٢٠٩ .
(٨) متعة المرأة : ما وصلت به بعد الطلاق ، راجع اللسان ١٠/٢٠٦ — ٢٠٧ .

٤٣ـ الحساب

الحساب : الكثير ، قال الله تعالى : ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾[١] ، أى كثيراً .

ويقال : أَحْسَبْتُ فلاناً . أى أعطيته ما يُحْسِبُه ، أى يكفيه . ومنه قول « الهذلى » :

* حِسَابٌ وَرَجْلٌ كالجراد يَسومُ[٢] *

والحساب : الجزاء ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[٣] ، أى جزاءهم .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾[٤] ؛ لأن الجزاء يكون بالحساب.

والحساب : المحاسبة ، قال الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً ﴾[٥] .

---

(١) سورة النبأ ٣٦ .

(٢) فى اللسان ١/٣٠٣ « الحساب : الكثير ، وفى التنزيل « عطاء حساباً » أى كثيراً كافياً ، وكل من أرضى فقد أحسب ، وشىء حساب : أى كاف ، ويقال : أتانى حساب من الناس، أى جماعة كثيرة ، وهى لغة هذيل ، وقال ساعدة بن جؤية الهذلى:

فلم ينتبه حتى أحاط بظهره ... حساب وسرب كالجراد يسوم

والبيت بهذه الرواية لساعدة فى ديون الهــذليين ١/٢٢٩ وأساس البلاغة للزمخشرى ١/١٧٣ .

(٣) سورة الغاشية ٢٦ .

(٤) سورة الشعراء ١١٣ .

(٥) سورة الانشقاق ٨ .

٤٤ـ الأمر

الأَمْرُ : القَضاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماء إلَى الْأَرْضِ ﴾[١] ، أى يقضى القضاء . وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[٢] أى القضاء .

والأمر : الدِّين ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾[٣] ، أى دينهم . وقال تعالى : ﴿ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ ﴾[٤] .

والأمر : القول ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾[٥] ، يعنى قولهم .

والأمر : العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾[٦] ، أى وجب العذاب . وقال تعالى : ﴿ وَغِيضَ الْمَاء ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾[٧] .

والأمر : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[٨] وقال تعالى : ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ، وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ ﴾[٩]

---

(١) سورة السجدة ٥ .
(٢) سورة الأعراف ٥٤ .
(٣) سورة المؤمنون ٥٣ .
(٤) سورة التوبة ٤٨ .
(٥) سورة الكهف ٢١ .
(٦) سورة إبراهيم ٢٢ .
(٧) سورة هود ٤٤ .
(٨) سورة النحل ١ .
(٩) سورة الحديد ١٤ .

أى القيامة أو الموت .

والأمر : الوحى ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾[١] .

والأمر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾[٢] ، أى جزاء ذنبها .

وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد .

ويكنى عن كل شىء : بالأمر ؛ لأن كلّ شىء يكونُ فإنما يكون بأمرالله ، فسميت الأشياء : أموراً ؛ لأن الأمر سبَبُها ، يقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الطلاق ١٢ .

(٢) سورة الطلاق ٩ .

(٣) سورة الشورى ٥٣ .



بَاب تفسِير حرُوف المعاني وَمَا شاكلها من الأفعال التي لا تنصَرف

كأيّن

كأيّن(1) هي بمعنى : كم . قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾(2) أى وكم من قرية . [٢١٤

وفيها لغتان : كَأَيِّن بالهمز وتشديد الياء ، وكائِن على تقدير قائل وبائع ، وقد قُرِئَ بهما جميعاً فى القرآن ، والأكثر والأفصح تخفيفها ، قال «الشاعر» :

وكائن أَرَيْنَا الموتَ مِنْ ذى تَحِيَّةٍ إذا ما ازْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لِمَأْثَمِ(3) ٥

وقال « آخر » :

وكائِن تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُه أَوْ نَقْصُه فى التَّكَلُّمِ(4)

---

(1) نقل هذا أحمد بن فارس فى كتاب الصاحبي ص ١٣٢ ولم ينسبه إلى ابن قتيبة .

(2) سورة الطلاق ٨ وفى تفسير الطبرى ٢٨/٩٧ « يقول تعالى ذكره : وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه ، وعن أمر رسل ربهم فتمادوا فى طغيانهم وعتوهم ولجوا فى كفرهم ... قال ابن زيد : العتو ههنا : الكفر والمعصية ، عتوا : كفروا . عتت عن أمر ربها : تركته ولم تقبله . وقيل : إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم فى الطلاق فتوعد الله — بالخبر عنهم — هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره فى ذلك » .

(3) الصاحبي ص ١٣٢ .

(4) البيت لزهير من معلقته فى شرح الزوزنى ص ٩٠ ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ١/١٧٠ للأعور الشنى ، وذكر بعده بيتا آخر وهو :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وذكرها ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة ص ٢٩ من غير نسبة ، ثم أعاد ذكرها فى ص ٥٩ ونسبهما لأبى الأعور السلمى.

كيف

كيف بمعنى : على أى حالٍ ، تقول : كيف أنت ؟ تريد بأى حال أنت ؟ .

وتقع بمعنى : التعجب ، فى مثل قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ؟ ﴾[1] .

٥

(١) سورة البقرة ٢٨ .

سِوى وسُوى

سوى وسوى : بمعنى غير ، وهما جميعاً فى معنى بدل . وهى مقصورة .
وقد جاءت ممدودة مفتوحة الأول ، وهى فى معنى غير .

قال « ذُو الرُّمَّة » :

وَمَا تَجَافَى الغَيْثُ عنهُ فما بِهِ سَوَاءِ الحَمَامِ الحُضَّنِ الخُضْرِ حَاضِرُ[١]

يريد غيرَ الحَمَام .

وسَوَاء — مفتوحة الأول ممدودة — بمعنى : وسط . قال : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾[٢] ، أى فى وسطه .

وقد جاءت أيضاً بمعنى : وسط ، مكسورة الأوّل مقصورةً ، قال الله تعالى : ﴿ مَكَاناً سِوًى ﴾[٣] ، أى وَسَطا .

---

(١) ديوانه ص ٢٤٨ وفى هامش م « سوى : غير، الحمام : جمع حمامة ، الحضن : جمع حاضنة . الخضر : جمع أخضر . يصف ماء ومفازة بعيدة عن الريف . وقيل : أراد ماء بئر لا ماء مطر » .

(٢) سورة الصافات ٥٥ .

(٣) سورة طه ٥٨ .

ا يان

أيَّان : بمعنى متى ، ومتى بمعنى : أىّ حين .

ونرى أصلها: أىّ أوان، فحذفت الهمزة والواو، وجعل الحرفان واحداً ، قال الله تعالى : ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ؟ ﴾[1] ، أى متى يبعثون ؟ و ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟ ﴾[2] .

---

(١) سورة النحل ٢١ .

(٢) سورة القيامة ٦ .

الآن

الآن(١) : هو الوقت الذى أنت فيه ، وهو حدُّ الزّمانين : حدّ الماضى من آخره ، وحدّ الزمان المستقبل من أوله .

قال الفراء(٢) : « هو حرف بنى على الألف واللام ، ولم يُخْلَعَا منه ، وتُرِكَ على مذهب الصِّفة ؛ لأنه فى المعنى واللفظ ، كما رأيتهم فَعَلُوا بالذى(٣) ، فتركوه على مذهب الأداة ، والألف واللام له لازمة غير مفارقةٍ / . ٥

وأرى أصله : أَوَانٌ ، حذفت منه الألف ، وغُيِّرت واوه إلى الألف ، [٢١٥ كما قالوا فى الرّاح : الرِّياح . وأنشد :

كأنَّ مَكَاكِىَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً نَشَاوَى تَسَاقَوْا بالرَّياحِ المُفَلْفَلِ(٤)

قال : فهى مَرَّةً على تقدير « فَعَلٍ » ومرّة على تقدير « فَعَال » كما قالوا : زَمَن ، وزَمَان. ١٠

---

(١) راجع اللسان ١٦/١٨٤ — ١٨٧ ، والمخصص ١٤/٨٤ .
(٢) فى معانى القرآن ١/٤٦٧ — ٤٦٩ .
(٣) فى اللسان ١٦/١٨٥ « بالذى والذين فتركوها » وكذلك فى معانى القرآن للفراء ١/٤٦٧ .
(٤) غير منسوب فى معانى القرآن للفراء ١/٤٦٨ ، وفى اللسان ١٦/١٨٦ « وأنشد أبو القمقام » وروايته كما هنا ، ورواه فى ١٤/٤٨ من غير نسبة « صبحن سلافاً من رحيق مفلفل » والبيت فى الصاحبى ص ١١٥ لأبى القمقام الأسدى . والمكاكى : جمع مكاء ، وهو طائر يألف الريف . والجواء : جمع جو ، وهو الهواء الذى بين السماء والأرض . ويقال: خمر مفلفل : ألقى فيه الفلفل فهو يحذى اللسان ، وشراب مفلفل أى يلذع لذع الفلفل . وقد رواه ابن قتيبة فى المعانى الكبير من غير نسبة ١/٢٩٥ وقال فى شرحه : أراد بالرياح : الراح ، فزاد ياء . شبهها بنشاوى لكثرة أصواتها وغنائها » ونسب فى اللسان ٣/٢٩٥ لامرىء القيس ، وهو له فى ديوانه ص ١٠٤ وشرح القصائد العشر ص ٥٤ .

وإن شِئْتَ جعلتها من قولك : آنَ لك أن تفعل كذا وكذا ، أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب « فَعَل[1] » منصوبة ، كما قالوا : « نَهى رسول الله،صلى الله عليه وسلم ، عن قِيلَ وقال ، وكثرة السُّؤال[2] » فكانتا كالاسمين وهما منصوبتان ، ولو خُفِضَتا[3] على النَّقْل لهما من حدّ الأفعال إلى الأسماء فى النّية — كَانَ صواباً .

وسمعت العرب تقول : مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ، ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ ، مخفوض منون ، يذهبون به مذهب الأسماء . والمعنى : مُذْ كانَ صغيراً فشبَّ إلى أن دَبّ كبيراً .

قال الله تعالى: ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ؟ ﴾[4] ﴿ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ؟ ﴾[5] ، أى أفى هذا الوقت وفى هذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل ؟ .

---

(١) فى اللسان ١٦/١٨٦ « على مذهب فعل فأتاها النصب من نصب فعل ، وهو وجه جيد ، كما قالوا : الخ » .

(٢) روى مسلم فى صحيحه : كتاب الأقضية : باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة ، والنهى عن منع وهات ٣/١٣٤١ : أن المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية : سلام عليك . أما بعد . فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله حرم ثلاثاً ، ونهى عن ثلاث : حرم عقوق الوالد ، ووأد البنات ، ولا وهات . ونهى عن ثلاث : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

ورواه من حديث أبى هريرة ٣/١٣٤٠ بلفظ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . ويكره لكم : قيل وقال ... » الحديث

وهذه الرواية أخرجها مالك فى الموطأ : كتاب الكلام : باب ماجاء فى إضاعة المال وذى الوجهين ٢/٩٩٠ .

(٣) فى معانى القرآن ٤٦٩ : « ولو خفضتهما على أنهما أخرجتا من نية الفعل إلى نية الأسماء كان صوابا » .

(٤) سورة يونس ٩١ .

(٥) سورة يونس ٥١ .

أنى

أنّى : يكون بمعنيين . يكون بمعنى : كيف ، نحو قول الله تعالى : ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ﴾[١] أى كيف يحييها ؟ وقوله : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[٢] أى كيف شئتم .

ويكون بمعنى : من أين ، نحو قوله : ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٣] وقوله : ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾[٤] . ٥

والمَعْنَيَان متقاربان ، يجوز أن يتأولَ فى كل واحد منهما الآخر .

وقال « الكُمَيْت » :

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ ؟   مِنْ حَيْثُ لَاصَبْوَةٌ وَلَا رِيَبُ[٥]

فجاء بالمعنيين جميعا .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٣ .

(٣) سورة التوبة ٣٠ .

(٤) سورة الأنعام ١٠١ .

(٥) مطلع قصيدة له فى الهاشميات ص ٥٦ وهو له فى تفسير الطبرى ٢/٣٣٦ والبحر المحيط ٢/٤٤٣ ومجمع البيان ١/٣٢٠ وشرح شواهد الشافية ص ٣١٠ والشطر الأول غير منسوب فى مقاييس اللغة ١/١٥٣ واللسان ٢٠/٣٢٢ وشرح الحماسة للمرزوقى ١/٥٣ وقال عبد القادر البغدادى فى شرحه : آبك : جاءك وغشيك ، وهو فعل ماض من الأوب . والطرب : خفة من فرح أو حزن ، والمراد الأول . والصبوة : الصبا والشوق . والريب : جمع ريبة ، وهى الشبهة . يقول : كيف طربت مع كبر سنك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه ؟ الصبوة للفرح ، والريب للحزن » .

ويكأن

وَيْكَأَنَّ[١] . قد اختُلف فيها : فقال الكسائى : معناها : ألم تر ، قال الله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[٢] وقال : ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾[٢] ، يريد : ألم تر . [٢١٦]

وروى عبد الرّزاق ؛ عن معمر ، عن « قتادة[٣] » أنه قال : وَيْكَأَنَّ : أولا يَعلمُ أن الله يبسط الرزق لمن يشاء . وهذا شاهد لقول الكسائى .

وذكر الخليل أنها مفصولة : وى ، ثم تبتدئ فتقول : كأنّ الله[٤] .

وقال «ابن عباس» فى رواية أبى صالح : هى: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ، كأنه لا يفلح الكافرون . وقال : وَىْ صلةٌ فى الكلام .

وهذا شاهد لقول الخليل .

* * *

(١) فى سيبويه ١/٢٩٠ : سألت الخليل عن قوله : (ويكأنه لا يفلح) وعن قوله : (ويكأن الله) فزعم أنها مفصولة من كأن ، والمعنى على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا فقيل لهم ما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا . والله أعلم .

(٢) سورة القصص ٨٢ .

(٣) فى تفسير الطبرى ٢٠/٧٧ « فأما قتادة فإنه روى عنه فى ذلك قولان ... أحدهما : ويكأنه : ألم ترأنه .. والقول الآخر : « ويكأن الله يبسط الرزق » أولم يعلم أن الله . ويكأنه : أو لا يعلم أنه ... » .

(٤) اللسان ٢٠/٣٠٠ وسيبويه /٢٩٠

وممـا يدل على أنها كأنَّ : أنها قد تخفف أيضاً كما تخفَّف كأن

قال«الشاعر»:

وَيْـكَأَنَّ مَنْ يَـكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[1]

وقال «بعضهم»: ويكأن : أى رحمةً لك، بلغة حِمْيَر .

---

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيـل كما فى عيون الاخبار ١/٢٤٢ وسيبويه ١/٢٩٠ والبحر المحيط ٧/١٣٥ والخزانة ٣/٩٧ وفى اللسان ٢٠/٣٠١ ، ٣٨١ له أو لنبيه بن الحجاج السهمى . وهو غير منسوب فى الصاحبي ص ١٣٧ ومجالس ثعلب ١/٣٨٩ ومجمـع البيان ١/١٩٦ ، والخصائص ٣/٤١ ، ١٦٩ ، والصحاح ٦/٢٥٥٧ ، وتفسير الكشاف ٣/١٥١ .

كأن

كأنَّ : تشبيه ؛ وهى : «أنَّ» أُدخلت عليها « كاف التشبيه» الخافضة ، ألا ترى أنك تقول : شربتُ شراباً كعسل ، وشربت شرابا كأنه عسل ؛ فيكونان سواء ؟!.

وقد يخفف كأنّ ، ويحذف الاسم فيكون كالكاف ، قال « الشاعر »
٥ يصف فرساً :

جَمُومُ الشَّدِّ شائِلَةُ الذُّنَابَى ... وهَادِيها كَأَنْ جِذْعٌ سَحُوقُ[1]

أراد : كجذع. وقال « آخر » :

* كَأَنْ ظبيةٌ تَعْطُو إلى ناضِرِ السَّلَمْ[2] *

---

(١) البيت للمفضل النكرى ، كما فى اللسان ٢٠/٢٣٢ وفيه ١٤/٣٧٢ « فرس جموم : إذا ذهب منه إحضار، جاءه إحضار، وكذلك الأنثى ، قال النمر بن تولب :

جموم الشد شائلة الذنابى ... تخال بياض غرتها سراجا

قوله : شائلة الذنابى : يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو » وفيه ٢٠/٢٣٢ « وكل متقدم: هاد والهادى : العنق لتقدمه » والجذع : ساق النخلة. وفيه ١٢/١٩ « ونخلة سحوق : طويلة . وأنشد ابن برى للمفضل النكرى : « كأن جذع سحوق » والبيت فى الجمهرة ١/٢٥٢ .

(٢) صدره كما فى الكامل ١/٥٠ « ويوماً توافينا بوجه مقسم » . وهو غير منسوب فيه. وهو مطلع قصيدة فى الأصمعيات ١٧٧ لعلباء بن أرقم بن عوف. ومعنى تعطو: تتناول. والسلم: شجر كثير الشوك . وفى اللسان ١٥/٣٨٢ « ورجل مقسم الوجه أى جميل كله ، كأن كل موضع منه أخذ قسما من الجمال . وفلان قسم الوجه ومقسم الوجه . وقال باعث بن صريم اليشكرى ، ويقال : هو كعب بن أرقم اليشكرى :

ويوماً توافينا بوجه مقسم ... كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم
ويوماً تريد مالنا مع مالها ... فإن لم ننلها لم تنمنا ولم تنم
تظل كأنا فى خصوم غرامة ... تسمع جيرانى التألى والقسم
فقلت لها : إن لا تناهى فإنى ... أخو النكر حتى تقرعى السن من ندم

وانظر تفصيل الخلاف فى قائل هذا البيت فى الخزانة ٤/٣٦٥ — ٣٦٧ وهو فى سيبويه ١/٢٨١ ، ٤٨١ .

لات

لات . قال سيبويه[١] : « لات » مشبّهة « بليس » فى بعض المواضع ، ولم تُمكَّنْ تمكُّنَها ، ولم يستعملوها إلا مُضْمَراً فيها ؛ لأنها ليست كليْسَ فى المخاطبةِ والإخبارِ عن غائب ، ألا ترى أنك تقول : ليْسَتْ وَليسُوا ، وعَبْدُ اللهِ لَيْسَ ذاهباً ، فتَبْنى عليها ، و« لَاتَ » لايكون فيها ذاك ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[٢] ، أى ليس حين مَهْرَب .

٥

قال : وبعضهم يقول : ﴿وَلَاتَ حِينُ مَنَاصٍ﴾ . فيَرفَعُ ؛ لأنها عنده بمنزلة « ليس » وهى قليلة ، والنصب بها الوجه[٣] . وقد خَفَضَ بها ، قال « أبو زُبَيْدٍ الطّائى » :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بقاءِ[٤]

/ وقال آخر : [٢١٧

فلمّاَ عَلِمْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ ... نَدِمْتُ عَليه لاتَ سَاعةَ مَنْدَمِ

---

(١) راجع نص كلام سيبويه فى الكتاب ١/٢٨ ، وانظر مجاز القرآن ٢/١٧٦ .

(٢) سورة ص ٣ .

(٣) فى اللسان ١٠/٣٥٧ « وقال الفراء : معنى « ولات حين مناص » : أى ليس بحين فرار ، وتنصب بها لأنها فى معنى ليس ، وأنشد : * تذكر حب ليلى لات حينا * قال : ومن العرب من يخفض بلات ، وأنشد * طلبوا صلحنا ولات أوان * قال شمر : أجمع علماء النحويين من الكوفيين والبصريين أن أصل هذه التاء التى فى « لات » هاء وصلت بـ « بلا » فقالوا : «لاة » لغير معنى حادث ، كما زادوا فى « ثم وثمة » وازمت ، فلما وصلوها جعلوها تاء » .

(٤) البيت له فى خزانة الأدب ٢/١٥١ وشرح شواهد المغنى ص ٢١٩ والكشاف ٣/٣١٦ وهو غير منسوب فى اللسان ٢٠/٣٥٧ والأزمنة والأمكنة ١/٢٤٠ وتفسير الطبرى ٢٣/٧٧ : ٧٨ وتفسير ابن كثير ٤/٢٦ والبحر المحيط ٧/٣٨٤ ، والمخصص ١٦/١١٩ .

وإنما تـكون «لات» مع الأحْيان وتعمل فيها. فإذا جَاوَزَتْهَا فليس لها عمل.

وقال بعض البغداديين[1]: «التاء» تُزادفى أول «حين»، وفى أوّل «أوان»، وفى أول «الآن»، وإنما هى «لا» ثم تبتدئُ فتقول: تَحِينَ وَتَلَانَ. والدليل على هذا أنهم يقولون: تَحِينَ من غير أن يتقدمها «لا». واحتج بقول «الشاعر»:

٥ العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ ‏ ‏ ‏ وَالْمُطْعِمُونَ زمَانَ مَامِنْ مُطْعِمِ[2]

وبقول «الآخر»:

* وَصِلِينا كما زَعَمْتِ تَلَانَا[3] *

(١) فى اللسان ١٦/١٨٧ «قال أبو عبيد: قال الأموى: قوله: تلآن: يريد الآن، وهى لغة معروفة، يزيدون التاء فى «الآن» وفى «حين» ويحذفون الهمزة الأولى، يقال: تلآن وتحين. قال أبو وجزة:

العاطفون تحـين مامن عاطف ‏ ‏ ‏ والمطعمون زمان ما من مطعم

وقال آخر: * وصلينا كما زعمت تلانا * قال: وكان الـكسائى والأحمر وغيرهما يذهبون إلى أن الرواية: «العاطفون» فيقول: جعل الهاء صلة، وهو وسط الـكلام، وهـذا ليس يوجد إلا على السكت. قال: فحدثت به الأموى فأنـكره. قال أبو عبيد: وهو عندى على ما قال الأموى».

(٢) لأبى وجزة، كما فى اللسان ١٦/١٩١، ٢٠/٣٦١ وفيها: «العاطفون حين مامن عاطف» وفى الطبرى ٢٣/٧٨ «العاطفونة حين» وهو غير منسوب فيه.

(٣) غير منسوب فى المخصص ١٦/١١٩ واللسان ١٦/١٨٧ وفى ص ٢٩١ وقبـله فيها: * نولى قبل نأى دارى جماناً * وفى ص ٢٢٢: «الأحمر: تلان فى معنى الآن: وأنشد لجميل بن معمر:

نولى قبل نأى دارى جماناً ‏ ‏ ‏ وصلينـــا كما زعمت تلانا

إن خـــيرالمواصلين صفاء ‏ ‏ ‏ من يوافى خليـــله حيث كانا

وفى تفسير الطبرى ٢٣/٧٨ غير منسوب:

تولى قتلى يوم سبى جمانا ‏ ‏ ‏ وصلينا كما زعمت تلاناً

ثم قال الطـــبرى بعد ذلك «.. وأماما استشهد به [يعنى أبا عبيدة فيما أرى] من قول الشاعر: «كما زعمت تلانا» فإن ذلك منه غلط فى تأويل الـكلمة، وإنما أراد الشاعر بقوله: «وصلينا كما زعمت تلانا»: وصلينا كما زعمت أنت الآن. فأسقطت الهمزة من أنت، فلقيت التاء من «زعمت» «النون» من «أنت» وهى ساكنة، فسقطت من اللفظ، وبقيت

وجرُّ العرب بها يُفْسدُ عليه هـــذا المذهب ؛ لأنهم إذا جَرُّوا مابعدها جعلُوها كالمضاف للزّيادة ، وإنما هى «لا» زيدت عليها «الهاء» ، كما قالوا : ثُمَّ وثُمَّـــةَ .

وقال« ابنالأعْرَابى» فى قول « الشاعر » : « العَاطِفُونَ تَحِينَ مَامِنْ عَاطِنٍ» :

إنما هو : «العاطفونه» بالهاء ، ثم تبتدئُ فتقول : «حِينَ مامِنْ عَاطِفٍ» فإذا وصلتَه صارت الهاء تاءً . وكذلك قوله : «وصِلِينا كما زَعَمْتِهِ» ثم تبتدئُ فتقول : لاتا ، فإذا وصلته صارت الهاء تاءً ، وذهبت همزةُ الآن .

قال: وسمعتُ «الـكلابىّ» ينهى رجلا عن عمل ، فقال: حسبَكَ تَلَان .
أراد : حَسْبَــكَهُ الآنَ ، فلمّا وَصَلَ صارت الهاء تاء .

وسنُبيِّنُ : كيف الوقوفُ عليها[1] وعلى أمثالها من التاءات الزوائد ، فى كتاب « القراءات » إن شاء الله تعالى .

« التاء » من « أنت » ثم حذفت الهمزة من « الآن » فصارت الكلمة فى اللفظ كهيئة : « تلان » والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من « الآن » لأنها تاء « أنت » .

(١) فى البحر المحيط ٧/٣٨٤ « والوقف عليها : [لات] بالتاء قول سيبويه والفراء وابن كيسان والزجاج . ووقف الكسائى والمبرد [لاه] بالهاء . وقوم على « لا » وزعموا أن التاء زيدت فى حين ، واختاره أبو عبيدة وذكر أنه رآه فى الإمام مخلوطا « تاؤه » بحين . وكيف يصنع بقوله : ولات ساعة مندم ، ولات أوان » وانظر تفسير الطبرى ٢٣/٧٨ .

مهما

مهما[1] : هى بمنزلة « ما » فى الجزاء . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، أى ما تأتنا به من آية .

وقال «الخليل» فى مهما : هى «ما» أدخلت معها «ما» لغواً ، كما أدخلت

٢١٨ مع « متى » لغواً ، تقول : متى تأتنى آتك ، ومتى ما تأتنى آتك . وكما / أدخلت مع « ما » أىّ لغواً ، كقوله : ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[3] ، أىْ أَيًّا تَدْعُوا .

قال : ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولوا : « ما ، ما » فأبدلوا الهاء من الألف التى فى الأولى .

١٠ هذا قول « الخليل » .

وقال «سيبويه» : وقد يجوز أن تكون « مَهْ » ضم إليها « ما »[4]

---

(١) سيبويه ٤٣٣/١ .

(٢) سورة الأعراف ١٣٢ وقال الطبرى فى تفسيره ٢١/١٩ « يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : ياموسى ، مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون ، فما نحن لك فى ذلك بمصدقين، على أنك محق فيما تدعونا إليه . وكان ابن زيد يقول فى معنى « مهما تأتنا به من آية » : ما » .

(٣) سورة الإسراء ١١٠ وفى تفسير الطبرى ١٢١/١٥ « يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يامحمد لمشركى قومك المنكرين دعاء الرحمن : ادعوا الله أيها القوم أو ادعوا الرحمن ، أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، بأى أسمائه تدعون ربكم ، فإنما تدعون واحداً فله الأسماء الحسنى . وإنما قيل ذلك له ، صلى الله عليه وسلم ؛ لأن المشركين — فيما ذكر — سمعوا النبى يدعو ربه : ياربنا الله ، وياربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه هذه الآية احتجاجاً لنبيه عليهم » قال أبو جعفر : ولدخول « ما » فى قوله : « أياما تدعوا » وجهان : أحدهما : أن تكون صلة ، كما قيل : « عما قليل ليصبحن نادمين » والآخر : أن تكون فى معنى « إن » كررت لما اختلف لفظاهما ، كما قيل : ما إن رأيت كالليلة ليلة » .

(٤) فى اللسان ٣٦٣/٢٠ « وزعم الخليل أن « مهما » : « ما » ضمت إليها « ما » لغوا وابدلوا الالف هاء . وقال سيبويه : يجوز أن تكون كإذ ، ضم إليها ما » .

ما ومَن

ما ومن ، أصلهما واحدٌ ، فجُعلت مَنْ للناس ، وما لغير الناس . تقول :
مَنْ مرَّ بك من القوم ؟ وما مرَّ بك من الإبل ؟ .

وقال « أبو عبيدة » فى قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[1] :
أى ومَنْ خلقَ الذَّكر والأُنثى . وكذلك قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[2] : هى عنده فى هذه ٥
المواضع بمعنى « مَنْ » .

وقال «ابو عمْرو» : هى بمعنى «الذى» . قال : وأهل مكة يقولون إذا
سمِعُوا صَوْتَ الرعد : سبحان ماسبَّحْتَ له[3] .

وقال «الفرَّاء» : هو : وخَلْقِه الذَّكَرَ والأنثى ، وذكر أنها فى قراءة
«عبد الله» ﴿والذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾[4] . ١٠

---

(١) سورة الليل ٣ . وقول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ٢/٣٠١
(٢) سورة الشمس ٦ . ومجاز القرآن ٢/٣٠٠
(٣) تفسير الطبرى ٣٠/١٤٠ .
(٤) فى تفسير الطبرى ٣٠/١٣٩ « وقوله : وما خلق الذكر والأنثى » يحتمل الوجهين اللذين وصفت فى قوله : « والسماء وما بناها والأرض وما طحاها » ، وهو أن يجعل « ما » بمعنى «من» فيكون ذلك قسما من الله جل ثناؤه بخالق الذكر والأنثى ، وهو ذلك الخالق . وأن تجعل « ما » مع ما بعدها بمعنى المصدر ، ويكون قسما بخلقة الذكر والأنثى . وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء أنهما كانا يقرآن ذلك: «والذكر والأنثى» ويأثره أبو الدرداء عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » وجاء فى البحر المحيط ٨/٤٨٣ » والثابت فى مصاحف الأمصار والمتواتر :« وما خلق الذكر والأنثى » وما ثبت فى الحديث من قراءة : « والذكر والأنثى » نقل آحاد ، مخالف للسواد ، فلا يعد قرآنا » .

كاد

كاد : بمعنى همَّ ولم يفعل . ولا يقال : يكاد أن يفعل ، إنما يقال : كاد يفعل ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وقد جاءت فى الشعر ، قال « الشاعر » :

* قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ البِلَى أَنْ يَمْصَحا[2] *

٥ وأنشد « الأصمعى » :

كادتِ النَّفْسُ أَنْ تَفِيظَ عَلَيْـهِ   إِذْ ثَوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ[3]

ولم يأت منها إلّا فَعَل يَفْعَـلُ ، وتثنيتهما وجمعهما . ولم يُبْن منها شىءٌ غير ذلك .

• قال بعضهم : قد جاءت « كاد » بمعنى « فَعَل » وأنشد قول « الأعشى » :

(١) سورة البقرة ٧١ .

(٢) قبله : « ربع عفا من بعد ما قد انمحى » وهو لرؤبة ، كما فى سيبويه ١/٤٧٨ واللسان ٤/٣٨٧ والخزانة ٤/٩١ والجمل للزجاجى ص ٢١٠ وهو غير منسوب فى الإنصاف ص ٢٣٤ والدرر اللوامع ١/١٠٥ وأدب الـكاتب ص ٤١١ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٩٦ : « هذا البيت يروى لرؤبة بن العجاج ، ولم أجده فى ديوان شعره . يصف منزلا بلى حتى كاد لا يتبين له أثر . ويقال: مصح الشىء يمصح : إذا ذهب ».

(٣) البيت غير منسوب فى اللسان ٩/٣٣٤ والخزانة ٤/٩٠ ، ويقال : فاظت نفسه تفيظ : أى خرجت روحه .

* وكادَ يَسْمُو إلَى الْجُرْفَيْنِ فارْتَفَعَا[1] *

أي : سما فارتفع .

قال : ومثله قول «ذى الرُّمَّة» :

ولو أنَّ لُقْمانَ الحكيمَ تعرَّضَتْ لعَيْنَيْهِ ميٌّ سافِراً كادَ يَبْرَقُ[2]

أى لو تعرضت له لَبَرِقَ ، أى : دهِش وتحيَّر .

---

(١) صدره كما فى الصاحبى ١٧٦ * حتى تناول كلباً فى ديارهم * وهو غير منسوب فيه ، وللأعشى فى مقاييس اللغة ١/٤٤٩ وفيه « يسمو إلى الجرباء » والجرباء : السماء . وفى ديوان

وما مجاور هيت إن عرضت له قد كان يسمو إلى الجرفين فارتفعا

(٢) ديوان ذى الرمة ٣٩٢ ، واللسان ١١/٢٩٦ .

بل

بل : تأتى لتدارُكِ كلامٍ غلطتَ فيه ، تقول : رأيتُ زيداً بل عمْرًا .

• ويكون لترك شىء من الكلام وأخذٍ فى غيره . وهى فى القرآن بهذا المعنى كثير : قال الله تعالى : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ثم قال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾(١) فترك الكلام الأول وأخذ ببل فى كلام ثان . ثم قال حكاية عن المشركين : ﴿ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾ فترك الكلام وأخذ ببل فى كلام آخر فقال : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾(٢) فى أشباهٍ لهذا كثيرة فى القرآن .

قال « الشاعر » :

بَلْ هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الحيِّ غادِيَةً ... كالنَّخلِ زَيَّنَها يَنْعٌ وَإِفْضَاحُ(٣)

وقال « آخر » :

* بل مَنْ يَرى البَرْقَ يَشْرى بِتُّ أَرْقُبُهُ(٤) *

---

(١) سورة ص ١ ، ٢ .

(٢) سورة ص ٨ .

(٣) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ص ٤٥ وروايته : « ياهل أريك » وقال شارحه : « أراد : ياهذا هل أريك . ويروى : « بل هل أريك » وينـع : إدراك . والإفضاح : يقال قد أفضح البسر : إذا ما اختلط فى خضرته بصفرة أو حمرة ، قال الأخفش : شبه الإبل وما عليها من الزينة بالصفرة والحمرة ، بالنخل الحامل . وفى اللسان ٣/٣٧٩ « وأفضح البسر: إذا بدت فيه الحمرة ، وأفضح النخل : احمر واصفر، قال أبو ذؤيب : «ياهل رأيت حمول الحى » — البيت. وسئل بعض الفقهاء عن فضيح البسر ، فقال : ليس بالفضيح ولكنه الفضوح ، أراد أنه يسكر فيفضح شاربه إذا سكر منه . والفضيحة: اسم من هذا لكل أمر سيء يشهر صاحبه بما يسوء » .

(٤) فى اللسان ١٩/١٥٧ « شرى البرق — بالكسر — شرى : لمع وتتابع لمعانه » .

وإذا ولِيَتْ اسماً ـ وهى بهذا المعنى ـ : خُفِضَ بها ، وشبِّهت بِرُبَّ وبالواو .

● وتأتى مبتدأةً ، قال «أبو النَّجْم» :

* بل مَنْهَـلٍ نَاءٍ مِنَ الغِيَاضِ *

● وكذلك « الواو» إذا أتت مُبْتَدَأَةً غير نَاسِقَةٍ للـكلام على كلام — كانت

بمعنى رُبَّ .

٥

وهى كذلك فى الشعر ، كقوله :

* وَمَهْمَـهٍ مُغْـبَرَّةٍ أَرْجَاؤُه[1] *

وقال « آخر » :

* وَدَوِّيَّـةٍ قَفْرٍ تَمَشَّى نَعَامُهَا[2] *

وقال « آخر » :

١٠

* وهاجِرَةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينى[3] *

يَدُلُّون بهـذه الواو الخافضةِ : على تركِ الـكلام الأول ، وائْتِنَافِ

كلام آخر .

---

(١) لرؤبة ، كما سبق فى ص ٢٣٣ .

(٢) للشماخ ، كما فى اللسان ٣/١٠٨ والمعانى الكبير ١/٣٤٦ ، وفى ديوانه ص ١١ تمشى نعاجها . وصدره : كمشى النصارى فى خفاف اليرندج * والدوية : الفلاة المترامية الأطراف. تمشى : أصله تتمشى : واليرندج والأرندج: جلد أسود تعمل منه الأخفاف . قال ابن قتيبة فى شرحه : « شبه سواد أرجل النعام بسواد خفاف الأرندج فى أرجل النصارى ؛ لأنهم كانوا يلبسونها ، والعرب كانت تلبس الأدم » .

(٣) قال المثقب العبدى من قصيدة له فى المفضليات ص ٢٨٩ :

فقلت لبعضهن وشد رحلى ... لها جرة نصبت لهـا جبينى

هل

هل[1] تكون الاستفهام ، ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ

٢٢٠] ما يدخل الألف التي يُستفهم بها ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ ؟ ﴾[2] ؛ وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
٥ يُعِيدُهُ ؟ ﴾[3] .

● والمفسّرون يجعلونها في بعض المواضع بمعنى : « قد » ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾[4] ، أي قد أتى .
وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[5] و : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾[6] ، : ﴿ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾[7] ، و : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
١٠ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ؟ ﴾[8] .

هذا كله عندهم بمعنى : « قد » .

● ويجعلونها أيضاً بمعنى : « ما » في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ

---

(١) اللسان ١٤/٢٣١ .
(٢) سورة الروم ٢٨ .
(٣) سورة يونس ٣٤ .
(٤) سورة الإنـ ١ واللسان ١٤/٢٣٢ .
(٥) سورة الغاشية ،
(٦) سورة طه ٩ .
(٧) سورة ص ٢١ .
(٨) سورة الذاريات ٢٤

تَأْتِيهُمُ الْمَلَائِكَةُ ؟ ﴾[١] و : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾[٢] ، و : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا السَّاعَةَ ؟ ﴾[٣] ، و : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا تَأْوِيلَهُ ؟ ﴾[٤] ، و : ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ؟ ﴾[٥].

٥ هذا كله عندهم بمعنى : « ما » .

وهو والأوّل عند أهل اللغة تقرير .

---

(١) سورة الأنعام ١٥٨ .

(٢) سورة البقرة ٢١٠ .

(٣) سورة الزخرف ٦٦ .

(٤) سورة الأعراف ٥٣ .

(٥) سورة النحل ٣٥ .

لوْلا ولوْما

لولا [١] تكون فى بعض الأحوال بمعنى : هَلَّا وذلك إذا رأيْتَها بغير جواب ، تقول : لولا فعلت كذا ، تريد هلّا ، فعلت كذا ، قال الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[٢] ، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾[٣]، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[٤]، ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[٥] ، أى فهلا . وقال : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾[٦] . ٥

وقال « الشاعر » .

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِىَّ الْمُقَنَّعا[٧]

---

(١) اللسان ٢٩/٣٥٨ .

٢) سورة هود ١١٦

(٣) سورة التوبة ١٢٢ .

(٤) سورة الأنعام ٤٣ .

(٥) سورة الواقعة ٨٦ .

(٦) سورة يونس ٩٨ وتفسير الطبرى ١١/١١٧ .

(٧) البيت لجرير فى ديوانه ٣٣٨ والصاحبي ١٣٥ وشرح شواهد المغنى ص٢٢٩ واللسان ٢٠/٣٦٠ ، ٦/١٦٠ وهو غير منسوب فى مجمع البيان ١/١٩٥ والكامل ١/١٦٣ وفى زيادات الأخفش عليه : « لجرير وقيل : للأشهب بن رميلة » وله فى المخصص ١٣/١٩٩، وفى تفسير الطبرى ١/٤٠٧ للأشهب وكذلك مجاز القرآن ١/٥٢ ، ١٩١ ، ٣٤٦ ، وقد جاء فى اللسان ٦/١٦٠ : « ويقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء : بنو ضوطرى ، ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق حين افتخر بعقر أبيه غالب فى معاقرة سحيم بن وثيل الرياحى مائة ناقة بموضع يقال له: صوأر ، على مسيرة يوم من الكوفة ، ولذلك يقول جرير أيضاً :

وقد سرنى ألا تعد مجاشع ... من المجد إلا عقر نيب بصوأر

قال ابن الأثير : وسبب ذلك أن غالباً نحر بذلك الموضع ناقة وأمر أن يصنع منها طعام وجعل يهدى إلى قوم من بنى تميم جفانا ، وأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وقال : أمفتقر أنا إلى طعام غالب إذا نحر ناقة ؟ فنحر غالب ناقتين ، فنحر سحيم مثلها ، فنحر غالب ثلاثاً ، فنحر سحيم مثلهن، فعمد غالب فنحر مائة ناقة ، ونكل سحيم ، فافتخر الفرزدق فى شعره بكرم أبيه غالب فقال :

أى : فهلّا تعدّون الكمِىَّ .

* * *

• وكذلك «لَوْمَا» ، قال: ﴿لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾[1] ، أى هلّا تأتينا .

فإذا رأيتَ لِلَوْلا جواباً فليست بهذا المعنى ، كقوله : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] ، فهذه «لَوْلا» التى تكون لأمرٍ لا يقع لوقوع غيره . ٥

• وبعض المفسرين يجعل لَوْلا فى قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ بمعنى «لَمْ» أى : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها عند نزول العذاب إلّا [٢٢١ قومَ يُونُسَ .

وكذلك قوله : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أى فلم يكن . ١٠

= تعدون عقر النيب ــ البيت ــ يريد : هلا الكمى ، ويروى « المدججا » ومعنى تعدون : تجعلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين . قال : وقد يجوز أن يكون : تعدون فى بيت جرير من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، وتقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم . فلما أسقط الخافض تعدى الفعل فنصب » والنيب : جمع ناب ، والناب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم ، وهو مما سمى فيه الكل باسم الجزء ، كما فى اللسان ٢/١٧٤ وانظر الخزانة ١/٤٦٢ .

(١) سورة الحجر ٧ .

(٢) سورة الصافات ١٤٣ .

لمـــا

لمَّ (١) ؟ تـكون بمعنى « لم » في قوله : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ (٢)
أي : بل لم يذوقوا عذاب .

وتـكون بمعنى« إلَّا » ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٣) أي : إلَّا متاعُ الحياة الدنيا ، ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (٤)
أي : إلَّا عليها ، وهي لغة هذيل مع «إن» الخفيفة التي تـكون بمعنى «ما» .

ومَن قرأ ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَا مَتَاعُ ﴾ بالتخفيف ﴿ وَإِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ جَعَل « ما » صلة ، وأراد : وإن كلُّ ذلك لَمتاع الحياة ؛ وإن كلُّ نفسٍ لَما عليها حافظ .

فإذا رأيتَ لِلَـمَّـا جواباً فهي لأمر يقع بوقوع غيره، بمعنى « حين » ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُم ﴾ (٥) أي : حين آسفونا ، و ﴿ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ (٦) أي : حين جاء أمر ربك .

---

(١) اللسان ١٦/٢٦ .
(٢) سورة ص ٨ واللسان ١٦/٢٧ .
(٣) سورة الزخرف ٣٥ وتفسير الطبري ٢٥/٤٣ .
(٤) سورة الطارق ٤ واللسان ١٦/٢٣ .
(٥) سورة الزخرف ٥٥ .
(٦) سورة هود ١٠١ .

او

أو[1] : تأتى للشك ، تقول . رأيت عبد الله أو محمداً .

• وتكون للتخيير بين شيئين ، كقوله: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَاتُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[2] وقوله : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[3] أنتَ فى جميع هذا مُخيَّرٌ أيَّهُ فعلت أجزأ عنك .

• وربما كانت بمعنى واو النَّسَق .

كقوله : ﴿فالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ، عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾[4] يريد : عُذراً ونذرا . وقوله: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[5] وقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[6] ؛ أى لعلهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذِكرا .

هذا كلُّه عند المفسرين بمعنى واو النَّسَق .

* * *

• وأما قوله : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[7] ، فإن بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل[8] يزيدون ، على مذهب التَّدارك لكلام غلطتَ

---

(١) اللسان ١٨/٥٧ .
(٢) سورة المائدة ٨٩ .
(٣) سورة البقرة ١٩٦ .
(٤) سورة المرسلات ٥ ، ٦ .

(٦) سورة طه ١١٣ .
(٧) سورة الصافات ١٤٧ واللسان ١٨/٥٧ .
(٨) فى اللسان ١٨/٥٧ « وقال ثعلب : قال الفراء : بل يزيدون . قال : كذلك جاء

٢٢٢] فيه / وكذلك قوله : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[1]
وقوله : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2] .

وليس هذا كما تأوَّلوا ، وإنما هي بمعنى «الواو» في جميع هذه المواضع :
وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو
٥ أقرب ، و : فكان قاب قوسين وأدنى .

* * *

وقال « ابن أحمر » :

قَرَى عنكُمَا شَهْرَيْنِ أو نصفَ ثالثٍ ... إلى ذا كُما قدْ غَيَّبَتْنِي غِيَابِيَا[3]

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو . وأراد : قَرى شهرين ونصفاً ،
١٠ ولا يجوز أن يكون أراد قرى شهرين بل نصف شهر ثالث .

وقال « آخر » :

أَثَعْلَبَةَ الفَوارِسِ أو رِياحا ... عَدَلْتَ بِهِم طُهَيَّةَ وَالخِشَابَا[4]

في التفسير مع صحته في العربية » وجاء في تفسير الطبري ٢٣/٦٦ « يقول تعالى ذكره : فأرسلنا يونس إلى مائة ألف من الناس أو يزيدون على مائة ألف . وذكر عن ابن عباس أنه قال : بل يزيدون ، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً » .

(١) سورة النحل ٧٧ .

(٢) سورة النجم ٩ .

(٣) الإنصاف ٢٠٠ والأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٧ وفي الصاحبي ١٠٠ « فذلكما شهرين» . وفي الخزانة ٤/٤٢٥ « فأما قوله :

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث ... إلى ذاك ما قد غيبتني غيابيا

فهو من باب : جالس الحسن أو ابن سيرين . ألا ترى أنه إن لبث شهرين فقط أو شهرين وبعض ثالث فقد ائتمر » .

(٤) البيت لجرير كما في ديوانه ص ٦٦ وفي مجاز القرآن ٢/١٤٨ غير منسوب ، وهو فيه

أراد : وعدلت هذَين بهذين[١] .

= ٢/٢٢٧ لجرير ، والبحر المحيط ٨/٤٠ ومجمع البيان ١/١٤٠ واللسان ١/٣٤٣ ، ١٩/٢٤٢ وفى أمالى ابن الشجرى ١/٢٩٧ « مدح ثعلبة ورياحا ، وذم طهية والخشاب فلذلك وصف ثعلبة بالفوارس ، فالتقدير إذا : أحقرت ثعلبة ؟ » وسيبويه ١/٥٢ ، ٤٨٩ وقال الأعلم فى شرحه : استشهد به لنصب ثعلبة بإضمار فعل دل عليه ما بعده ، فكأنه قال : أظلمت ثعلبة ، عدلت بهم طهية ونحوه من التقدير . خاطب الفرزدق فاخرا عليه برهطه الأدنى إليه من تميم ؛ لأن ثعلبة ورياحاً من بنى يربوع بن حنظلة ، وجرير بن كليب بن يربوع . وطهية والخشاب من بنى مالك بن حنظلة ، والفرزدق من بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، فهم أدنى إليـــه ، وإنما قال : الفوارس ؛ لأن فرسان تميم معدودون فى بنى يربوع بن حنظلة » .

(١) الخزانة ٤/٤٢٤ .

أم

أم[١] : تكون بمعنى أو ، كقوله تعالى : ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور ، أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾[٢] ، وكقوله : ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ، أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾[٣] .

هكذا قال «المفسرون» ، وهى كذلك عند «أهل اللغة» فى المعنى ، وإن كانوا قد يفرقون بينهما فى الأماكن .

وتكون أَمْ بمعنى ألف الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٤] ، أراد : أيحسدون الناس ؟ .

وقوله : ﴿مَالَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾[٥] ، أى زاغت عنهم الأبصار وألف اتخذناهم موصولة .

وكقوله : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ؟﴾[٦] ، أراد : أَلَهُ

---

(١) اللسان ١٤/٣٠٠ .
(٢) سورة الملك ١٦ ، ١٧ .
(٣) سورة الإسراء ٦٨ ، ٦٩ .
(٤) سورة المائدة ٥٤ .
(٥) سورة ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٦) سورة الطور ٣٩ .

البنات / ﴿أَمْ تَسْأَلُهم أَجْرًا فَهُم مِن مَغْرَمٍ مُثْقَلُون ؟﴾ . أراد : أتسألهم [٢٢٣ أجراً ﴿أَم عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُم يَكْتُبُون؟﴾[1] ، أراد : أعندهم الغيب .

وهذا فى القرآن كثير ، يدُلُّك عليه قوله : ﴿آلم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَل هُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ﴾[2] ، ولم يتقدم فى الكلام : أيقولون كذا وكذا ٥ فترد عليه : أم تقولون ؟ وإنما أراد أيقولون : افتراه ، ثم قال : ﴿بَل هُوَ الحقُّ مِن رَبِّك﴾ .

---

(١) سورة الطور ٤٠ — ٤١ .
(٢) سورة السجدة ١ — ٣ .

لا

لا : تكون بمعنى لَمْ ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾[1] ،

أى لَمْ يصدِّق ولم يُصلِّ ، وقال « الشاعر » :

وَأَىُّ خَمِيسٍ لا أَفَأْنَا نِهَابَهُ ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمَا؟![2]

أَىْ لَمْ نُفِئْ نِهَابَهُ . وقال « آخر » :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[3]

أى لم يُلِمّ بالذنوب .

---

(١) سورة القيامة ٣١ وتفسير الطبرى ٢٩/١٢٣ .

(٢) البيت لطرفة ص ٥ ومجاز القرآن ٢/٢٧٨ والكامل ٢/٩٣ « الخميس : الجيش ، أفأنا : رددنا ، والنهاب : الغنائم وهو منسوب فى الصاحبى ١٣٦ والبحر المحيط ٨/٣٩ وأمالى ابن الشجرى ٢/٢٢٨ .

(٣) البيت غير منسوب فى الصاحبى ١٣٦ والبحر المحيط ٨/٣٩٠ وتفسير الطبرى ٢٧/٣٩ ، ٤٠ وأمالى ابن الشجرى ١/١٢٧ واللسان ٢٠/٣٥٦ وفيه ١٤/٣٧١ لأبى خراش الهذلى ، ١٦/٢٣ لأمية بن أبى الصلت أو لأبى خراش الهذلى وفى شرح شواهد المغنى لأبى خراش ، ثم قال السيوطى ص ٢١٣ : « وأخرج الترمذى وابن جرير والبزار وغيرهم من طريق زكريا ابن ابى إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، وعن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : « إلا اللمم » قال : هو الرجل الذى يلم بالفاحشة ثم يتوب . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن تغفر اللهم تغفر جماً ... وأى عبد لك لا ألما

قال الترمذى : « حديث حسن صحيح غريب » ورواية الطبرى لهذا الحديث فى تفسيره ٢٧/٣٩ والجم : الكثير .

والحديث فى المستدرك ٢/٤٦٩ وقد صححه على شرط الشيخين وأقره الذهبى ، وهو فى الترمذى ٢/٢٢٤ .

أوْلى

أولى[١] : تَهَدُّدٌ وَوَعِيدٌ ، قال الله تعالى : ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٢] ، وقال : ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾[٣] . ثم ابتدأ فقال : ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ .

وقال « الشاعر » لمنهزم :

أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَهْ[٤]

---

(١) اللسان ٢٠/٢٩٣/٢٩٤ .

(٢) سورة القيامة ٣٤_٣٥ .

(٣) سورة محمد ٢٠_٢١ .

(٤) البيت غير منسوب فى الصاحبي ١٤٨ وأمالى ابن الشجرى ١/١١٦ والمعانى الكبير ٢/٨٩٩ وهو فى نوادر أبى زيد ص ٦٢ من قصيدة لعمرو بن ملقط الجاهلى ، وكذلك هو فى شرح شواهد المغنى ص ١١٣ . قال السيوطى فى ص ١١٤ : « ومعنى البيت : وصفه بالهرب فهو يلتفت إلى ورائه فى حال انهزامه فتلفى عيناه عند قفاه ، وأولى كلمة تهديد . قال الأصمعى : معناه : قاربه فأهلكه . وذا واقية : أى وقاية ، مصدر على فاعلة » .

لاجرم

لاجَرَمَ[١] : قال « الفراء »[٢] : هى بمنزلة لابُدّ ولا محالة ، ثم كثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة حَقًّا . وأصلها من جَرَمْتُ : أى كَسَبْتُ .

وقال في قول الشاعر :

ولقد طَعَنْتُ أَبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً   جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا[٣]

٥ — : أى كَسَبَتْهُم الغضب أبداً .

قال : وليس قولُ من قال : حُقّ لفزارةَ الغضبُ ؛ بشىء[٤] .

---

(١) الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١٩٩ ومجـاز القرآن ١/١٤٧ ، ٣٥٨ واللسان ١٤/٣٦٠ — ٣٦١ وأدب الـكاتب ص ٦٢ — ٦٣ ، والمخصص ١٣/١١٧ — ١١٨ .

(٢) اللسان ١٤/٣٦١ « قال الفراء : لا جرم كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لابد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمـنزلة حقاً ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ، ألا تراهم يقـولون : لاجرم لآتينك . قال : وليس قول من قال : جرمت : حققت بشىء ، وإنما لبس عليه الشاعر أبو أسماء بقوله : * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا * فرفعوا فزارة وقالوا أن نجعل الفعـل لفزارة كأنها بمنزلة حق لها أو حق لها أن تغضب . قال : وفزارة منصوب فى البيت . المعنى : جرمتهم الطعنة الغضب أى كسبتهم . وقال أبوعبيـده : أحقت عليهم الغضب ، أى أحقت الطعنة فزارة أن يغضبوا وحقت أيضاً من قولهم لا جرم لأفعلن كذا أى حقاً .

(٣) البيت لأبى أسماء بن الضريبة أو لعطية بن عفيف كما فى اللسان ١٤/ ٣٦٠ — ٣٦١ والخزانة ٤/٣١٠ ومجاز القرآن ١/ ١٢٠ والاقتضاب ص ٣١٣ وللفـزارى فى سيبويه ١/٤٦٩ وهو غـير منسوب فى أدب الـكاتب ص ٦٣ والفاخر ص ٢٠٠ والصاحبى ١٢١ ومقاييس اللغة ١/٤٤٦ وأمالى المرتضى ١/ ٧٤ وصواب البيت : « ولقـد طعنت أبا عيينة » بفتح التـاء ؛ لأن الشاعر يخاطب كرزا العقيلى ويرثيه ، وكان قد طعن أبا عيينة ، وهو حصن ابن حذيفة بن بدر الفزارى يوم الحاجر ، ويدل على ذلك قوله قبـل هذا البيت :

يا كرز إنك قد فتـكت بفارس   بطل إذا هاب الـكماة وجببوا

قال ابن السيد: « وقوله : جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا أى كسبت فزارة الغضب عليك » .

(٤) قول الفراء هذا ذكره ابن قتيبة فى أدب الـكاتب ص ٦٣ وعلق عليه ابن السيد =

ويقال : فلانٌ جَارِمُ أَهْلِهِ ، أى كاسِبُهم ، وجَرِيمَتُهم[1] .

ولا أَحْسَب الذّنبَ سُمِّى جُرْماً إلّا مِن هذا : لأنه كَسْب واقْتِرَاف .

= بقوله ص ٣١٣ « وقول الفراء : وليس قول من قال حق لفزارة الغضب بشىء » رد منه على سيبويه والخليل ؛ لأن معناه عندهما أحقت فزارة بالغضب ، فأن يغضبوا على تأويلهما مفعول سقط منه حرف الجر وهو على قول الفراء مفعول لا تقدير فيه لحرف الجر ، وكلا التأويلين صحيح .

وقد أخطأ أحمد بن فارس فى نسبة قول الفراء إلى ابن قتيبة حيث يقول فى كتاب الصاحبى ص ١٢١ : قال ابن قتيبة : وليس قــول من قال : حق لفزارة الغضب بشىء . والامر بخلاف ما قاله ؛ لأن الذى يحصل من الـكلمة ما قلناه أنه يعنى : حق فيكون على هــذا : جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ، المعنى أحقت الطعنة لفزارة الغضب » .

(١) فى اللسان ١٤/٣٥٩ « قال الفراء : وسمعت العرب يقولون : فلان جريمة أهله ، أى كاسبهم وخرج يجرم أهله أى يكسبهم ... » . وقول الفراء فى معانى القرآن ١/٢٩٩

إن الخفيفة

إن الخفيفة : تكون بمعنى « ما » ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[1] ، و ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾[2] ، و ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[3] .

وقال « المفسرون » : وتكون بمعنى لَقَدْ ، كقوله : ﴿ إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[4] و ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[5] و ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾[6] و ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾[7] .

* * *

وقالوا أيضاً : وتكون بمعنى إذ ، كقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[8] ، أى إذ كنتم . وقوله : ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[9] .

---

(١) سورة الملك ٢٠ .
(٢) سورة يس ٢٩ .
(٣) سورة الطارق ٤ .
(٤) سورة الإسراء ١٠٨ .
(٥) سورة الشعراء ٩٧ .
(٦) سورة الصافات ٥٦ .
(٧) سورة يونس ٢٩ .
(٨) سورة آل عمران ١٢٩ .
(٩) سورة التوبة ١٣ .

وقوله : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وهى عند أهل اللغة « إن » بعَيْنِها ، لايجعلونها فى هذه المواضع بمعنى « إذْ » ، ويذهبون إلى أنه أراد: من كان مؤمناً لم يَهِنْ ولم يَدْعُ إلى السَّلم ، ومن كان مؤمناً لم يَخْشَ إلاالله ، ومَنْ كان مؤمناً ترك الرِّبا .

(١) سورة البقرة ٢٧٨ .

ها

ها : بمنزلة خُـذْ وتَنَاوَلْ ، تقول : هَا يَارَجُـلُ . وتأمر بهـا ، ولا تنهى .

ومنها قول الله تعالى : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ ﴾[1] ، ويقال للاثنين : هاؤُمَا اقرءا .

٥ وفيها لغات[2] ، والأصل : هَاكُمُ اقْرَؤُا ، فحَذَفُوا الـكافَ ، وأبدلوا الهمزة ، وألقَوْا حَرَكَةَ الـكاف عليها .

---

(١) سورة الحاقة ١٩ وفى اللسان ٢٠/٣٧٢ : « جاء فى التفسير أن الرجـل من المؤمنين يعطى كتابه بيمينه ، فإذا قرأه رأى فيه تبشيره بالجنة فيعطيه أصحابه فيقول : هاؤم اقرؤا كتابى ، أى خذوه واقرؤا مافيه لتعلموا فوزى بالجنــة . يدل على ذلك قوله : « إنى ظننت » أى علمت « أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية » .

(٢) راجع هذه اللغات فى اللسان ٢٠/٣٧٢ .

هات

هاتِ[1] : بمعنى أعْطِنى ، مكسورة التاء ، مثل رَامٍ وغازٍ وعاطٍ فُلانًا : قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] ، أى ائتوا به .

قال « الفراء » :

ولم أسمع هَاتِياَ فى الاثنين ، إنما يقال للواحد والجميع ، وللمرأة : هاتى ، وللنساء : هاتِينَ . وتقول : ما أُهَاتِيكَ ، بمنزلة مَا أُعَاطِيكَ . وليس من كلام العرب هاتَيْتُ . ولا يُنْهَى بها[3] .

(١) اللسان ٢٠/٢٢٧ .

(٢) سورة البقرة ١١١ .

(٣) اللسان ٢٠/٢٢٧ .

تعال

تعال : تفاعل من علوت ، قال الله تعالى : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾[1] ٢٢٥]

ويقال للاثنين من الرجال والنساء : تَعَالَيَا ، وللنساء : تَعَالَيْنَ .

قال «الفراء» : أصلها عَالِ إلَيْنا ، وهو من العُلُوِّ .

٥ ثم إنّ العرب لكثرة استعمالهم إيّاها صارت عندهم بمنزلة هَلُمَّ ، حتى استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شَرَفٍ : تَعَالَ ، أى اهبط ، وإنما أصلها : الصعود .

ولا يجوز أن يُنْهَى بها ، ولكن إذا قَالَ : تعال ، قلت : قد تَعَالَيْتُ وإلى شيء أَتَعَالَى[2] ؟

---

(١) سورة آل عمران ٦١ .

(٢) اللسان ١٩/٣٢٤ .

هـلمّ

هلم[1]: بمعنى تعال ، و«أهل الحجاز» لا يُثَنُّونَها ولا يجمعونها. و«أهل نجد» يجعلونَها من هَلْمَمت ، فيُثَنُّونَ ويَجمَعُون ويُؤَنِّثُون . وتوصل باللام فيقال : هَلُمَّ لكَ ، وهلُمَّ لَكُمَا .

قال«الخليل»: أصلها « لُمَّ » زيدت الهاء فى أوّلها[2].

وخالفه « الفراء » فقال : أصلها « هَلْ » ضُمَّ إليها « أُمَّ » والرَّفْعَةُ التى فى اللام من همزة « أُمَّ » لَمَّا تُرِكَت انتقلت إلى ماقبلها. ٥

وكذلك « اللهم » نرى أصلها : « يا اللهُ أُمَّنَا بِخَـيْرٍ » فكثرت فى الكلام فاختلطت ، وتُرِكت الهمزة .

---

(١) اللسان ١٦/١٠١ ، والمخصص ١٤/٨٦ .

(٢) فى اللسان ١٦/١٠١ « قال الجوهرى : هلم يا رجل بفتح الميم تعال ، قال الخليل : أصله « لم » من قولهم : « لم الله شعثه » أى جمعه ، كأنه أراد : لم نفسك إلينا أى اقرب ، وها للتنبيه ، وإنما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسماً واحداً » .

كلا

كلا : ردعٌ وزجر[١] ، قال الله تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ؟ كَلَّا ﴾[٢] .

وقال : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ، كَلَّا ﴾[٣] .

٥ وقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ، كَلَّا ﴾[٤] يريد: انتهِ عن أن تَعْجَلَ به .

وقال : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا ﴾[٥] ، أى لا يخلده مالُه .

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَاشَاءَ رَكَّبَكَ ، كَلَّا ﴾[٦] ، أى ليس كما غُرِرْتَ به .

وقال : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ

١٠ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَلَّا ﴾[٧] . يريد : انتهُوا .

---

(١) فى اللسان ٢٠/٩٦ « وقال الأخفش : معنى كلاَّ الردع والزجر . قال الأزهرى : وهذا مذهب سيبويه وإليه ذهب الزجاج فى جميع القرآن » .

(٢) سورة المعارج ٣٨ .

(٣) سورة المدثر ٥٢ .

(٤) سورة القيامة ١٩ .

(٥) سورة الهمزة ٣ ، ٤ .

(٦) سورة الانفطار ٨ ، ٩ .

(٧) سورة المطففين ١ — ٧ .

رُوَيْدًا

رُوَيْداً : بمعنى مَهْلًا[1] ، ورُوَيْدَكَ ، بمعنى أَمْهِل ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيداً ﴾[2] أى : أمهلهم قليلا .

وإذا لم / يتقدمها : أمهلهم ، كانت بمعنى مَهْلا . [226

ولا يتكلَّمُ بها إلَّا مصغَّرة ومأموراً بها .

وجاءت فى الشعر بغير تصغير فى غير معنى الأمر ، قال الشاعر : ٥

* كأنها مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُوْدِ[3] *

أى على مهل .

---

(١) اللسان ٤/١٧١ .

(٢) سورة الطارق ١٧ .

(٣) كذا أنشده ابن قتيبة وتبعه ابن فارس فى الصاحبى ص ١٢٤ ومقاييس اللغة ٢/٤٥٨ والمخصص ١٤/٨٩ والتاج ٢/٣٤٩ والصواب ما فى اللسان ٤/١٧١ والتاج ٢/٣٥٩ « قال الجموح الظفرى :

تكاد لا تثلم البطحاء وخدتها كأنها ثمل يمشى على رود » .

وفى أساس البلاغة ١/٣٧٩ « قال الهذلى : « تكاد لا تثلم البطحاء خطوتها الخ » .

أَلَا

ألا : تَنْبيه : وهى زيادة فى الكلام ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾[١] . وقال : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾[٢] .

وتقول : ألا إنَّ القوم خارجون : تريد بها : افهم اعْلَمَ أنَّ الأمر كذا وكذا .

---

(١) سورة هود ٨ .

(٢) سورة هود ٥ .

الويل

الويل[١] : كلمة جامعة للشر كله . قال الأصمعى : وَيْلٌ تقبيح ، قال الله تعالى : ﴿وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[٢] . تقول العرب : له الوَيْلُ ، والأَلِيل والأليل : الأنين .

وقد توضع فى موضع التَّحَسُّر والتّفجع ، كقوله : ﴿يَاوَيْلَنَا﴾[٣] . و ﴿يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ؟﴾[٤] . وكذلك : ويحٌ ووَيْسٌ ، تصغير[٥] .

(١) اللسان ١٤/٢٦٤ .

(٢) سورة الأنبياء ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء ١٤ : « قالوا : ياويلنا إنا كنا ظالمين » .

(٤) سورة المائدة ٣١ .

(٥) فى اللسان ١٤/٢٦٦ « قال المازنى ، حفظت عن الأصمعى : الويل : قبوح ، والويح : ترحم ، والويس : تصغيرها . أى هى دونهما . وقال أبوزيد : الويل هلكة ، والويح : قبوح ، والويس : ترحم . وقال سيبويه : الويل : لمن وقع فى هلكة ، والويح : زجر لمن أشرف على هلكة ولم يذكر فى الويس شيئاً » .

لعمرك

لَعَمْرُكَ[1]، ولعَمْرُ الله : هو العُمْر . ويقال : أطال الله عُمْرك ، وعَمْرَك ، وهو قسم بالبقاء .

إى

إى : بمعنى بلى ، قال الله تعالى : ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ : أَحَقٌّ هُوَ ؟ قُلْ : إى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[2] . ولا تأتى إلا قبل اليمين ، صِلةً لها .

---

(١) اللسان ٦/٢٧٩ .

(٢) سورة يونس ٥٣ .

لدُن

لَدُن : بمعنى عِند ، قال تعالى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْراً ﴾[١] أى بلغت من عندى .

وقال : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾[٢] أى من عندنا .

وقد تحذف منها النون ، كما تحذف من « لم يكن » قال الشاعر :

* مِنْ لَدُ لَحْيَيْهِ إلى مُنْحُورِهِ[٣] *

أى من عند لَحْيَيه .

وفيها لغة أخرى أيضا : لدى ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[٤] أى عند الباب[٥] .

---

(١) سورة الكهف ٧٦ .

(٢) سورة الأنبياء ١٧ .

(٣) الصاحبى ١٤٠ وسيبويه ٢/٣١١ واللسان ١٧/٣٦٩ وشرح شواهد الشافية ١٦١ وهو لغيلان بن حريث الربعى ، فى وصف جمل ، وقبله :

* يستوعب البوعين من جريره *

والبوع : لغة فى الباع . والجرير : الحبل . وقــوله « لحييه : مثنى لحى — بفتح اللام وسكون الحاء المهملة — وهو العظم الذى ينبت عليه الأسنان . والمنحور — بضم الميم ، وبعد النون حاء مهملة — لغة فى النحر والمنحر ، ومعناه أعلى الصدر ، وهو الموضع الذى تقع عليه القلادة ، والموضع الذى ينحر فيه الهدى وغيره . يريد الشاعر : أن طول حبل هــذا الجمل — الذى هو مقوده — من لحييه إلى موضع نحره مقدار باعين أى أنه طويل العنق » .

(٤) سورة يوسف ٢٥ .

(٥) نقله ابن فارس فى الصاحبى ١٤٠ .



بابُ دخول بعض حُروف الصِّفات مكان بَعض

« فى » مكان « عَلَى »(١)

قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(٢)، أى على جذوع النخل .

قال الشاعر :

وَهُمْ صَلَبُوا العَبْدِىَّ فى جِذْعِ نَخْلَةٍ فلا عَطَسَتْ شيبانُ إلَّا بأجْدَعا(٣)

/ وقال عَنْتَرَة : [٢٢٧

بَطَلٌ كأنَّ ثِيابَهُ فى سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ(٤)

أى على سرحة من طوله .

---

(١) أدب الكاتب ص ٥٠٢ .

(٢) سورة طه ٧١ .

(٣) البيت غير منسوب فى أدب الكاتب ص ٥٠٢ والاقتضاب ٤٣١ والبحر المحيط ٦/٢٦١ وتفسير الطبرى ١٦/١٤١ والصاحبى ١٢٨ والكامل ٢/٧١ وهو فى اللسان ٢٠/٢٧ لامرأة من العرب ، وفيه ٤/٢٦٧ لسويد بن أبى كاهل . والجمهرة ٣/٤٩٣ ، ومجاز القرآن ٢/٢٤ غير منسوب وفى ٢/٢٣٤ للشيبانى قال ابن برى : قوله : بأجدعا : أى بأنف أجدع ، حذف الموصوف وأقام صفته مكانه » وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ص ٦٤ « هذا البيت من قصيدة لسويد بن أبى كاهل اليشكرى ... هكذا فى كتاب منتهى الطلب ، وعزاه صاحب الحماسة البصرية إلى قراد بن حنش الصاردى ... » .

(٤) البيت له من معلقته فى شرح القصائد العشر ص ١٩٩ والكامل ١/٥٥ والعمدة ١/٢٨٨ واللسان ٣/٣١٠ ، ٢٠/٢٧ وشرح شواهد المغنى ١٦٤ وأمالى المرتضى ٢/١٥ والمعانى الكبير ١/٤٨٨ وهو غير منسوب فى البحر المحيط ٢/٢٥٨ . والسرحة : ضرب من الشجر ، ويحذى : يلبس ، والسبت — بالكسر — كل جلد مدبوغ وفى اللسان ٢/٣٤٣ « مدحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلا أى شجاعاً ، الثانى : أنه جعله طويلا ، شبهه بالسرحة ، الثالث : أنه جعله شريفاً للبسه نعال السبت . الرابع : أنه جعله تام الخلق نامياً ؛ لأن التوأم يكون أنقص خلقاً وقوة وعقلا وخلقا » .

« الباء » مكان « عن »

قال الله تعالى ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[١] ، أى عنه .

قال عَلْقَمَة بن عَبَدَة :

فإنْ تَسْأَلُونِي بالنِّسَاءِ فإنَّنِي ‏ ‏ ‏ بَصِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ[٢]

أى عن النساء..

وقال ابن أَحْمَر : ‏ ‏ ‏ ٥

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رَآهُ ‏ ‏ ‏ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا[٣]

---

(١) سورة الفرقان ٥٩ .

(٢) فى ديوانه ١١ وأدب الكاتب ص ٥٠٥ والأدواء : جمع داء .

(٣) البيت لعمرو بن أحمر الباهلى ، وقد رواه ابن قتيبة بهذه الرواية فى أدب الكاتب ص ٥٠٦ ورواه ابن دريد فى الجمهرة ٢/٣٨٩ : « وربت سائل عنى حفى » وابن السيد فى الاقتضاب ٤٣٤ وكذلك روى فى اللسان ٦/٢٩١ ورواه الجوهرى : « وسائلة بظهر الغيب عنى » وقال الجواليقى فى شرحه ص ٣٥٥ : « يقول : تسائل هذه المرأة عن ابن أحمر أصارت عينه عوراء أم لم تعور ؟ يقال : عارت العين وعرتها أنا وعورتها ، ويروى : « تعارا » بفتح التاء وكسرها ، وهى لغة فيما كان مثله ، وأراد : تعارن بالنون الخفيفة — التى للتأكيد ، فأبدل منها ألفاً لينة للوقف » وقال ابن السيد : وبعد هذا البيت :

فإن يفرح بما لاقيت قومى ‏ ‏ ‏ لئامهم فلم أكثر حوارا

والحوار : مصدر حاورته فى الأمر : إذا راجعته فيه . يقول : لم أكثر مراجعة من سر بذلك من قومى ، ولاعنفته فى سروره بما أصابنى وكان رماه رجل يقال له مخشى بسهم ففقأ عينه... » وانظر شرح شواهد الشافية ص ٣٥٣ .

« عن » مكان « الباء »

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾(١) ، أى بالهوى .

والعرب تقول : رميتُ عن القوس ، أى رميت بالقوس(٢) .

« اللام » مكان « على »

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾(٣) أى لا تجهروا عليه بالقول .

والعرب تقول : سقط فلانٌ لِفيه ، أى على فيه . قال الشاعر :

* فَخَرَّ صَرِيعاً لليَدَيْنِ وَلِلْفَمِ (٤) *

---

(١) سورة النجم ٣ .

(٢) أدب الكاتب ص ٥٠٧ . وشرح المفضليات لابن الأنبارى . .

(٣) سورة الحجرات ٢ .

(٤) أدب الكاتب ٥١٠ والبحر المحيط ٦/ ١٠ ، ٨٨ غير منسوب أيضاً . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٣٩ : « هذا البيت يروى للمكعبر الأسدى ، وقيل إنه للمكعبر الضبى ، ويقال : إنه لشريح بن أوفى العبسى . وقيل إنه لعصام بن المقشعر العبسى . وذكر ابن شبة : أنه للأشعث بن قيس الكندى وصدره : « تناولت بالرمح الطويل ثيابه » وهذا الشعر : قيل فى محمد بن طلحة ، وقتل يوم صفين ، وكان على قال لأصحابه : اجعلوا شعاركم حاميم لا ينصرون ، وكان محمد بن طلحة من أصحاب معاوية ، فكان إذا حمل عليه رجل من أصحاب على ، يقول له محمد : أسألك بحاميم ، فيكف عنه ، إلى أن حمل عليه الأشعث بن قيس ، فقال له محمد : أسألك بحاميم ، فلم يلتفت إلى قوله ، فقتله وقال :

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
تناولت بالرمح الطويل ثيابه ... فخر صريعاً لليدين وللفم
يذكرنى حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شىء غير أن ليس تابعاً ... عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وانظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ١٩١ — ١٩٢ .

وقال آخر :

* مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعَتْ للجناجِنِ[1] *

وفى شعر جابر بن حنى التغلبى :

تنـــاوله بالرمح ثم انثنى له   فخر صريعــاً لليـــدين وللفم

راجع معجم البلدان ٧ / ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(١) ذكره ابن قتيبة فى أدب الـكاتب ص ٥١٠ ولم ينسبه ، وذكر صدره ، وهو : « كأن مخـــواها على ثفناتها » وقال بعقبه : « وقعت على الجناجن » ونسبه فى المعـانى الـكبير ١١٩٠/٢ للطرماح بن حكيم ، وهو فى ديوانه ص ١٦٧ ، وأمالى المرتضى ٢٥/٢ ، ٣/٤ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٤٣٩ « المخوى : مصدر خوى البعير تخوية ومخوى : إذا تجافى للبروك ، ويقال للموضع الذى يبرك فيه : مخوى أيضاً . والثفنات : ما أصاب الأرض من البعير إذا برك . والمعرس : موضع التعريس ، وهو النزول فى السحر ، ويكون مصدراً أيضاً بمعنى التعريس . والجناجن : جمع جنجن وجنجن ، وهى عظام الصدر . وصف ناقة بركت : فشبه آثار ثفناتها فى الأرض ، وهى قوائمها الأربع ، وصدرها بآثار خمس من القطا وقعت على جناحيها فأثرت فى الأرض » .

«إلى» مكان «مع»

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾(١) ، أى مع أموالكم . ومثله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ؟ ﴾(٢) ، أى مع الله .

والعرب تقول : الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبلٌ(٣) ، أى مع الذَّود .

قال ابن مُفَرِّغ :

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوابقِ فيهم ... فى وجُوهٍ إلى اللِّمَامِ الجِعَادِ(٤)

٥

أراد مع اللِّمام الجِعادِ

---

(١) سورة النساء ٢ .

(٢) سورة آل عمران ٥٢ .

(٣) المثل فى اللسان ٤/١٤٨ ومجمع الأمثال ١/٢٨٨ يضرب فى اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدى إلى الكثير . والذود : القطيع من الإبل ، الثلاث إلى التسع .

(٤) البيت له فى أدب الكاتب ٥١٨ واللسان ١٦/٢٥ « مع اللمام » وهو فى ٣/٥٠٦ غير منسوب وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٤٩ « هذا البيت لابن مفرغ الحميرى مدح به قوما ، وأراد أنهم مشهورون بالسبق إلى الفضل كشهرة الفرس الذى شدخت غرته حتى ملأت جبهته ، وأن لهم لمما جعاداً ، وهى الشعور التى تلم بالمنكب ، واحدتها لمة ، فإذا لم تجاوز شحمة الأذن فهى وفرة وأراد بالجعودة هنا غير المفرطة ، وأما الجعودة المفرطة فليست مما يستحب » وفى اللسان ٣/٥٠٦ : « قال أبو عبيدة : يقال لغرة الفرس إذا كانت مستديرة : وتيرة ، فإذا سالت وطالت فهى شادخة ، وقد شدخت شدوخاً : اتسعت فى الوجه » .

«اللام» مكان «إلى»

قال الله تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[1] ، أى أوحى إليها .

وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾[2] ، أى إلى هذا .

يدلك على ذلك قوله فى موضع آخر : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[4] .

---

(١) سورة الزلزلة ٥ .
(٢) سورة الأعراف ٤٣ .
(٣) سورة النحل ٦٨ .
(٤) سورة النحل ١٢١ .

«على» مكان «مِنْ»

قال الله تعالى : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[١] ، أى مع الناس .

وقال صَخْر الغَيّ :

مَتَى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوها   على أَقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[٢]

/ أى من أقطارها . [٢٢٨

ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ﴾[٣] ، أى منهم .

---

(١) سورة المطففين ٢ .

(٢) سبق فى ص ٣٨٠ .

(٣) سورة المائدة ١٠٧ .

«مِنْ» مكان «الباء»

قال الله تعالى : ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[١] أى بأمر الله

وقال تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ ﴾[٢] ، أى بأمره .

وقال : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ ﴾[٣] ، أى بكل أمر .

---

(١) سورة الرعد ١١ .

(٢) سورة غافر ١٥ .

(٣) سورة القدر ٤ ، ٥ .

« الباء » مكان « مِنْ »

تقول العرب : شربت بماء كذا وكذا ، أى من ماء كذا

قال الله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[١] و ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾[٢] . ويكون بمعنى يشربها عباد الله ويشرب منها .

قال الهُذَلىّ وذَكر السَّحائِبَ :

شَرِبْنَ بماءِ البحر ثم ترفَّعتْ   متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[٣]   ٥

أى شربن من ماء البحر .

وقال عَنْتَرة :

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصبَحتْ   زَوْرَاء تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ[٤]

---

(١) سورة المطففين ٢٨ .

(٢) سورة الإنسان ٦ .

(٣) البيت لأبى ذؤيب الهذلى كما فى أدب الكاتب ص ٥١٧ واللسان ٧/٧ وشرح شواهد المغنى ص ١٠٩ والاقتضاب ٤٤٧ والجـواليقى ٣٦٧ وديوان الهذليين ٥١/١ وفيه رواية أخرى وهى :

تروت بماء البحر ثم تنصبت   على حبشيات لهن نئيـج

ويعنى بالحبشيات : السحائب السود . وقوله . نئيج : أى مر سريع . والبيت فى الصاحبى ١٤٥ غير منسوب وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٤٧ « وصف سحابا ارتفعت من البحر ، وهذيل كلها تصف أن السحاب تستقى من البحر ثم تصعد فى الجو ... وفى قوله : « متى لجج » قولان : قيل : أراد من لجج ، كما قال صخر الغى : « متى أقالها علق نفيث » أراد من أقطارها . وقيل : « بمعنى » وسط . وحكى أبو معاذ الهراء ، وهو من شيوخ الكوفيين : جعلته فى متى كمى . والنئيج : المر السريع معه صوت » .

(٤) البيت من معلقته فى شرح الزوزنى ١٤٤ وشرح القصائد العشر ص ١٨٦ واللسان ٩٥/١٥ وسر الفصاحة ٦٥ وأساس البلاغة ٢٨١/١ وأدب الكاتب ٥١٧ وفى أمالى =

وقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ﴾[1] ، أى مِنْ علم الله .

= المرتضى ٤/٣ « معناه : شربت الناقة من ماء الدحرضين » وقال ابن السيد : « والدحرضان ماءان ، يقال لأحدهما : وشيع وللآخر الدحرض ، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر ، وإنما يغلبون فى مثل هذا الأشهر أو الأخف لفظاً . هذا قول الأصمعى ، ويقال : وسيع ووشيع ، بالسين والشين . وقال أبو عمرو : هو بلد . وقال غيرهما : هو ماء لبنى سعد . وزوراء : مائلة منحرفة . وأراد بالديلم : الأعداء ، وأصل الديلم : خيل من العجم . فشبه بهم أعداءه . هذا قول الأصمعى وابن الأعرابى . وقال أبو عمرو : الديلم الجماعة ، ويقال : الظلمة ويقال : أرض، ويقال : هو ماء فى أقاصى البدو . وحكي يعقوب فى « المعانى » عن الأصمعى : قال : الديلم : ضبة ، وذلك أنهم دلمان فى ألوانهم ، وذكر النفار عن حياضهم ؛ لأن بنى عبس لما راغموا قومهم مروا بضبة فأرادت ضبة أخذ أموالهم ، فنجوا ومالوا إلى بنى عامر مستجيرين ، ثم ساروا على الدحرض ووسيع ورداعة ، حتى عاذوا بمالك ذى الرقيبة القشيرى . فحكى عنترة ما كان . قال : وهذه مياه بنى أنف الناقة من بهدلة ... » .

(١) سورة هود ١٤ .

« من » مكان « فى »

قال الله تعـــالى : ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾[1] ، أى فى الأرض .

« من » مكان « على »

قال الله تعالى : ﴿ ونَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ ﴾[2] ، أى على القوم .

« عن » مكان « مِن »

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[3] ، أى من عباده . وتقول : أخذت هذا عنك ، أى منك . ٥

---

(١) سورة فاطر ٤٠ .
(٢) سورة الأنبياء ٧٧ .
(٣) سورة الشورى ٢٥ .

« مِن » مكانَ « عن »

تقول : لَهِيتُ من فلان ، أى عنه . و : حدثنى فلان من فلان . أى عنه .

« على » بمعنى « عند »

قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾[1] ، أى عندى .

« الباء » مكان « اللام »

قال الله تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[2] أى للحق .

---

(١) سورة الشعراء ١٤ .

(٢) سورة الدخان ٣٩ وتفسير الطبرى ٢٥/٧٧ « وقوله : « ما خلقناهما إلا بالحق » : يقول : ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذى لا يصلح التدبير إلا به ، وإنما يعنى بذلك ، تعالى ذكره ، التنبيه على صحة البعث والمجازاة » .

وجدتُ فى آخر كتاب المشكل تفسير بعض ما فيه من الأحاديث والأمثال فألحقته به[1]

١ — قول النبى صلى الله عليه وسلم : « النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَةٌ[2] » .

الإبل المائة : هى الرّاعية ، وإنما يجتمع منها فى المرعى الواحد مائة ، فتقام المائة مُقام القطيع . يقال : لفلان إبل مائة . وهى أيضاً هُنَيْدَةَ[3] . وإذا كان الإبل مائة ليست فيها راحلة تشابهت فى المناظر ؛ لأن الراحلة تتميز منها بالتمام وحسن المنظر .

فأراد : أنهم سواء فى الأحكام وفى القصاص ، ليس لشريف فضل على غيره .

وهذا مثل قوله عليه السلام : النَّاسُ سواء كأسنان المُشْط[4] .

---

(١) هذا ما قاله ناسخ الكتاب بعد فراغه من نسخه فى جمادى الاولى من شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وهو ما أقوله بعد فراغى من طبعه فى ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وسبعين بعد الألف .

(٢) ورد فى ص ٨٧ .

(٣) فى اللسان ٤/٤٤٩ » وهنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة ، قال جرير :

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من ولا سرف

(٤) البيان والتبيين ٢/١٩ ، وفى علل ابن أبى حاتم ٢/١١١ : سألت أبى عن حديث رواه رود بن الجراح قال : حدثنا أبو سعد الساعدى ، قال : سمعت أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الناس مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله . قال أبى : هذا حديث منكر . وأبو سعد مجهول . =

والعرب تقول فى هذا المعنى : هم سواء كأسنان الحمار .

* * *

٢ — وقوله : إنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبيعُ ما يَقْتُل حَبَطًا أَوْ يُـلِمُّ[1] .

فالحَبَط : أن تأكل الناقة فى المرعى فتكثر حتى تنتفخ بطنها . ولذلك

٥ قيل لقوم من العرب : الحَبِطات ؛ لأن أباهم كان أكل صَمْغاً حتى حَبِطَ بطنُه فسمى : الحَبِط . وهو الحارث بن تميم[2] .

وقوله : أَوْ يُـلِمُّ ؛ يعنى يقارب أن يَقْتُل .

وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستكثار من الدنيا ومن غَضَارَتها وحسنها إذا كان فى ذلك مايهلك . فضرب استكثار البهيمة من

١٠ العشب فى الربيع حتى يقتلها حَبَطاً مَثَلًا لذلك .

* * *

= والحديث برواية أخرى فى ميزان الاعتدال ٢/٢١٧ عن المسيب بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن عمرو ، حدثنا إسحاق بن عبد الله ، عن أنس مرفوعاً : « الناس سواء كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية ، والمرء كثير بأخيه ، يرفده ويحمله ويكسوه » .

وسليمان بن عمرو أبو داود النخعى قدرى كذاب كان يضع الحديث وضعاً ، ويتظاهر بالصلاح .

راجع أيضاً تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/٢٩٤ — ٢٩٥ ، وكشف الخفاء /٣٢٦ . والكنى للدولابى ١/١٦٨ .

(١) ورد فى ص ٨٧ .

(٢) فى اللسان ٩/١٤١ « والحبط والحبط — بفتح الباء وكسرها — الحرث بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، سمى بذلك لأنه كان فى سفر فأصابه مثل الحبط الذى يصيب الماشية ، فنسبوا إليه ، وقيل : إنما سمى بذلك لأن بطنه ورم من شىء أكله ، والحبطات والحبطات — بكسر الباء وفتحها — أبناؤه على جهة النسب ، والنسبة إليهم : حبطى ، وهم من تميم ، والقياس الكسر » .

٣ — وقوله للضَّحَّاك بن سُفْيان : إِذَا أَتَيْتَهُمْ فَارْبِضْ فى دَارِهِمْ ظَبْياً (١) .

يُرَادُ : أقم ولا تحدث شيئاً كأنك ظبيٌ قد استقر فى الكِنَاسِ .

٤ — وقوله : الكاسِيَاتُ العَارِيَاتُ لايَدْخُلْنَ الجنَّةَ(٢) .

يعنى النساء اللَّوَاتى يلبسن رِقَاقَ الثِّيَاب ، فهن / كاسيات إذا لبسن ، [٢٣٠ عاريات إذا كن لايَسْتُرْهُنَّ .

* * *

٥ — وقوله فى كتاب صُلْح : وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَيْبَةً مَكْفُوفَةً (٣) .

يريد : صدراً نقيًّا من الغِلِّ والعداوة ، مُنْطَوِياً على الوفاء . والعرب ١٠ تسمى الصُّدُور : العِيَاب . قال الشاعر :

وكَادَتْ عِيَابُ الوُدِّ مِنَّا ومِنْكُمُ ـــ وإن قِيلَ أَبْنَاءُ العُمُومَةِ ـ تَصْفَرُ(٤)

تَصْفَرُ : تخلو من المحبة .

---

(١) ورد فى ص ٨٨ .

(٢) ورد فى ص ٨٨ .

(٣) ورد فى ص ٨٨ .

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ١١/٢١٤ « الود بينى وبينكم » ولبشر بن أبى خازم فى أساس البلاغة ٢/١٦١ وللكميت فى المعانى الكبير ١/٥٢٧ « الود منا ومنهم » وقبله :

لقد ما رأيت الناس أبناء علة ـــ وأرحامهم أكراش دمن تجرر

الكرش تمرغ فى التراب والسرجين ليطيب ريحها ، وعياب الود : الصدور . وتصفر : تخلو ، ويقال الكرش : البعير بعينه » .

والمَكْفُوفَةُ : المُشْرَجَةُ : يقال : أَشْرَجَ صَدْرَهُ على كذا ؛ أى طَوَى . قال الشَّمَّاخ :

وكادتْ غَداةَ البَيْنِ يَنْطِقُ طَرْفُها
بِمَا تحْتَ مَكْنُونٍ مِنَ الصَّدْرِ مُشْرَجِ [(١)]

* * *

٦ — وقوله صلى الله عليه وسلم : « أَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِن قِبَلِ اليَمَنِ [(٢)] » .

يريد : أجد الفرجَ يأتينى من قِبَلِ اليمن ـ فأتاه الله من جهة الأنصار .

وكذلك قوله : لاتَسُبُّوا الرِّيحَ فإنها من نَفَس الرحمن [(٣)] .

يريد : أن الله يُنفِّس بها ، ويُفرِّج بها . وقد فرّج الله بها عنه ليلة الأحزاب ، قال الله جل اسمه : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [(٤)] .

وقال : اللهم نفِّس عنى الكرب ، ونفِّس عنى الأذى . كما قال : فرِّج عنى .

ومما يزيد ذلك وضوحاً قول عمر رضى الله عنه : الريح من رَوح الله . فلا تسبُّوها .

* * *

(١) ديوانه ص ٨ .
(٢) ورد فى ص ٨٨ .
(٣) اللسان ٨/١٢٢ .
(٤) سورة الأحزاب ٩ .

٧ — وقول أبى بكر رضى الله عنه : نحن حَفْنَةٌ من حَفَنات الله[١] .

يريد : نحن وإن كنا كثيراً فى العدد قليل عند الله ، كالحفْنة ، والحَفْنة : ماحَفَنَهُ الرجلُ بيده فألقاه . يقال : حفن له من المال ، إذا أعطاه بكفِّه .

٥

* * *

٨ — وقول عمر رضى الله عنه لِلعَرِيفِ الذى أتاه بالمَنْبُوذِ : عَسَى الغُوَيْرُ أبْؤُساً[٢] .

فقال بعضهم : هو تصغير غار . وهو مثل للعرب . ويقال : إن أول من قاله بَيْهَسٌ الذى يلقب بالنَّعَامة فى حُمْقِه ، وكان قد وجد قاتلى إخوته فى غار / [٢٣١ فهجم عليهم فى ذلك الغار فقتلهم ، فهو أحد من طلب بثأر فلحقه . وإنما عسى أن يكون الغوير أضمر لنا وأخفى أبؤسا ، وهو جمع بأس . ويقال : الغوير : ماء .

١٠

٩ — وقول علىّ كرم الله وجهه : مَنْ يَطُلْ هَنُ أَبِيهِ يَنْتَطِقْ به[٣] .

يريد : منْ كَثُر إخوتُه عزَّ بهم فامْتَنَع . وضرب النِّطاق مثلا لذلك ؛ لأنه يَشُدُّ الظَّهْرَ . ومثله قول الشاعر :

١٥

فلو شــاءَ ربى كان أيْرُ أبيكمُ طويلا كأيْرِ الحارث بن سَدُوسِ[٤]

(١) ورد فى ص ٨٩ .

(٢) ورد فى ص ٨٩ .

(٣) ورد فى ص ٨٩ .

(٤) البيت غير منسوب فى جمهرة الأمثال ص ١٨٧ ومجمــع الأمثال ٢/٢٥٦ واللسان ١٢/٢٣٣ .

والحارث بن سَدُوس من شَيْبان ، وكان له أحد وعشرون ذكراً .

* * *

١٠ — وقول عمر رضى الله عنه : أَيّمَا رَجُلٍ بَايَعَ عَنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةٍ ، فلا يُؤَمَّرُ واحدٌ منهما تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلا[1] .

٥ يريد : إذا بايع الرجل رجلا عن غير مشاورة الناس ، يعنى مبايعة الإمْرَة ، فلا يُؤَمَّر واحد منهما ، لا المُبَايِعُ ولا المُبَايَعُ حتى يكون ذلك عن اجتماع مَلَإٍ من الناس ؛ لأنه لا يُؤْمَنُ أن يُقْتَلا جميعاً .

وتَغِرَّةً هاهنا : مصدرُ غَرَّرْتُ به تَغِرَّةً وتَغْرِيراً ، مثل عَلَّلْتُهُ تَعِلَّةً وتَعْلِيلًا . وهذا قول أبى عُبَيْدَة .

١٠ * * *

١١ — والعرب تقول : حَوْرٌ فى مَحَارَةٍ[2] .

والحَوْر : النُّقْصان . والمحارَة : المَنْقَصَة ، وهذا كما يقول الناس : هذا نقصان فى نقصان، وخسران فى خسران .

* * *

١٥ ١٢ — وقولهم : جَرْىُ المُذَكِّيَاتِ غِلَابٌ[3] .

---

(١) ورد فى ص ٨٩ .
(٢) ورد فى ص ٩٠ .
(٣) ورد فى ص ٩٠ .

فالمُذَكِّياتُ : الخيل المَسَانُّ .. والغِلاء : أن تتغالى فى الجرى ، أى كأنها تتبارى فى ذلك ، وليست كالصغيرة التى لا تتغالى . وقد يروى : « غِلابٌ » مكان « غِلاء » .

* * *

١٣ — وقوله : عِيلَ مَاهُوَ عَائِلُه[1] ، مثل . ٥

ومعنى عِيلَ : أى أُثْقِلَ . يقال : عالَنى الشىء أى أثقلنى . كأنه قال : أُثقل ماهو مثله . كأنه يُدعَى له ويُدعَى على الذى أثقله .

قال ابن مُقْبِلٍ يصف فرساً :

خَدَى مِثْلَ خَدْى الفَالِجِىِّ يَنوشُنِى بِخَبْطِ يَدَيْهِ عِيلَ ماهو عَائِلُه[2]

* * * ١٠

١٤ — وقولهم : وإنَّهُ لَشَرَّابٌ بأَنْقُعٍ[3] .

قاله الحجَّاج لأهل العراق : إنكم يا أهل العراق شاربون بأَنْقُعٍ[4] . وأصله فى الطير ، وذلك أن الطائر إذا كان / حذراً منكراً لم يرد المياهَ التى [٢٣٢

(١) ورد فى ص ٩١ .

(٢) البيت له فى اللسان ١٣ /٥١١ « ينوشنى بسدو يديه » والمعانى الكبير ١ /٥٨ وقال ابن قتيبة فى شرحه : « خدى : من الخديان . ينوشنى : من النوش وهو التناول . يقول : يكاد يتناولنى بيديه من خبطه بهما ، وذلك من نزقه ومرحه . عيل ما هو عائله ، وإنما هو كقولك : عالنى الشىء أى أثقلنى ، ولم يرد بذلك مذهب الدعاء عليه ، وإنما هو كقولك للشىء يعجبك قاتله ، أخزاه الله ، أى شدد هذا الشىء عليه وأثقله » .

(٣) ورد فى ص ٩١ .

(٤) اللسان ١٠ /٢٣٩ .

يردها الناس ـ : لأن الأشراكَ تُنْصب عِنْدَها . ـ ووَرَد النِّقَاعَ ، والمَناقِعَ التى فى الفَلَوات .

* * *

١٥ — وقولهم : عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ[1] .

٥ العاطى : المُتناولُ . ويقال عَطَوْت : إذا تناولت ، أَعْطُو . ومنه قول الشاعر فى صفة الظبية :

* وَتَعْطُو بِظِلْفَيْها إذا الغصنُ طَالَهَا *

والأَنْوَاطُ : المَعَاليقُ ، واحدها نَوْط . أراد أن هذا يصعب عليه ما يرومه كمن تناول بغير مِعْلاق .

١٠ * * *

١٦ — وقوله : إِلَّا دَهٍ فَلَا دَهٍ[2] .

يريدون : إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره . وهو مثل قول رُؤْبة :

* وقُوَّلٌ إِلَّا دَهٍ فلا دهٍ[3] *

يروى أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال ؛ كأنهم أرادوا : إن ١٥ لم تكن هذه [لم تكن] أخرى .

* * *

---

(١) ورد فى ص ٩١ .

(٢) ورد فى ص ٩١ .

(٣) ديوان رؤبة ص ١٦٦ والعقد ١٢٤/٣ . واللسان ٩٢/١٤ .

١٧ — وقولهم : النُّفَاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ[١] .

النُّفَاضُ : الفقر ، يقال : أنفض القوم وأنفدوا : إذا ذهب ماعندهم .

وقولهم : يُقَطِّرُ الجَلَبَ ، يريدون : أنهم يَجْلِبُونَ من البادية إلى المصر ، ليبيعوها من فقرهم .

٥

* * *

١٨ — وقولهم : بِهِ داءُ ظَبي[٢] .

يريدون : أنه صحيح لاداء به ، كما أن الظبي لاداء به .

* * *

١٩ — وقولهم : أَراكَ بَشَرٌ مَا أحارَ مِشْفَرٌ[٣] .

يريدون : بشرة البعير ـ ومشفره : سمته . ـ تدلك على جودة أكله ، ١٠
وأحارَ . رَدَّ إلى جوفه .

* * *

٢٠ — وقولهم : أَفْلَتَ فُلانٌ بِجُرَيعَةِ الذَّقن[٤] .

يريدون : أنه أفات نفسه فيه ، كما قال الهذلىّ :

---

(١) ورد فى صفحة ٩١ .
(٢) ورد فى صفحة ٩١ .
(٣) ورد فى صفحة ٩٢ .
(٤) ورد فى صفحة ٩٢ .

نجَاسالِمٌ والنَّفْسُ منهُ بشدقِهِ   ولَمْ ينج إلا جَفْنَ سَيْفٍ وَمِئْزَرا[١]

* * *

٢١ — وقولهم : غُبارُ ذَيلِ المرأةِ الفَاجِرَةِ يورِثُ السِّلَّ[٢] .

يريدون : من اتبع الفواجر ذهب ماله . ضرب السل فى البدن مثلا لذهاب المال .

* * *

٢٢ — وقولهم : كبَارِحِ الْأَرْوِىِّ[٣]

يريدون أنه مَشْئُوم من وجهتيه ، وذلك أن الأُرْوِى يتشاءم بها من حيث أتت . وإذا برحت كان أعظم لشؤمها .

* * *

[٢٣٣] ٢٣ — وقولهم : عَبْدٌ وخَلًى / فى يَدَيْهِ[٤]

وهذا مثل يضرب للئيم البطر . والخلى : هو عندهم الكلأ خَصِبُوا ، والعبد لئيم ، فإذا وقع فى الخِصْبِ بَطِرَ

---

(١) البيت لحذيفة بن أنس الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ٣/٢٢ ، والنفس بشدقه ، أى كادت تخرج فبلغت شدقه . يريد : ولم ينج إلا بجفن سيف ومئزر فلما حذف حرف الجر نصبه » وهو له فى اللسان ١٦/٣٤١ « وجفن السيف : غمده » .

(٢) ورد فى صفحة ٩٢ .

(٣) راجع صفحة ٩٢ .

(٤) ورد فى صفحة ٩٢ .

وهذا مثل قوله :

قَوْمٌ إذا نبتَ الرَّبيعُ لَهُمْ نَبَتَتْ عَدَاوَتُهُم مَعَ البَقَلِ[1]

وقال آخر :

يَابْنَ هِشَامٍ أَفْسَدَ النَّاسَ اللَّبَنْ فَكُلُّهُمْ يَمْشِي بِقَوْسٍ وَقَرَنْ[2]

٥ * * *

٢٤ — وقولهم : رَمَّدَتِ الضَّأْنُ فَرَبِّقْ رَبِّق ؛ وَرَمَّدَّت المِعْزَى فَرَنِّقْ رَنِّق [3].

التَّرْمِيدُ : نزول اللّبن فى الضَّرْع .

وقولهم فى الضأن : أى هى الأرْبَاقَ لأولادها .

١٠ والأَرْبَاقُ : عُرًا تجعل فى حبال وتُدخل فى أعناق الصغار لئلا تتبع الأمهات فى المرعى ، وهى الرِّبْق أيضاً ، واحدها رِبْقَة . ومنه قيل : من فعل كذا وكذا فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه[4] .

---

(١) البيت للحرث بن دوس الإيادى يخاطب المنذر بن ماء السماء ، كما فى المعانى الكبير ٢/٨٩٥ ، ٩٩٦ واللسان ١٣/٦٥ .

(٢) لرؤبة فى الصناعتين ٢٩١ ومن غير نسبة فى اللسان ١٣/٦٥ ، ١٧/٢١٨ والبيان والتبيين ٣/١٠٧ وإصلاح المنطق ٦٣ والمعانى الكبير ٢/٨٩٥ « يقول : لما جاء الربيع وأصابوا اللبن قووا وغزوا . والقرن الجعبة » وفى اللسان ١٧/٢١٨ « القرن — بالتحريك — الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز ، وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد » .

(٣) ورد فى صفحة ٩٣ .

(٤) اللسان ١١/٤٠٢ .

وإنما أراد أن الضأن تُرَمِّدُ ، أى تنزل اللبن فى ضروعها فى وقت وضع الحمل . والمعزى تُرَمِّدُ فى أول الحمل .

يقول : رنّق رنّق ؛ أى انتظر ، يقال : رَنَّق الطائرُ فى الهواء : إذا دار فى طيرانه ولم يجر . ورنَّقت السفينةُ : إذا دارت مكانها ولم تسر .

٥

* * *

٢٥ — وقولهم : أَفْوَاهُهَا مَجَاسُّها[1] .

يريد : أنها إذا كانت كثيرة الأكل أَغْنَتْكَ بذلك عن أن تجسها فتعرف : كيف هى ؟ لأن كثرة الأكل تدل على السِّمَن .

* * *

١٠ ٢٦ — وقولهم : نِجَارُها نارُها[2] .

النار هاهنا : السِّمَةُ . ويقال لكل شىء وُسِمَ بالمِكْوَى : نار .

قال الشاعر :

حتى سقَوْا آبَالَهُمْ بالنَّارِ والنارُ قَدْ تَشْفِى منَ الأُوَارِ[3]

والأُوَارُ : العَطَش . وسقيهم آبالهم بالنار / تريد أنهم قدموها على

(١) ورد فى صفحة ٩٣ .

(٢) ورد فى صفحة ٩٣ .

(٣) فى اللسان ٧/١٠٢ .

مواسمها فى الشرب . فقدموا الأعزَّ منها فالأعَزَّ أَرْبَابًا[١] .

والنِّجَارُ : الطبيعة والجوهر ، فأراد أن سِماتِها تدلك على جواهرها .

تمّ كتاب مشكل القرآن وتفسير المشكل والأمثال التى فيه ، بحمد الله

ومنه وحسن توفيقه ، سلخ جمادى الأولى من شهور

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

---

(١) فى اللسان «أى سقوا إبلهم بالسمة ، اى إذا نظروا فى سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره لشرف أرباب تلك السمة ، وخلوا لها الماء» .

فهارس الكتاب



١ — فهرس الآيات

٣ — سورة آل عمران

٧ ـ سورة الأعراف

٥٥ — سورة الرحمن

٥٦ — سورة الواقعة

٥٧ — سورة الحديد

٥٨ — سورة المجادلة

٥٩ — سورة الحشر

٢ — فهرس الاحاديث

٣ — فهرس الأمثال

٤ – فهرس الأعلام

٥ — فهرس القبائل والأمم والفرق

٦ — فهرس الأماكن والبلدان

٧٠ — فهرس الأيام

٨ — فهرس القوافى

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الدال)

(حرف الراء)

(حرف السين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

أنصاف الأبيات

شطر (ء)

شطر (ب)

شطر (ت)

شطر (ج)

شطر (ح)

شطر (د)

شطر (ر)

شطر (ض)

شطر (ع)

شطر (غ)

شطر (ق)

شطر (ك)

شطر (ل)

شطر (م)

شطر (ن)

٩ – فهرس الفروق الخطية

صفحة	سطر		
٥	٣	د	: ونحوه
٦	٨	«	: ارتدع من كان يهم بالقتل ، فكان فى القصاص له حياة
—	١٢	«	: فكان
٧	٣	«	: الجنة حين قال
٧	١٣	«	: ولم يشترط
٩	١	«	: بهاتين القبيلتين . وهذا فى القرآن
٩	٦،٥	م،د	: الخبر
—	٩	م،د	من الجبل
١١	٣	م	: أرض الخورنق
١١	٩	د	: من ذكرهم
١٢		م،د	: خلتا من العنوان
—	١١	د	: اجتمعت عليه
١٣	٦	«	: الأعجمين
١٤	٤	«	: فى حروفنا
—	١٣	«	: ودل بحذف
١٦	١	«	: إذا سبه الناس
—	٥	«	: المعنيين بتغيير
١٦	١٠	«	: ذلك قيل
١٧	١٠	«	: وللنهم مبطون . وللعرب الشعر
١٨	٥	«	: كما يخف
—	١٥	ج	: هذا السطر منها
٢٠	٧	د	: ذهب حرف

صفحة	سطر		
—	٨	«	: فقد ذهبت منه قوة من الحبل لما قال
٢٠	١٢	«	: فمنها الاستعارة
٢١	١٢	«	: أنت وهو
٢٢	٢	م	: لأديت
٢٢	٩	د	: وعرضت
—	١٠	«	: ولو كان ماجروا إليه
—	١٦	م، د	: سحر ومرة هو شعر ، ومرة هو قول
٢٣	٦	د	: لإمام متبع
—	٨	«	: أو أقضى فيه
٢٤	١	م	: الحكاية عنهم د : باب الحكاية عنهم
—	٤	د	: فى الحرف
٢٥	٢	م	: مصحفه المؤذنين وأم الكتاب
٢٥	١٠	د	: هى خطأ
٢٦	٤	د	: ليس فيها كلمة : قال
٣٠	٧	«	: الليل وقالوا
٣٢	١	م	: صنوف التعذيب
—	٣	د	: أراد بالقرآن والتبيان
—	١٧	م	: لئلا يطول
٣٥	٥	م	: فمن قرأ
—	٧، ٨	د	: وتقع الكلمة على الرسالة بأسرها
—	٩	«	: وكذلك الكلمة ألا ترى
—	١١	«	: الكفر وقال : ولقد سبقت
٣٦	٥	«	: وجه واحد ومذهب واحد
—	٨	م، د	: وجوه الاختلاف
٣٧	٨	د	: فى الكلمة مما يعترضون بها فى الكتاب

صفحة	سطر		
٣٨	١١	م	: فى ذلك مايشاء
٣٩	٣،٤	م،د	: يلفظ بها ويسمها
—	١٢	د	: ولو أراد هؤلاء أن يزول
٤٠	٤،٥	»	: وصلاتهم وصيامهم وحجهم وصلاتهم وعتقهم
٤٠	٩	»	: وليست واحدة
—	١٢	»	: أى بعدنسيان له فأنزله الله جل وعز على نبيه ﷺ بالمعينين
—	١٧	»	: فى غرضين م : والمعنيان جميعا
—	١٣	د	: يقال : هو الأترج
٤١	١٤	م	: جميعا فى غرضين
٤٢	٨	م،د	: وسوم طباعهم القرأة
—	١١	د	: أن نعدده
٤٣	١	»	: وزيادة مصحف أبى
—	٤	»	: والرقية للعين
٤٦	١	»	: آخر السحور
٤٨	٢	م،د	: يقول فيه
—	٦	م،د	: السبع من المثانى
٤٨	٧	د	: أو أقدم
٥٠	—	»	: باب الحجة فى اللحن
—	١	»	: غلط الكتاب وحديث عثمان فيما وقف عليه من اللحن فى المصحف فقد تكلم
٥١	١	»	: على أن القرأة
٥١	٨	م	: سقط منها من قوله : وكان يقرأ إلى آخر السطر الثالث
—	١٢	م،د	: وناجية بن مخ
٥٢	١	د	: أبو حاتم السجستانى
—	١٣	»	: يعنى الشك

صفحة	سطر	
٥٢	١٩	» : النبي برفع اللائـكة
٥٣	٥	م.د : إليك ويؤمنون
—	٩	د : النازلون
—	١٢	م،د : والقرأة
٥٤	٥	د : وهذه وجه
—	٨	م : والطوافين
٥٥	١٠	د : وأنشد بعض
٥٧	٤	» : خطأ من الـكاتب
—	٦	م،د : فى كتاب المصحف
٥٧	٩	د : يحذف فى المصحف
—	١٥	» : بلام وكتبوا
٥٨	٢، ٣	» : هى كسرة
—	١٤	» : خلت من كلمة : وزلوا
٦٠	٧	» : المذاهب كلها
٦١	٣	» : من الخنسة
٦٥	—	» : باب الحجة فما ذكروا أنه متناقض م باب التناقض
—	١	م،د : خلتا منه
—	٦	د : «خمسون» وفيها وفى م ففى هذا اليوم
٦٦	٣	» : تختصون والجواب
—	٥	» : لأنهم يحتـكمون
٦٨	٤، ٥	م : العرب بمعنى واحد
—	١٢	د : ولايشبع والعرب تصفه
٧٠	٧	م : الزقوم جنس من النار
٧١	٧	د : أى وفيهم من يستغفر يعنى

صفحة	سطر		
٧٢	٦	د	: بشىء ولا اليق م بشى واليق
—	٩	م	: ما أباح لهم من ملك اليمين لم يستطع العدل
٧٤	١	«	: فأربعوا
—	٢	«	: رجل واحد
٧٥	٤	«	: لـكل صبار مؤمن
٧٦	١	«	: فى السلاح ومنه
—	٣	«	: خلت من الشطر الأول
٧٧	١١	د	: لافى الجنة ولا فى النار
٧٨	١١	م	: سقط منها من قوله : أى تأكل إلى آخر السطر الأول من ص ٧٩
٧٩	٣،٢	«	: يرزقون أفهل ترى
٨٠	٤	د	: سبيت المرأة
٨٠	٦	م،د	: مال جثل د . سدى واهلات
٨٠	١٠	م	: ما فى الجنة من أنهارها وسررها
٨١	١١	«	: آخرون مخطخطة
—	١٢	م،د	: خلتا من قوله « أى حجر وطين »
٨٢	٦	م	: من أكلة الوجبة
—	١١	«	: معناها
—	١٤	«	: مآكلهم
٨٣	١٣	«	: الرائعة
٨٤	٦	«	: ذلك صفتهم
٨٥	٤	د	: رجل بعثه وليا
—	٦	م	: فأعلمنى
٨٦	—	«	: المتشابه د . باب الحجة فى المتشابه
—	١	«	: أراد الله

صفحة	سطر	
٨٦	٣	« · العرب ومبانيها
—	٤	د : والاطالة للتوكيد
—	١٦	م : على حسب
٨٧	١	« : عالما ولا متعلما ولا خفيا ولا جليا
٩١	٣	د : وغلط بعير أنواط وإلاده والنفاض
٩٤	٨	م،د : وأسفده
٩٤	١١	د : عاورت صاحبي وهيأنا لموضعها
٩٥	٢	« : قال أبو حاتم : الرواية البيقورا . البـاء قبل الياء قال أبو محمد : هو خطأ من الرواة ، هكذا رواه عسل ما
٩٥	٩	« : عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال
٩٦	٣	« : وأنا والولاء . . قال : وفسره
٩٧	٣	« : فى جوف الفرإ مهموز مقصور
٩٨	٣	« : قال بوهم بعد أن
٩٨	٩	« : ابن الأعرابى أراه كأنه
—	١٠	م : سقط منها قوله : والخذع الميل
٩٩	٤	« : تعالى : لا يعلمه إلا الله
١٠١	٥	« : شجوه
١٠٣	١	د : قال : وأما المجاز
١٠٦	١٤	م : وإنما هو عبارة لتـكوينها فـكانتا
١٠٩	١	« : يقول للرائد أعشبت أى هذا عشب
—	٧	د : فجعل يشمه
—	١٤	« : خلت منه
١٠٩	١٤	م : دلك بمعنى
١١٠	١	« : أحداث د : وبعتك أزمنة حفت

صفحة	سطر		
١١٠	٦	د	: أراد أنه قد حفت فيها
—	٨	د	: ابن الجرع
١١٤	٣	م، د	: قد أعطيت
—	٦	م	: لأنها تصوت
١١٥	١٠	«	: يعقد بها
١١٦	٣	«	: يحله فـكلما
١١٨	٣	«	: قال عبيد بن ثور
—	٥	«	: وأجناس الطير
١١٩	٩	م	: الأخطل ترى الثعلب
١٢٠	٩	«	: البرزخ بعد الممات
١٢١	١	د	: من آمن بالشياطين . . . بتخبطه
١٢١	٧	م د	: خلتا من قوله : كما سمانا
—	١٦	د	: والنجى من الجن
١٢٧	٧	«	: أبياتافى القدرم: ينشد من الشعر فى إثبات القدر أبياتا ذكرتها *
—	١١، ١٣	«	: سقطا منها
١٢٨	٦	«	: وقال : قد كنت م . وقال قس بن ساعدة الايادى ! ! !
١٣٠	١٠	«	: ليس فيها ومكانه فيها :
			أحمـد الله فـلا نـد له بيديه الخير من شاء أضل
١٣١	٨	م	: العرب فى القدر ومذهب د: وإن الله يعلم مافى السماء . ماتركت
—	٩	د	: ولم تقل
١٣٢	٤	ج	: والقرية لاتسأل م ، د « والقرية لاتقصم » . والأولى إشارة إلى قوله تعالى: (واسأل القرية) والثانية إلى قوله تعالى : (وكم قصمنا من قرية) .
١٣٣	١٠	د	: شملى بسلمى
١٣٤	١	م	: جعلوه كأنه

صفحة	سطر	
١٣٥	١	د : العرب م : من الآخر أو مجاورا له
—	٧	م،د : ويقولون : مازلنا
١٣٧	٦	م : إلى المعاناة . . . عن ساقه
١٣٧	٨	م،د : الصمة يرثى رجلا
—	٩	م : على الجلى
١٣٨	٢	د : النقرة فى طرفها
١٣٨	١٠	« : وهو الفوقة
١٣٩	٣	م : خيرا إلا أن
—	٧	« : مكان التبيين
١٤١	٤	د : بعد الفسق
—	١٤	م،د : خلتا منه
١٤٥	٣	د : الطريق يريد لم يجعل لى سبيلا حين أعفى بما عليه فكأنه سد الطريق فكنى م : حن أعفى بما عليه . . . الطريق ومضى فكنى
١٤٨	—	م : ورد فى هامشها : ومنه التحيات لله، يراد الملك لله، وأصله أن الملك كان يحيا بتحية الملك فيقولون : أبيت اللعن وأنعم صباحا ، فكنى عن الملك بالتحية ، قال عمرو بن معد يكرب أسيرها إلى النعمان حتى أنيخ على تحيته بجندى أى على ملكه . وقال الآخر : ولكل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية يقول : لما أملك فأحيا بتحية الملوك
١٤٩	١١	م : النصارى وردها على ملة إبراهيم
١٥٠	٢٠١	د : تنظر ونكث
١٥١	٢	م،د : ليس به من معد ـ د : غريب
١٥٤	٢	م : تقول : هم غليظ
١٥٥	٧	د : لا يريدون بها دون

صفحة	سطر		
١٥٥	—	م	: جاء فى هامشا : « حاشية : قال أبو محمد : أصل الميسم: موسم فقبلت الواو ياء للكسرة قبلها، فإذا اجتمعت انفتحت الميم وردت الواو إلى أصلها كما قالوا : ميزان ، ثم قالوا: موازين ، وقالوا : مواسم ومياسم فمن قال : مياسم بالياء جمعه على اللفظ وجعله فرقا بينه وبين مواسم العرب وهى أسواقهم » .
١٥٨	٦	«	: يحك على شجر
١٥٩	٣	د	: وصفه بالحلف والصلم والإثم والجفاء والدعوة
١٥٩	١٠	«	: لحقته سمة
١٦٠	٥	«	: لم يقطد !
١٦٠	١٢	«	: سقط منها هذا السطر وماليه إلى قوله : وأراد الله فى السطر الثالث من ص ١٦٢
١٦٤	٦	«	: سقط منها
١٦٤	١٠	«	: فى وصف فرس
١٦٤	١٣	«	: يريد أنه راز القوس
١٦٥	٣	«	: مطمئنين ينتحمون
١٦٦	٣	«	: مستو يتبع بعضه بعضا
١٦٦	١٠،٩	«	: لايعلمون ولا يباعثهم
—	١١	«	: ولا تجهم عليه
١٦٨	١	«	: وعمت والسامع
١٦٨	٩	«	: شجوها
١٦٩	٦،٣	«	: خلت من هذه الأسطر
—	٧	«	: سقط منها وما يليه إلى آخر الصفحة
١٧١	٦	«	: يقاربون أن يعقلوا
١٧١	١٣	«	: تبلغ القلوب الحلوق

صفحة	سطر		
١٧٢	١	م	: من شدة الجزع والفزع
١٧٢	٩	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر التاسع من ص ١٧٧
١٧٨	٤	«	: « « « « « « « الثالث « « ١٧٩
١٧٨	١٠	«	: ويقولون فى جميعه
١٧٨	١٢	«	: سقط ومايليه إلى السطر الحادى عشر فى ص ١٨٠
١٧٨	١٤	م	: وطاب ألوان
١٧٩	٣	«	: الشراب نبيذا بأن يبال
١٨٠	٦	«	: أراد مكث
١٨٠	١٠	«	: مكان « السدر » فيها بياض
١٨١	١٣	م،د	: على الوغم ، ج : « على الرغم » وهى الصواب
١٨٢	١٢	م	: ومنه قول الشعراء
١٨٤	١	د	: سقط منها من قوله : وأصل هذا . إلى قوله : فقتلوا . فى السطر الثانى
١٨٨	٣	م	: ولهذا جملوا
١٨٨	١٠	«	: مفرغ الحميرى
١٩١	٨،٩	د	: خلت من هذين السطرين ومن الأول فى ١٩٢
١٩٢	٤	«	: يأسك من غيره قال الشاعر : ألم ييئسوا أنى ابن فارس م : قال الشاعر : حتى إذا
١٩٤	٧،١	«	: خلت من هذه الأسطر [من السطر ٧ ص ١٩٤ إلى السطر ١ ص ١٩٥]
١٩٥	٤	«	: سقط منها هذا وما يليه إلى السطر العاشر ص ١٩٧
—	٥	م	: حالف الحيات
١٩٨	٥	د	: أى بعض الضياطرة
—	٦	«	: أى يعطيون وسقط منها مابعدهذه الكلمة إلى آخر السطر الرابع من صفحة ١٩٩

صفحة	سطر		
٢٠١	١	د	: سقط هذا منها وما يليه إلى آخر السطر ١٢ من صفحة ٢٠٢
٢٠٢	١١	م	: سقط هذا منها وما يليه إلى : آخر السطر الرابع ص ٢٠٣
٢٠٣	٤،٢	د	: خلت من هذه الأسطر .
٢٠٤	٦،١	«	: خلت من هذه الأسطر
٢٠٧	١	«	: سقط من أول : قال الأعشى إلى آخر السطر السابع
٢٠٩	٣	«	: خلت منها
٢١١	١	م	. سقط منها من قوله : أى أجملتم إلى قوله : كمن آمن فى السطر التالى
٢١١	٨	د	. سقط منها ومايليها إلى آخر السطر الأول من ص ٢١٣
٢١٣	١٢	«	. سقطت منها وما يليها إلى السطر الأول من ص ٢١٤
٢١٥	١٤	م	. إنى لأمرها
٢١٦	٣	م	. والمعنى — والله أعلم
—	٧	«	. والمعنى يقولون
—	١٠	«	. وقال آخر
٢١٧	٣	«	. ووصى ربك بالوالدين إحسانا
٢١٧	٨	«	: لحذف الريح
—	١٠	م،د	مرسل ولا مبعوث
٢١٩	٧	م	. فى الكلام مكانه
٢٢٠	٤	م د	. النحويين يجمل
٢٢١	١٠	د	. سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الخامس من ص ٢٢٢
٢٢٢	٣	م	. سقط منها من قوله : فإذا لم تحمل . إلى قوله : أقوى لها .
٢٢٣	١١،١٠	د	. سقط منها

صفحة	سطر		
٢٢٤	١	م، د	« أئذا متنا ، كأنه قال والله أعلم : « ق والقرآن المجيد لتبعثن، فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذامتنا نبعث» ولكن هذا غير موجود في ج ولا في ق .
٢٢٤	٥	م	. لعلم المخاطب .. من قولهم
٢٢٥	٨،٧	د	. خلت منهما
٢٢٦	١٢	«	. سقط وما يليه منها إلى آخر السطر الأول من ص ٢٢٨
٢٢٧	٣	م	. وضاق به
٢٢٨	٣	م، د	. قبل ذلك الإنسان
٢٢٩	٤،٣	د	. خلت منهما
٢٣٠	٥	م	. سقط منها من قوله فحذف إلى قوله : ومن الاختصار في السطر الثامن
٢٣٢	١	د	. تكرار الأنبياء . ثلاثة
٢٣٣	٥،٤	م، د	. بآمره وينتهوا بزاجره
٢٣٥	٥	د	. وثبه
٢٣٦	٤	م	. في أطرار الأرض وفي هامشها : جمع طرة وهي الناحية
—	٩،٨	د	. خلت منهما
٢٣٩	٧	«	. وكثرت عنده
—	٨	م	. راجل أفتنكر هذا ؟
٢٤٢	١٠،١٠	د	. سقط منها وما يليه حتى السطر الأول من ٢٤٣
٢٤٥	٤	«	يريد لئلا يعلم
٢٤٦	١	م	. تسخر فزاد لأن في آخره جحدا
—	٥،٢	د	. خلت من هذه الأسطر
—	٣	م	. سقط منها وما يليه إلى قوله وأما زيادة في السطر الخامس
٢٤٨	١ ـ ٤	د	. سقط منها
٢٤٩	٩،٨	د	. خلت منهما

صفحة	سطر		
٢٥٠	٨	د	سقط منها من قوله . قال حميد إلى آخر السطر التاسع
٢٥١	٩	«	سقط منها من قوله : كقول الشاعر إلى آخر السطر العاشر
—	٤، ٥	«	سقطا منها
٢٥٣	١٠	«	. سقط منها ومايليه إلى آخر السطر الخامس من ص ٢٥٤
٢٥٤	٢	م	. قال الراجز
٢٥٦	٨	م	. وقال : إن كانت السكنية
٢٥٧	٥	د	. ابن أبى طالب . . أبى سفيان
٢٦٠	٦	م	. فى المسمى والمكنى
٢٦٠	٥-١٤	د	. سقط منها
٢٦٠	١٣	م	. فيها : « ثور » بدل « نمر »
٢٦٠	١٧	د	. من المقسمين بالمسلمين . وفى م : وذهب قوم . وما أثبت من ج
٢٦١	١٧	م	. يبكر
٢٦٢	١-٣	د	. ساقط منها
٢٦٢	١٠	م، د	. سبب نزولها
٢٦٢	١٥	م	. بسخط
٢٦٢	١٧	د	. « عتبة بن ربيعة والمغيرة وفلان » . م عتبة بن أبى ربيعة
٢٦٣	٦، ٩	د	. سقط من قوله : والشاعر إلى قوله : كف
٢٦٤	٧	»	. سقط وما يليه إلى آخر السطر الرابع من ص ٢٦٦
٢٦٧	١	«	. سقط من قوله : كما كنى إلى آخر السطر الثانى
٢٦٧	٧	م، د	. النسيان تعريضا
٢٦٨	٧	م	. فسلوهم النطق
٢٦٩	٢	م د	. بعض السلف
٢٦٩	٤	د	. حاجزا بين الحلال والحرام

صفحة	سطر		
٢٧١	١	د	. سقط منها من هذا السطر إلى آخر السطر الخامس من صفحة ٢٧٢ وورد فيها مكان المحذوف ما يلى . قال على بن أبى طالب فى تأويل هذه الآية : واسأل من أرسلنا — : إنها نزلت ليلة أسرى به ببيت المقدس ونشر له النبيون أنزل الله عليه . واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا . وهذه الآية مقدسية نزلت بيت المقدس . وهذا الكلام تفردت به د مقحم على الكتاب وليس منه فى شىء .
—	٥	م	. فيك الضجاج
٢٧٢	٤	«	. فى مدحه تفريط
٣٧٣	١	«	. غير النبى ﷺ كما قال : ياأيها الإنسان ماغرك
—	٩—١٢	د	. سقط منها
٢٧٤	٤	م	. جاء فيها بعد آخر هذا السطر مايلى : قال : فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك والنبى ﷺ لم يشك ، وقد قال ﷺ : لاأشك ولا أسأل والله يعلم أن النبى ﷺ لم يشك ، ولكن هذا مثل قول القائل : إن كنت عندى فكذلك إن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، أى لست أنت فى شك هذا قول الفراء وهذا الكلام الذى انفردت به م لم يرد كذلك فى القرطين ، ولعله تعليق فى هامش أصلها أدمجه ناسخه فيها .
٢٧٦	٦	د	. سقط منها إلى قوله : كأنه قال فى السطر الأول من ص ٢٧٧
٢٧٨	١	م،د	. بشاعر فاهجه اللهم والعنة
٢٨١	٧	م	. ومسلمى زمانه
٢٨٢	١٠	«	. سقطمنها
٢٨٤	١١،١٢	د	. سقطا منها

صفحة	سطر		
٢٨٥	٢ - ٤	«	. بسقطا منها
٢٨٥	٦، ٧	د	. سقطت هذه الأسطر منها وما يليها حتى نهاية السطر الثانى من ص ٢٨٦
٢٨٦	٢	م	. النساء طالق
—	٤	د	. ونعل أسقاط . م أهدام ونعل أسماط قال الشاعر
٢٨٧	١١	«	. سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الأول من ص ٢٨٨
٢٨٨	١٠، ١١	«	. سقطا منها وأنشد لبعضهم ـ إلى آخر الصفحة
٢٨٩	١٠	«	سقط منها من قوله . قال الشاعر إلى آخر السطر الثالث من ص ٢٩٠
٢٩١	٦، ١٠	«	. سقط منها من قوله : وأنشد لبعضهم ـ إلى آخر الصفحة
٢٩٢	٦	«	. سقط منها إلى آخر السطر الثالث من ص ٢٩٣
٢٩٣	٤	م، د	. من الأعوان
٢٩٦	١٢	د	. سقط منها من قوله . قال وعلة إلى آخر السطر الأول من ص ٢٩٧
٢٩٩	—	«	. باب تأويل الحروف الخ . م . تأويل المشكل الذى ادعى على القرآن به الاستحالة وفساد النظم
٢٩٩	٢	م	. اختلف الناس
—	٩	«	. عليم
٣٠١	٦	م، د	. بالطور وبالعشر
٣٠١	٨	د	. يسميان
٣٠٤	٦	«	. سقط منها من قوله . كقول الشاعر إلى آخر السطر الرابع من ص ٣٠٥
٣٠٥	٨	«	. سقطمنها من قوله . وقال ذو الرمة إلى آخر السطر العاشر كما سقط من م قوله . يذكر حميرا

صفحة	سطر		
٣٠٦	٣	«	. سقط منها من قوله • ويقولون ولاك إلى آخر السطر الثامن
٣٠٧	١-٤	«	. سقط منها
—	٥	«	. سقط منها من قوله : كما قالوا إلى آخر سطر الثامن من ص ٣٠٨
٣٠٧	٩	م	سقط منها قوله . يذكر بقرا
٣٠٧	١٦	«	. أراد نار الحباحب
٣٠٩	٩	د	. الرحم نون هو الرحمن
٣٠٩	١١	م	. وقد قال قوم
٣١١	٨	د	. قال : وما كان له عليهم من سلطان . يقول ما كان تسيلطنا
٣١٢	٦	«	. جهاده وخبره
٣١٢	١١	م	. وساحر وكذاب
٣١٢	١٢	د	. من خوضهم
٣١٦	١٢	«	. سقط منها من قوله : منزلا إلى قوله ليلة : فى نفس السطر
٣١٧	٧	م	. فإذا أصاب
٣١٩	١١	«	. فيكونوا فيه
٣٢٠	٩	د	. سقط منها من قوله : قال الشاعر إلى آخر السطر الثانى من ص ٣٢١
٣٢٤	١٢	م	. خلت من قوله . وطفولة الولد
٣٢٨	٥،٦	د	. سقط منها من قوله . روى ذلك إلى آخر السطر السادس
٣٣١	١	م	. لايقال عثرة كافر
٣٣٣	٦	«	. ويقولون لنا
٣٣٧	٣	«	. وشجر وصنم
٣٣٧	٨	د	. ماقد أفضلنا
٣٣٧	١١	م	. فلندعوه
٣٤١	٦	«	. فالأرحام تشتمل على الذكور والإناث فكل

صفحة	سطر		
٣٤٢	٩	د	. يهز ويخزف
٣٤٣	٣	«	. فاكتبوا له مثل
٣٤٥	١	«	. المحارم والفواحش
٣٤٥	٣	«	. أحرار العرب
٣٤٥	٥	د	. الأدلاج والأطواف
—	٨	«	. سقط منها من قوله قول الشاعر إلى آخر الصفحة
٣٤٧	١	«	. طريق الإنسان
٣٤٨	١	«	. سقط منها وما يليه إلى آخر ص ٣٦٨
٣٤٨	٦	م	الجهات يعنى
٣٥١	١٠	«	. ولا لأنفسهم إلا بها
٣٥٤	١٣	«	. بل أدرك
٣٥٦	٧	«	. أن يتعرف
٣٧١	١	د	. سقط منها ومايليه إلى آخر ص ٣٩٦
٣٧٥	٩	م	. حق نحدثك ونكلمك
٣٧٨	١	«	. وبين القرية
٣٩٢	١	«	. ونحوه قوله
٣٩٣	٩	«	. سقط منها قوله . بالخير لهلكوا
٣٩٧	٨	د	. سقط منها من قوله قال الراعى إلى آخر السطر العاشر
٣٩٧	١٠	م	. وخلاله
٣٩٨	٤	د	. سقط منها ومايليه إلى آخر السطر الخامس ٤٠٤
٤٠٢	١٣	م	. خلت من قوله . يذكر قوسا
٤٠٣	١١	«	. ولاتقول حائط
٤٠٤	٨	«	. ولا يراودهن
٤٠٥	١	«	: ولم يعلمها
٤٠٥	٢	د	. سقط منها وما يليه إلى آخر صفحة ٤١٥ وجاء فيها بدل

صفحة	سطر		
			الساقط قوله : وعصى آدم ربه فغوى وليس فى غوى شىء الخ . وهذا موجود فى هذه الطبعة من السطر الثالث فى ص ٤٠٣ إلى آخر السطر الثانى عشر منها
٤٠٥	١٤	م	. بالتقام
٤٠٧	١	«	. . تساموا اللقاء
٤١١	٧	«	. وتشديد الذال
٤١٦	٨	د	. السجود التطامن
٤١٧	٦	«	. لقرد السوء
٤١٩	٥	م	. إذا أبطأ
٤٢٢	١٦	«	. سقط منها من قوله : يعنى إلى قوله يقال فى السطر السابع عشر
٤٢٤	٤	«	. أرض الجزية
٤٢٥	١٣	«	. إلى مكة وينزل عليك القرآن ظاهراً
٤٢٨	٢	«	. سقط منها من قوله : فإن شئت نصبت إلى قوله فإن شئت أن تكسرها فى السطر الثالث
٤٣١	١	«	. دون إلفه
٤٣٢	٥	«	. فتنة عليهم
٤٣٦	١٢	«	. سقط منها
٤٣٨	٣	«	. سقط منها إلى قوله .أى يكون العذاب فى أول السطر الخامس
—	٤	د	. سقط منها من أول قوله: ويوضح ذلك إلى آخر السطر الثامن
٤٤١	٣	«	. ثم تصير القضاء بعمان
٤٤٣	٤	«	. الإرشاد بمعنيين
٤٤٣	٩	م	. هذه البيان
٤٤٥	٥	د	. والتماس الرزق

صفحة	سطر		
٤٤٦	٦	م	. دين واحد
٤٤٦	١٠	«	. وشرعة
٤٤٧	١	د	: العهد الإيمان .
٤٤٩	٨	«	. سقط منها من قوله : كما قال الشاعر . إلى قوله : وقد قال الله . فى أول السطر الثانى من ص ٤٥٠ .
٤٥٠	٤	م	. سقط من قوله قال . إلى قوله إلا إن تودونى . فى السطر الخامس
٤٥١	٧	«	. المصلى الصائم .
٤٥٢	١٣	د	. أصل القنوت .
٤٥٣	٩	«	. سقط منها من قوله . ومنه قول القطامى . إلى قوله : ومنه قول الله السطر الأول ص ٤٥٤
٤٥٦	٢	م	. حليف
٤٦٠	٦	د	. سقط منها قوله . وقال الأعشى . إلى آخر السطر الثامن
٤٦٥	٦	«	. سقط وما يليه إلى آخر ص ٤٦٦
٤٦٩	١٢	«	. سقط منها من قوله قال زهير . إلى آخر السطر الأول ص ٤٧٠
٤٨٤	٤	م	. ومن الضيق الإثم .
٤٨٥	٢	«	. البناء
٤٨٥	٧	د	. اللسان واللسن اللثغة .
٤٨٨	٩	م	. يسكون بها .
٤٩٥	٥	د	. فأصله كله .
٤٩٨	٣	«	. بمعنى الصفة .
٥٠٠	١	«	. الحفظ كقوله جل اسمه . ولقد عهدنا .
٥٠١	٩	«	. والصاعقة نار .
٥٠٢	٥	«	. لايقبل منها فدية .
٥٠٨	٩	«	. قول أبيه لإبراهيم .
٥١١	١	«	. هو أن يحصن .

صفحة	سطر		
٥١١	٢	د	ذوات الأزواج وإن لم يكن مزوجات . والمحصنات الحرائر ذوات الأزواج لأن الأزواج .
٥١٢	١٠	«	يعنى بيوت الحانات .
٥٢٢	٤	م	. فيها بعد ذلك « أى متى يوم القيامة » ؟
٥٢٨	٨	د	. السلم . أراد كظبية .
٥٣٠	٦	«	. سقط منها من قوله ويقول الآخر إلى آخر ص٥٣١ .
٥٣٢	٥	«	. ومتى تأتنى . وكما أدخلت ما مع إن لغوا فتقول متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك . وكما أدخلت ما مع أى .
٥٣٤	٩	«	. بمعنى فعل ، قال ذو الرمة . ولو أن لقمان .
٥٣٦	١٠	«	. حمول الجن .
—	—	م	. وإفضاخ * والإفضاخ فى البسر أن يحمر أو يصفر مثل الزهو وأصله الشهرة ومنه الفضيخة . وقال آخر . بل .
٥٣٦	١١، ١٢	د	. سقطا منها .
٥٣٧	٣	«	. منهل يأتى .
٥٣٩	٦	م	. وهو عقد .
٥٤٠	٥	د	. امنت أى فهلا وكذلك لو ما تأتينا .
٥٤١	٣	م	. رأيت جواباً .
٥٤١	٥	د	. لأمر يقع .
٥٤٢	٧	«	. سقط من أول قوله . جمل . إلى اخر السطر الثامن .
٥٤٧	٥	م	. سقط من أول قوله . ولم يتقدم . إلى قوله . ثم قال . فى السطر التالى .
٥٥٠	١	د	. قال ابن الأعرابى .

صفحة	سطر		
٥٥٠	٣،٢	م	. كسبت وقال الشاعر
٥٥٠	٦	«	. ليس فيها كلمة . قال
٥٥٥	٧	د	: العرب هاتيك
٥٥٧	٥	«	. وتخالفت الفراء فقال
٥٥٧	٦	م	. إلى ما بعدها
٥٥٩	٥	«	. من غير
٥٦١	١	د	. سقط منه إلى قولة . قال الأصمعى
٥٦٧	٦،٤	«	. خلت منهما
٥٦٧	٥	م	. وقال عتبة !
٥٦٨	١	«	. أى أسأل عنه خبيراً
٥٦٨	٥،٤	«	: خلت منهما
٥٧٠	٢،١	«	: خلت منهما
٥٧٣	١—٣	«	: سقطت منها
٥٧٥	٨ ٧	د	: خلت منهما
٥٧٨	٣	«	. جاء فيها بعد ذلك ما يلى . تم كتاب المشكل والحمد لله آولا وآخرا ، وصلى الله على محمد النبى سر مدا دئماً وآله وسلم كثيراً ، وحسبنا الله حياتنا و بعد وفاتنا و نعم الوكيل والمعين ربنا و نعم النصير .

وكتب محمد بن أحمد يحي رحمه الله فى شهر ربيع الآخر من سنة تسع وسبعين وثلثمائة .

رحم الله كاتبه ومن نظر فيه من المسلمين،آمين رب العالمين ويقول . سوف تبلى يدى ويبقى الكتاب . وقال .

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

صفحة	سطر		
٥٨٠	١	م	: سقط عنها بعد ذلك مايلى : لاتستضيئوا بنار المشركين ، يريد لاتستشيروهم ، جعل السراج فى الظلمة مثلا للرأى فى الحيرة .
٥٨١	١٢	«	. وإن قل
٥٨٢	٧	«	: الأنصار وهم من اليمن .
٥٨٤	١	«	. وعشرون ذكورا
٥٨٥	٩	«	. جرى مثل جرى
٥٨٦	٨	«	. نواط
٥٨٧	١٠	«	. إياك نشر ما أحار . . يريدون نشرة

١١ — فهرس المراجع

أدب الكاتب لابن قتيبه (الرحمانية ١٣٥٥ هـ)

الأصمعيات للأصمعى (ليبسك ١٩٠٢م)

أساس البلاغة للزمخشرى (دار الكتب ١٣٤١)

الإتقان للسيوطى (حجازى ١٣٦٠هـ)

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (بولاق ١٢٨٥ هـ)

أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥ هـ)

أمالى ابن الشجرى ج ١ (الأمانة . ١٩٣٠ م)

أمالى ابن الشجرى ج ٢ (حيدر أباد ١٣٤٩ هـ)

أمالى الزجاج (المحمودية ١٣٥٤ هـ)

أمالى اليزيدى (حيد أباد ١٣٦٧ هـ)

إصلاح المنطق لابن السكيت (المعارف ١٣٦٨ هـ)

الاقتضاب لابن السيد (بيروت ١٩٠١ م)

الأمالى لأبى على القالى (دار الكتب هـ ١٣٤٤)

أمثال العرب للمفضل الضبى (الجوائب ١٣٠٠ هـ)

الإنصاف لابن الأنبارى (الاستقامة ١٣٤٦ هـ)

أبواب مختارة من كتاب يعقوب الأصفهانى (السلفية ١٣٥٠ هـ)

الأزمنة والأمكنة للمرزوقى (حيدر أباد ١٣٣٢ هـ)

إعجاز القرآن للباقلانى (السلفية ١٣٤٩ هـ)

الأشربة لابن قتيبة (الترقى بدمشق ١٣٦٦ هـ)

الأضداد لابن الأنبارى (الحسينية ١٣٢٥ هـ)

الأضداد لابن السكيت (الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م)

الأضداد للسجستانى (الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م)

الإصابة لابن حجر (السعادة ١٣٢٣ هـ)

أحكام القرآن للشافعى (السعادة ١٣٧١ هـ)

البحر المحيط لأبى حيان النحوى (السعادة ١٣٢٨ هـ)

البيان والتبيين للجاحظ (لجنة التأليف ١٣٦٦ هـ)

بغية الوعاة للسيوطى
(السعادة ١٣٢٦ هـ)

البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى
(لجنة التأليف ١٣٧٣ هـ)

تأويل مختلف الحديث
(كردستان ١٣٢٦ هـ)

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى
(السعادة ١٣٤٩ هـ)

تهذيب التهذيب لابن حجر
(حيدر أباد ١٣٢٥ هـ)

تفسير الطبرى (بولاق ١٣٢٩ هـ)

تفسير ابن كثير
(عيسى الحلبى ١٣٧٣ هـ)

تيسير الوصول للشيبانى
(السلفية ١٣٤٦ هـ)

تهذيب الألفاظ لابن السكيت
(بيروت ١٨٩٥ م)

تهذيب إصلاح المنطق
(السعادة ١٣٢٥هـ)

ثمار القلوب للثعالبى
(الظاهر بالقاهرة ١٣٢٦ هـ)

جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى
(بمباى ١٣٠٦ هـ)

الجمهرة لابن دريد
(حيدر أباد ١٣٥١ هـ)

جمهرة أشعار العرب
(بولاق ١٣٠٨ هـ)

جمهرة أنساب العرب لابن حزم
(المعارف ١٤٩٨ م)

الجمل للزجاجى
(الجزائر ١٩٢٦ م)

الحيوان للجاحظ
(مصطفى الحلبى ١٣٦٤ هـ)

حياة الحيوان للدميرى
(بولاق ١٢٨٤ هـ)

حماسة البحترى
(الكاثوليكية ١٩١٠ م)

حماسة ابن الشجرى
(حيدر أباد ١٣٤٥ هـ)

خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى
(بولاق ١٢٩٩)

خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى
(الخيرية ١٣٢٢ هـ)

ديوان جرير
(الصاوى بالقاهرة ١٣٥٣ هـ)

ديوان الخرنق (بيروت ١٨٩٩ م)

ديوان ذى الرمة
(كمبردج ١٩١٩ م)

ديوان امرىء القيس
(الرحمانية ١٩٣٠ م)

ديوان أمية بن أبي الصلت
(الوطنية بيروت ١٣٥٢ هـ)
ديوان رؤبة (ليبسك ١٩٠٢ م)
ديوان أبي العتاهية بيروت ١٩١٤ م)
ديوان العجاج (ليبسك ١٩٠٢ م)
ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م)
ديوان كعب بن زهير
(دار الكتب ١١٦٩)
ديوان الأخطل بيروت ١٨٩١ م)
ديوان النابغة الذبياني
(المصباح بيروت ١٣٤٧ هـ)
ديوان الفرزدق (الصاوى ١٣٥٤ هـ)
ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧ هـ)
ديوان لبيد (فينا ١٨٨٠ م)
ديوان المعاني لأبي هلال العسكري
(القاهرة ١٣٥٢ هـ)
ديوان الهذليين
(دار الكتب ١٣٦٩ هـ)
ديوان أبي ذؤيب الهذلي
(دار الكتب)
ديوان الحطيئة (التقدم ١٣٢٥ هـ)
ديوان طرفة (قازان ١٩٠٩ م)
ديوان قيس بن الحطيم
(ليبسك ١٩١٤ م)

ديون عنترة
ديوان الطرماح (ليدن ١٩٢٧ م)
ديوان جران العود
(دار الكتب ١٣٥٠ هـ)
ديوان المسيب بن علس
(بيانة ١٩٢٧ م)
ديوان جميل بثينة
(الوطنية ببيروت ١٣٥٢ هـ)
ديوان عبيد بن الأبرص
(ليدن ١٩١٣ م)
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات
(فينا ١٩٠٢ م)
ديوان علقمة الفحل
(المحمودية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ)
ديوان كثير عزة
(الجزائر ١٩٢٨ م)
ديوان زهير (دار الكتب ١٣٦٣ هـ)
ديوان حسان (الرحمانية ١٣٤٧ هـ)
دايون القطامي (برلين ١٩٠٢ م)
الدر اللوامع للشنقيطي
(الخانجي ١٣٢٨ هـ)
رغبة الآمل للمرصفي
(النهضة ١٣٤٨ هـ)

زهر الآداب للحصرى
(الرحمانية ١٩٢٥ م)
سيبويه (بولاق ١٣١٧ هـ)
سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى
(المصرية . .)
سر الفصاحة لابن سنان
(الرحمانية ١٣٥٠ هـ)
سمط اللآلى للميمنى
(لجنة التأليف ١٣٥٤ هـ)
شرح القصائد العشر للتبريزى
(السلفية ١٣٤٣ هـ)
شرح شواهد المغنى
(البهية ١٣٢٢ هـ)
شرح شواهد الشافية للبغدادى
(حجازى ١٣٥٩ هـ)
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد
(الحلبى ١٣٢٩ هـ)
شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى
(القدسى ١٣٥٠ هـ)
الشعر والشعراء لابن قتيبة
(الحلبى ١٣٧٠ هـ)
شرح المعلقات للزوزنى (طبع الرافعى)
شرح حماسة أبى تمام للتبريزى
(حجازى ١٣٥٧ هـ)

شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى
(لجنة التأليف ١٣٧١ هـ)
شرح الألفية لابن الناظم
(العلوية بالنجف ١٣٤٢ هـ)
شرح أدب الكاتب للجواليقى
(القاهرة ١٣٥٠ هـ)
الصاحبى لابن فارس
(المؤيد ١٣٢٨هـ)
صفة جزيرة العرب
(ليدن ١٨٨٤ م)
الصناعتين لأبى هلال العسكرى
(الآستانة ١٣٢٠ هـ)
طبقات القراء لابن الجزرى
(السعادة ١٣٥١ هـ)
الطرائف الأدبية
(لجنة التأليف ١٩٣٧ م)
طبقات الشعراء لابن سلام
(المعارف ١٩٥٢ م)
عيون الأخبار لابن قتيبة
(دار الكتب ١٣٤٣ هـ)
العمدة لابن رشيق
(حجازى ١٣٥٣ هـ)
العقد الفريد لابن عبد ربه
(لجنة التأليف ١٣٥٩ هـ)

غرائب القرآن للنيسابورى
(بهامش الطبرى)
القراءات الشاذة لابن خالويه
(الرحمانية ١٩٣٤ م)
القرطين لابن مطرف الكنانى
(الخانى ١٣٥٥ هـ)
القرطبى (دار الكتب ١٣٥٤ هـ)
الفائق للزمخشرى (الحلبى ١٣٦٦هـ)
فقه اللغة للثعالبى (الحلبى ١٣٥٧ هـ)
الفاخر للمفضل بن سلمة
(ليدن ١٩١٥ م)
الكامل للمبرد
(مصطفى محمد ١٣٥٥ هـ)
الكنايات للثعالبى
(السعادة ١٣٢٦ هـ)
لسان العرب (بولاق ١٣٠٨ هـ)
المؤتلف والمختلف للآمدى
(القاهرة ١٣٥٤ هـ)
المجتنى لابن دريد
(حيدر أباد ١٣٦٢ هـ)
مجمع الأمثال للميدانى
(القاهرة ١٣٥٢ هـ)
المعانى الكبير لابن قتيبة
(حيدر أباد ١٣٦٨ هـ)

المحلى لابن حزم (النهضة ١٣٤٧ هـ)
معجم الشعراء للمرزبانى
(القاهرة ١٣٥٤ هـ)
مقاييس اللغة لابن فارس
(الحلبى ١٣٦٦ هـ)
مجاز القرآن لأبى عبيد (مخطوط)
مسند أحمد بن حنبل
(المعارف ١٣٦٥ هـ)
الموشح للمرزبانى (السلفية ١٣٤٣ هـ)
المعارف لابن قتيبة
(الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ)
المفضليات (المعارف ١٩٥٢ م)
مبادىء اللغة للاسكافى
(السعادة ١٣٢٥ هـ)
المخصص لابن سيدة
(بولاق ١٣١٨ هـ)
المختار من شعر بشار
(الاعتماد ١٣٥٣ هـ)
معجم البلدان لياقوت
(السعادة ١٣٢٣ هـ)
الموازنة بين الطائيين
(حجازى ١٣٦٣ هـ)
مجالس ثعلب (المعارف ١٣٦٩ هـ)
مجموعة المعانى (الجوائب ١٣٠١ هـ)

مجمع البيان للطبرسى
(العرفان بصيدا ١٣٥٤ هـ)
مختارات ابن الشجرى
(العامرة ١٣٠٦ هـ)
ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن للمبرد (السلفية ١٣٥٠ هـ)
المقصور والممدود لابن ولاد
(السعادة ١٣٢٦ هـ)
الميسر والقداح لابن قتيبة
(السلفية ١٣٤٣ هـ)
المزهر للسيوطى (الحلبى ١٣٦١ هـ)
النشر فى القراءات العشر (مصطفى محمد)
النقائض (ليدن ١٩٠٥ م)
نقائض جرير والأخطل
(ليدن ١٩٠٥ م)
نوادر أبى زيد
(الكاثوليكية ١٨٩٤ م)
نظام الغريب للربعى (أمين هندية .)
النكت فى إعجاز القرآن للرمانى
(دهلى ١٩٣٤ م)
نقد الشعر لقدامة
(الجوائب ١٣٠٢ هـ)
النهاية لابن الأثير
نسب قريش (المعارف ١٣٧٣ هـ)
الوحشيات (مخطوط)
وفيات الأعيان لابن خلكان
(السعادة ١٣٦٧ هـ)
وقعة صفين لنصر بن مزاحم
(الحلبى ١٣٦٥ هـ)
الوساطة للجرجانى
(الحلبى ١٣٦٤ هـ)
الهاشميات (شركة التمدن ١٣٣٠ هـ)

٦ — فهرس مواضيع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أكبرت ابن قتيبة منذ أن قرأت له فى فجر الشباب ، وصبت نفسى إلى كتبه ، فتطلبتها ، وحرصت على دراستها بعزمة قوية ، وهمة فتية ، ونفس مشوقة ، وحس جميع . وكنت كلما أمعنت فى قراءتها ، وأدمنت النظار فيها تجلت لى عظمتها ، وظهرت قيمتها ، وتبينت دقائقها ، وتهديت إلى مراميها ؛ واستبان لى من نضرة طلاوتها ، ورفافة مائيتها ؛ ورصانة أسلوبها ، وجمال عرضها ، وحسن تنسيقها وتبويبها - ما يزيدنى إعجاباً بها ، وإعظاماً لمؤلفها .

ثم تعاقبت الأعوام ، وتنوعت القراءات ، وتغيرت القيم ، وتبدلت الأنظار ؛ وظل إعجابى بابن قتيبة وكتبه مكيناً ركيناً ، بل ازداد تأصلا وتمكناً ؛ بما ازددت من معرفة به ، وبصر بكتبه .

وابن قتيبة خليق بالإعجاب ، جدير بالإعظام ؛ فقد أخلص نفسه وفكره وعقله لدينه ولغته ، وقضى حياته مجاهداً فى سبيل إعزازهما ، والتمكين لهما فى نفوس شباب الإسلام ، ودرء شبه أعداء الدين والعربية والعرب ، بما ألف من كتب ، ودرس من دروس . لا يبتغى بذلك طلب المثالة بين الناس ، أو المنالة منهم ، أو الجاه عندهم . بل ابتغى بما عمل وجه الله ، وتحقيق المثل العظيم

الذى رسمه لنفسه منذ أن عقل أمرها ؛ وهو الجهاد الدائب فى سبيل الدين واللغة ، حتى قضى نحبه رضى النفس ، مذكوراً بلسان الصدق فى الآخرين .

وقد أثابه الله على إخلاصه ، بما أفاض على كتبه من القبول ، وعطف نحوها من القلوب والعقول . فلست ترى أديباً أو متأدباً قرأ من كتبه ، إلا وهو يحس نحوها بالمودة ، ونحوه بالتقدير .

وقد دفعنى إعجابى بابن قتيبة ، وعرفانى بقدر كتبه : أن أنشر ما بقى منها ، نشراً قويما ، يسهل سبل الانتفاع بها ، ويظهر القراء على ما فيها من روائع العلوم ، وبدائع الآداب والفنون .

والحق أن كتب ابن قتيبة دائرة معارف شاملة ، تمثل أرقى ما وصل إليه الفكر الإسلامى ، فى القرن الثالث الهجرى . ومن ثم فهى خليقة بالدرس ، جديرة بالنشر .

* * *

وابن قتيبة : من أسرة فارسية ، كانت تقطن مدينة « مرو » ولسنا نعرف عن نسبه أكثر من أنه : « عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزى » .

وقد ولد فى سنة ٢١٣ ، فى أواخر خلافة المأمون .

وقد اختلف المؤرخون له فى تعيين المدينة التى ولد بها ، فقال السمعانى ، والقفطى : إنه ولد ببغداد . وقال ابن النديم ، وابن الأنبارى ، وابن الأثير : إنه ولد بالكوفة .

وقد اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التى كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء فى كل فن ، وتهوى إليها أفئدة المثقفين والمتعلمين من كل أنحـــاء الدولة الإسلامية .

وقد كان ابن قتيبة ـ منذ شبابه الباكر ـ ذا نفس طُلَعة ، تواقة إلى المعرفة ، دفعته إلى أن يتعلق من كل علم بسبب ، وأن يضرب فيه بسهم . وقد اقتضاه ذلك أن يغشى مجالس علماء الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والكلام والأدب والتاريخ ؛ فغشى من مجالسهم ما غشى ، وثقف عنهم ما ثقف ؛ مما مكّن له من أسباب القوة ، وهيأ من وسائل التفوق والتبريز .

* * *

وقد تتلمذ ابن قتيبة لطائفة من أعلام عصره ، وروى عن جمع من مشاهير دهره ، وأخذ عن كثير من أعيانه وأماثله . نذكر منهم ما يلى :

١ — والده « مسلم بن قتيبة » . وقد أشار إلى ذلك فى عيون الأخبار ٣/٣٠٧ ، ١/١٤٢ حيث يقول : « حدثنى أبى ، عن أبى العتاهية » و « حدثنى أبى ، أحسبه عن الهيثم بن عدى » .

٢ — أحمد بن سعيد اللحيانى ، صاحب أبى عبيد : القاسم بن سلّام ، وقد حدثه اللحيانى بكتاب الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبى عبيد ، فى سنة ٢٣١ . وكان عمر ابن قتيبة ـ إذ ذاك ـ ثمانية عشر عاما .

٣ — أبو عبد الله : محمد بن سلّام الجمحى البصرى ، صاحب طبقات الشعراء (١٣٩ ـ ٢٣١) .

٤ ـ أبو يعقوب: إسحاق بن إبراهيم ، المعروف بابن راهويه (١٦١ ـ ٢٣٨) . وهو إمام جليل فى الفقه والحديث . صحب الشافعى وناظره ، وروى عنه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى، والنسائى ، وأحمد بن حنبل الذى قال عنه : « لا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً » .

٥ — حرملة بن يحيى التجيبى ، صاحب الشافعى (١٦٦ – ٢٤٣) .

٦ ـ القاضى يحيى بن أكثم ، المتوفى سنة ٢٤٢ . وقد أخذ ابن قتيبة عنه بمكة .

٧ — أبو عبد الله: الحسين بن الحسين بن حرب السلمى المروزى ، المتوفى سنة ٢٤٦ .

٨ — دعبل بن على الخزاعى الشاعر (١٤٨ – ٢٤٦) .

٩ — أبوعبد الله: محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلى البصرى المتوفى سنة ٢٤٨ .

١٠ — أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادى ، تلميذ سيبويه ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ؛ المتوفى سنة ٢٤٩ .

١١ — أبو حاتم : سهل بن محمد السجستانى ، المتوفى سنة ٢٤٨ أو ٥٠ أو ٥٥ .

قال الأزهرى فى مقدمة التهذيب ص ١١ : « وكان أبو حاتم السجستانى أحد المتقدمين ، جالس الأصمعى ، وأبا زيد ، وأبا عبيدة . وله

مؤلفات حسان ، وكتاب فى قراءة القرآن جامع ... وقد جالسه شِمْر ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ؛ ووثقاه » .

١٢ — محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادى البصرى ، الملقب بيؤيؤ ، المتوفى سنة ٢٥٢ .

١٣ — أبو يعقوب : إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى البصرى ، المتوفى سنة ٢٥٣ .

١٤ — أبوعبدالله: محمد بن يحيى بن أبى حزم القُطَعِىُّ البصرى ، المتوفى سنة ٢٥٣ .

١٥ — أبو الخطاب : زياد بن يحيى بن زياد الحسّانى البصرى ، المتوفى سنة ٢٥٤ .

١٦ — شبابة بن سوار ، المتوفى سنة ٢٥٤ .

١٧ — أبو عثمان الجاحظ ، المتوفى سنة ٢٥٤ . وقد أجاز ابن قتيبة ببعض كتبه ، كما صرح به ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، حيث يقول ٣/١٩٩ و ٢١٦ و ٢٤٩ : « وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر : من كتبه ؛ قال ... » .

١٨ — أبو يعقوب: إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشَّهيد البصرى ، المتوفى سنة ٢٥٧ .

١٩ — أبو طالب زيد بن أخزم الطائى البصرى ، الذى قتله الزنج فى سنة ٢٥٧ .

٢٠ — أبو الفضل: العباس بن الفرج الرياشي ، تلميذ الأصمعي ؛ الذي قتله الزنج بالبصرة وهو قائم يصلي في مسجده ، سنة ٢٥٧ .

٢١ — أبو سهل الصفّار: عبدة بن عبد الله الخزاعي الكوفي، نزيل البصرة ، المتوفى سنة ٢٥٨ .

٢٢ — عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي ، المتوفى سنة ٢٦٠ .

٢٣ — أبو بكر: محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبي البصري الضرير.

٢٤ — أبو سعيد: أحمد بن خالد الضرير قال أبو منصور الأزهري عنه في مقدمة التهذيب ص ١١ : « وكان طاهر بن عبد الله استقدمه من بغداد ، فأقام بنيسابور ، وأملى بها كتباً في معاني الشعر والنوادر . وردّ على أبي عبيد حروفا كثيرة من كتاب غريب الحديث . وكان لقي ابن الأعرابي ، وأبا عمرو الشيباني ، وحفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة . وقدم عليه القتيبي : فأخذ عنه » .

٢٥ — عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ابن أخي الأصمعي ، الذي عده الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين .

* * *

أخذ ابن قتيبة عن هؤلاء الأعلام ، كما أخذ عن غيرهم ممن أعرب عن أسمائهم ، وممن أبهمها واكتفى بأن يقول : « حدثنا بعض مشايخنا » أو نحو

ذلك . كما أخذ عن الكتب المسموعة وغير المسموعة من كتب العرب والعجم . وهذه ينابيع ثقافته الغزيرة ، ومناهل معارفه الجمّة .

وليس يكفى أن يكون الإنسان جم المعرفة ، غزير الثقافة ، ليكون مؤلفاً ممتازاً بل لابد له — مع ذلك — من طبيعة مواتية ، وفكر مرتب ، وعقل مركز ، وذوق مصفى ، وذهن ناقد ، وبيان ساحر ، وحافز نفسى غلاب . وكل ذلك قد توافر لابن قتيبة ، وتهيأ له ؛ فمكّنه من أن يؤلف كتباً عظيمة : امتازت بالأصالة والجدّة ، والطرافة والدقة ، وحسن الترتيب والتنظيم . وكانت لوناً جديداً خلا من شوائب الاستطراد والتخليط ومساوى التأليف والتصنيف .

* * *

صنف ابن قتيبة مصنفات كثيرة ، بلغت عدتها — فيما يقول أبو العلاء المعرى — : خمسة وستين مصنفاً ، نذكر من أنبائها ، ماعلمناه ، فيما يلى :

(١) كتاب الوزراء :

لم يذكره أحد ممن ترجم له ، وقد ذكره ابن منظور فى لسان العرب ١٤٣/١٣ ، إذ يقول : « والعرب تسمى من يعمل جفون السيف خلّالا . وفى كتاب الوزراء لابن قتيبة فى ترجمة أبى سلمة : حفص بن سليمان الخلال فى الاختلاف فى نسبه ، فروى عن ابن الأعرابى أنه منسوب إلى خلل السيوف من ذلك » .

(٢) كتاب آلة الكتاب :

لم يذكر كذلك فى ترجمته ، وقد ذكره ابن السِّيد البطليوسى فى الاقتضاب حيث يقول ص ٨٧ : « ويقال للشحمة التى تحت برية القلم : الضرَّة ، شبهت بضرَّة الإبهام ، وهى اللحمة فى أصلها . كذا قال ابن قتيبة فى « آلة الكتاب » وهو المعروف ، وخالف ذلك فى « أدب الكتاب » فقال : الألية : اللحمة التى فى أصل الإبهام ، والضرَّة : اللحمة التى تقابلها » وفى ص ٨٨ : « وقال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب : آلة الكتاب ... » وفى ص ٥٩ : « وقد ذكر ابن قتيبة هذا الكلام فى آلة الكتاب وغير ذلك من كتبه » وكذلك ذكره فى ص ٨٤ .

(٣) كتاب صناعة الكتابة :

وهو غير معروف كسابقيه ، ولكن نقل منه الخزاعى فى كتابه « تخريج الدلالات السمعية » ص ٣٥٨ عند كلامه على كلمة ديوان وأن جمعها دواوين ودياوين : « وقال ابن قتيبة فى صناعة الكتابة : وإنما جمعوه بالياء على لفظه . قال : وداله بالكسر ولا تفتح » .

ومما يوثق صحة هذا النقل من صناعة الكتابة ، وأنه كتاب غير أدب الكتاب ـ أن الخزاعى ذكر فى الباب الرابع من كتابه ، وهو الذى عقده لذكر أسماء التواليف التى خرّج منها كتابه ـ فى كتب اللغة « أدب الكاتب لأبى محمد : عبد الله بن مسلم بن قتيبة » ، وفى كتب الأدب : « عيون الأخبار لابن قتيبة والمعارف له . . وصناعة الكتابة لأبى جعفر أحمد ابن محمد بن النحاس ، وصناعة الكتابة لابن قتيبة » .

(٤) كتاب الوحش :

ذكره ابن قتيبة فى « الأنواء » ص ٤١ حيث يقول : « قال ابن مضرّس الأسدى :

ويوم من الشعر كأن ظباءه كواكب مقصور عليها صقورها

يريد أنها قد كنست . وقد ذكرت هذا فى كتاب « الوحش » بأكثر من هذا الشرح » .

(٥) كتاب الصيام :

ذكره أيضاً فى الأنواء ص ١١٨ حيث يقول : « ويتعرف من المنازل بأن الهلال إذا طلع فى أول ليلة من شعبان فى « الشرطين » فإن كان شعبان تاماً طلع فى أول ليلة من شهر رمضان فى « الثريا » وإن كان شعبان ناقصاً طلع فى « البطين » وهذا أمر يضيق ويصعب على الناس ، ويكثر فيه التنازع والاختلاف؛ فنسخه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقوله: إذاغم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين . وقد ذكرتُ مثل هذا فى الكتاب الذى ألفته فى الصيام » .

(٦) كتاب غريب الحديث :

وكان إلى منتصف القرن الرابع ، يعد ثانى اثنين ذهبا بإعجاب العلماء وتقديرهم فى هذا الفن .

قال أبو سليمان الخطابى فى مقدمة كتاب غريب الحديث : « فكان أول من سبق إليه ، ودل عليه أبو عبيد : القاسم بن سلام ؛ فإنه قد انتظم عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماما لأهل

الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون . ثم انتهج نهجه أبو محمد: عبدالله ابن مسلم بن قتيبة ، فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتابا لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق » .

ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب أبى عبيد إلا مادعت إليه حاجة من زيادة شرح وبيان ، أو استدراك أو اعتراض . فجاء مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر منه .

وقد قال ابن قتيبة فى مقــــدمته : « وكنت زمانا أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ، وأن الناظر فيه مستغن به . ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة ، فوجدت ما ترك نحواً مما ذكر ؛ فتتبعت ما أغفل ، وفسرته على نحو مما فسر . وأرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال » .

ثم قال الخطابى بعد أن ذكر جماعة من مصنفى الغريب وأثنى عليهم : « ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التى ذكرناها ، أن يكون شىء منها على منهاج أبى عبيد فى بيان اللفظ ، وصحة المعنى ، وجودة الاستنباط ، وكثرة الفقه . ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة فى إشباع التفسير ، وإيراد الحجة ، وذكر النظائر ، وتخليص المعانى » .

ولم يبق من غريب الحديث إلا الثلث الأول والثلث الأخير ، فى الخزانة الظاهرية بدمشق برقمى ٣٤ ، ٣٥ ـ لغة .

وقد ذكره ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب ص ٧٠ وكتاب عيون

الأخبار ٢/٢٤٤ ، ٤/٩ وكتاب الأشربة ص ١٠٩ وكتاب تأويل مختلف الحـــديث ص ١٤ ، ٢١١ ، ٢٦٨ وكتاب المسائل ص ١٥ وكتاب الشعر والشعراء ٢/٦٨٤ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٨ ، ٥٨ ، ٩٩ ، ٢٠٥ .

وقد ألف الحسن بن عبد الله الأصبهانى ، المعروف بلغدة ، كتاباً فى نقده أسماه « الرد على ابن قتيبة فى غريب الحديث » .

(٧) إصلاح الغلط فى غريب الحديث لأبى عبيد .

استدرك ابن قتيبة فيه على أبى عبيد فى نيف وخمسين موضعاً ، وهذا الكتاب ـ فيما أرى ـ من أهم كتب ابن قتيبة وأعظمها أثراً فى تاريخه ، فقد تعاظم كثير من العلماء ـ فى عصره وبعد عصره ـ أن يعرض مثله بالنقد لأبى عبيد .

وترجع قيمته كذلك ، إلى أنه من بواكير كتب النقد العلمى .

وقد قدم له بمقدمة رائعة ، مليئة بالمعانى والأفكار ، وبدأها بدءاً ظريفاً إذ يقول : « لعل ناظراً فى كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته ، ويربأ بأبى عبيد ، رحمه الله ، عن الهفوة ، ويأبى له الزلة ، ويتحشم قَضْبَ العلماء ، وهتك أستارهم . ولا يعلم ما تقلدناه من إكمال ما ابتدأ : من تفسير غريب الحديث ، وتشييد ما أسس ، وأن ذاك هو الذى ألزمنا إصلاح الفساد ، وسد الخلل . على أنا لم نقل فى ذلك الغلط : إنه اشتمال على ضلالة ، أو زيغ عن سنة . وإنما هو فى رأى قضى به على معنى مستتر ، أو حرف غريب مشكل .

وقد يتعثر في الرأى جِـلّة أهل النظر والعلماء المبرزون ، والخائفون لله الخاشعون ؛ فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ـ وهم قادة الأنام ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكمة ، وأولى البشر بكل فضيلة ، وأقربهم من التوفيق والعصمة ـ ليس منهم أحد قال برأيه فى الفقه إلا وفى قوله ما يأخذ به قوم ، وفيه ما يرغب عنه آخرون ... وكذلك التابعون ... والناس يختلفون فى الفقه ، ويرد بعضهم على بعض فى الحلال أنه حرام ، وفى الحرام أنه حلال وهذا طريق النجاة أو الهلكة ؛ لا كالغريب والنحو والمعانى التى ليس على الهافى فيها كبير جناح ؛ كالشافعى يرد على الثورى ، وأصحاب الرأى ، وعلى معلمه مالك بن أنس .

وأبو عبيد يختار من أقاويل السلف فى الفقه ، ومن قراءتهم ، ويرذل منها ، ويدل على عورات بعضها بالحجج البينة .

وعلماء اللغة أيضاً يختلفون ، وينبه بعضهم على زلل بعض. والفرّاء يرد على إمامه الكسائى ، وهشام يرد على الفراء ، والأصمعى يخطئ المفضل ... وهذا أكثر من أن يحاط به ، أو يوقف من ورائه .

ولا نعلم أن الله عز وجل أعطى أحداً من البشر موثقاً من الغلط ، وأماناً من الخطأ ، فنستنكف له منها ، بل وصل عباده بالعجز ، وقرنهم بالحاجة ، ووصفهم بالضعف والعجلة ، فقال: ﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفا﴾ و﴿خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ﴾ ، ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ .

ولا نعلمه خص بالعلم قوماً دون قوم ، ولا وقفه على زمن دون زمن ، بل جعله مشتركا مقسوماً بين عباده ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول ، وينبه المقل منه على ما أغفل عنه المكثر ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم ، وتال يعتبر على ماض .

وأوجب على كل من علم شيئاً من الحق أن يظهره وينشره ، وجعل ذلك زكاة العلم ، كما جعل الصدقة زكاة المال . وقد قيل : اتقوا زلة العالم ؛ وزلة العالم لاتعرف حتى تكشف ، وإن لم تعرف هلك بها المقلدون ؛ لأنهم يتلقونها من العالم بالقبول ، ولا يرجعون إلا بالإظهار لها ، وإقامة الدلائل عليها ، وإحضار البراهين .

وقد يظن من لا يعلم من الناس ، ولا يضع الأمور مواضعها أن هذا اغتياب للعلماء ، وطعن على السلف ، وذكر للموتى ؛ وكان يقال : اعف عن ذى قبر . وليس ذاك كما ظنوا ؛ لأن الغيبة سب الناس بلئيم الأخلاق ، وذكرهم بالفواحش والشائنات . وهذا هو الأمر العظيم المشبه بأكل اللحوم الميتة . فأما هفوة فى حرف ، أو زلة فى معنى ، أو إغفال ، أو وهم أو نسيان ـ فمعاذ الله أن يكون هذا من ذلك الباب ، أو أن يكون له مشاكلا أو مقاربا ، أو يكون المنبه عليه آثما ؛ بل يكون مأجوراً عند الله ، مشكوراً عند عباده الصالحين ، الذين لا يميل بهم هوى ، ولا تدخلهم عصبية . ولا يجمعهم على الباطل تحزب . ولا يلفتهم عن استبانة الحق حسد . وقد كنا زماناً نعتذر من الجهل . فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم ؛ وكنا نؤمل شكر الناس بالتنبيه والدلالة فصرنا نرضى بالسلامة . وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال . ولا ينكر مع تغير الزمان ؛ وفى الله خلف . وهو المستعان .

ونذكر الأحاديث التى خالفنا الشيخ أبا عبيد ، رحمه الله ، فى تفسيرها . على قلتها فى جنب صوابه . وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه ؛ معتدين فى ذلك بأمرين ، أحدهما : ما أوجبه الله على من علم فى علمه . والآخر : ألا يقف

ناظر فى كتبنا على حرف خالفناه فيه ، فيقضى علينا بالغلط . ونحن من ذلك ، إن شاء الله سالمون . وما أولاك ـ رحمك الله ـ بتدبر ما نقول ، فإن كان حقا ، وكنت لله مريداً ـ أن تتلقاه بقلب سليم . وإن كان باطلا ، أو كان فيه شيء ذهب عنا ـ أن تردنا عنه بالاحتجاج والبرهان ، فإن ذلك أبلغ فى النصرة ، وأوجب للعذر ، وأشفى للقلوب » .

(٨) تفسير غريب القرآن :

وهو فى حقيقة أمره متمم لمشكل القرآن . وقد قال ابن قتيبة فى المشكل ص ٢٥ : « وأفردت للغريب كتاباً كيلا يطول هذا الكتاب » .

وقال فى مقدمة الغريب : « نفتتح كتابنا هـذا بذكر أسمائه الحسنى . وصفاته العلى ؛ فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما . ونتبع ذلك ألفاظا كثر تردادها فى الكتاب لم نر بعض السور أولى بها من بعض . ثم نبتدئ فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله ؛ إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً بحمد الله . وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا أن نختصر ونكمل ، وأن نوضح ونجمل ؛ وألا نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ، وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد . فإنا لو فعلنا ذلك فى نقل الحديث: لاحتجنا أن نأتى بتفسير السلف، رحمة الله عليهم ، ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التى ألفها نقلة الحديث ... » .

ثم ذكر أنه لم يذكر اختلاف العلماء ، ولم يقم الدلائل على المختار منها . لأنه لو تكلف ذلك لأسهب فى القول ، وأطال الكتاب ، وقطع منه طمع المتحفظ ، وباعده من بغية المتأدب .

ثم ذكر أن كتابه هذا مستنبط من كتب المفسرين ، وكتب أصحاب اللغة العالمين . لم يخرج فيه عن مذاهبهم . ولم يتكلف فى الحروف التى ذكرها إلا اختيار أولى الأقاويل فى اللغـــة ، وأشبهها بقصة الآية . وبين أنه نبذ منكر التأويل ، ومنحول التفسير . ثم سرد نماذج مختلفة من هذا المنكر والمنحول . وقال على إثره : « وبالله نستعين ، وإياه نسأل التوفيق للصواب » .

(٩) كتاب الأنواء :

ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى ١/٣٧٥ ، ٧٣٨ .

وقال فى مقدمته :

« هذا كتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب فى علم النجوم : مطالعها ومساقطها ، وصفاتها وصورها ، وأسماء منازل القمر منها وأنوائها ، وفرق ما بين يمانيها وشاميها ، والأزمنة وفصولها ، والأمطار وأوقاتها . واختلاف أسمائها فى الفصول ، وأوقات التّبدّى لتتبع مساقط الغيث ، وارتياد الكلإ . وأوقات حضور المياه . وما أودعته العرب أسجاعَها فى طلوع كل نجم : من الدلالات على الحوادث عند طلوعه . وعن الرياح وأفعالها . وتحديد مهابها . وأوقات بوارحها . وعن الفلك والقطب والمجرّة والبروج والنجوم . والخُنّس . والشمس والقمر ودَرَارِىّ الكواكب ومشاهرها . والاهتداء بها . وعن السحاب ومخائله ، ماطره ومُخْلِفه ، والبروق : خُلَّبها وصادقها ؛ وأَمارات خصْب الزمان وجُدوبته . إلى غير ذلك .

وكان غرضى فى جميع ما أتيت به، الاقتصار على ماتعرف العرب فى ذلك وتستعمله ، دون مايدعيه المنسوبون إلى الفلسفة من الأعاجم ، ودون مايدعيه أصحاب الحساب ؛ فإنى رأيت علم العرب هو : العلم الظاهر للعيان ، الصادق عند الامتحان ، النافع لنازل البر ، وراكب البحر ، وابن السبيل . يقول الله جل وعز : ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر﴾ فكم من قوم حاد بهم الليل عن سواء السبيل فى لجج البحار ، وفى المهامة والقفار ، حتى أشرفوا على المهلاك . ثم نجاهم الله بنجم أمره ، أو بريح استنشأوها .

وقال ابن أحمر وذكر فلاة :

يُهِلُّ بالفَرْقَدِ رُكْبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المُعْتَمِرْ[1]

وهؤلاء قوم ضلوا الطريق ، وتمادت بهم الحيرة ، حتى خشوا الهلكة، ثم لاح لهم الفرقد فعرفوا به سَمْتَ وجهتهم ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير كما يرفع المُعْتمر صوته بالتلبية .

ويقال : إن أعلم العرب بالنجوم: كلب وبنو شيبان، وإن العلم من كلب فى ماوية ، ومن شيبان : فى مُرَّة .

صحبنى رجل من الأعراب فى فلاة ليلا ، فأقبلتُ أسأله عن محال قوم من العرب ومياههم ، وجعل يدلنى على كل محلة بنجم ، وعلى كل خباء بنجم ، فربما أشار إلى النجم وسمّاه ، وربما قال لى : تراه ، وربما قال لى؛ وَلِّ وجهك كذا — أى : اجعل مسيرك بنجم كذا — حتى تأتيهم . فرأيتُ النجوم تقودهم إلى موضع حاجاتهم ، كما تقود مَهَايع الطريق سالك العمارات

ولحاجتهم إلى التقلب فى البلاد ، والتصرف إلى المعاش ، وعلمهم أن لا تقلب ولا تصرّف فى الفلوات إلا بالنجوم — عُنُوا بمعرفة مناظرها .

ولحاجتهم إلى الانتقال عن محاضرهم إلى المياه ، وعلمهم أن لا نُقلة إلا لوقتٍ صحيح يوثق فيه بالغيث والكلإ — عُنُوا بمطالعها ومساقطها .

هذا مع الحاجة إلى معرفة وقت الطَّرْق ، ووقت النّتاج ، ووقت الفِصَال ووقت غَوْر مياه الأرض وزيادتها ، وتأبير النخل ؛ ووقت يَنْع الثمر ، ووقت جِداده ، ووقت الحصاد ، ووقت وباء السنة فى الناس، وفى الإبل، وغيرها من النَّعَم ؛ بالطلوع والغروب .

وقد يحتاج نازل المدن ، وسالك العمارات — وإن كان مستغنياً فى بعض الأحوال عن هذا الشأن — إلى معرفته ، مُسْتَظْهِراً به النوائب فى الأسفار والنكبات ، ومعرفة مايعرفون : من علامات الخصب والجدْب ، وعلامات السحاب الماطر ، والسحاب المُخْلِف ، والبروق الصادقة والكاذبة ، والرِّياح اللاقِحَة والحائلة : ومعرفة المغارب والمشارق ، والزّوال ، والفَجْرَين ، والشَّفَقَيْن ؛ ومعرفة سَمْت القبلة .

وقد كان هذا الشأن عزيزاً ، والمَعْنيُّون به قليلا ؛ والأدب غَضٌّ ، والزمان زمان — فكيف به اليوم : مع دُثُور العلم ، وموت الخواطر ، وإغراض الناس ؟! .

وقد قيَّدت بهذا الكتاب أطرافاً : من هذا الفن ؛ أدركتُ بعضها بالتوقيف ، وبعضها بالاعتبار ؛ واستخرجت بعضها من الأشعار ؛ ونبهت على

إغفال من أغفل من الشعراء ، وخالَفَ ماعليه أكثرهم ، لشبهة دخلت عليه .

وما أبرّأ إليك بعدُ من العَثْرَة والزّلة ، وما أستغنى منك — إن وقفت على شىء — من التنبيه والدلالة ؛ ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط ، فإن هذا الفن لطيف خفىّ ، وابن آدم إلى العجز والضعف والعجلة ﴿ وَفَوْقَ كلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم ﴾ . ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإياك بالعلم ، ويعرّفنا قدره ؛ ويجعل شغلنا بالعمل المقرّب منه ، ويؤتينا بفضله أفضل ما آتاه من أمَّله بخير نيَّة ، وأرشد هدًى إليه ، إنه الواسع الكريم » .

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب « الأنواء » من كتبه : كتاب « تأويل مشكل القرآن » فقد ذكر فى ص ٩ رأيا فى قوله تعالى : ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾ ثم قال : « وهو قول أبى عبيدة ، وهذا قول قد بينت فساده فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن » .

ولم ينص فى المشكل على أن هذا الرأى لأبى عبيدة ، بل نسبه « لبعض أهل اللغة » وقد قلت فى التعليق عليه : « يلوح لى أن ابن قتيبة يقصد بقوله هذا أبا عبيدة . . . راجع تأويل مشكل القرآن ص ١٥٣ — ١٥٧ .

وذكر أيضاً كتاب الميسر والقداح فى ص ١٠ ؛ فإنه أنشد قول الراعى :

إذا لم يكن رِسْلٌ يعود عليهمُ   ضربنا لهم بالشَّوْحَطِ المتقوّبِ

ثم قال : « والشوحط المتقوب : يعنى القداح التى يضرب بها . وقد بينت هذا فى كتاب الميسر » . وما أشار إليه موجود فى كتاب الميسر والقداح ص ٥٢ .

وذكر أيضاً كتاب «الوحش» فى ص ٤١ ؛ وهو من الكتب المفردة .

(١٠) كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها :

ذكره ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ٨/١ ، ٥٠ ، وفى عيون الأخبار ١٨٥/٢ ؛ ونقل منه نتفة فى وصف الشعر . وقد طبع قسم : مما وجد منه ، فى كتاب رسائل البلغاء للأستاذ محمد كرد على .

(١١) كتاب الميسر والقداح :

ذكره ابن قتيبة فى كتاب إصلاح الغلط (لوحة ٢٦ — ب) ؛ حيث يقول : « وقد ذكرت هذا فى كتاب الميسر بأكثر من هذا الشرح ، ولم يحتمل هذا الكتاب أن نتجاوز فيه مقدار ماذكرنا . فإذا آثرت أن تعرف أمر الميسر وكيفيته ، ويضح لك ماذكرته فى هذا الحديث أكثر من هذا الوضوح — : نظرت فى ذلك الكتاب إن شاء الله » .

وقد طبعه الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٢ هـ .

(١٢) كتاب المعارف :

ذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار . وقد طبع مرارا ؛ وأول من طبعه المستشرق « وستنفل » سنة ١٨٤٠ م .

وقد جاء فى مقدمة كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١ : عن أحمد بن عبيدالله بن أحمد قال: «أملى علينا أبو بكر : محمد بن يحيى الصولى، رحمه الله، هذا الكتاب ؛ وكان سبب إملائه إياه علينا : أن رجلا ممن كان يحضر

مجلسه ، يحضر مجلس أبى بكر : محمد بن القاسم الأنبارى ، رحمه الله ؛ فرأى يوما فى يده كتابا ، فأخذه يقرأه ، فوجد مجلداً من كتاب الزاهر ؛ فقال : هذا منقول من كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ؛ كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه فى المعارف ، من كتاب المحبر لابن حبيب ... » . وقد طبع كتاب المحبر فى الهند سنة ١٣٦١ هـ . بتصحيح الدكتورة إيلزه ليحتن شتيتر إحدى العالمات بأمريكا . وقد قرأت كتاب المحبر ، وقارنت بينه وبين المعارف ؛ فتبينت تجنى الصولى ، وإسرافه فى قوله : إن المعارف منقول منه . وتفصيل القول فى ذلك يقع فى موضعه : من مقدمة طبعة المعارف إن شاء الله . وأظن أن المسعودى يقصد كتاب المعارف ، فى كلامه على تاريخ أبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ؛ حيث يقول : « إن ابن قتيبة أخذ ماذكره ، وجعله عن نفسه » .

وقد ذكر ابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء ، فى كتاب المعارف ص ٢٣٨ .

(١٣) كتاب عيون الأخبار :

وفيه عشرة كتب :

كتاب السلطان	كتاب الزهد
« الحرب	« الإخوان
« السؤدد	« الحوائج
« الطبائع والأخلاق	« الطعام
« العلم	« النساء

وقد طبعته دار الكتب المصرية فى سنة ١٣٤٣هـ، طبعة يشيع فيها التصحيف والتحريف . ولعل مرد ذلك إلى أنه من أوائل الكتب التى تولى القسم الأدبى تحقيقها . وقد أشار ابن قتيبة فى مقدمته إلى كتاب الأشربة ، كما أشار إليه فى ١/٣٢٥ ، وإلى كتاب أبيات المعانى ١/١٥٨ وكتاب الشعر والشعراء ٢/١٨٥ ، ٣/٢٤٧ ، وكتاب العرب ٢/١٨٥ ، وكتاب غريب الحديث ٢/٢٤٤ ، ٤/٩ .

وقال أبو بكر بن دريد ، وقد تذاكر مع جماعة من جلسائه متنزهات الدنيا ، وسمّى كل منهم أنزه مكان رآه : « هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم عن متنزهات القلوب ؟ فقالوا له: وما هى؟ فقال: عيون الأخبار لِلْقُتَبِىّ ، والزّهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبى طاهر » .

(١٤) كتاب أدب الكاتب :

ويحتوى على أربعة كتب :

كتاب المعرفة — كتاب تقويم اللسان

» تقويم اليد — » الأبنية

وقد طبع منه اثنا عشر بابا فى ليبزج سنة ١٨٧٧م ، ثم طبع كاملا فى ليدن سنة ١٩٠١ م ، وطبع بعد ذلك بمصر مراراً .

وقد شرح خطبته أبو الكرم المبارك بن الفاخر المتوفى سنة ٥٠٠ هـ .

وأبو القاسم : عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ . ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية كتبت سنة ٥٨٦ هـ .

وشرح أبياته أحمد بن محمد الخارزنجى المتوفى سنة ٣٤٨ .

وقد شرحه أبو محمد : عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٤٢١ هـ وسمى شرحه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب . وقد جعله ثلاثة أجزاء ، قصر الأول منها على شرح الخطبة ، والثانى على التنبيه على الأغلاط ، والثالث على شرح الأبيات . وقد طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م

وجاء فى بغية الوعاة ـ فى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن المرسى أبى العباس ابن بلال المتوفى قريباً من سنة ستين وأربعمائة ـ : « ونسب إليه ابن خلصة النحوى شرح أدب الكاتب المسمى بالاقتضاب ، وذكر : أن ابن السيد البطليوسى أغار عليه وانتحله » . وقد شرحه أيضاً أبو منصور : موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ؛ وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ، وقدم له المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى .

كما شرحه سليمان بن محمد الزهراوى تلميذ أبى القاسم الزجاجى .

وشرحه أبو إبراهيم : إسحاق بن إبراهيم الفارابى : صاحب ديوان الأدب .

وشرحه أبو جعفر : أحمد بن داود بن يوسف الجذامى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وشرحه أبو الحزم : الحسن بن محمد بن يحيى بن عليم البطليوسى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ .

وقد ألف أبو الحسن : محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان — : كتابا فى نقده ، أسماه : « غلط أدب الكاتب » .

وقال ابن خلدون فى مقدمته ص ٥٥٣ أثناء كلامه على علم الأدب : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم : أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين ، وهى أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى، وماسوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها ! » .

وقال ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ٢/٢٤٧ : « والناس يقولون: إن أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ، و « إصلاح المنطق » كتاب بلا خطبة . وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فإن أدب الكاتب قد حوى من كل شىء ، وهو مُفَنَّن ، وما أظن حَمَلهم على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة ، والإصلاح بغير خطبة .. » .

(١٥) كتاب الشعر والشعراء :

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٥ م ؛ ثم أعيد طبعه فيها سنة ١٩٠٢ م بتحقيق المستشرق الكبير دى غويه : وطبع بعد ذلك فى مصر وفى غيرها ، وكان آخرها طبعة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر التى طبعها فى مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٦٤ ، ١٣٦٦ ؛ وهى فى جزءين عرضت لها بالنقد فى مجلة الكتاب فى عدد يونية ١٩٤٦ صفحة ٢٩٥ ـ ٣٠٩ وعدد ديسمبر ١٩٥٠ م ، صفحة ٩٢٨ — ٩٣٤ .

وقد ذكر ابن قتيبة فى هذا الكتاب — من كتبه — : كتاب الأشربة ١/١٣٨ ، ٢/٨٢٧ ، وكتاب العرب ١/٨ ، ٥٠ ، وكتاب غريب الحديث ٢ / ٦٨٤ .

(١٦) كتاب المسائل والأجوبة ، فى الحديث واللغة :

طبعه الأستاذ حسام الدين القدسى . فى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ هـ .

ويبدو أن هذه الطبعة غير كاملة ؛ لأنى وجدت ابن السيد قد نقل منه نصاً فى ص ٧ ٢ ليس له أثر فيها .

وقد أشار ابن قتيبة فى هذا الكتاب ، إلى غريب الحديث ص ١٥ .

(١٧) كتاب الاختلاف فى اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة :

وقد طبعه القدسى فى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ هـ بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

(١٨) كتاب تأويل مشكل الحديث :

رواه عنه حفيده عبد الواحد بن أحمد كما فى فهرس ابن خير ١٩٩ ـ ٢٠٠

طبع بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ، باسم : « تأويل مختلف الحديث » .

وهو كتاب فريد ، تحدث فيه عن موقف علماء الكلام من أهل الحديث، وما تحدثوا عنهم به : من شتى التهم والمثالب ؛ وعرض بالنقد لما ذهب إليه النظام : من اعتراضه على أبى بكر وعمر وعلى ، وطعنه على ابن مسعود وحذيفة وأبى هريرة . ونقد كذلك ثمامة بن الأشرس ، ومحمد بن الجهم البرمكى

والجاحظ ، وأبا الهذيل العلاف ، وغيرهم ؛ وعرض لأهل الرأى ، وأبان عن منابذتهم للكتاب والسنة . وأدار الجزء الأكبر من كتابه على الأحاديث : التى ادعى عليها التناقض والاختلاف ومخالفة القرآن ؛ والأحاديث : التى زعموا أن النظر يدفعها ، وحجة العقل تدمغها ؛ فكشف عن معانيها التى صرفهم عن فقهها: الهوى الجموح ، ولفتهم عن وجه الحق فيها : إلحاد الضمائر والقلوب والعقول .

(١٩) كتاب الأشربة[١] :

طبعه المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٢٦٦ هـ ، بتحقيق الأستاذ محمد كرد على ؛ وهى طبعة رديئة ، مليئة بالتصحيف والتحريف ؛ وقد نقدت بعض ما فيها فى سلسلة مقالات نشرتها بمجلة الرسالة سنه ١٩٤٩ م فى العدد ٨٢٩ وما بعده .

(٢٠) كتاب المعانى الكبير :

قال ابن النديم : « إنه يحتوى على اثنى عشر كتابا ، منها :

كتاب الفرس ، ستة وأربعون بابا .

« الإبل ، ستة عشر بابا .

« الحرب ، عشرة أبواب .

« القدور ، عشرون بابا .

« الديار ، عشرة أبواب .

« الرياح ، أحد وثلاثون بابا .

---

(١) راجع ابن خير ٢٦١

كتاب السباع والوحوش ، سبعة عشر بابا .

« الهوام ، أربعة عشر بابا .

« الأيمان والدواهى ، سبعة أبواب .

« النساء والغزل ، باب واحد .

« الشيب والكبر ، ثمانية أبواب .

« تصحيف العلماء ، باب واحد » .

وقد طبع ما وجد من هذا الكتاب فى الهند سنة ١٣٦٨ هـ ، فى ثلاثة مجلدات بلغ عدد صفحاتها : ١٢٧٠ صفحة من القطع الكبير ، غير فهارسها .

وقد أشار ابن قتيبة إلى هذا الكتاب ، فى عيون الأخبار ١/١٥٨ ؛ حيث يقول : « وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى ، فى خلق الفرس » ؛ وما أشار إليه موجود فى المعانى ١/١١٠ — ١١٢ .

وقد أشار المعانى إلى كتاب الأنواء ص ٣٧٥ ، ٧٣٨ .

والكتاب الثانى عشر من كتاب المعانى ـ وهو : « تصحيف العلماء » ـ من الأقسام الضائعة من الكتاب ؛ وقد ألف ابن المرزبان عبد الله بن جعفر ابن درستويه (٢٥٨ — ٣٤٧) ، فى نقده ، كتابا جعل عنوانه : « الرد على ابن قتيبة فى تصحيف العلماء » .

(٢١) كتاب عيون الشعر :

قال ابن النديم : « يحتوى على عشرة كتب منها :

كتاب المراتب

« القلائد

« المحاسن

« المشاهد

« الشواهد

« الجواهر

« المراكب » .

(٢٢) كتاب التقفية :

قال ابن النديم : « هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء ، نحو ستمائة ورقة ، بخط برك ، وكانت تنقص ـ على التقريب ـ جزءين ، وسألت عن هذا الكتاب جماعة : من أهل الخط ؛ فزعموا : أنه موجود ؛ وهو أكبر من كتاب البندنيجى ، وأحسن من كتبه » .

(٢٣) كتاب العلم :

قال ابن النديم : « نحو خمسين ورقة » .

(٢٤) كتاب جامع النحو الكبير .

(٢٥) « جامع النحو الصغير .

(٢٦) « الحكاية والمحكى .

(٢٧) « الخيل .

(٢٨) كتاب إعراب القرآن .

(٢٩) « ديون الكتاب .

(٣٠) « فرائد الدر .

(٣١) « خلق الإنسان .

(٣٢) « القراءات .

وقد أشار إليه في تأويل مشكل القرآن ص ٤٥ .

(٣٣) كتاب دلائل النبوة ، ويسميه القاضي عياض في المدارك :

« أعلام النبوة » .

وقد ذكره السخاوى فى الإعلان بالتوبيخ ٩١ ، ورواه عنه قاسم بن أصبغ وابنه أحمد كما فى فهرس ابن خير ص ١٥١

(٣٤) كتاب جامع الفقه .

(٣٥) « حكم الأمثال.

(٣٦) « آداب العشرة .

(٣٧) « التفسير ، ذكره القاضي عياض .

(٣٨) « معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره أبو الطيب الحلبي في مراتب النحويين .

(٣٩) « تأويل الرؤيا ، ذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار .

(٤٠) « استماع الغناء بالألحان .

(٤١) « الرد على القائل بخلق القرآن .

(٤٢) « آداب القراءة .

(٤٣) « الجوابات الحاضرة .

(٤٤) « تأويل مشكل القرآن .

أشار إليه ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ١٩ وفي تأويل مختلف الحديث ص ٨٣ ، ٣١٤ وفي كتاب « الأنواء » ص ٩ وفي كثير من صفحات تفسير غريب القرآن .

وقد ذكر فيه من كتبه : كتاب « القراءات » ص ٤٥ وكتاب تفسير غريب الحديث ص ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٩٩ ، ٢٠٥ ، وكتاب تفسير غريب القرآن ص ٢٥ .

(٤٥) كتاب الجراثيم .

وتوجد منه نسخة خطية عتيقة ، في المكتبة الظاهرية (٥٩ لغة) ، تقع في ٤٤٠ صفحة ؛ كتب عليها : « كتاب الجراثيم ، مستوعب لأسماء أصول العالم والبهائم والوحش والطير والسباع والهوام ، وكل نسمة تعرف ؛ ومتصرفاتهم ، وأفعالهم ؛ وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات ؛ وغير ذلك ؛ والوحوش ، وقوافي الشعر . تأليف : أبي محمد : عبد الله بن مسلم » . ومجلد كتاب الجراثيم هذا يحتوي على عدة كتب لغوية ، نشر منها الأب موريس بويجس كتاب : « النعم والبهائم والوحش والسباع والطير ، وحشرات الأرض » ؛ سنة ١٩٠٨ م ونسبه لأبي عبيد : القاسم بن سلام .

كما نشر الدكتور « أوغست هفنر » كتاب : « النخل والكرم » في مجلة المشرق ، ونسبه للأصمعي . ثم أعاد نشره « الأب لويس شيخو » في

المجموعة اللغوية التي سماها : « البلغة فى شذور اللغة » ولـكنه لم يرتض نسبته للأصمعى ، ونسبه لأبى عبيد ؛ وقال : « ومما يحملنا إلى نسبته لأبى عبيد : أن الشروح للمفردات توافق ماجاء فى لسان العرب والمخصص ، منسوباً لأبى عبيد أكثر منها للأصمعى ؛ ومن المحتمل أيضا : أن يكون الـكتاب لأبى حاتم السجستانى تلميذ الأصمعى ... » .

وقد نشر « شيخو » أيضاً — من كتاب الجراثيم — كتاب :« الرحل والمنزل » ؛ وشك فى نسبته لابن قتيبة ؛ لأنه لم يذكره أحد ضمن مصنفاته ؛ ومال إلى أنه لأبى عبيد؛ لأن معظم مضامين هذا الـكتاب قد رويت فى اللسان والمخصص منسوبة له .

وقد نشر أيضاً منه تلك المجموعة فصلا عنوانه: « أبواب اللبن والشراب»؛ ولم يحاول نسبته إلى أحد غير ابن قتيبة .

ولسنا نستطيع أن نتبين : هل هذه الـكتب المنشورة من كتاب الجراثيم لابن قتيبة ؟ أم هى ملحقة به ؟ : لأنا لم نحصل بعد على صورة منه ؛ كما لا نستطيع كذلك : أن ندفع الـكتاب عن ابن قتيبة ؛ لأن المترجمين له لم يذكروه فى كتبه ؛ ولأن بعض شروح الـكتب التى يحتويها توافق ما نسب فى كتب اللغة لأبى عبيد ، أو للأصمعى ، أو لغيرهما ؛ فمن طبيعة التأليف اللغوى النقلُ ولا سيما عن أعلامها السابقين ؛ ولم يزعم المترجمون ولا زعم لهم زاعم : أن الـكتب التى يذكرونها لمن يترجمون لهم ، هى على سبيل الحصر والاستقراء .

(٤٦) كتاب معانى القرآن :

وقد قرأه عليه قاسم بن أصبغ ، المتوفى سنة ٣٤٠ هـ . وذكره القاضى عياض فى ترجمة ابنه أحمد .

* * *

هذه أسماء كتب ابن قتيبة بعد إسقاط ما كرره المترجمون له : فقد ذكروا له كتباً كثيرة ، وهى فى حقيقة أمرها أجزاء من كتب ؛ ككتاب : « الفرس» الذى ذكره القفطى، وهو من«معانى الشعر» ؛ وكتاب : « تقويم اللسان» الذىأشار إليهصاحب كشف الظنون ، فإنه من «أدب الكاتب» ؛ وكتاب : « المراتب والمناقب » الذى ذكره ابن النديم وهو من « عيون الشعر » ؛ وكتاب : « الأبنية » الذى ذكره القاضى عياض ، فإنه من « أدب الكاتب » .

وعدة الكتب التى ذكرناها هنا : سبعة وأربعون كتابا ، منها أربعة كتب تشتمل علىاثنين وخمسين كتابا ، كما سبق . فأين بقية كتبه التى قال أبو العلاء المعرى : إنها خمسة وستون كتاباً ؟ .

هل هى كتب أخرى مستقلة ضل عن التاريخ ذكرها ؟ أم هى أجزاء من تلك الكتب المشتملة على كتب عدّها العادون كتباً مفردة ؟ . علم ذلك عند علام الغيوب .

ولست أميل إلى تصديق صاحب « التحديث بمناقب أهل الحديث »، فى قوله الذى انفرد به : إن كتب ابن قتيبة زهاء ثلاثمائة كتاب . فلو كان

ذلك كذلك : لاهتم ابن النديم ببيانها ، كما صنع فى تراجم المؤلفين المكثرين: من أمثال أبى عبيدة ، والمدائنى ، وهشام الكلبى .

* * *

وقد نسب إلى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه ؛ وهو كتاب : « الإمامة والسياسة » .

وهل يسيغ هذه النسبة عقل؟مع عرفانه: بأن مؤلف «الإمامة والسياسة» ذكر : أنه استمد معارفه من أناس حضروا فتح الأندلس فى سنة ٩٢ هـ . وأن موسى بن نصير غزا مدينة مراكش فى زمن الرشيد؛ مع أن ابن قتيبة ولد فى سنة ٢١٣ ، ومات فى سنة٢٧٦؛ ولم تبن مدينة مراكش إلا فى سنة٤٥٤ هـ: فى عهد يوسف بن تاشفين ، سلطان المرابطين . ؟! .

إن هذا وحده يدفع نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة ، فضلا عن قرائن وأدلة أخرى كلها يثبت تزوير هذه النسبة .

* * *

وقد نسبت إليه أيضاً : « وصية إلى ولده » ؛ نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مجلة الجامعة الأمريكية ببيروت ، عن مجموعة خطية محفوظة بمكتبة تلك الجامعة ، كتبت فى الإسكندرية سنة ٤٨٦ وقد أقبلت على قراءة هذه الوصية : فرحاً مشوقا ؛ وما إن فرغت من قراءتها حتى كان الشك فى نسبتها إليه قد قرّ قراره فى نفسى ؛ لأن معانيها سطحية مفككة،

وأفكارها ساذجة محتاجة ؛ وأسلوبها يباين أسلوب ابن قتيبة المشرق الرصين وإن شئت فاقرأ فيها قول كاتبها : « يا بنى إذا لقيت أحـــداً من إخوانى وأصحابى : فأقرئهم منى السلام ؛ وأخبرهم عنى بالله عزّ وجلّ ، قال : ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه، كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا ﴾ ، ﴿ فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ . واعلم : أن الله عز وجل بنى داراً لمن لا دار له ، يجمع فيها من لا فعل له ؟ » .

« يا بنى قد صحبت لك طوائف من الناس ، وبلوت أخبارهم ؛ فما رأيت طائفة أجلّ وأعظم قدراً من أهل الفقر إلى الله عز وجل ، والفاقة والمسكنة إلى الله عز وجل ؛ فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك ، وتواضع لهم بجسمك ؛ وتقرب إلى الله عز وجل بالنظر إليهم ، وواسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ؛ فإن الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء ! » .

« وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والمسكنة إلى الله ، واخدمهم بنفسك ، وتحبّب إلى الله عز وجل فى المحبة لهم ، وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ؛ فإن لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة » .

« يا بنى إنى راغب إلى الله فى مسألتى له : أن يجعلك خلفاً من بعدى ، تخلفنى فى علمى ومذهبى . »

« يا بنى طب عن الأمة نفساً ، وارض بالرحمن أنساً ، فما أحد يعدل فى الخبرة فلساً » .

وما أظن إلا أن هذه الفقرات ستثير فى نفسك الشك : إن كنت لكتب ابن قتيبة من القارئين ؛ كما أنى لا أعلم لابن قتيبة مذهباً صوفياً ، يتمنى أن يخلفه ابنه فيه . ولو كان لتحدث عنه الصوفية وغيرهم . على أن هذه « الوصية » قطعة من كتاب لم يصل إلينا كاملا ؛ وآية ذلك ما جاء فى صفحة ٧ : « واعلم يابنى : أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدريّة ، والمرجئة ، والجهمية ، والرافضة ، والخوارج . ومنها تتشعب الفرق كلّها حتى تنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة ؛ للذى جاء به الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة : اثنتان وسبعون منها هالكة ، والواحدة منها ناجية : الذى أنا عليه وأصحابى والجهمية : الذين يقولون : إن القرآن مخلوق ؛ ويؤمنون بالقدر ؛ ويقولون : إن الله عز وجل حالّ فى كلّ شىء ، كالشىء فى الشىء ، وكالروح فى الجسد . والخوارج : هم الذين يقولون بتقديم الشيخين : أبى بكر وعمر ؛ ويرون إمامتهما ، ويتبرءون من عثمان وعلى . وقد بينت وسميت أئمتهم فى هذا الكتاب » .

وليس فى « الوصية » بيان عن الخوارج ، ولا تسمية لأئمتهم ، وكان خليقاً بناشرها أن يشير إلى ذلك .

ولو كانت تلك الوصية لابن قتيبة حقاً . لما كانت إلا لابنه أحمد ؛ ولو

كانت له : لحدَّث بها فيما حدث عن أبيه ، ولأكثر من التحديث بها لأسباب شتى : من حوافز النفس ، ودواعى الاجتماع .

* * *

وكان من شأن ابن قتيبة : أن يخلو إلى نفسه فى بيته ، فيؤلف كتبه ، ويجوّد تأليفها ؛ ثم يخرجها للناس ويُقرِئها لمن شاء : من طلاب علمه وأدبه .

وقد تتلمذ له عدد كبير ، نذكر منهم ما يلى :

(١) ابنه أحمد ، قال القاضى عياض فى ترجمته له فى كتاب « المدارك » : « أبو جعفر بن قتيبة ؛ هو أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى ، البغدادى النشأة . كان مالكىّ المذهب ، من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه ؛ وكان يحفظها كما يحفظ القران ، ويردّ فيها من حفظه النقطة والشكلة : وما معه نسخة ! كان أبوه أبو محمد حفّظها إياه فى اللوح ! وعدّتها أحد وعشرون مصنفاً : كتاب المشكل ، معانى القرآن ، غريب القرآن ، غريب الحديث ، عيون الأخبار ، مختلف الحديث ، التفسير ، الفقه ، المعارف ، أعلام النبوّة ، العرب والعجم ، الأنواء ، طبقات الشعراء ، معانى الشعر ، إصلاح الغلط ، أدب الكتاب ، الأبنية ، النحو ، المسائل ، القراءات .

سمع منه خلق عظيم من الجِلَّة — بالعراق ومصر — كأحمد بن ولّاد ، وأبى جعفر النّحاس ، وأبى عاصم المظفّر بن أحمد ، وأبى على القالى ؛ وغيرهم : من جلّة أهل الأدب والرواية .

وكان مجلسه : لعيون الناس ، وأعيان النبهاء . ولم يكن عنده حديث إلا ما فى كتب أبيه. ولى قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. وردَها: وقد لبس السَّوادَ ؛ وحكم فى جامعها ، واستخلف الفقيه أبا الذكر المالكى على فَرْض النساء . وكان فى خلقه حدَّة . وتوفى فى ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين بمصر ، بعد صَرْفه . وكانت ولايته القضاء بمصر : ثلاثة أشهر .

وله ابن اسمه : عبد الواحد ، روى عن أبيه ؛ سمع منه أبو عبيد الله الوشاء المصرى » .

وقال الخطيب البغدادى ـ فى ترجمة عبد الواحد ٨/١١ : « يكنى عبدُ الواحد : أبا أحمد . ذكر : أنه ولد ببغداد فى سنة سبعين ومائتين ، وانتقل إلى مصر فسكنها ، وروى بها ـ عن أبيه عن جدّه ـ كتبه . سمع منه أبو الفتح بن مسرور البَلْخِى ، وقال: كان ثقة » .

ومن الكتب التى قرأها أبو على القالى (٢٨٨ — ٣٥٦ ﻫ) على أبى جعفر : أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة — : كتاب عيون الاخبار ، وأدب الكاتب .

وقد قرأ عليه كتب أبيه كلّها : أبو القاسم الآمدى ، المتوفى سنة ٣٧٠ﻫ وقد قرأها جميعاً على الآمدى : أبو غالب : محمد بن بُشْرَان بن دينار ، المتوفى سنة ٤٠٩ ﻫ .

قد قرأ على أحمد أيضًا : أبو الفتح : محمد بن جعفر المراغى، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى : شارح خطبة أدب الكاتب .

(٢) أحمد بن مروان المالكى ، المتوفى سنة ٢٩٨ هـ . ومما رواه عنه : كتاب تأويل مختلف الحديث ؛ وقد وصل إلينا بروايته .

(٣) أبو بكر : محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، المتوفى سنة ٣٠٩ هـ .

(٤) أبو القاسم : إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ ، المتوفى سنة ٣١٣ هـ . وقد روى عن ابن قتيبة ، كل مصنفاته .

(٥) أبو محمد : عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكّرى ، المتوفى سنة ٣٢٣ هـ . وقد سمع منه غريب الحديث ، وإصلاح الغلط فى سنة ٦٢٨ هـ . وقد وصل إلينا من روايته عنه ، كتاب المسائل والأجوبة ، وإصلاح الغلط .

(٦) أبو القاسم : عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمى ، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ .

(٧) الهيثم بن كليب الشّاشى ، المتوفى سنة ٣٣٥ هـ . وقد أخذ عنه الأدب خاصة .

(٨) قاسم بن أصبغ الأندلسى (٢٤٧ — ٣٤٠هـ) . الذى رحل إلى المشرق فى سنة ٢٧٤ . وقد قرأ عليه المعارف ، وشرح غريب الحديث .

(٩) عبد الله بن جعفر بن دُرَسْتويه الفَسَوِىّ (٢٥٧ — ٣٥٥هـ) وقد وصل إلينا من رواياته عنه: كتاب الأشربة .

(١٠) أبو القاسم : عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأَزْدِيّ ، المتوفى سنة ٣٤٨ هـ .

(١١) أبو بكر : أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينورى. وقد روى عنه: مختلف الحديث .

(١٢) أبو بكر : أحمد بن محمد بن الحسن الدينورى . قرأ عليه : تأويل مختلف الحديث ؛ كما قال ابن بطّة .

(١٣) أبو عبد الله: محمد بن أبي الأسود البلخى ، المتوفى سنة ٣٤٣ هـ .

(١٤) أبو اليسر : إبراهيم بن أحمد الشيبانى البغدادى ، المتوفى سنة ٢٩٨ هـ .

(١٥) أبو العباس : أحمد بن محمد بن عميرة الأروائى المروزى .

(١٦) أبو العباس : محمد بن على بن أحمد الكرجى مات ٣٤٢ هـ .

(١٧) أبو رجاء : محمد بن حامد بن الحارث البغدادى المتوفى ٣٤٣ هـ .

* * *

هؤلاء هم الذين وقفنا على أنهم تتلمذوا لابن قتيبة ، وقرأوا عليه كتبه كلها أو بعضها ، ونهضوا بأمانة نشرها على الآفاق .

ولقد كان ابن قتيبة ، كريمًا بعلمه ، سمْحًا فى إقراء كتبه ؛ لم يؤثر عنه : أنه حبسها عن طلابها حتى يقبض أجره ، كما أُثِرَ عن قرينه: أبى العباس المبرد (٢١٠ — ٢٨٥) ؛ الذى كان يساوم طلابه ويمتنع عن تحديث جماعتهم : إذا كان فيهم فرد واحد لم يدفع أجره مقدما ؛ ولو كان هذا الفرد غريبًا حَربيًا .

* * *

وظل ابن قتيبة : يقرئ كتبه ببغداد ، إلى حين وفاته فى خلافة المعتمد الذى بويع سنة ٢٥٦ ، ومات سنة ٢٧٩ .

وكان سبب وفاة ابن قتيبة – فيما يقول تلميذه أبو القاسم : إبراهيم الصائغ : « أنه أكل هريسة : فأصاب حرارة ، ثم صاح صيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ، ثم هدأ ؛ فما زال يتشهّد إلى وقت السحر ، ثم مات . وذلك : أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين » .

وقد روى الخطيب البغدادى رواية أخرى عن تاريخ وفاته ، فقال : (١٠/١٧٠) : « قرأت على الحسن بن أبى بكر ، عن أحمد بن كامل القاضى ، قال : ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين » . وهى رواية مدخولة ؛ لأن الثابت الذى لم يشبه شك : أن قاسم بن أصبغ الأندلسى سمع منه لما رحل إلى بغداد ؛ وكانت رحلته فى سنة ٢٧٤ هـ .

وقد جاء فى المنتظم لابن الجوزى ١٠٢/٥ : » وذكر بعض أهل النقل : أنه مات بالكوفة ، ودفن إلى جنب قبر أبى حازم القاضى » ؛ وهو قول مجهول ، لم يعبأ به أحد : من المؤرخين .

وقد جاء فى ص ٢٠٠ من طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر : محمد ابن الحسن الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ : أن ابن قتيبة « توفى سنة ست وتسعين ومائتين » : ولا مراء فى أن « تسعين » محرفة عن « سبعين » .

* * *

لم يتول ابن قتيبة من المناصب ـ فيما علمنا ـ إلا منصب القضاء بالدِّينَوَر ؛ ولذلك قيل له : الدِّينَوَرِىّ . ولسنا نعرف : فى أى سنة تولى قضاء هذه المدينة ، ولا مدة بقائه على قضائها ، ولا سبب خروجه منه ؟ ولا نعلم : من الذى ولّاه ؟ وإن كان يغلب على ظننا : أن الذى ولاه : الوزير أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ؛ وزير المتوكل ثم المعتمد . وكان المتوكل قد استوزر محمد بن الفضل الجرجرائى مديدة بعد قتله لمحمد بن عبد الملك الزيات فى سنة ٢٣٣ هـ ؛ ثم كثرت السعايات به فعزله ، وقال : أريد حدثاً أستوزره ؛ لأنى قد ضجرت من المشايخ . فأشير عليه : بعبيد الله بن يحيى بن خاقان . وظل عبيدالله وزيراً حتى قتل المتوكل فى سنة ٢٧٤ ؛ وفى سنة ٢٤٨ : نكبه الخليفة المستعين ونفاه إلى بَرْقَة ؛ وعاد عبيد الله إلى بغداد سنة ٢٥٣ ؛ ثم استوزره المعتمد فى شعبان سنة ٢٥٦ ، ولبث فى وَزَارته حتى مات ؛ وكان سبب موته : أنه لعب فى الميدان مع خادم له اسمه : « رشيق » ؛ فصدمه : فسقط عبيد الله عن فرسه ، ومات من يومه ؛ فصلى عليه «الموفّق» ومشى فى جنازته ؛ وذلك : يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وستين ومائتين .

وقد كان بين ابن قتيبة وبين عبيد الله ، مودّة حملته على أن يصنّف له كتاب : « أدب الكاتب » ؛ وأن يقول عنه فى مقدمته : « .. فالحمد لله الذى أعاذ الوزيرَ أبا الحسين ـ أيده الله ـ من هذه الرذيلة ، وأبانَهُ بالفضيلة ؛ وحباه بخيم السلف الصالح ؛ وردّاه رداء الإيمان، وغشاه بنوره ؛ وجعله هدى من الضلالات ، ومصباحاً فى الظلمات ؛ وعرّفه ما اختلف فيه المختلفون ، على

سنن الكتاب والسنة؛ فقلوب الخيار به مُغْتَلِقَة، ونفوسهم إليه مائلة وأيديهم إلى الله فيه ـ مظانّ القبول ـ ممتدة؛ وألسنتهم بالدعاء له شافعة: يهْجَع ويستيقظون، ويغفُل ولا يغفلون؛ وحُقّ لمن قام لله مقامه، وصبر على الجهاد صبره، ونوى فيه نِيَّتَهُ ـ : أن يُلبسه الله لباس الضمير، ويُرَدِّيه رداء العمل الصالح، ويَصُور إليه مختلفات القلوب، ويسعده بلسان الصدق فى الآخرين».

والذى رجح ظنى ـ فى أن عبيد الله بن يحيى هو الذى ولى ابن قتيبة قضاء « الدينور » ـ قول أبى القاسم الزجاجى فى شرح خطبة أدب الكاتب ص٣٨ ـ تعقيباً على قول ابن قتيبة. «فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن» ـ : « يعنى: الخاقانى؛ وهو عبيد الله بن يحيى الخاقانى؛ لأنه عمل له هذا الكتاب، فأحسن صلته، واصطنعه وصرّفه ».

وإنى أرى: أن ابن قتيبة ألف « أدب الكاتب » لعبيد الله فى وزارته للمعتمد؛ لا فى وزارته للمتوكل؛ وقد وزر للمعتمد من سنة ٢٥٦ إلى سنة ٢٦٣ هـ. وهذا الرأى الذى ارتأيتُهُ، يتعارض على ماذهب إليه ابن السيد والجواليقى؛ فإنهما ذهبا إلى أنه ألفه له فى وَزارَته للمتوكل؛ حيث يقول ابن السيد فى الاقتضاب ص ٢٤: « يعنى عبيد الله بن يحيى بن خاقان؛ وكان وزير المتوكل فعمل له ابن قتيبة هذا الكتاب، وتوسل به إليه؛ فأحسن عبيد الله صلته، واصطنعه، وعنى به عند المتوكل، حتى صرفه فى بعض أعماله»؛ ويقول الجواليقى فى شرحه ص ٤٤: «يعنى بالوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان،

كاتب المتوكل ؛ لأنه عمل له هذا الكتاب ، فاصطنعه ، وأحسن صلته » .

ولا مراء في أنهما أخطآ في ذلك خطأ مبيناً ؛ والدليل على خطئهما لَاحِبٌ لا ينفذ فيه طعن طاعن ، ولا يَطُورُ به رَيْبُ مُرتاب ؛ فقد قال ابن قتيبة بعيد كلامه على الوزير : « وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتّاب ، اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه ، وارتضاه لسره : فقرأ عليه كتاباً ذكر فيه « حاضرُ طيىء » فصحّفه تصحيفاً أضحك الحاضرين » . وقال ابن السيد في شرحه ص ٢٧ : « هذا الكاتب هو : شجاع بن القاسم ، كاتب أوتامش التركى ؛ وكان يتولى عرض الكتب على المستعين أحمد بن محمد المعتصم . وكان جاهلا لا يحسن القراءة » . وقال الجواليقى فى ص ٤١ : « هذا : شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركى ؛ قرأ على المستعين ، وصحّف هـــذه اللفظة ، فقال : حاء ضرطى » . ولو قد فطن ابن السيِّد والجواليقى لما نقلاه عن الزجاجى: من أن ابن قتيبة يقصد بالكاتب: شجاع ابن القاسم ؛ وبالخليفة : المستعين ؛ لما ترديا فى هذا الخطأ ؛ فإن المستعين : قد بويع بالخلافة سنة ٢٤٨ ، وخلع فى سنة ٢٥٢ هـ .

فكَيف يتصور أن يؤلف ابن قتيبة هذا الكتاب لعبيد الله أيام وزارته للمتوكل ، مع أنه يذكر فى مقدمته قصة جرت للخليفة المستعين مع كاتبه شجاع بن القاسم ؟ ! حقا إن هذا لشيء عجاب .

* * *

وقد اتصل ابن قتيبة بالأمير : محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فأغدق عليه

من معروفه ، لعرفانه بقدره ، ولأن إكرام العلماء والأدباء سجية من سجاياه النبيلة، ورثها عن أبيه عبدالله بن طاهر ، أمير خراسان ، المتوفى سنة ٢٣٠هـ.

ومن مظاهر إكرام عبد الله للعلماء : مواقفه الخالدة مع أبى عُبيد : القاسم بن سلام ، المتوفى سنة ٢٢٣ هـ . عرض عليه أبو عبيد كتابه : « غريب الحديث » ؛ فاستحسنه وقال : إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب ، لحقيق أن لا يُحْوَج إلى طلب المعاش . وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر وكان كلما أهداه أبو عبيد كتابا من مؤلفاته : حمل إليه مالا خطيراً . وكرم عبد الله بن طاهر ، إرثٌ كذلك من والده طاهر بن الحسين — حين مضى إلى خراسان — بمدينة مَرْو ، فطاب رجلا يحدثه ، فقيل له : ما ههنا إلا رجل مؤدِّب ؛ فأدخل عليه أبو عبيد القاسم بن سلَّام ، فوجده أعلم الناس بأيام الناس ، والنحو ، واللغة ، والفقه ؛ فقال له : من المظالم تركك أنت بهذا البلد . فدفع إليه ألف دينار ، وقال له : أنا موجه إلى خراسان إلى حرب ، وليس أحب استصحابك ؛ شفقا بك ؛ فأنفق هذا حتى أعود إليك . فألّف أبو عبيد « الغريب المصنف » الى أن عاد طاهر من خراسان ، فحمله معه الى سُرَّ مَنْ رأى .

ومن مظاهر اكرام « آل طاهر » للعلماء ، ما صنعه « طاهر بن عبدالله » : من استقدامه لأبى سعيد الضرير من بغداد الى نَيْسابور ، وتكفّله بمعيشته : ليفرغ إلى تعليم الناس ما حمل من علم وأدب وقد قدم عليه ابن قتيبة من بغداد : فأخذ عنه ، وانتفع به ، وكان له قدوة حسنة .

ومن مظاهر إكرامهم العلماء كذلك ، استقدامهم إلى هراة : الحافظ أبا جعفر السرخسى المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٣ هـ .

وقد جرى محمد بن عبد الله بن طاهر ، على شاكلة قومه : فى العناية بالعلماء والأدباء ، والإلطاف لهم ؛ وعرَف هؤلاء قَدْرَه ، ونبهوا من ذكره — وما كان خاملا — وأهدوا إليه مؤلفاتهم وما جادت به قرائحهم ؛ منذ أن كان شاباً يافعاً .

ولقد سجّل ابن قتيبة شعوره نحوه فى رسالة كتب بها إليه ، وأثبتها فى عيون الأخبار ٢/٢٢٢ ؛ حيث يقول : « وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر :

أما شكرى للأمير على سالف معروفه : فقد أغار وأنجَد . وأما ابتهالى إلى الله فى جزائه عنى بالُحسْنى : فإخلاص النية عند مظان القبول . وأما أملى : فأحياه — على بعد العهد — بلاؤه عندى — : إذ كان ماتقدم منه شافعاً فى المزيد . — وفُسْحَةُ وعده إياى عند مفارقتى له : إذ كان مُؤْذِناً بالإنجاز . وأما زللى فى التأخر عما أوجب الله على له : فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمته من عِزِّ رياسته ، ونباهة صُحْبته ، وعلوِّ الدرجة به ؛ وإن كنت سائر أيام انقطاعى عنه ، مُعْتَلِقاً بسبب لاخِيارَ معه » .

ولست أعلم لابن قتيبة علاقة بعظماء عصره ، سوى علاقته بعبيد الله بن خاقان ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر .

وقد أشار هو إلى علاقة لم يفصح عنها : فانبهم أمْرُها علينا ؛ حيث يقول

فى عيون الأخبار ٢٨/١ : « وكتبتُ إلى بعض السلاطين كتابا ، وفى فصل منه : ولم يزل حَزَمَةُ الرجال يستحْلون مرارة قول النُّصحاء ، ويستهدون العيوبَ ، ويستثيرون صواب الرأى من كلِّ حتى الأمة الوَكْعاء .

ومن احتاج إلى إقامة دليل على ما يدَّعيه ـ : من مودته ، ونقاء طويَّتِه . ـ فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار ؛ إذ كنت أرجو بدوام نعمتك ، وارتفاع درجتك ؛ وانبساط جاهك ويدك ـ زيادة الحال » .

آراء العلماء فى ابن قتيبة :

١ — قال أبو منصور الأزهرى (٢٨٢ — ٣٧٠ هـ) فى مقدمة كتاب التهذيب ص ١٣ : « وإذ فرغنا من ذكر الأثبات المتقدمين ، والثِّقات المبرزين : من اللغويين ؛ وتسميتهم طبقة ، إعلاماً لمن غَبِى عليه مكانهم من المعرفة ، كى يعتمدوهم فيما يجدون لهم من المؤلفات المروية عنهم ـ : فلنذكر بعقب ذكرهم ، أقواماً : تسموا بسمة المعرفة ، وعلم اللغة ؛ وألفوا كتباً : أودعوها الصحيح والسقيم ؛ وحشوها بالمُزَال المفسد ، والمصَحَّف المغيَّر : الذى لا يتميز ما يصحّ منه إلا عند النَّقّاب المبرِّز ، والعالم الفطن . لنحذر الأغمار اعتماد مادونوا ، والاستنامة إلى ما ألفوا . فمن المتقدمين : الليث بن المظفر ... وقطرب ... » ؛ ثم عرض الأزهرى للجاحظ ، وتلميذه ابن قتيبة ، فقال ص ١٥ : « وممن تكلم فى لغات العرب بما حضر لسانه ، وروى عن الأئمة فى كلام العرب ما ليس من كلامهم ـ : عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ وكان أوتى : بسطة فى لسانه ، وبياناً عذباً فى خطابه ، ومجالا واسعاً فى فنونه ، غير أن

أهل المعرفة بلغات العرب ذمّوه ، وعن الصـدق دفعوه ، وأخبر أبو عمر الزاهد : أنه جرى ذكره فى مجلس أحمد بن يحيى [ثعلب] ، فقال : أعزبوا عن ذكر الجاحظ ، فإنه غير ثقة ولا مأمون .

وأما أبو محمد : عبد الله بن مسلم الدينورى : فإنه ألف كتبا فى مشكل القرآن وغريبه ، وألف كتاب غريب الحديث ، وكتابا فى الأنواء ، وكتاباً فى أدب الـكتبة ؛ ورد على أبى عبيد حروفا فى غريب الحديث ، سماها : « إصلاح الغلط » ؛ وقد تصفحتها كلها ، ووقفت على الحروف التى غلط فيها وعلى الأكثر الذى أصاب فيه . فأما الحروف التى غلط فيها : فإنى أثبتها فى مواقعها من كتابى ، ودللت على موضع الصواب فيما غلط فيه .

وما رأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه : عن أبى حاتم السجزى ، والعباس بن الفرج الرِّياشى ، وأبى سعيد المـكفوف البغدادى .

فأمّا ما يستبد فيه برأيه ـ : من معنى غامض ؛ أو حرف : من علل التصريف والنحو ؛ مشكل ، أو حرف غريب ـ : فإنه ربما زلّ فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة .

وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفه ، ولا يحسنه .

ورأيت أبا بكر بن الأنبارى : ينسبه إلى الغفلة ، والغباوة ، وقلّة المعرفة. وقد ردّ عليه قريبا من ربع ما ألّفه : من مشكل القرآن » .

وللأزهرى عنه كلمة أخرى ، وردت فى اللسان ١٣/٣٣٦ : « وقال

القتيبي في تفسير قوله تعالى ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ؛ أى : فرقنا ؛ وهو من زال يَزُول وأزلتُه أنا . قال أبو منصور : وهذا غلط من القتيبي ، ولم يميز بين زال يزول ، وزال يَزِيل ، كما فعل الفرّاء » .

وقد عرض أبو منصور الأزهري للكلام على رواية ابن قتيبة ، أثناء حديثه عن أبي حامد الخَارَزَنجي البُشْتِي ، في مقدمة التهذيب ، إذ يقول : « وممن ألف في عصرنا هذا فصحَّف وغيَّر ، وأزال العربية عن وجهها ـ : أحمد بن محمد البشتي ، فإنه ألف كتابا سمّاه : « التكملة » ، أومأ إلى أنه كمَّل بكتابه كتاب : « العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد . ونظرتُ في أول كتاب البشتي ، فرأيته أثبت في صدره الكتب المؤلفة التي استخرج منها كتابه ، فعدّدها وقال : استخرجت ما وضعته في كتابي من هذه الكتب ، ولعل بعض الناس يبتغي العنَتَ بتهجينه والقدْح فيه : لأني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع ، وإنما إخباري عنهم إخبارٌ عن صحفهم ؛ ولا يزرى ذلك على من عرف الغثّ من السمين ، وميزَّ بين الصحيح والسقيم ، وقد فعل مثلَ ذلك أبو تراب صاحب كتاب : « الاعتقاب » ، فإنه روى عن الخليل وأبي عمرو بنَ العلاء ، والكسائي ، وبينه وبين هؤلاء فترة ، وكذلك القُتَيْبِيّ : روى عن سيبويه والأصمعي ، وأبي عمرو : وهو لم ير منهم أحداً » .

ثم عقب الأزهري على قول البشتي هذا ، بقوله ص ١٦ : « قد اعترف البشتي : بأنه لاسماع له في شيء من هذه الكتب ، وأنه نقل ما نقل إلى كتابه من صحفهم ، واعتل : بأنه لايزرى ذلك بمن عرف الغثّ من السمين . وليس

كما قال ؛ لأنه اعترف : بأنه صَحَفى ، والصحفى إذا كان رأس ماله صحفاً قرأها : فإنه يصحِّف فيكثر ؛ وذلك : أنه يخبر عن كتب لم يسمع بها ، ودفاتر لا يدرى : أصحيح ما كتب فيها أم لا ؟ وإن أكثر ما قرأنا : من الصحف التى لم تضبط بالنقط الصحيح ، ولم يتول تصحيحها أهلُ المعرفة . — لسقيمة ، لا يعتمد عليها إلا جاهل . وأما قوله : ان غيره من المصنفين ، رَوَوْا فى كتبهم عمن لم يسمعوا منه ، مثل أبى تُرَاب والقُتَيْبِى ، فليس رواية هذين الرجلين عمن لم يرياه ، حجة له : لأنهما وان كان لم يسمعا من كل من رَوَيا عنه ، فقد سمعا من جماعة : من الثقات المأمونين . فأما أبو تراب ... وأما القُتَبِى : فإنه رجل سمع من أبى حاتم السِّجْزِى كتبه ، وسمع من الرياشى فوائد جَمَّة ، وكانا من المعرفة والإتقان : بحيث يثنى بهما الخناصر ، وسمع من أبى سعيد الضرير ، وسمع كتب أبى عُبيد ، وسمع من ابن أخى الأصمعى .

وهما (أى أبو تراب وابن قتيبة) : من الشهرة وذهاب الصِّيت ، والتأليف الحسن ؛ بحيث يُعفى لهما عن خطيئة غلط ، ونَبْذِ زلّة تقع فى كتبهما ... » .

* * *

٢ — قال أبو الطيب الحلبى ؛ المتوفى سنة ٣٥١ هـ : فى كتاب : « مراتب النحويين » ، ص ١٣٧ : « وكان أبو محمد: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورى : أخذ عن أبى حاتم ، والرِّياشى ، وعبد الرحمن بن أخى الأصمعى . وقد أخذ

ابن دريد عن هؤلاء كلهم ، وعن الأُشْنَانْدَانِيّ إلا أن ابن قتيبة خاط غليه بحكايات عن الكوفيين ، لم يكن أخذها عن ثقات

وكان يشرع فى أشياء لا يقوم بها : نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو ، وكتابه فى تعبير الرؤيا ، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وعيون الأخبار والمعارف ، والشعراء ، ونحو ذلك : مما أَزْرَى به عند العلماء ، وإن كان نَفَقَ بها عند العامة ومن لا بصيرة له » .

وهذا كلام لا نعُوج به ، ولا نعرّج عليه ، لأنه لم يصدر إلا عن عالمٍ : قد أعمى الحقد قلبه الذى فى صدره ، وأضلّه الحسد المستكن فى أطواء نفسه ، وجعلت « العصبية » البغيضة على عينه غشاوة : تحجب عنه نور الحق ، وتنطقه بغير الصدق .

وليس أدل على فساد هذا الرأى ، وانتكاس هذا الحكم ، من أن ابن قتيبة ظل نافقاً بكتبه عند ذوى البصائر والعقول : من الخاصة والعامة ، وظلت مكانته ملحوظة من العلماء بعيون الإجلال والإكبار ، على اختلاف الأجيال والأعصار ، منذ كان إلى يوم الناس هذا .

ولكنها العصبية المقيتة ـ قاتلها الله ـ : ماقاربت شيئا إلا أفسدته وحطت من قدره ، ولا داخلت إنساناً إلا شانته ، وغضت من ذكره .

٣ — قال الحاكم : أبو عبد الله: محمد بن عبد الله الضبيّ النيسابورى ، المعروف بابن البيّع (٣٢١ — ٤٠٥) : « كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم فى

العلوم ، ولم يرضه أهل علم منها ! وإنما الإمام المقبول عند الكل : أبو عبيد » .

وهذا كلام يقطر حقداً وعصبية وحسداً .

وقد ألهبت نار الحسد الموقدة عقل الحاكم ، واطلعت على فؤاده : فهذى هذيان المحموم ، وهمز ابن قتيبة ولمزه بقوله : « أجمعت الأمة على أن القتيبيّ كذاب » !!!

وقد نقل هذه الكلمة الجائرة الفاجرة ، الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتدال ٢/٧٧ ؛ وعقب عليها بقوله : « هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله » .

ونقلها مرّة أخرى ، وقال فى إثرها : « هذا بغى وتخرّص ؛ بل قال الخطيب : هو ثقة » ؛ وعقب عليها مرّة ثالثة فقال : « ما علمت أحداً اتهم القتيبيّ فى نقله ، مع أن الخطيب : قد وثقه ؛ وما أعلم الأمة أجمعت إلا على كذب الدّجال ومسيلمة » .

٤ — وقال الحافظ السِّلَفِي أبو طاهر : أحمد بن محمد الأصبهانى الجروانى ، المتوفى سنة ٥٧٦ — : « كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ؛ ولكن الحاكم بضده : من أجل المذهب » . وقد فسرت كلمة « المذهب » فى قول السلفى هذا ، بتفسيرين : فقال الصلاح العلائى : إن السلفى أراد بالمذهب ما نقل عن البيهقى والدارقطنى : من أن ابن قتيبة كان كراميا يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة .

ثم قال العلائى : « وهذا لا يصح عنه ، وليس فى كلامه ما يدل عليه ؛ ولكنه جار على طريقة أهل الحديث : فى عدم التأويل » .

وقال الحافظ ابن حجر شهاب الدين أحمد بن على المتوفى سنة **٨٥٢** فى لسان الميزان ٣/٣٠٨ : « والذى يظهر لى أن مراد السِّلَفِى بالمذهب : النَّصَب؛ فإن فى ابن قتيبة انحرافاً عن أهل البيت ، والحاكم على ضد من ذلك . وإلا: فاعتقادهما معاً ـ فيما يتعلق بالصفات ـ واحد » .

٥ — قال الدارقطنى أبو الحسن : على بن عمر بن أحمد بن مهدى (٣٠٦ — ٣٨٥) : « كان ابن قتيبة : يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة. وكلامه يدل عليه » .

٦ — قال البيهقى أبو بكر: أحمد بن الحسين (٣٨٤ — ٤٥٨) : « كان ابن قتيبة : يرى رأى الكرّامية » .

٧ — قال ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣/٧٥ — بعد أن نقل كلام الدارقطنى والبيهقى ـ :« وكان ابن قتيبة : خبيث اللسان ، يقع فى حق كبار العلماء » .

٨ — قال ابن النديم أبو الفرج : محمد بن إسحاق :

« كان ابن قتيبة : صادقاً فيما يرويه ، عالماً باللغة والنحو ؛ وكتبه مرغوب فيها »

٩ — قال مسلم بن قاسم :

« كان ابن قتيبة : لغويا كثير التأليف ، عالما بالتصنيف ، صدوقا ، من أهل السنة » .

١٠ — قال الخطيب البغدادى (٣٩٢ — ٤٦٣) فى تاريخ بغداد ١٠/١٧٠ : « هو صاحب التصانيف المشهورة ، والكتب المعروفة ؛ وكان : ثقة ، دينا ، فاضلا » .

وقال عنه فى كتاب «المتفق والمفترق» : « شهرته ظاهرة فى العلم ، ومحلّه من الأدب لا يجتر » .

١١ — قال نِفْطَوَيْه أبو عبد الله : إبراهيم بن محمد بن عرفه (٢٤٤ — ٣٢٣) : « كان ابن قتيبة : إذا خلا فى بيته وعمل شيئا ـ : جوَّده ؛ وما أعلمه حكى شيئاً فى اللغة ، إلا : صدق فيه » .

١٢ — قال ابن حزم أبو محمد : على بن أحمد بن سعيد (٣٨٤— ٤٥٦) :

« كان ابن قتيبة : ثقة فى دينه وعلمه » .

١٣ — قال إمام الحرمين أبو المعالى : عبد الملك بن عبد الله الجُوينى (٤١٩ - ٤٧٨) : « ابن قتيبة : هَجَّام وَلُوج فيما لا يحسنه » . وقد نقل ابن حجر هذه هذه الكلمة فى لسان الميزان ، ثم علق عليها بقوله : « كأنه يريد كلامه فى الكلام » .

١٤ — قال الحافظ الذهبى محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ — ٧٤٨) فى ميزان الاعتدال ٢/٧٧ : « أبو محمد : صاحب التصانيف ، صدوق ، قليل

الرواية » ؛ وقال فى تذكرة الحفاظ ٢/١٨٧ : « ابن قتيبة : من أوعية العلم ؛ لكنه قليل العمل فى الحديث » .

١٥ — قال ابن الجوزى أبو الفرج : عبد الرحمن بن على ، المتوفى سنة ٥٩٧ ، عنه فى المنتظم ٥/١٠٢ : « وكان : عالما ثقة دينا فاضلا ، وله التصانيف المشهورة » .

١٦ — قال الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر ، المتوفى سنة ٧٧٤ ، فى البداية والنهاية ١١/٤٨ ، ٥٧ : « ابن قتيبة النحوى اللغوى : صاحب المصنفات الكثيرة ، البديعة المفيدة ، المحتوية على علوم جمة نافعة ؛ أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء ؛ كان : ثقة نبيلا » .

١٧ — قال أبو بكر بن دريد (٢٢٣ — ٣٢١) وقد سئل عن ابن قتيبة، فقال : « ربوة بين جبلين » ، يريد : أن ذكره قد خمل بنباهة ثعلب والمبرّد ، كما قال الجرجانى .

١٨ — أما ابن تيمية تقى الدين : أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى سنة ٧٢٨ فقد ذكر فى تفسير سورة الإخلاص ص ١٢١ : أن الإمام أحمد بن حنبل يذهب الى أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه . ثم عقب على ذلك بقوله : « وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم : ابن قتيبة ، وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما . وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق بن راهويه ، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله فى ذلك مصنفات متعددة ، قال فيه صاحب « التحديث بمناقب أهل الحديث » :

وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء الفضلاء، أجودهم تصنيفاً، وأحسنهم ترصيفاً؛ له زهاء ثلاثمائة مصنف. وكان يميل إلى مذهب أحمـــد وإسحاق؛ وكان معاصراً لإبراهيم الحَرْبيّ، ومحمد بن نصر المَرْوزى؛ وكان أهل المغرب: يعظمونه، ويقولون: من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة! ويقولون: كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه. ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة؛ فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة.

١٩ — وقال ابن خلـكان أبو العباس: أحمد بن محمد (٦٠٨ — ٦٨١) عنه فى وفيات الأعيان ٢/٢٤٦:

«كان: فاضلا ثقة؛ وتصانيفه كلها مفيدة ...».

* * *

تلك هى آراء العلماء الأقدمين فى ابن قتيبة: أوردناها كما رأيناها؛ ويعنينا هنا: أن نتبين وجـــه الحق فيما قُرِفَ به من تهم؛ وعُضِه به: من مثالب.

وسبيلنا إلى ذلك: أن نوازن بين ما قالوه عنه، وما قاله غيرهم، وما قاله فى كتبه — موازنة دقيقة، قوامها العدل الخالص من شوائب الهوى، والإنصاف الباسل الذى لا يبالى: على من وجبت الحجة، وحقت كلمة الخطأ والضلال.

فإن كان ما قالوه حقاً: أيدناه بالمثل والشواهد التى تجعل القلوب إليه صاغية، والعقولَ جانحة جنوحاً لا خيار فيه.

وإن كان ما ذهبوا إليه مَيْناً : أبدينا عواره ، وهتكنا أستا ره ؛ بما نورده : من الأدلة الناصعة ، والبراهين القاطعة ؛ ثم قدمنا إليهم ، فكشفنا عن أسباب ضغنهم عليه ، وكراهيتهم له ؛ وبينا أسرار احتلافهم عليه ، ومنازع وقيعتهم فيه .

* * *

لقد اتهمه « الحاكم » : بأنه كذاب قد أجمعت الأمة على كذبه ؛ ولم يؤيد دعواه بمثال واحد بل : لجـأ إلى التهويل والتهويش بإجماع الأمة وتلك أكذوبة بلقاء : لم تجد مصدقاً أومظاهراً ولا تستحق أن نعرض لها بالتوهين وحسبها نقد الذهبي لها ؛ وحسبنا إجماع الأزهرى ، والخطيب البغدادى ، ومسلم بن قاسم ، والحافظ السلفى ، وابن النديم ، ونفطويه ، وابن حزم ، وابن كثير ، وابن الجوزى ، وابن خلكان ـ حسبنا إجماع هؤلاء الأعلام : على أن ابن قتيبة كان ثقة فى قوله ، صادقاً فى روايته ، مُصَدَّقاً.

وقد اتهمه الدارقطنى : بأنه كان يميل إلى التشبيه ، منحرفاً عن العترة .

واتهمه البيهقىّ : بأنه كان كرّاميا .

وليس بين هذين الاتهامين من فـرق فى المعنى : فكلاهما ينسبه إلى التشبيه ، والانحراف عن آل البيت رضوان الله عليهم ؛ فإن الكرّامية (الذين تابعوا محمد بن كـرّام على رأيه) كانوا يذهبون إلى التجسيم والتشبيه ؛ ويتهمون علياً فى صبره على ما جرى مع عثمان ، وسكوته عنهُ ويرون

تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية : قتالا على طلب قتلة عثمان ، واستقلالا ببيت المـال..

فهل كان ابن قتيبة يذهب حقاً إلى التشبيه ؟ وهل كان منحرفا عن آل البيت؟ أم أن هذا وذاك قد افترى عليه، ورمى به بغير الحق ؛ كما رمى بالـكذب زوراً وبُهْتَاناً ؟ .

أما نسبة ابن قتيبة إلى التشبيه والتجسيم : فهى من منـكر القول وزوره .

وكيف يصح فى الأذهان أن يكون ابن قتيبة من المشبهة ؛ وهو مؤلف كتاب : « الاختلاف فى اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة » ؟ ! .

كيف يكون منهم : وهو القائل فى كتابه هذا ص ٢٩ : « فنحن نقول كما قال الله ، وكما قال رسوله ؛ ولا نتجاهل ؛ ولا يحملنا ما نحن فيه : من نفى التشبيه ؛ على أن ننـكر ماوصف به نفسه ؛ ولـكنا لا نقول : كيف البيان ؟ وإن سئلنا : نقتصر على جملة ماقال ، ونمسك عما لم يقل » ؟ ! .

كيف يكون منهم : وهو الذى يقول فى ص ٣٢ : « فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح ؛ ولا نقول : كيف ذلك ؟ لأن الواجب علينا أن ننتهى فى صفات الله إلى حيث انتهى فى صفته، أو حيث انتهى رسولُه صلى الله عليه وسلم ؛ ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ؛ ونمسك عما سوى ذلك » ؟ ! .

كيف يكون منهم : وهو الذى يقول فى ص ٤٥ : « ... ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء فى النفى : عارضوهم بالإفراط فى التمثيل ؛ فقالوا :

بالتشبيه المحض ، وبالأقطار والحدود ... وكلا الفريقين غالط ، وقد جعل الله التوسط : منزلةَ العدل ؛ ونهى عن الغلو فيما دون صفاته : من أمر ديننا ؛ فضلا عن صفاته ، ووَضَع عنا أن نفكر فيه : كيف كان ؟ وكيف قدّر ؟ وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا مالم يجعله فى تركيبنا ووُسْعِنا . وعَدْلُ القول فى هذه الأخبار : أن نؤمن بما صحّ منها بنقل الثقات لها ، فنؤمن : بالرّؤية والتجلّى ، وأنه يَعْجَبُ ، وينزل إلى السماء ، وأنه على العرش استوى ، وبالنفس واليدين من غير أن نقول فى ذلك بكيفيَّة أو بحدٍّ أو أن نقيس على ماجاء مالم يأت . فنرجو : أن نكون فى ذلك القول والعقد ، على سبيل النجاة غداً ، إن شاء الله تعالى » ؟ ! .

أيقول هذا القول السَّوىَّ ، من يقول بالتشبيه والتجسيم ؟ : إن ابن قتيبة قد نهج فى كلامه هذا ، نهج النمط الأوسط من السلف الصالح : وسلك سبيلهم متبعاً غير مبتدع .

قال أبو الفتح : محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (٤٧٩ — ٥٤٨) فى كتابه : « الملل والنحل » — : « وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ، ولم يهدفوا للتشبيه ، فمنهم : أحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

فهل بين قول مالك بن أنس وبين قول ابن قتيبة ، فرق ؟ : كلا ،

ولكن البيهقيّ والدارقطنيّ قد كذبا عليه حين رمياه بالتشبيه ، كما كذب الحاكم فى رميه بالكذب .

* * *

وأما القول : بأن ابن قتيبة كان منحرفا عن آل البيت ؛ فمحض افتراء عليه ، كسابقه .

وقد لجأ قارفوه بهذه التهمة الخطيرة ، إلى إلقاء الحكم إلقاء : دون تثبيته فى النفوس بالمثال ؛ شأنهم فى كل ما رموه به : من تهم ؛ وألصقوا به : من وصمات .

ولكن من دفع هذه التهمة عنه هيّن ليّن : لا يحوج إلى إعمال فكر ، أو إجالة رويّة ، أو كد خاطر ؛ ولكنه يحتاج إلى قليل : من الأناة ؛ فى قراءة قوله الذى أفصح به عن رأيه فى على كرم الله وجهه ، وأعرب به عن تقديره لمكارمه ومفاخره ، ومكانه السامى من رسول الله ودين الله ، ومكانته من الفضل والبأس ، والعلم والدين جميعاً .

قال ابن قتيبة فى كتاب « الاختلاف فى اللفظ والردّ على الجهمية والمشبّهة » ص ٤٧ : « ... وقد رأيت هؤلاء أيضاً ـ حين رأوا غلو الرّافضة : فى حب علىّ ، وتقديمه على من قدّمه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وصحابته عليه ؛ وادعائهم له شركة النبى صلى الله عليه وسلم : فى نبوّته : وعلم الغيب للأئمة : من ولده ؛ وتلك الأقاويل والأمور السّرّية : التى جمعت

إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة ؛ ورأوا شتمهم خِيار السَّلف ، وبُغضَهم وتبرؤهم منهم — : قابلوا ذلك أيضا ، بالغلو : فى تأخير علىّ كرم الله وجههُ ، وبخسِهِ حقَّه ؛ ولحنوا فى القول ؛ وإن لم يصرحوا إلى ظلمه ، واعتدوا عليه : بسفك الدماء بغير حق ، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضى الله عنه ؛ وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهُدَى إلى جملة أئمة الفتن ، ولم يوجبوا له اسمَ الخلافة : لاختلاف الناس عليه ؛ وأوجبوها ليزيد بن معاوية : لإجماع الناس عليه ؛ واتهموا من ذكره بخير . وتحامى كثير من المحدِّثين : أن يحدِّثوا بفضائله كرّم الله وجهه أو يُظهروا ما يجب له : وكلّ تلك الأحاديث لها مخارج صحاح . وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام خارجيًّا ، شاقًّا لعصا المسلمين ، حَلَالَ الدّم ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من خرج على أمّتى : وهم جميع ؛ فاقتلوه كائنا من كان » . وسووا بينه —: فى الفضل .— وبين أهل الشورى : لأن عمر لو تبيَّن له فضلُه لقدَّمه عليهم ، ولم يجعل الأمر شورى بينهم . وأهملوا من ذَكَرَهُ ، أو روَى حديثا من فضائله ؛ حتى تحامى كثير من المحدِّثين . أن يتحدَّثوا بها . وعُنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ، ومعاوية : كأنهم لا يريدونهما بذلك ، وإنما يريدونه . فإن قال قائل . « أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم : علىٌّ ، وأبو سبيطه : الحسن والحسين ، وأصحاب الكساء : علىّ وفاطمة والحسن والحسين » — تمعَّرَت الوجوهُ ، وتنكّرت العيونُ ، وطَرّتْ حسائك الصدور . وإن ذَكَرَ ذاكرٌ قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلىّ موه » ؛ و : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » » ؛ وأشباه هذا — : التمسوا لتلك الأحاديث

الخارج لينتقصوه ويبخسوه حقّه: بغضاً منهم للرافضة وإلزاما لعليّ عليه السلام — بسببهم — مالا يلزمه . وهذا هو الجهل بعينه .

والسلامة لك : أن لاتهلك بمحبّته ، ولا تهلك ببغضته ؛ وأن لاتحمل عليه ضغناً : بجناية غيره . فإن أنت فعلت : فأنت جاهل مُفْرِط فى بغضه .

وأن تعرف له مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالتربية والأخوّة والصّهر ، والصبر فى مجاهدة أعدائه ، وبذْل مُهجتِه فى الحروب بين يديه ، مع مكانه : فى العلم والدين ، والبأس والفضل — من غير أن تتجاوز به الموضع الذى وضعه به خيار السلف: لِما تسمعه من كثير : من فضائله؛ فهم كانوا أعلم به وبغيره ، ولأن ما أجمعوا عليه هو : العِيان الذى لا يُشك فيه . والأحاديثُ المنقولة قد يدخلها تحريف وشَوْبٌ .

ولو كان إكرامُك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذى دعاك إلى محبة من نازَع عليا وحاربَه ولعنه — : إذ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَدَمه ، وكنت قد سلكت فى ذلك سبيل المستسلم — : لَأَنْتَ بذلك فى علىٍّ عليه السلام ، أولى : لسابقته ، وفضله ، وخاصِّيته ، وقرابته ؛ والدناوة التى جعلها الله بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم : عند المُباهلة ؛ حين قال تعالى : ﴿قل تعالوا نَدْعُ أَبناءنا وأبناءكم﴾ : فدعا حسنا وحسينا ؛ ﴿ونساءنا ونساءكم﴾ : فدعا فاطمة عليها السلام ؛ ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ : فدعا عليا عليه السلام . ومن أراد الله تَبْصِيرَه : بَصَّره ؛ ومن أراد به غير ذلك : حيَّره » .

هذا كلام ابن قتيبة الذى صوّر فيه — فى قوة ووضوح — مشاعره نحو علىّ وآله ؛ وعبّر عما يجنه فؤاده : من محبتهم وإجلالهم ، وحسن الرأى والاعتقاد فيهم .

فهل يصدر هذا الكلام العذب عمن يجتويهم ، ويسىء الظن بهم ؟ وهل يدخل فى نطاق المعقول : أن يقوله من يتهم بالانحراف عنهم ؟

ولكن القوم أصموا آذانهم عنه ، وأطبقوا أعينهم دونه ، واستغشوا ثياب العصبية الصفيقة ، ثم ذهبوا : يتناقلون رميه ببعض آل البيت ، والميل عن مودّتهم ، لموجدة يجدون مسّها فى نفوسهم عليه .

ولعل من أسباب هذه الموجدة ، تلك الرواية التى رواها عن الشعبى فى « تأويل مشكل القرآن » ، حيث يقول فى ص ١٨١ : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه ورضى عنهم — : وهم مصابيح الأرض ، وقادة الأنام ، ومُنْتَهى العلم . — إنما يقرأ الرجل منهم السورتين والثلاث والأربع والبعض والشطر من القرآن ، إلا نفراً منهم : وفقهم الله لجمعه ، وسهل عليهم حفظه . قال الشعبى : توفى أبو بكر ، وعمر ، وعلى — رحمهم الله — : ولم يجمعوا القرآن . وقال : لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان . ورُوى عن شريك ، عن إسماعيل بن أبى خالد : أنه قال : سمعت الشعبى تحلف بالله عز وجل : لقد دخل على حفرته ولما حفظ القرآن » .

ولقد أثارت هذه الرواية ثائرة أبى الحسين : أحمد بن فارس ، المتوفى سنة ٣٩٥ ، فقال فى كتاب الصاحبى ص ١٧٠ : « وابن قتيبة يطلق إطلاقات

منـكرة ، ويروى أشياء شنعة ؛ كالذى رواه عن الشعبى : أن أبا بكر وعمر وعليا توفوا ، ولم يجمعوا القرآن ؛ وأن عليا دخل حفرته ، وما حفظ القرآن وهذا كلام شنع جداً ... » .

* * *

أما قول إمام الحرمين : « إن ابن قتيبة هجّام ولوج فيما لا يحسنه » ؛

فإنه يريد : كلامه فى الـكلام ، كما قال ابن حجر . ولابن قتيبة كلام عن هذا العلم ، لا يروق فى نظر رجل انغمس فيه من فرقه إلى قدمه ، وقضى حياته فى تحقيق مسائله ؛ كإمام الحرمين . فقد قال فى كتاب « الاختلاف فى اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة » ص ١٢ — أثناء رده على ما تأولته الجهمية — : « ولم أعـــد فى أكثر الرد عليهم طريق اللغة ؛ فأما الـكلام فليس من شأننا ؛ ولا أرى أكثر من هلك إلا به . ويحمل الدين على ما يوجبه القياس ... » .

وقال فى كتاب : « تأويل مختلف الحديث » ص ١٥ : « وقد تدبرت مقالة أهل الـكلام ؛ فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويعيبون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى فى عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع ، ويتهمون غيرهم فى النقـل ولا يتهمون آراءهم فى التأويل . ومعانى الـكتاب والحديث ، وما أودعاه — : من لطائف الحـكمة ، وغرائب اللغة — لا يدرك بالطفرة والتولّد ، والعرض والجوهر ، والـكيفية والـكميّة والأينيّة . ولو ردوا المشـكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ،

وَلـكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الأتباع ، واعتقاد الإخوان بالمقالات ؛ والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا ... » . وقال فى ص ٧٤ : « وكنت فى عنفوان الشباب ، وتطلُّب الآداب ، أُحبّ أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم ، فربما حضرت بعض مجالسهم — : وأنا مغتر بهم ، طامع أن أَصْدُر عنه بفائدة ، أوكلمة تدل على خير ، أو تهدى لرشد . — فأرى من جرأتهم على الله ، تبارك وتعالى ، وقلّة توقيهم ، وحملهم أنفسهم على العظائم — : لطرد القياس ، أو لئلا يقع انقطاع — ماأرجع معه خاسراً نادماً » .

* * *

وأما قول ابن تغرى بردى : « كان ابن قتيبة خبيث اللسان ، يقع فى حق كبار العلماء ؛ فغير صحيح أيضاً .

والذى دفعه إلى هذا القول أنه من الأحناف أصحاب الرأى والقياس . وقد عرض لهم ابن قتيبة بالنقد ، فى كتاب « تأويل مختلف الحديث » وقال فى ص ٦٢ : ثم نصير إلى أصحاب الرأى ، فنجدهم أيضا يختلفون ويقيسون ، ثم يدَعُون القيـــاس ويستحسنون ؛ ويقولون بالشىء ويحكمون به ثم يرجعون » .

ثم ضرب لذلك أمثلة خطيرة رجع فيها أبو حنيفة عن رأيه ؛ رواها عن أستاذه إسحاق ابن راهويه ، الذى قال عنه فى ص ٦٥ : « ولم أر أحداً ألهج بذكر أصحاب الرأى وتنقصهم ، والبعث على قبيح أقاويلهم ، والتنبيه

عليها — من إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، المعروف بابن راهويه . وكان يقول : نبذوا كتاب الله تعالى وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ولزموا القياس » .

وعدد ابن قتيبة من ذلك ، مسائل كثيرة رواها عنه ؛ كما روى مسائل أخرى تدل — كما يقول ابن راهويه — : « على تحكم أبي حنيفة في الدين ، ومخالفة كتاب الله » . ثم قال ابن قتيبة في ص ٧٠ : « وكيف يطرد لك القياس في فروع لا تتفق أصولها والفرع تابع للأصـــل ؟ ! وكيف يقع في القياس : أن يقطع سارق عشرة دراهم ويمسك عن غاصب مائة ألف درهم ؛ ويجلد قاذف الحرّ ، ويعفى عن قاذف العبد العفيف ؛ وتُستبرأ أرحام الإماء بحيضة ، ورحم الحرة بثلاث حيضات ؛ ويحصن الرجل بالعجوز الشوهاء السوداء ، ولا يحصن بمائة أمة حسناء ؛ ويُوجب على الحائض قضاء الصوم ، ولا يوجب عليها قضاء الصلاة ؛ ويجلد في القذف بالزنا أكثر من الجلد في القذف بالكفر ؛ ويقطع في القتل بشهادين ، ولا يقطع في الزنا بأقل من أربعة ؟ ! » .

فأنت ترى : أن ابن قتيبة لم يكن خبيث اللسان في حديثه عن أهل الرأي ، وإنما عرض لهم بالنقد العلمي في بعض ما ذهبوا إليه ، وروى عن أساتذته ما تدعو ضرورة البحث إلى روايته ، وإذا تحدث عن رأيه : تحدث بأسلوب مهذب مؤدب ، لا يصـــح وصفه بالخبث ، ولا نعته بالوقيعة .

وقد خدعت كلمة ابن تغرى بردى هذه ، الأستاذ محمـــد كرد على ،
وجعلته يقول مقدمته لـكتاب الاشربة ص ٤ :

« اشتد ابن قتيبة على مخالفيه ولا سيما المعتزلة منهم وفى كتابه تأويل مختلف الحديث : طعن مبرّح فى الجاحظ ، قال فيه : إنه أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل ، فتجلى حسده تجلياً ظاهراً .

هجّن ابن قتيبة الجاحظ وكفَّره ، ورماه بأعظم كبيرة وهى الـكذب ؛ وسجل عليه أنه أكذب واحد فى الأمة ؛ لأنه كتب فى أشياء تنفع فى تربية العقول فى الدنيا ، كما كتب كلّ ما ينفع فى الدين ؛ وابتدع أدباً يسلى ويعلّم .

فهل من العدل أن يرمى بوضع الحديث وتشدده وتشدّد أهل مذهبه ـ: فى تحرى السليم من السقيم فى الحديث . ـ لا يحتاج إلى دليل ؟ ! » .

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ ، ولم يهجنه حسداً من عند نفسه ؛ ولم يتهمه بالـكذب ، لما زعمه الأستاذ ، بل أنصفه ، وقال فيه ماله ، كاملا غير منقوص ؛ ونقده فى بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيقىّ إلا نقده وردّه على قائله : كائنا من كان .

وإليك نص كلام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحـديث ، قال فى ص٨١ : « ثم نصير إلى الجاحظ وهو آخر المتـكلمين والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفا لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير العظيم حتى يصغر ؛ ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشىء ونقيضه ؛ ونجده

يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحـــداث وشراب النبتذ .

ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم ؛ كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان ؛ وذكر الحجر الأسود ، وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة . وأشياء من أحاديث أهل الـكتاب ، فى تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد أمّه فى رأسه ، وتسبيح الضّفدع ، وطوق الحمامة ، وأشباه هذا مما سنذكره فيما بعد ، إن شاء الله . وهو ـ مع هذا ـ من أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل » .

هذا هو رأى ابن قتيبة فى الجاحظ ، وهو يلقف ما يقول عنه الأستاذ محمد كرد على .

ولست أدرى : كيف استباح لنفسه الطعن فى ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمى مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفًا واحداً ؟ !

أتُراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! .

ومن دلائل وضع الجاحظ للأحاديث ، ما حدث به أبو العيناء بعد توبته عن وضعها ؛ قال أنا والجاحظ وضعنا حديث فَدَكَ ، وأدخلناه على

الشيوخ ببغداد ، فقبلوه إلا ابن أبى شيبة العلوى ، فإنه قال : لا يشبه هذا الحديث أوله ، وأبى أن يقبله » .

وكذلك وضع الجاحظ فى كلام العرب ما ليس منه ، ونسب ذلك إلى أئمة اللغة ؛ وقد سجّل عليه ذلك أبو العباس : ثعلب ، إذ يقول : « اعزبوا عن ذكر الجاحظ : فإنه غير ثقة ولا مأمون » .

ولا مراء فى أن الجاحظ قد صنع كثيراً من نصوص الأدب ؛ وعزاها إلى غيره من العرب تارة ، والأعاجم أخرى .

وهذه كلها دلائل تدل على أن ابن قتيبة لم يصف أستاذه الجاحظ إلا بما عرفه من خلاله ونوازعه ؛ ولم يحاول : « أن يسحب عليه ذيل النسيان » ؛ كما يقول الأستاذ محمد كرد على رحمه الله .

وأعجب مما سبق ، قول الأستاذ محمد كرد على عن ابن قتيبة :

« ورمى أيضاً أبا الهذيل العلّاف بما ليس فيه ؛ ووصفه بأنه كذاب أفّاك ، وطعن فيه أشنع طعن .

وكذلك كان حظ ثمامة بن الأشْرَس منه ـ وهما من الأئمة ـ ورمى هذا برقة الدين ، وتنقّص الإسلام ، والاستهزاء به .

وطعن فى النظام أيضا وهو الذى رد على الملحدين والدهريين ، شطراً كبيراً من عمره .

ولست أدرى : من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترى على أبى الهذيل الـكذب ووصفه بما ليس فيه .

هل قرأت كتب « التوحيد » فألفى فيها ما يكذبه .

أم هل قرأ كتب « التراجم » فوجد فيها تـكأة له فى تـكذيبه ؟

إنه لم يقرأ شيئاً من هذه ولا تلك ! وآية ذلك أن وصف ابن قتيبة له بالبخل ورقة الدين ؛ مسطور فيها جميعاً .

وقد كرر الجاحظ فى كتبه وصفه له بالبخل ، وقال عنه : « إنه كان أبخل الناس » . ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة فى طليعتها النفاق !

واتفق المترجمون له والباحثون فى مذهبه الـكلامى علي أن دينه كان من بيت العنـكبوت :

قال الخطيب البغدادى فى ترجمته ٣/٣٦٦ : « وكان أبو الهذيل خبيث القول ، فارق إجماع المسلمين ، ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقوا بكلمة ولا يتـكلموا بكلمة ؛ فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم ، والله يقول : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ . وجحَد صفات الله التى وصف بها نفسه ، وزعم أن علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ! فجعل الله علما وقدرة ، تعالى الله عما وصفه به علواً كبيراً » .

ومذهب أبى الهذيل ـ : فى انتهاء حركات أهل الجنة والنار . ـ قريب من مذهب جهم بن صفوان الذى زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ،

ويفنى من فيهما ، حتى لا يبقى إلا الله وحده ، كما كان وحده لا شىء معه ، بل إن مذهبه شر من مذهب جهم ـ كما يقول البغدادى فى « الفرْق بين الفِرَق » ـ : « لأن جهما ـ وإن قال بفناء الجنة والنار ـ فقد قال : إن الله قادر بعد فنائهما ، أن يخلق غيرهما » ؛ وأبو الهذيل زعم أن ربّه لا يقدر بعد انتهاء الحركات ـ : على تحريك ساكن ، أو إحياء ميت ، أو إحداث شىء » ويقول البغدادى عنه أيضاً فى ص ٧٢ : « وفضائحه تترى ، تكفّره فيها سائر فرق الأمة : من أصحابه فى الاعتزال ، ومن غيرهم » .

أفبعد ذلك ، يصح اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه ، طعناً بغير الحق وتشنيعاً ؟ !

وكما كان ابن قتيبة منصفاً صادقاً فى حكمه على أبي الهذيل العلّاف ـ فإنه كان كذلك صادقا منصفا فى حكمه على « ثمامة بن الأشرس » بأنه كان يتنقص الإسلام ورسول الإسلام ، ويحتد عليهما حقداً غليظا منكراً .

ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه ، ونزوات بنانه ؛ فى ذلك شيئا وحسبي أن أورد بعض ما قاله البغدادى عنه فى ص ١٠٢ ، ٢٠٤ : « وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والوثق ؛ وانفرد عن سائر أسلافه المعتزلة ، ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما » .

وأما طعن ابن قتيبة فى « النظام » فشاهده من الصدق والأمانة ، قول البغدادىّ فى الفرق بين الفرق ص ٨٠ « وجميع فرق الأمة ـ : من فريق

الرأى والحديث ، مع الخوارج والشيعة والنَّجَّاريّـة ، وأكثر المعتزلة . ـ متفقون على تـكفير النظام » .

ويتضح من ذلك كله : أن ابن قتيبة لم يغال « فى طعنه بما لم يناسب عظمة علمه وأخلاقه » ؛ ويتبين أنه إنما انتهج فيه النهج الذى رسمه لنفسه ؛ وهو أن يُصْحِر بالحق فيما ارتأى ؛ لايجنح لظلم ، ولا يتبع الهوى .

* * *

وكان من أشد العلماء عداوة لابن قتيبة : أبو بكر : محمد بن القاسم الأنبارى (٢٧١ — ٣٢٨) ، تلميذ أبى العباس : ثعلب ؛ ورائد تلك الطائفة التى رمته بالـكذب ، وعداوة العترة ، والذهاب إلى التشبيه والتجسيم . فقد كان ابن الأنبارى أستاذاً للدارقطنى ؛ وكان الدارقطنى أستاذاً للحاكم ؛ وكان الحاكم أستاذاً للبيهقى .

وقد نسبه إلى الغفلة والغباوة ، وقلة المعرفة ؛ وردّ عليه قريباً من ربع ماألفه من مشكل القرآن ؛ كما حدث الأزهرى . وعمل « رسالة المشكل » تى قصرها على نقـده ونقـد أستاذه أبى حاتم السجستانى ، وأملى كتاب « المشكل » فى سنين كثيرة ، ولم يبلغ فيه إلا إلى سورة طه .

ولم يصل إلينا من كتبه التى تناوله فيها بالنقد ، غير كتاب : « الأضداد » ، الذى نقد فيـه بعض ماذهب إليـه فى كتابيه : « إصلاح الغلط » ، و« تأويل مشكل القرآن » .

وقد سلك فى نقده له غير سبيل الحق ، وسجل عليه العلماء الذين قرأوا كتبه — : أنه كان يردّ عليه أقواله كلها ، ويتعسف فى طعنه ، ويحتج لردّه بأوابد اللغة وشواذّها .

قال الشريف المرتضى (٣٥٥ — ٤٣٦) فى كتابه : « غرر الفوائد ودرر القلائد » المشهور بالأمالى ٢/١٣ : « ووجدت أبا بكر : محمد بن القاسم الأنبارى ، يطعن على جواب من أجاب فى قوله تعالى : ﴿ وبلغت القلوب الحناجر﴾ ، بأن معناه : كادت تبلغ الحناجر . ويقول : كاد لا تضمر ، ولا بد من أن يكون منطوقا بها ، ولو جاز ضميرُها لجاز : « قام عبد الله » ، بمعنى : كاد عبد الله يقوم ، فيكون تأويل « قام عبد الله » : لم يقم عبد الله ، لأن معنى « كاد عبد الله يقوم » : لم يقم .

وهذا الذى ذكره ابن الأنبارى غير صحيح . ونظن أن الذى حمله على الطعن فى هذا الوجه ، حكايته له عن ابن قتيبة ؛ لأن من شأنه أن يرد كلّ ما يأتى به ابن قتيبة ، وإن تعسف فى الطعن عليه ! ! !

والذى استبعده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن فى صريحه . ألا ترى : أنهم يقولون : أوردت على فلان : — من العتاب والتوبيخ والتقريع . — ما مات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلانًا لم يبق فيه روح ، وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه : المقاربة ، ولا بد من إضمار « كاد » فيه ... وإذا كان الأمر على ما ذكرنا ، لم يمتنع أن يقال : قام فلان ، بمعنى : كاد يقوم ، إذا دلت

الحال على ذلك ، كما يقال : مات ، بمعنى : كاد يموت .

فأما قوله : « فيكون تأويل قوله : قام عبد الله ؛ لم يقم عبد الله » فخطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم : أنه لم يقم ؛ كما ظن ؛ بل معناه : أنه قارب القيام ، ودنا منه . فمن قال : قام عبد الله ، وأراد كاد يقوم ، فقد أفاد ما لا يفده : لم يقم » .

ومعلوم : أن هوى المرتضى ليس مع ابن قتيبة ؛ فهو لا يكاد يصرّح باسمه إلا فى معرض النقد والتخطئة . ولكن غلو ابن الأنبارى فى تحامله على ابن قتيبة ، دفعه إلى أن يقول ذلك ، وأن يقول تعقيبًا على نقد آخر : « إن ما ذكره ابن الأنبارى لا يقدح فى كلام ابن قتيبة » .

وقال ابن تيمية فى تفسير سورة الإخلاص ص ١٣٣ : « وأما اللغويون الذين يقولون : إن الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه ؛ فهم متناقضون فى ذلك ؛ فإن هؤلاء كلهم يتكلمون فى تفسير كل شىء من القرآن ، ويتوسعون فى القول فى ذلك ؛ حتى ما من أحد إلا وقد قال فى ذلك أقوالا لم يُسبق إليها ، وهى خطأ . وابن الأنبارى الذى بالغ فى نصرة ذلك القول ، هو من أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات ، يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف ؛ ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة ، وهو قصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة . وليس هو بأعلم بمعانى القرآن والحديث ، وأتْبَع للسنة من ابن قتيبة ، ولا أفْقه فى ذلك ؛ وإن كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة . لكن باب فقه النصوص ؛ غير باب حفظ ألفاظ اللغة ».

وترجع عداوة ابن الأنبارى لابن قتيبة إلى أسباب ثلاثة ، تجمعها كلمة واحدة ، وهى « التعصب » .

أولها : أن ابن الأنبارى من نحاة الكوفة المتعصبين ، وابن قتيبة من البصريين ، ولكنه لم يكن متعصبا لمذهبه ، بل مزج بين المذهبين ؛ فتعصب عليه ابن الأنبارى ؛ كما تعصب على معاصره أبى الحسن بن كيسان الكوفى المتوفى سنة ٢٩٦ لأنه مزج بين النحويين ، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر . قال أبو على القالى ، تلميذ ابن الأنبارى : « كان أبو بكر بن الأنبارى شديد التعصب على ابن كيسان ، والتنقص له ؛ وكان يقول : خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ، ولا مذهب البصريين . وكان يفضل الزجاج عليه » ؛ مع أن أبا بكر بن مجاهد يقول عنه : أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين ؛ يعنى : ثعلبا والمبرد .

والسبب الثانى : فى تنقص ابن الأنبارى لابن قتيبة : تلك الرواية التى رواها فى تأويل مشكل القرآن ، عن الشعبى : من أن عليا دخل حفرته وما حفظ القرآن . فقد أحفظته عليه ، كما أحفظت ابن فارس ، والشريف المرتضى .

والسبب الثالث : تأليف ابن قتيبة لكتاب « إصلاح الغلط » . وقد ذكر هذا السبب ابن تيمية ، فى تفسير سورة الإخلاص ص ١٣٣ ؛ حيث يقول : وقد نقم ابن الأنبارى وغيره ، على ابن قتيبة كونه رد على أبى عبيد

أشياء من تفسير غريب الحديث . وابن قتيبة قد اعتذر من ذلك ، وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم . وهو وأمثاله يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى » .

إن ابن قتيبة لم يخطئ في فكرة نقده لأبي عبيد ، كما لم يخطئ في فكرة مزجه بين النحويين ؛ فما كان أبو عبيد — على جلالة قدره وسمو مكانته — إلا إنسانا يخطئ ويصيب ، ويؤخذ من كلامه ويرد ؛ وقد أخطأ وعرف معاصروه وغيرهم خطأه ، كإسحاق الموصلي ، وأبي سعيد الضرير وأبي سليمان الخطّابي . وما خُصّ مذهب الكوفيين بالصواب في كل مسألة من مسائله . وما كان نقد ابن قتيبة لأبي عبيد ، ولا مزجه بين المذهبين — إلا مظهراً من مظاهر التحرر العقلي الذي فطر عليه ، وجعله دائماً يثني على كل من أتى بحسن من قول أو فعل ، ويرد الرديء منهما على صاحبه ، غير ناظر إلى شرفه ولا تقدمه . وقد شرح ذلك في غير موضع من كتبه ، فقال في مقدمته لكتاب «الشعراء» ص ٦ : « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر ، مختاراً له ، سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ؛ بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حظه ، ووفّرت عليه حقه ؛ فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيَّره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدَثُ وحسن حتى لقد

همت بروايته . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا فى عصره » . وكذلك قال فى مقدمة عيون الأخبار : « وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخيَّر اللفظ ، لطيف المعنى ، لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله ، كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه ؛ فكل قديم حديث فى عصره ؛ ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ، ووضع الموجود ، ورفض المبذول ، وحب الممنوع ، وتعظيم المتقدم ، وغفران زلته ، وبخس المتأخر والتجنّى عليه . والعاقل منهم بنظر بعين العدل لا بعين الرضا ، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم » .

وأبلغ من ذلك كله — : فى الدلالة على تحرر عقله ، وانطلاقه من إسار التقليد والتزمت — : روايته لأدب المجون ، ودفاعه عن ذلك ، حيث يقول : « وسينتهى بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة ، وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما . فإذا مرَّ بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه ، أو تعجب منه ، أو تضحك له — : فاعرف المذهب فيه وما أردنا به . واعلم أنك إن كنت مستغنيا بتنسكك فإن غيرك ممن يترخّص فيما تشددت فيه ، محتاج إليه . وأن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ لك على ظاهر محبتك . ولو وقع فيه توقى المتزمتين لذهب شطر بهائه ، وشطر مائه ؛ ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك . وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين . وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة — : فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع

على أن تصعِّر خدك ، وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وإنما المأثم فى شتم الأعراض وقول الزور والكذب ، وأكل لحوم الناس بالغيب ... ولم أترخص لك فى إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هِجِّيراك على كل حال ، وديدنك فى كل مقال ، بل الترخص منى فيه عند حكاية تحكيها ، أو رواية ترويها تنقصها الكناية ، ويذهب بحلاوتها التعريض . وأحببت أن نجرى فى القليل من هذا ، على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على سجيتها ، والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ، ولا تستشعر أن القوم قارفوا وتنزهت ، وثلموا أديانهم وتورعت » .

وهذا كلام رائق معجب ، ينبغى أن نتلقاه بالتقدير والإجلال ، ولا سيما إذ تمثلنا أنه قيل فى القرن الثالث ، وأن قائله رجل من رجال الدين يؤلف فى التفسير والحديث ، وينصب نفسه للدفاع عنهما ضد نزعات الشك الفلسفى التى نجمت نواجمها فى ذلك العصر .

* * *

تأويل مشكل القرآن

وكان كتاب « تأويل مشكل القرآن » ثمرة طيبة من ثمار ذلك الدفاع القويم الذى أبلى فيه ابن قتيبة بلاء حسناً . فقد هاله ما رأى من كثرة الشكوك التى تثار حول القرآن ، والمطاعن التى تسدّد نحوه ؛ وخشى أن تكون عاقبة أمرها خسراً للأغمار والأحداث ؛ فانتدب نفسه لِدَرْئها ، وتبيين عِوَجِها ، وردّ كيدها إلى نحور أصحابها . وقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام

البيان المشرق الرصين ، واقتداره على النقد العلمى المتين ؛ وشمول معارفه وزكاء مداركه ؛ وسعة عقله الذى تمثّل أدبين ، وتثقف ثقافتين ؛ هما العربية ، والفارسية .

يحدثنا ابن قتيبة ـ عما بعثه إلى تأليف هذا الكتاب ، وما صنعه فيه ـ فيقول ص ١٧ : « وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ، ولَغَوْا فيه وهجروا ، واتبعوا ﴿ ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ﴾ ؛ بأفهام كايلة ، وأبصار عليلة ، ونظرمدخول ؛ فحرَّفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ؛ ثم قَضَوْا عليه بالتناقض ، والاستحالة فى اللحن ، وفساد النظم ، والاختلاف . وأَدْلَوْا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمْر ؛ والحدَثَ الغِرَّ ؛ واعترضت بالشبه فى القلوب ، وقدحت بالشكوك فى الصدور . . . . فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمى من ورائه بالحجج النيّرة ، والبراهين البينة ، وأكشفَ للناس ما يلبسون ، فألَّفْتُ هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن ؛ مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح ، وحاملا ما أعلم فيه مقالا لإمام مطلع على لغات العرب ؛ لأرى المعاند موضع المجاز ، وطريق الإمكان ، من غير أن أحكم فيه برأى ، أوأقضى عليه بتأويل ، ولم يجز لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير ؛ إذ كنت لم أقتصر على وحى القوم حتى كشفته ، وعلى إيمائهم حتى أوضحته ، وزدت فى الألفاظ ونقصت ، وقدّمت وأخرت ، وضربت لذلك الأمثال والأشكال حتى يستوى فى فهمه السامعون » .

وقد عرض لما صنع مرّة أخرى ـ بعد أن شرح معنى المتشابه والمشكل ـ إذ يقول فى ص ٧٤ : « وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ اللفظَ فى الظاهر والمعنيان مختلفان . . ومنه يقال : اشتبه علىَّ الأمر ؛ إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما . وشبّهت علىَّ . إذ لبّست الحق بالباطل . ثم يقال لكل ما غمض ودقّ : متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره .

ومثل المتشابه : المشكل ؛ وسمّى مشكلا لأنه أشكل ، أى دخل فى شكل غيره ، فأشبهه وشاكله . ثم يقال لما غمض — وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة — : مشكل . وقد بينت ماغمض من معناه لالتباسه بغيره ، واستتار المعانى المختلفة تحت لفظه ؛ وتفسير المشكل الذى ادُّعِىَ على القرآن فساد النظم فيه » .

وقد ذكر ابن قتيبة فى مقدمته : أن فضل القرآن لايعرفه إلا « من كثر نظره ، واتسع علمه ؛ وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها فى الأساليب ؛ وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات ، فإنه ليس فى جميع الأمم ، أمة أوتيت — : من العارضة والبيان ، واتساع المجال — ماأوتيته العرب .. » ، ثم ذكر حال العرب فى مبانى ألفاظها وإعرابها ، وألوان فروقها بين معانى الألفاظ ، وتحدث عمالها من الشعر « الذى أقامه الله لها مُقام الكتاب لغيرها ، وجعله لعلومها مستودعا ، ولآدابها حافظا ، ولأنسابها مقيداً ، ولأخبارها ديواناً لايرث على الدهر ولا يبيد على مرّ الزمان ... » ، ثم قال فى ص ١٥ : « وللعرب المجازات فى الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها :

الاستعارة والتمثيل ، والقلب ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار ، والإخفاء والإظهار ، والتعريض والإفصاح ، والكناية والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص .

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن . ولذلك لايقدر أحد من التراجم ، على أن ينقله إلى شيء من الألسنة ، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ، لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب . ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ ، لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته ، حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد — نخفت منهم خيانة ونقضاً — فأعلمهم أنك قد نقضت ماشرطت لهم ، وآذنهم بالحرب ، لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على استواء وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾ إن أردت أن تنقله بلفظها لم يفهمه المنقول إليه ، فإن قلت أنمناهم سنين عدداً ، لكنت مترجماً للمعنى دون اللفظ . وكذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ، إن ترجمته بمثل لفظه استغلق . وإن قلت : لم يتغافلوا ، أديت المعنى بلفظ آخر » .

وأعتقد أن كلام ابن قتيبة فى مسألة ترجمة القرآن هو القول الفصل الذى يجب التمسك به ؛ وعدم العدول عنه .

* * *

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين ؛ فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها ؛ ثم عقد أبوابًا للرد عليهم فى وجوه القراءات ؛ وما ادعوه على القرآن من اللحن ؛ وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آيه ، وما قالوه فى المتشابه . كما أجاب عن قولهم : ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن ، من أراد لعباده الهدى والبيان ! . .

ثم ذكر بعد ذلك أبواب المجاز ؛ لأن أكثر غلط المتأولين كان من جهته ، وبسببه تشعبت الطرق ، واختلفت النحل .

وطريقته فى إيراد أبواب المجاز أنه يذكر ما أتى منها فى كتاب الله ، يُعقبه بأمثاله : من الشعر ولغات العرب ، وما استعمله الناس فى كلامهم .

وقد بدأ بباب الاستعارة ، ثم باب المقلوب ، وباب الحذف والاختصار ، وباب تكرار الكلام والزيادة فيه ، وباب الكناية والتعريض ، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه .

ثم ذكر باب الأبواب فى الكتاب ، وهو باب تأويل الحروف التى ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم ، فتحدث عن الحروف المقطعة ، واختلاف المفسرين فيها . ثم خلص من الكلام عليها إلى الكلام على مشكل سور القرآن ؛

فيذكر ما فى السورة منه ثم يؤوله ؛ ولكنه لم يرتب السور على حسب ترتيبها المعروف فى المصحف ؛ بل ذكرها حسبما عَنَّ له من مشاكلها . وقد لا يستوفى الكلام على مشاكل السورة التى يذكرها ؛ فيعيد ذكرها مرة أو مرات : مثلما فعل فى سورة البقرة والأنعام ، وسورة النحل والنساء .

فقد تحدّث عن مشكل السورتين الأوليين فى أربعة مواضع ، وتحدث عن مشكل الثانيتين فى ثلاثة — كما أنه لم يعرض لكل سور القرآن . والسورةُ الوحيدة التى استوفى تأويلها ، وشرحها كلها — من بين السور التى ذكرها — هى سورة الجن ؛ لما فيها من إشكال وغموض ؛ بما وقع فيها من تكرار « إن » واختلاف القراء فى نصبها وكسرها ؛ واشتباه ما فيها من قول الله وقول الجن .

وبعد أن فرغ ابن قتيبة من تأويله لمشكل السور التى ذكرها ، عقد بابا عظيم القدر ، بالغ الأهمية ؛ وهو « باب اللفظ الواحد للمعانى المختلفة » ؛ تحدث فيه عن نيف وأربعين لفظاً من الألفاظ التى جاءت فى القرآن متحدة المبانى ، مختلفة المعانى ؛ كالقضاء والبلاء ، والأمة والرؤية والإمام والإسلام ، والفتنة والسلطان ، والضلال والنسيان ، والحساب والكتاب .

ثم ذكر ابن قتيبة بعد ذلك « باب تفسير حروف المعانى ، وما شاكلها من الأفعال التى لا تتصرف » ؛ كأين ، وأنى ، ولولا ، ولوما ، ولا جرم ، وتعالى ، وهلم ، ورويداً ، ولدن .

ثم ختم كتابه بباب « دخول بعض حروف الصفات مكان بعض » ومما هو جدير بالملاحظة : أن عنوان هذا الباب والذى قبله ، مظهر من مظاهر مزج ابن قتيبة بين كلام الكوفيين والبصريين ، فحروف المعانى تعبير بصرى ؛ ذكر المفضل بن سلمة الكوفى فى كتاب « البارع » الحروف التى جاءت لمعان — بعد أن ذكر أبنية الكلام — فقال : « والحد الثالث من الكلام الأحداث ؛ وهى التى يسميها أهل البصرة : حروف المعانى » .

وحروف الصفات تعبير كوفى ؛ قال السيوطى فى همع الهوامع ١٩/٢ « حروف الجر ، ويسميها الكوفيون حروف الإضافة ؛ لأنها تضيف الفعل إلى الاسم ، أى توصله إليه ، وحروف الصفات لأنها تحدث صفة فى الاسم ، فقولك : جلست فى الدار ، دلت « فى » على أن الدار وعاء للجلوس ، وقيل لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات » .

* * *

ولأبواب المجاز التى ذكرها ابن قتيبة فى هذا الكتاب ، قيمة تاريخية كبيرة ؛ لأنها ستضيف إلى معارفنا عن تطور البلاغة شيئاً جديدا . فالشائع الذائع بين الخاصة وغيرهم: أن البلاغة العربية طفرت من نثار الجاحظ المبثوث فى كتبه ، إلى « بديع » ابن المعتز ، طفرة واحدة . ولم يعرف أحد أن ابن قتيبة قد أسهم فى تكوينها وتطورها بنصيب موفور . فظهور تلك الأبواب فى هذا الكتاب يظهرنا على تلك الحلقة المفقودة فى تاريخ البلاغة ، ويضيف إلى أمجاد ابن قتيبة مجداً آخر عظيم الشأن ، سيذكره الذاكرون كلما تحدثوا عن تاريخ البلاغة ونشأتها .

ولن يستطيع باحث أن يغفل صنع ابن قتيبة فى استخراج ما فى القرآن من أنواع المجاز وتبويبها أبوابا مفصلة بلغت عدة صفحاتها أربعا وخمسين ومائة؛ قبل أن يؤلف ابن المعتز كتاب « البديع » فى سنة أربع وسبعين ومائتين؛ بسنوات وسنوات .

* * *

ولباب اللفظ الواحد للمعانى المختلفة ، كذلك قيمة تاريخية عظيمة ، فقد رجع ابن قتيبة المعانى المختلفة للفظ الواحد ، إلى أصل واحد نشأت منه ، وتفرعت عنه .

ومن أمثلة ذلك أنه ذكر كلمة « القضاء » ، وبين معانيها المختلفة التى تصير إليها ؛ ثم ختم بحثه بقوله ص ٣٤٣ « وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد » . وكذلك قال بعد تبيينه لمعانى « القنوت » ص ٣٥ « ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ؛ لأن جميع هذه الخلال من الصلاة والقيام فيها، والدعاء وغير ذلك يكون عنها » ؛ وقال بعد ذكره لمعانى كلمة « الأمر » ص ٣٩٤ « وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد » .

وبذلك يكون لابن قتيبة فضل السبق إلى القول برد مفردات المادة اللغوية ، إلى أصولها المعنوية المشتركة ؛ لأنه أسبق من ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ ، ومن أستاذه أبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ ، ومن ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ . بل إنى أذهب إلى أن فكرة ابن قتيبة هذه ، هى التى أوحت إلى ابن فارس تأليف كتابه « مقاييس اللغة » ؛ كما أوحت إليه تلك

المباحث اللغوية — التى تضمنها تأويل مشكل القرآن — تأليف كتاب « الصاحبى » فى فقـه اللغة وسنن العرب فى كلامها : والذى يقارن بين الـكتابين ، يجـد أن ابن فارس قد اعتمد على تأويل مشكل القرآن كل الاعتماد ، وانتفع بمباحثه انتفاعاً عظيما ونقل منها إلى كتابه نقولا كثيرة : من غير أن يشير إلى ذلك ؛ وإن أشار — وقليلا ما يصنع — فإنما يشير إشارة مبهمة غامضة ؛ كقوله فى ص ١٢ : « وقال بعض علمائنا » ؛ وقوله فى ص ١٢٤ : « وقال بعضهم » . وقد أشرت إلى بعض ما نقله فى مواضعه من الـكتاب .

وابن فارس حريص على أن لا يذكر اسم ابن قتيبة ، إلا إذا حاول نقده . وهو فى نقـده له مغرض متحامل متعجل ؛ وقد دفعته العجـلة إلى الخطأ ، وعدم التمييـز بين كلام ابن قتيبة ، وبين قوله عن الفراء فى « لا جرم » ؛ فنسب قول الفراء إلى ابن قتيبة وخطأه فيه كما أشرت إلى ذلك فى تعليق على صفحة ٤١٨ .

* * *

وقد عمد أبو عبد الله : محمد بن أحمـد بن مطرّف الكنانى القرطبى (٣٨٧ — ٣٥٤)، إلى كتابى : تأويل مشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن فجمع بينهما — كما يقول — فى كتاب أسماه « القرطين » وهذا العمل ليس — من العلم ، ولا من التأليف — فى شىء ؛ ولا يدل إلا على سوء

التفكير والتدبير. بل هو مسخ للكتابين، وتقطيع لأوصالها ، وبعثرة لمضمونهما بعثرة تُضِلُّ الأفهام والأفكار ، ولا تسيغها الأذواق ولا العقول .

ولقد زعم ابن مطرف فى مقدمته أنه لم يحل الكلام فى كلا الكتابين عن جهته، ولاغير من لفظه ، ولا زاد فيه ، ولا نقص منه . ولكن فعله خالف قوله ؛ فقد نقص منهما كثيراً وزاد فيهما قليلا ؛ واتبع فيما حذف هواه الذى أضله عن سنن العلماء ، وليس أدل على ذلك من أنه حذف من تأويل مشكل القرآن صفحة ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥ ؛ وعلل حذفه لهذه الصفحات ، بقوله ٢/١٥ : « وباقى الباب لم أكتبه ؛ لما فيه من الطعن على حمزة ؛ وكان أورع أهل زمانه ، مع خلو باقى الباب من الفائدة ! » وسيعلم كل قارئ لهذه الصفحات ماتضمنته من الفوائد العلمية والتاريخية الجليلة ، وسيحكم بأن ابن مطرف كان ينطق عن الهوى فى حكمه .

* * *

وقد اعتمدت فى نشر هذا الكتاب على ثلاث نسخ ، الأولى : نسخة دار الكتب المصرية (٥١٨ تفسير) وهى بخط أبى طالب بن عبد الواحد بن عبد المحسن بن أبى الوفاء الأنصارى الدمشقى ، المعروف ببرهان الدين ، وقد كتبها فى سنة ٥٢٨ هـ ، وقد قرئت على أبى منصور الجواليقى وعدد أوراقها ١٣٤ ورقة ، وتنقص من أولها ورقة ، ومقاسها ١٥ × ١١ سم وتشتمل الصفحة منها على خمسة عشر سطراً ، وعلى هوامشها بعض تعليقات ، وهى مضبوطة بالحركات ورمزها « ج » .

والنسخة الثانية : نسخة مكتبة مراد ملّا ، كتبت سنة ٥٣٢ هـ وهى فى ١١٧ ورقة ، ومقاسها ٥ر١٩ × ٥ر٢٥ سم وعدد سطور صفحتها ٢٠ سطراً .

والنسخة الثالثة : نسخة دار الكتب المصرية (٦٦٣ تفسير) وهى مكتوبة فى سنة ٣٧٩ هـ بخط محمد بن أحمد بن يحيى ، وعدد أوراقها ٨٥ ورقة ومقاسها ١٥ × ٢١ سم وعدد سطور الصفحة ٢٦ سطراً . ولئن كانت هذه النسخة أقدم النسخ عهداً ، فإنها أقلهن وزناً ؛ لأن كاتبها كان يجتوى الشعر فكان إذا مر بشعر حذفه ، ولم يفلت منه إلا قليل : وهى كذلك تنقص كثيراً من النصوص . ولكثرة المحذوف منها ، واستحالة الإشارة إلى أوله وآخره فى هوامش الصفحات دون التطويل الممل — رأيت إثبات الفروق بين النسخ فى آخر الكتاب . ولعل ذلك مما يريح جمهرة القراء .

* * *

ولقد حرصت فى شرحى لهذا الكتاب على تخريج أبياته ، وربط موضوعاته بأماكنها من كتب الأدب والتفسير ، ونقلت — من الآراء — مادعت إليه ضرورة البحث ، وأومأت إلى مالم أنقل . وكان قصدى فى ذلك إما تعضيد رأى ، أو توهين قول ، أو تفصيل مجمل ، أو توضيح مبهم ، أو الإشارة إلى مصدر فكرة ، أو اتفاق خاطر . ليكون الدارس للكتاب على بينة مما ذكره ابن قتيبة من مشكل القرآن ، محيطاً بفقه المسائل التى عرض لها ، جامعاً لأطراف الآراء ووجوه المذاهب فيها .

وما أريد أن أعرض لما صنعت بتزكية أو توثيق ، تأدباً بأدب السلف الصالح ، وتأسياً بقول أبي سليمان الخطّابي في ختام مقدمته لتفسير غريب الحديث: « فأما سائر ما تكلمنا عليه فإنا أحقاء بأن لا نزكيه ، وأن لا نؤكد الثقة به؛ وكل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره ، فنحن نناشده الله في إصلاحه ، وأداء حق النصيحة فيه . فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطإ، إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ؛ ونحن نسأل الله ذلك ، ونرغب إليه في دركه إنه جواد وهوب » .

واقتداء بقول ابن قتيبة : « وما أبرأ إليك بعد من العثرة والزلة ، وما أستغني منك ـ إن وقفت على شيء ـ : عن التنبيه والدلالة ، ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط . فإن هذا الفن لطيف خفي ، وابن آدم إلى العجز والضعف والعجلة ، (وفوق كل ذي علم عليم) .

ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإياك بالعلم ، ويعرفنا قدره ، ويجعل شغلنا بالعمل المقرب منه ، ويؤتينا بفضله أفضل ما آتاه من أمّله بخير نية ، وأرشد هُدًى إنه الواسع الكريم » .

القاهرة في يوم الإثنين : ١٧ من رمضان ١٣٩٣ هـ
١٣ اكتوبر ١٩٧٣ م

السيد أحمد صقر





صورة الصفحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف « د »



عن مكان من ١٦٥

قال الله تبارك وتعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وما [illegible] ○
ويقول الآخذ هذا عنك ومنك ○ وكذلك من [illegible] ○
مكان عن يقول لقيت من فلان اي عنه وحدثني فلان من فلان
اي عنه ○

على بمعنى عنه

قال الله تبارك وتعالى ولهم علي ذنب اي عندي ذنب ○

اللام مكان [illegible]

قال الله تبارك وتعالى ما خلقناهما الا بالحق اي للحق ○

تم كتاب المشكل

والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على محمد النبي [illegible]
وآله وسلم كثيرا وحسبنا الله [illegible]
ونعم الوكيل والمعين ربنا ونعم المولى ونعم النصير ○

وكتب محمد بن احمد بن [illegible] رحمه الله في شهر ربيع الآخر
من سنة تسع وسبعين وثلثمائة رحم الله كاتبه ومن نظر
فيه من المسلمين آمين رب العالمين ويتلوه [illegible]
وبمعنى الكتاب وقال

ارى آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا به وزدنا علما
ينفعنا ○ الحمد لله بجميع محامد الله ما علمنا منها
وما لم نعلم على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم
عدد جميع خلق الله ما علمنا منهم وما لم نعلم ○

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « د »



صورة الصفحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف «م»



ويريد أنهم قدموها على نواصيها في الشرب فقدموا الأعز
منها فادعى أن بأباه والنجار الطبيعة والجوهر فأراد
أن سماتها تدل على جواهرها

تم كتاب مشكل القرآن وتفسير المشكل والأمثال ... بحمد الله وعونه في
سلخ جمادى الأولى من شهور سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وصلى الله على محمد وآله

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « م »

